



صَغِيرِي أَنْصِتْ لِلذِّي يَسْطُرُ الفَمُ ولولا أحبُّ الشبيل ما كنتُ أنظمُ
تَذَكَّرْ وَصَاتِي إِنها اليَوْمُ مِنْهَجُ يَسِيرُ عَلَيْهِ ابْنٌ وَفِيَّ مُكْرَمُ
يُحَيِّي الهُدَى ، لا يَسْتَطِيلُ سَبِيلَهُ وليس خذولاً ، إنما الخذلُ عَاقِمُ
يُضَحِّي لِأجلِ الحَقِّ لا يِرْتَضِي الخِنا ولكن غلامٌ طَيِّبُ القلبِ قَيِّمُ
يُحِبُّ كَثِيراً وَالِداً كَمِ أَرْداهُ عَزِيزاً أَيْباً ، بأَسْهٍ لَيْسَ يُهْزَمُ!
يُوقِرُهُ بَيْنَ الوَرى فِي مَشِيبِهِ وَيَعْمَلُ بِالنَّصِحِ الأَرِيبِ ، وَيَفْهَمُ
وَيَعْرِفُ حَقَّ الوالِدِ المُحْتَفِي بِهِ وَيَحْفَظُهُ ما جَنَّ لَيْلٌ وَأَنْجَمُ
لِيَلْطَفَ بِهِ المولى وَيَحْمِي جِناهُ كَأني بِهِ يَدْرِي الأُمورَ ، وَيَعْلَمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية)

شركة العمر هذي تحاياك!

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومختصر

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة



صَابِرِي فَالصَّبْرُ زِينَةٌ!
 فِي تَلَايِفِ الضَّغِينَةِ
 وَأَنْزَوِي يَنْعَى خَدِينَهُ
 فِي الدَّجَى لَيْلِ السَّكِينَةِ
 أَمْرَ شَكِّ تُكْرِينَهُ
 فِي الدِّيَاجِيرِ اللُّعِينَةِ
 وَأَنْظُرِي نَفْسِي الْحَزِينَةَ!
 هَذِهِ النَّفْسُ الْقَرِينَةُ

إِيهِ يَا أُخْتِي المَصُونَةَ
 لَمْ يَعْذُ لِلْعَيْشِ طَعْمُ
 وَالْإِبَاءِ الْحُرِّ وَلِي
 وَالْحَيَاءِ الْعَذْبُ يَبْكِي
 وَأَنْبِلَاجُ الفَجْرِ أَضْحَى
 بَلْ أَنَا المَقْتُولُ غَدْرًا
 إِيهِ ، يَا أُخْتَاهُ رَفَقَا
 فِي بَحَارِ الشُّوقِ مَاتَتْ

الإهداء

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونؤمن به إيمان الواثق به وبقدره ، ونتوب إليه توبة نصوحا ، ليس بعدها عودة إلى المعاصي أبدا ، ونتوكل عليه ، ونرجو رحمته عز وجل ، ونخشى عذابه ، إن عذابه الجد بالكفار ملحق. ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، ومن يهتد الله فما له من مكرم ، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً ، كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون. الحمد لله بجميع محامده كلها ، ما علمنا منها وما لم نعلم ، نحمده على جميع نعمه وآلانه كلها ، ما علمنا منها وما لم نعلم ، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانتك ربنا ، سبحانك لا نحصي ثناء عليك: أنت كما أثنيت على نفسك ، يا ربنا لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد بعد الرضا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنبيون حق ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فأغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي ، لا إله إلا أنت. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ، فأغفر لي ذنوبي جميعاً ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك والخير كله في يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك. اللهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون: اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. أحمدهم اللهم ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، وأشهد أن لا إله الا الله ، وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، لا شيء قبله ولا شيء بعده. خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ويحيي الأرض بعد موتها ، ويرزق من يشاء بغير حساب ، لا شيء مثله ، ولا شيء قط يعجزه ، ولا إله غيره ، أولّ بلا ابتداء ، وآخر بلا انتهاء ، لا يفنى ولا يبدي ، ولا يكون إلا ما يريد ، لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام ، ولا يشبه الأنام ، حيّ لا يموت ، قيوم لا ينام. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيبه ، خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالمين كافة ، هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، نشهد أنه بلغ رسالة ربه كاملة على خير وجه ، وأدى الأمانة بغير نقصان ، ونصح الأمة ، ومحا الظلمة على خير وجه يكون ، وأزال الله به الغمة ، وأخرج الناس بإذن ربه - تبارك وتعالى - من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور المثل والنحل والأديان إلى عدل وسماحة الإسلام ، ومن عبودية العباد إلى عبادة رب العباد تبارك وتعالى. فجزاه الله عنا

خير ما يُجزى به نبي عن أمته ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين – أما بعد فالحقيقة التي ينبغي أن نسجلها هنا حول الكتابة عن الشيخ ديدات ، تلك التي شغلت بالي كثيراً ، كانت محيرة جداً بالنسبة لي! فنهدي مجموعتنا: (نصيب أسرتي من شعري!) في جزئها الأول: (شريكة العمر هذي تحايك) لأسرتي الحبيبة ، ولنن جاء هذا المصنف الشعري متأخراً ، ولكنه أفضل بكثير من أن لا يوجد! عملاً بالحكمة الإنجليزية القائلة: (لأن تأتي متأخراً خير من أن لا تأتي!) وذلك أنني قمتُ باستلال القصائد الخاصة بالأسرة الكريمة لتضمها معاً هذه المجموعة الشعرية! وكثيراً ما سألني زيد من أبنائي أو عمري: أين قصيدتي؟ فطبعاً يكون الرد متعسراً إن لم مستحياً عندما نقول له أو لها: التمسها في ديوان: (السليمانيات) ، ذلك الديوان المؤلف من ثلاثين مجلداً من الشعر ، وكل مجلد يتراوح بين الثلاثمائة إلى الأربعمائة صفحة! الأمر الذي يعضل بالمسؤول فما بالنا بالسائل! مما يجعلني أحياناً أعتذر قائلاً: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل! ولما كان ذلك كذلك ، قمتُ بتصميم (الفهرس الموضوعي للقصائد ذوات الشأن) ، فإذا به يتجاوز الصفحات السبعين! الأمر الذي يعضل بالباحث كذلك! وإذن فحتى المعجم الموضوعي لم يحل المشكلة! وأخيراً استقر الرأي على اقتطاع هذه القصائد الخاصة بالأسرة لتضمها مجموعة شعرية منفصلة! وكانت قسمين: قسم أهديته لأم الأولاد (أم عبد الله) ، وقسم أهديته للأولاد! والطموحات والله أكبر بكثير من العمر! ويطارذني شعورٌ دائمٌ بأن العمر سينقضي ، وستعود روعي إلى خالقها ، وأنا لم أنجز الشئ الكثير من الطموحات والتطلعات والآمال! وذات يوم سوف يقرأ هذا النص عني ابن أو ابنة أو حفيد أو محب ، وساعتئذ سيدركون جميعاً ما أريد تسجيله اليوم من النصيحة الغالية التي تحث على إدراك قيمة الوقت! وتحت عنوان: (قيمة الوقت وواجب المسلم نحوه) يقول الأستاذ عادل عبد الله هندي ما نصه بتصريف يسير: (إن الزمن الذي نعيش زمن فرط فيه العقلاء في أوقاتهم ، وضيق كثير من شبابنا أعمارهم في لا شيء ، سوى الشهوات والملاذات ، مع أن الوقت كان ولا يزال عاملاً رئيسياً في تقدم الأمم ؛ لا سيما في حياة الأمم التي اتخذت لها شعار: «الوقت هو الحياة». الوقت هو الحياة ، وأوقاتنا هي رأس مالنا في هذه الدنيا ، ومن فرط في وقته وعمره فقد فرط في خير كبير ، والحقيقة أن أيام الله تعالى تتسارع ، والأزمنة تتلاحق ، فبينما كان الصالحون يتنادون: «هيا بنا نومن ساعة» ، نجد في زماننا وفي أغلب أوقاتنا هذه ، نجد من شياطين الإنس من يقول لصاحبه: «هيا بنا نصيغ ساعة». ويتدارك الزمان عقب الزمان ، وتتسابق الأيام تلو الأيام ، وتلك سنة الله في كونه ، أن أيام العمر تمضي سريعاً ، وقد صرنا أقرب ما يكون إلى قيام الساعة ، لا سيما وقد أخبر المصطفى الحبيب - صلى الله عليه وسلم - بأن من علامات الساعة تسارع الزمان ، نسأل الله حسن الخاتمة. وقد تنوع الناس في التعامل مع الزمان ؛ فمن الناس يضيع عمره في البحث عن شهوة زائلة فانية! ومن الناس من يضيع عمره ووقته في مجالس اللعب والهو والغيبة والنميمة ، ومن الناس من يعرف قيمة وقته فحدّد هدفه ، وقام يبذل في وقته كل ما يستطيع من عمل يحقق له هدفه ، ولو كان هدفاً دنيوياً كرجال الأعمال والتجارة! وأيضاً أعداء الإسلام من الذين يدركون قيمة الوقت منهم ، فقد قاموا يحاربون الإسلام ، ويتقدمون بعلومهم لإظهار عزتهم على المسلمين ، وصنف آخر يعرف قيمة الوقت فقام يعمل عملاً صالحاً يلقي الله به يوم القيامة. ولقد اهتم الإسلام بالوقت وبين أهميته ، وذلك من خلال آيات من القرآن وأحاديث من السنة ، كما جاءت

كثير من العبادات لتنظيم وقت المسلم ، وذلك على النحو التالي: * أولاً: الوقت نعمة من نعم الله على عباده ، يقول الله تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ) ، ويقول أكرم الأكرمين: (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) ، ويروي لنا البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله: «نِعْمَتَانِ مَغْبُوتٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاعُ» ، فالخاسر في وقته إنما هو مغبون كالذي يبيع سلعته بأقل مما تستحق ، أو يشتريها بأكثر مما تستحق. وليس يتحسر أهل الجنة على شيء ، إلا على ساعة مرّت بهم لم يذكرها الله عز وجل فيها. * ثانياً: القسم بالوقت في القرآن الكريم ، والعظيم إذا أقسم بشيء ، دلّ على عظمتها وضرورة العناية به ، قال تعالى: (والفجر) ، وقال أيضاً: (والعصر) ، وقال بعض العلماء: في إقسامه - سبحانه - بالعصر تنبيه لعباده المؤمنين على المحافظة على الوقت ، وأن نصيبك أيها الإنسان من هذه الحياة هو هذا الوقت وهذا الزمن ، فتشغله بهذه الأرباع ، وإلا كنت من الخاسرين ، وأقسم سبحانه بالليل والنهار فقال: (والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلّى) ، وقال عزّ وجلّ: (والضحى ، والليل إذا سجى). هذا هو الزمن ، وهذا هو الوقت! في كل جزء من أجزائه ، وفي كل ساعة من ساعاته ، وفي كل لحظة من لحظاته ، فيه وظيفة عبادة يتعبد الناس فيها إلى الله جل وعلا ، فمنها وظيفة يجتمع الناس فيها ، ومنها وظيفة تختلف بحسب قدرات الناس ومنزلهم ودرجاتهم وعلمهم ومكانتهم. * ثالثاً: الوقت له صفاته وسماته ، والتي منها: أنه ينقضي سريعاً ، ولا يعود إذا ذهب ، كما أنه لا يباع ولا يشتري ، وهو أنفس ما يملكه الإنسان وهو سكن الإنسان في نومه ويقظته. ولذا ينبغي الاهتمام بشأنه ، وعدم التراخي في استغلاله. * رابعاً: من أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة ، قال صلى الله عليه وسلم: «لَا تَرُؤُلُ قَدَمًا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ...» [رواه الترمذي في سننه ، بإسناد حسن صحيح]. * خامساً: التأكيد على ضرورة اغتنام الوقت قبل فواته ، قال عليه الصلاة والسلام: «اعْتَنِمْ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاعَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ، وقال عنه: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». * سادساً: الدعوة إلى المبادرة الدائمة في استغلال الأوقات والأعمار ؛ ولقد أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالمبادرة إلى الأعمال قبل حلول العواقب ، قال صلى الله عليه وسلم: «بادرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا ، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا غَنَىً مَطْغِيًا ، أَوْ فَقْرًا مَنَسِيًا ، أَوْ مَرَضًا مَفْسُدًا ، أَوْ هَرَمًا مَفْنَدًا ، أَوْ مَوْتًا مَجْهَزًا ، أَوْ الدِّجَالَ فُشْرَ غَائِبٍ يَنْتَظِرُ ، أَوْ السَّاعَةَ ، فَالسَّاعَةُ أَهْمَى وَأَمْرٌ.....» وقد قيل لملك زال عنه ملكه يوماً: ما الذي سلبك ملكك؟ فردّ قائلاً: تأخيري عمل اليوم إلى الغد. وتلك حكمة كنا نراها قديماً ونحن صغار على الكراسات: "لا تؤجّل عمل اليوم إلى الغد". وقد أدركنا قيمتها في الكبر مع تقدم العمر! وعالم مجتهد هو ابن عقيل الحنبلي رحمه الله كان يقول: أنا أحب سف الكعك على أكل الخبز ؛ لأن سف الكعك لا يأخذ وقتاً ، وأكل الخبز أنتظر حتى أقطع وأغمس وغير ذلك ، فتذهب الأعمار في الأكل. وابن عقيل رحمه الله يقول عنه الذهبي رحمه الله: إنه استطاع أن يولّف أكبر مصنف في الدنيا ، وهو كتاب (الفنون) ، أي: فنون اللغة ، وفنون التفسير ، وفنون المناظرات ، وفنون الكلام ، وفنون الفلسفة وغير ذلك ، فكل العلوم التي تتخيلها في كتاب الفنون ، فهو (800) مجلد ،... وكان ابن عقيل رحمه الله يقول: إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري. وانظر إلى نظرته إلى الوقت ، فالقضية عنده ليست قضية فضل ، فهو يرى أن تضييع الوقت حرام ، يقول: إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى إذا

تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري في حال راحتني وأنا مستطرح على السرير ، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في الثمانين أشد مما كنت أجد وأنا في العشرين. إتنا بحاجة ماسة إلى أن يتعلم شبابنا وفتياتنا كيف يديرون أوقاتهم ، وكيف يستغلون كل لحظة في خدمة أهداف دينهم وأهداف دنياهم ، بما يخدم الأمة المسلمة ، ينبغي أن نربيهم على الهمة العالية ، والصحة النقية ، ومرافقة الصالحين إن لم يكن باللقيا ، فبالقراءة في سيرهم ، والتعلم منهم). هـ. وعن قيمة الوقت بين الواقع المعاش والمأمول المنتظر يقول الدكتور خالد بدير ما نصه: (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ). [البخاري] ومعنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) أَيُّ أَنْ الَّذِي يُؤَفَّقُ لَذَلِكَ قَلِيلٌ! فقد يكون الإنسان صحيحاً ، ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش ، وقد يكون مستغنياً ، ولا يكون صحيحاً! فإذا اجتمعاً - الصحة والفراغ - فغلب على الإنسان الكسل عن الطاعة فهو المغبور ، والغبن أن تشتري بأضعاف الثمن ، وأن تبيع بأقل من ثمن المثل. فالحديث يشير إلى أهمية الوقت في حياة المسلم ؛ لذلك فلا بد من الحفاظ عليه وعدم تضييعه في أعمال قد تجلب لنا الشر وتبعدنا عن طريق الخير فالوقت يمضي ولا يعود مرة أخرى. إن الإنسان إذا عرف قيمة شيء ما وأهميته حرص عليه وعزَّ عليه ضياعه وفواته وهذا شيء بديهي للغاية ، فالمسلم إذا أدرك قيمة وقته وأهميته ، كان أكثر حرصاً على حفظه واغتنامه فيما يقربه من ربه ، وها هو الإمام ابن القيم رحمه الله يبين هذه الحقيقة بقوله: (وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة ، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم ، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم ، وهو يمر مر السحاب ، فمن كان وقته لله وبالله فهو حياته وعمره ، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته... فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة ، فموت هذا خير من حياته). ويقول ابن الجوزي: (ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة ، ويقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل ، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل). هـ. قال الحسن البصري: (يا ابن آدم ، إنما أنت أيام ، إذا ذهب يوم ذهب بعضك). وقال: (يا ابن آدم ، نهارك ضيفك فأحسن إليه ، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك ، وإن أسأت إليه ارتحل بذمك ، وكذلك ليلتك). وقال: (الدنيا ثلاثة أيام: أما الأمس فقد ذهب بما فيه ، وأما غداً فلعلك لا تدركه ، وأما اليوم فلك فاعمل فيه). لذلك كانوا لا يندمون إلا على فوات الوقت الذي لم يرفعهم درجة ، قال ابن مسعود: (ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسهُ ، نقص فيه أجلي ، ولم يزد فيه عملي). وقال ابن القيم: (إضاعة الوقت أشد من الموت لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة ، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها). وقال السري بن المفلس: (إن اغتممت بما ينقص من مالك ، فابك على ما ينقص من عمرك). وإيماناً مني بما نصحنأ به علماؤنا الأجلأ وسلفنا الأعرأ ، رحأ أضرب على ذات الوتر ، فمضيتُ أغتممُ العمر والوقت ، وأحققُ فيه ولو بعض ما أصبو إليه وأتطلع! ومن هنا رحأ أحرصُ كل الحرص على كل ثانية من حياتي! فكان العنوان: (نصيب أسرتي من شعري!) هو الرمز الذي يضمن ما أريد سرده هنا! أهدي أسرتي الحبيبة هذه المجموعة الشعرية ، سائلاً الله العلي الكبير أن ينفعها بما احتوت من الأشعار! والقصد العظيم من جمع شتات هذه المجموعة مضافاً إليها المجموعة الشعرية المسماة بـ: (أبنائي الأعرأ هذي تحاياكم!) لتكون نبراساً يضيء حنادس الظلم في دروب الجاهلية المعاصرة!

المقدمة

الحمد لله المتوحد بالجلال بكمال الجمال..المتفرد بتصريف الأمور على التصريف والإجمال..خلق وأبدع..وحكم وشرع..وعز فارتفع..وذل كل شيء لعظمته وخضع. والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد أشرف من سجد وركع ، وسبح واسترجع ، وعلى آله وصحبه أجمعين..أما بعد. فواضح من عنوان هذا الديوان أنه يتناول الحب! ذلك المفهوم المظلوم الذي أسئى فهمه طويلاً! تلك العلاقة التي قصرها أهل الجاهلية المعاصرة على حب العشيقات والأخذان فقط! وقصرها بعضهم في حب الطين والأرض والوحد والمال والولد! واستمر الأمر على ذلك إلى أن ضعفت شوكتنا لأن مفهوم الحب قد اختل! إنه لا بد من توطئنا نفوسنا على السعي في تقوية وتمتين تماسكنا الاجتماعي بالحب والمودة حتى نصير كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في استعارة جميلة شبه فيها المسلمين في تماسكهم وتعاونهم كالبنين فقال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً". فكل لبنة في البناء تنجذب نحو أختها لتلتصق بها ، وأختها تفعل نفس الشيء ، فإذا هو تجاذب متبادل بين جميع الأطراف المتجاورة ، وإذا نحن أمام قوة واحدة كبيرة تجمعت من إمدادات قوى اللبنة ، هذا هو الوضع الطبيعي للمجتمع السليم ، كما هو في الإشارة النبوية. ولا يمكن أن يحصل انجذاب ، أو تجاذب من كل الأطراف ، إلا بالمحبة والمودة المذكورة في الحديث الشريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر". وقد أشار إلى هذا المعنى خالد محمد خالد بقوله: "وبعد محاولات وجهود ، اكتشف الإنسان أن "المحبة" هي القانون الحقيقي لوجوده ، بل للوجود كله! فالجاذبية ، عماد الكون - السماوات ، والأرضون...الشمس ، والكواكب ، والنجوم ، والأفلاك جميعاً..كلها شاء الله بناءها ، وشد أزرها بالتألف والجاذبية حتى الأضداد التي تتباين خصائصها..تؤلف ذات بينها جاذبية خفية ، تجعلها تعمل معاً ، وكأنها شيء واحد ، لا أضداد مختلفة! تبيين الإنسان أن الحب قوام طبيعته ، وجوهر طبيئته وأنه خلق ليعبد الله بالحب والخوف والرجاء ، ليحب ، ويحب ليألف ويؤلف". وهذا المعنى الذي ذكره خالد محمد خالد هو نفسه الذي ساقه ابن تيمية وغيره من العلماء في عبارة تأصيلية: "والأصل في الوجود الحب ، والبغض طارئ" فالإنسان خلق ليعمل في الوجود ويعمره بأمر الله وعلى منهجه ، وهذا يعني عند علماء الإسلام أنه مطالب بالسير والانجذاب نحو الله وهذا السير منذ بدايته هو بذرة حب تتنامى وتكبر وعلى حسب حجمها وكبرها تزداد سرعة السالك وتكثر إنجازاته وتحسن ، لأن الإنجاز الإيجابي محبة ، والهدم والتخريب بغض وكرهية." وبنفس الإحساس وبنفس المشاعر الإنسانية الواحدة يعبر الفيلسوف الشاعر "جيتي" عن هذا المعنى بقوله: "ليس في العالم ما يجعل الإنسان ضرورياً لأخيه الإنسان إلا المودة". ومن هذا المنطلق نؤكد الرأي القائل أن الحب قيمة القيم ، فالقيم الأخرى لا تقوم بذاتها ، وأما الحب فهو القيمة الوحيدة التي تقوم بذاتها ، أو هو الشيء الوحيد الذي لا يترك لمن يملكه شيئاً آخر يرغب فيه. بالمحبة والتحاب تطيب الحياة وتأخذ قيمتها الحقيقية وتستحق أن نحياها ونحيا لها ، لا لشيء ، إلا لأن قيم المحبة قد غمرت. والحق أنك لا تجد في العالم لذة أصدق ، ولا مسرة أقوى من أن ترى قلباً خالصاً يفتح أمامك ، ونفساً كبيرة تنكشف لك. وعلى من عرف قيمة الحب الوجودية والاجتماعية ، وعرف حاجته وحاجات الناس إليه ، أن يرضى بذرة الحب بداخله وينميها ويجعلها عملة وبضاعته ، بها يعطي ، وبها يأخذ ، وسيكتشف أن الحب لا يعرف الفرق بين الأخذ والعطاء ، فهو يعطي

حين يأخذ ، ويأخذ حين يعطي ، وأن المحب الحقيقي كسبه دائماً ومستمر ، عند الأخذ وعند العطاء ، لأن الحب هو بضاعته الغالية ، ولا أغلى - عنده - منها. بل إن الحب - عنده - هو سلاحه ضد البغض والكراهية ، لأن تشربيه من بحر الحب لم يُبق فيه مكاناً للكراهية ، فيحفر بحبه في ترسبات الكراهية عند مرض الإنسانية. ليصل إلى نبع المحبة في قلوبهم ، فتجده يعطف على أخطائهم وحمقاتهم بشيء من الود والمحبة الحقيقية لهم ، بغير تصنع ولا تكلف...وبعد مدة - تطول أو تقصر - ينكشف نبع الخير في نفوسهم فيمنحوه - ومعه المجتمع - حبهم ومودتهم وثقتهم. وصدق الله العظيم - الذي بنى هذا الوجود على المحبة ، وجعل نفسه أصل الحب والتحاب ، القائل: "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم". كأنه حبيب قريب من قلبك وقريب - أنت - من قلبه. يقول صاحب رسالة جميلة بعنوان "صلة الأخلاق بالعقيدة والإيمان": (إن المتمعن في أحوال الناس يجد كثيراً من المسلمين يغفل عن الاهتمام والاحتساب في هذا الجانب ، وقد يجهل الصلة الوثيقة بين محاسن الأخلاق وقضية الإيمان والعقيدة ، فبينما تجد الشخص يظن أنه قد حقق التوحيد ومحض الإيمان تراه منطوياً على ركام من مساوئ الأخلاق والنقائص التي تخل بإيمانه الواجب أو تحرمه من الكمال المستحب ، كالكبر والحسد وسوء الظن والكذب والفحش والأثرة وغير ذلك ، وقد يكون مع ذلك جاهلاً بضرر هذه الأمور على عقيدته وإيمانه ، أو غافلاً عن شمولية هذا الدين لجميع مناحي الحياة ، كما قال تعالى: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ، إن تحقيق التوحيد وتكميل الإيمان ليس باجتناب الشرك الأكبر فحسب ، بل باجتناب كل ما ينافي العقيدة وكل ما يخل أو يقدر في كمال التوحيد والإيمان...إلى آخر كلامه هناك). وصدق الشيخ الدويش إذ يقول: (إذن فليست العقيدة متوناً تُردّد ، ونصوصاً تُحفظ ، بل لا بد أن تتحول إلى واقع عملي في الحياة ، والتعامل بين الناس ، ولما حصل هذا التصور عند بعض الناس ظهر انفصام نكد وازدواجية بين مفهوم الإيمان ومقتضياته. إن الناس اليوم في عرض الأرض وطولها بحاجة إلى من يقف معهم ويعينهم ، وإلى من يزيل عنهم الهم والقلق ، إلى من يدهم إلى طريق السعادة والراحة النفسية ، بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة والأمان. حتى وإن قامت الحضارات ، وصنعت المخترعات ، وتوالى الإنجازات فكل ذلك من أجل سعادة الإنسان وتكريمه ، لكن مع الأسف البشرية اليوم تغرق في بحر الدنيا ، يلهث الكثير منهم وراء المال والتجارة ، وراء الشهوات والملاذات ، وراء الرياسة والريادة بأي طريق وبأية صورة ومهما كان الثمن ، المهم الوصول للمراد ، وهذا هو الواقع الغالب على الناس اليوم - إلا ما شاء الله - في خضم هذا اللهثان وفي وسط هذا الإغراق يتلفت البعض ليبحث عن المثل وعن المبادئ وعن الأخلاق والآداب في صفوف الناس ، ربما سمع عن التبشير وهو شعار أعلنه المنصرون وتسموا به بل وتمثلوه وللأسف).هـ. ومن هنا تبدو أهمية الحب بمفهومه الشمولي بين الناس من أجل تحقيق الغاية الأم من وجود الناس في هذه الحياة: (إلا ليعبدون)! ولقد عزفت معظم قصائد هذه المجموعة الشعرية: (نصيب أسرتي من شعري) ، على وتر الحب فكانت ترنيمة حادية صادية على جداره! وحرصت على أن لا يكون هناك إسفاف أو سفول في تناول القضايا الأسرية ، على عادة كثير من الشعراء الهازلين! وأسأل الله تعالى أن ينفعهم بما احتوت هذه المجموعة الشعرية من الحق ، وأن يُجنبهم أي باطل حوته! والله المستعان على كل حال!

الافتتاحية

الحمد لله رب الأرض ورب السماء ، خلق آدم وعلمه الأسماء. وأسجد له ملائكته ، وأسكنه الجنة دار البقاء. وحذره من الشيطان ألد الأعداء ، ثم أنفذ فيه ما سبق به القضاء ، فأهبطه إلى دار الابتلاء. وجعل الدنيا لذريته دار عمل لا دار جزاء ، وتجلت رحمته بهم فتوالت الرسل والأنبياء. وما منهم أحد إلا جاء معه بفرقان وضياء ، ثم ختمت الرسالات بالشرعية الغراء. ونزل القرآن لما في الصدور شفاء ، فأضاعت به قلوب العارفين والأتقياء. وترطبت بآياته ألسنة الذاكرين والأولياء ، ونهل من فيض نوره العلماء والحكماء. نحمده تبارك وتعالى على النعماء والسراء ، ونستعينه على البأساء والضراء. ونعوذ بنور وجهه الكريم من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وعُضال الداء ، وشماتة الأعداء. ونسأله سبحانه وتعالى عيش السعداء ، وموت الشهداء والفوز في القضاء ، وأن يسلك بنا طريق الأولياء الأصفياء. ألا إن أقلام العلماء لتكتب فيه الثناء ، صباح مساء. والرّماح في ساحة الجهاد ، والسيوف الحداد ، ترفع اسمه على رؤوس الأشهاد ، جلّ عن الأكفاء والأنداد. وللمساجد دوي بذكره ، وللطيور تغريدًا بشكره ، وللملائكة نزولًا بأمره ، حارت الأفكار في علو قدره ، وتَمَام قهره. تباركت يا رب العالمين ، من أجلك هاجر أبو بكر الصديق وترك عياله ، ولمرضاتك أنفق أمواله وأعماله. وفي محبتك قُتل الفاروق ومُرّق ، وفي سبيلك دمه تدفق ، ومن خشيتك دمه تفرق. ودفع عثمان أمواله لترضى ، فما ترك مالا ولا أرضاً بل جعلها ذلك كله عندك قرضاً. وقدم علي رأسه لمرضاتك في المسجد وهو يتهدج ، وفي بيتك يتعبّد فما تردّد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ليس له أنداد ولا أشباه ولا شركاء. خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء. خلق الخلق فمنهم السعداء ومنهم الأشقياء. مُحيط بخلقه فليس لهارب منه نجاء. قادر مقتدر فكل الممكنات في قدرته سواء. سميع بصير يرى النملة السوداء في الليلة الظلماء. ويسمع دبيبها على الصخرة الصماء. أجرى الأمور بحكمته وقسم الأرزاق وفق مشيئته بغير عناء. لا يشغله شأن عن شأن ، فكل شيء خُلق بقدر ، وكل أمر جرى بقضاء. وأشهد أن سيدنا محمداً خاتم الرسل والأنبياء. وإمام المجاهدين والأتقياء. والشهيد يوم القيامة على الشهداء. المعصوم صلى الله عليه وسلم فما أخطأ قطّ وما أساء. دعا أصحابه إلى الهدى فلبّوا النداء. فإذا هديه رحمة لهم ونور ، وإذا سلوكه إشراق وضياء. هو القدوة النيرة في الصبر على البلاء ، والعمل لدار البقاء. وهو الأسوة المشرقة في الزهد في دار الفناء. فكم مرت شهور ولا طعام له ولأهل بيته إلا التمر والماء. اشتهر من قبل البعثة بالصدق ، فلم يعرف عنه كذب ولا نفاق ولا رياء. لم يؤثر عنه غدر ، بل إخلاص وأمانة ووفاء. صلى الله عليه قديماً ، وكذا الملائكة في السماء. وصلى هو في المسجد الأقصى بالرسل والأنبياء. سبح الحصى في كفه بخير الأسماء. وحين ظمى أصحابه نبع من بين أصابعه الماء. اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحابه الأجلاء. وعلى السائرين على دربه والداعين بدعوته إلى يوم اللقاء. ما تعاقب الصبح والمساء ، وما دام في الكون ظلمة وضياء. قال معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه :- (المروءات أربع: العفاف ، وإصلاح الحال ، وحفظ الإخوان ، وإعانة الجيران. والغريب من لا أدب له. ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبداً ، كنت إذا مدوها أرخيتها ، وإذا أرخوها مددتها. لا أضع سيفي حيث يكفيني صوتي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي). هـ. نعم لنا نحن المؤمنون الفخر كل الفخر في ذلك اليوم المشهود ، نفخر بجائزتنا الجنة ومزيدها رؤية ربنا تبارك وتعالى كابدر ليلة التمام!

لَنَا الْفَخْرُ كُلُّ الْفَخْرِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَمَنْ لَمْ تَزَلْ أَنْعَامُهُ تَتَوَالَى
لَنَا الْخَطُّ كُلُّ الْخَطِّ أَنْ إِلَهَنَا هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ تَعَالَى

نعم لنا الفخر كله والمجد كله أننا عبيد لرب العالمين سبحانه وتعالى! وحده نصيرنا وخالقنا
ورازقنا ومعيننا على أمر ديننا ودنيانا! ونحن نسلك سبيله ونعتصم بحبله ووحدته يوفقتنا!!

يا مالِكَ الْمُلْكِ ، أَنْتَ الْمُسْتَجَارُ بِهِ مَنْ ذَا لَهُ لَانْدُ بِالْبَابِ نِذَاكَ
مَسِيحٌ بِكَ مَمْلُوءٌ بِحُبِّكَ ، مَشَى غَوْفٌ بِقُرْبِكَ ، مَشَغُولٌ بِنَجْوَاكَ
رَاضٍ بِمَا أَنْتَ تَرْضَاهُ وَمَتَخَذُ إِلَيْكَ مِنْكَ طَرِيقاً مِنْ عَطَايَاكَ

إلهنا وخالقنا جنناك مقرين بذنوبنا ومعاصينا ، معترفين لك بقدرتك علينا يا حي يا قيوم!
اللهم فاغفر وارحم وأنت أرحم الراحمين! وعزتك وجلالك نوقن أنك لو أحرقتنا بالنار عدد رمال
الأرض وعدد حبات المطر وعدد أوراق الأشجار لما كان كثيراً علينا بل هو قليل ولكن جُدْ
برحمتك!

أَنَا الْعَبْدُ الْمُقَرَّرَ بِكُلِّ ذَنْبٍ وَأَنْتَ السَّيِّدُ الْمَوْلَى الْغَفُورُ
فَإِنْ عَذَّبْتَنِي فَبِسُوءِ فِعْلِي وَإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ بِهِ جَدِيرٌ
أَفِرُّ إِلَيْكَ مِنْكَ ، وَأَيُّنَ إِلَّا إِلَيْكَ يَفِرُّ مِنْكَ الْمُسْتَجِيرُ؟

إلهنا وخالقنا ورازقنا ، لا نملك إلا دموع عيوننا وحسرات قلوبنا وزفرات أنفاسنا! وأنت أعلم
بنا من أنفسنا! وإن تغفر تغفر جما! وإن ترحم ترحم جما.

إِلَهِي دَمْعُ الْعَيْنِ جَارِيَةٌ وَالْقَلْبُ تَحْرِقُهُ فِي أَضْلَعِي النَّارُ
إِنْ ضَلَّ قَلْبِي فَقَلْبِي أَنْتَ تَعْرِفُهُ أَوْ كَانَ ذَنْبِي كَبِيراً أَنْتَ غَفَّارُ

ونحن إذ نفتتح لهذه المجموعة الشعرية العائلية ، فنسأل الله أن تكون قصائدها كالتقاديل التي تُضِيئُ
ظلمات دروب الحياة! وليس الهدف منها مجرد الذكريات فقط! إنما ينبغي أن نستفيد مما حوت من
المواقف والمشكلات والمناسبات! وكل شاعر لا يخصص أسرته بشعره فهو مقصر في حق هذه الأسرة
بكل ما تعنيه الكلمة من معان! والحمد لله كنتُ أورش لمعظم المواقف والأحداث! ذلك ليعلم أبنائي ولتعلم
أسرتي أنني قد أفردتُ للجميع مجموعة شعرية تزيد على الستين قصيدة تقريباً لها مناسبات شتى ،
ولكن يضمها جميعاً عنواناً موحدٌ وهو: (نصيب أسرتي من شعري) بشقيه العائليين: الأول خاص بأُم
الأولاد (شريكة الحياة) ، والثاني خاص بأبنائي الثمانية منذ ولادة كل واحد منهم ، وعلى مدي عقود
ثلاثة عشتها بينهم ، حتى تحرير هذه الافتتاحية لهذه المجموعة الشعرية العائلية! ليسهل الوصول إلى
قصائدها والوقوف على دلالات ما تهدف إليه قصائدها من دروس وعبر ، ينتفع بها في الحياة!

اتركوني مع من أحببت في الله!

(لبعض الخلافات البسيطة يصير أهل تلك الزوجة على أن يُطلقوها من زوجها. وكأنهم يوم قبلوه لها زوجاً كانوا قد استكثروها عليه. وكأنهم يضمنون لها زواجاً مباركاً ميموناً عند غيره إذا هي طلقت من الأول! وتعددت محاولاتهم الخبيثة الماكرة في محاولة اقتناص الفرص والإيقاع بين الرجل وأهله والتخيب الرخيص المكشوف الدنيء. وأعدوا للأمر عدته ، وراحوا يمكرون ، ويُشْهرون سيوفهم ، وكأنها الهيجاء التي يحرزون فيها النصر على الأعداء. وكلّ يدلي فيها بدلوه. إلى أن حسمت أمرها بنفسها هذه الزوجة الحكيمة المشتركة لزوجها ولبيتها ولنفسها ولأولادها ولكرامتها وأنسها وراحتها. وأيقنت أنها المؤامرة والمساومة على العقيدة ، والرهان على هدم هذه الأسرة المنكوبة بلا مبرر! فقالت واثقة من نصر الله سبحانه وتعالى - لها ، ثقة هاجر زوج الخليل إبراهيم - عليه السلام - يوم تركها وولدها الرضيع إسماعيل - عليه وعلى أبيه الصلاة والسلام - في واد غير ذي زرع عند بيته المحرم ، فقالت هاجر - رضي الله عنها - : لمن تتركنا يا إبراهيم؟ الله أمرك بهذا؟ فقال: نعم. فردت: إذن اذهب فلن يُضيعنا الله. وثقة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - عندما نزل الوحي على النبي - صلى الله عليه وسلم - فأقسمت بالله تهدي من روعه تقول: (والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتكسب الكل وتعين على نواب الدهر!) وثقة امرأة جليبيب الصحابي الجليل عندما جلت عن أبيها وهي الفتاة الأنصارية ذات الحسب والنسب والجاه والغنى ، يوم رفضه زوجاً لها أبواها لأنه كان عبداً وقصيراً ودميماً وفقيراً! فقالت في ثقة المؤمنة وإيمان الواثقة: ما هذا يا أبتاه ما هذا يا أماه أوتردان على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمره؟ لقد قبلت زواجه امتثالاً لأمر نبي الله - صلى الله عليه وسلم -! فحييت تلك الزوجة التي خطط أهلها لتطليقها من زوجها لخلافات بينهما! وبدلاً من أن يسعوا للصالح والوفاق سعوا للشقاق والطلاق! فأبت تلك الزوجة وفوتت عليهم الفرصة ، وأفشلت كل محاولاتهم الدنيئة ، مؤثرة رضاه كزوج على رضا أهلها ، أمرة بالحق وصادعة به ، قائلة لهم: اتركوني مع رجل أحببته وتزوجته وارتبطت به في الله ورسوله! واعتزت بتقواها زاهدة في الدنيا وزخرفها متمسكة بزوجها! قال الشافعي: من لم تُعِرهُ التقوى فلا عز له. وقال المناوي في كتابه فيض القدير ج4/ص290: "ينبغي للعالم أن لا يشين علمه وتعليمه بالطمع ولو ممن يعلمه بنحو مال أو خدمة وإن قل ولو على صورة الهدية التي لولا اشتغاله عليه لم يهداها وقد حث الأنمة على أن لا يندس العلم بالأطعام ولا يذل بالذهاب إلى غير أهله من أبناء الدنيا بلا ضرورة ولا إلى من يتعلمه منه وإن عظم شأنه وكبر قدره وسلطانه. فعلى العالم تناول ما يحتاجه من الدنيا على الوجه المعتدل ولا يبالى بفوتها فإنه أعلم الناس بخستها وقلة غناها).هـ. فتخيلت هذه الزوجة المخلصة ترد على أهلها المغرضين قائلة: اتركوني وزوجي!

اتركوني ومن أحب فوادي	لست منكم يا جوقة الأوغاد
كم قتلتُم - بالثرهات - وصالاً!	وسفكتم دماء كل وداد
وقهرتم بالشائعات إباءً	ورميتم بالغى كل رشاد
وافتريتم - على البرئ - كثيراً	بعد أن أرسى أعذب الأمجاد

بعد هدم الأركان والأولاد
لم تقوموا بواجب الإرشاد
في دياجير العائدات الشداد
ورجوعي عن باطلاي خير زاد
وفضحت بالكيد في كل ناد!
وطعنت في كل شعب وواد
كل زيف أصابني بالسهاد
وعلي الأندال بالمرصاد
وذروني لمن عليه اعتمادي
ورضا ربي مطمحي ومُرادي
ليس يجدي تلومي وعنادي
هو سلوى مشاعري وفؤادي
واستبثتم يا أهل خير العباد
بيننا يحيى طيب الاعتقاد
دون حق ، كل بحربة عاد!
من وبال التخبيب والإفساد؟
إنما الأشقى والأضل البادي!
وتردوا من بالطلاق يُنادي!
وتخافوا من هول التناد!

ونوتم تشثت زوج وبيت
لم تُضحوا من أجل إحقاق حق
لم تكونوا ردةً ودرعاً ونوراً
حصص الحق فاتركوني وشائي
كم خسرت بهزلكم كل خير!
وتخلفت عن بلوغ الأمانني
وافترى عني الوالغون بعرضي
وجعلت - للحاقدين - متاعاً
فارحموني يا أهل مما فعلتم
حسبي الله ، لا أقول سواها
وهو بيني وبين من ظلموني
واجترأتم على تحدي شريف
وكذبتم لتكسبوا كل ود
وهتكتم - بالظن - عرضاً عفيفاً
والتقيتم على التشفي جهاراً
أنسيتم تحذير خير البرايا
صارحوني ، ماذا أردتم بهذا؟
كان أولى أن تنصحوا وتداووا
وثرعوا الجبار في كل أمر

اخرجني ، ولكن استأذني!

(الآية واضحة بشأن قرار المرأة في بيتها (وقرن في بيوتكن ...) ، والحديث واضح بشأن الخروج ولكن بشرط الاستئذان (وأن لا تخرج من بيته إلا بإذنه). والوعيد واضح: (أيما امرأة خرجت من بيتها دون إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع). أورد الخولي في موسوعته (القصص الواقعية) ص 413 قصة امرأة اعتادت الخروج من بيت زوجها دون إذنه. وألفت التبرج والسفور والعمور كذلك ، إلى أن طرقت كلمات إحدى الداعيات قلبها فتابت وأنابت بعد أن كانت متهاونة في الصلاة. أما زوجها فكثير السفر ، ولذا فإنها اعتادت على الخروج دائماً من المنزل بلا استئذان ، وحتى مع وجود زوجها تخرج بدون استئذان ، وكان إذا قدم من السفر يغضب إذا رأى خروجها وينصحها بعدم الخروج ، ويحثها كثيراً على تربية الأولاد. تقول هذه المرأة: لم أهتم كثيراً بما كان يقول ، وكنت أخرج بدون استئذان ، وكنت ألبس الملابس الفاخرة ، وأتعطر بأحسن العطور ، وسمعت ذات مرة أنه سيقام في منزل أحد الأقارب محاضرة لإحدى الداعيات ، فذهبت إلى حضورها حباً للاستطلاع. فتحدثت هذه المرأة الداعية الحكيمة عن بعض مخالفات النساء ، حتى أبكت الحاضرات. قالت هذه المرأة المتهاونة: فتأثرتُ بها وسألْتُها عن حكم الخروج من البيت من غير إذن الزوج ، فبينت لي أن هذا حرام إلا بإذن الزوج ، وأرشدتني أن لا أتبرج ، وأن أحافظ جداً على نفسي. قالت: فلما قدم زوجي من السفر اعتذرتُ له وطلبتُ منه السماح والعمو ، واستأذنته للخروج مرة من المرات ، فقال: منذ متى وأنت تستأذنين مني؟! فقالت له هذا الخبر وهذه القصة ، فحمد الله عز وجل على نعمة الهداية. والأصل أن المرأة في بيت أبيها لا تخرج إلا بإذنه بوصفه ولي أمرها والقائم عليها. فإذا تزوجت انتقلت القوامة والولاية إلى زوجها بالعقد عليها ، ويزداد الأمر صرامة عندما تنتقل إلى بيت زوجها بوصفها زوجة. فلا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه ، لأن هذا من الحقوق المكفولة الواجبة لهذا الزوج والمنصوص عليها كتاباً وسنة وإجماعاً. إن طاعتها لأبيها قبل زواجها طاعة واجبة ، وأما إذا تزوجت فالطاعة الواجبة صارت لزوجها ، وأما طاعتها لأبيها فأصبحت مستحبة. فبعد الزواج إن قال أبوها في أمر مباح شرعاً: (افعلي) ، بينما قال زوجها في ذات الأمر: (لا تفعلي) وجب عليها أن تطيع زوجها. ولقد قال الشافعية والحنابلة من أئمتنا: (ليس للزوجة الخروج لعيادة أبيها المريض إلا بإذن زوجها ، وله منعها من ذلك. وذلك لأن طاعة الزوج واجبة ، فلا يجوز ترك الواجب بما ليس بواجب). وقد ذكر الأحناف أنها إن خرجت من بيت زوجها دون إذنه فله أن يؤدبها. ومن فتاوى اللجنة الدائمة أن المرأة لا يجوز أن تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه سواء كان ذلك الخروج للمسجد أو لغيره. وبالطبع يُستثنى من ذلك كله الخروج الاضطراري الذي أُلجأتها الضرورة إليه إجماعاً ، كأن تنهدم الدار ، أو يشب فيها حريق ، أو تصاب المرأة إصابة يستحيل انتظار إذن الزوج فيها ، فهنا يقاس الأمر على الضرورة التي إنما اشتقت أصلاً من الضرر. وكم من بيوت خربت ، وكم من نساء طلقن ، وكم من جرائم ارتكبت بسبب خروج الزوجات من بيوت الأزواج دون إذن الأزواج وهم حاضرون وبعيداً عن الضرورات! وكانت أمهاتنا يستأذنن أزواجهن بالأمس. فما الذي تغير؟ هل تغير الشرع؟ بالطبع ، لا. هل تغيرت الأرض أو الزمن أو المعايير؟ أيضاً لا. إن المرأة هي التي تغيرت! نعم تغيرت إلى الأسوأ ، وأشربت في قلبها حب الجاهلية والخروج على الشريعة!)

كُنْتُ أُولَى بِطَاعَتِي وَاجْتِهَادِي كَيْ أَعُدَّ - لِلْمُنْتَهَى - خَيْرَ زَادٍ

وفوق شرع الرحمن ربّ العباد
وثوابي - يوم الجزا - في ازدياد
يُهدى بي في السير نحو الرشاد
وانتحي بي نحو الهوى والفساد
بالنشوز لما استثار عنادي
دون إن في جُرةٍ واعتداد
واصطحبت العطور في كل ناد
واجتهدت في السوء شر اجتهاد
واحتواني الإفلاس في كل واد
وافتقدت النصح الجميل الهادي
علمتني دين الهدى باتتاد
ثم يبقى إشراقها في الفؤاد
ثم أصاحت منهجي واعتقادي
من عذاب ينتابني وسهاد
مستكين ينساب مثل العهاد
بعد لأي جافاه طعم الرقاد
باحساس ، يتلوه حُسن انقياد
واغفر الذنب قبل يوم التناد!

كي أنال مرضاة ربي وزوجي
كي أعيش فضلي ، استقامت فعزت
كي أكون - للصالحات - مناراً
لكن الشيطان استبدّ بقلبي
أزني بالوسواس حتى دهاني
فاستسغت الخروج من بيت زوجي
واستبحت السفور بين البرايا
وارتضيت الأوضاع تُزري بعرضي
وانحدرت - نحو التدني - اختياراً
والجميع حولي أقروا صنيعي
ثم لاحت في الأفق أخت حصان
بكلمات تأسر القلب طوعاً
أرشدتني حتى بصرت بدربي
فاسترحت من كل ما يعتريني
والتمست عفوَ المليك بدمع
ذرفتُه العينان في جوف ليل
كنت أحرى أن أستجيب لربي
ربّ فاقبل حيرى تعدت ، وتابت!

الحبيبتان

(في صيف عام 1995م رحلت أم عبد الله إلى مصر فكتبت (لوعة الرحيل) ، وهي أطول ثاني قصيدة كتبتها إذ تجاوزت 650 بيتاً من الكامل لامية القافية. إن أحب رجل على الأرض زوجته مثل حبي لزوجتي ، فليخرج لنا مثل هذه المعلقة في بيان لواعج الفراق ولوعة الرحيل. وأما في صيف 2011م فسافرت أم عبد الله ومعها الزهراء (الزوجة والابنة) معاً. فأثدثت (الحبيبتان): وعلى كل حال المحرم طبعاً شرط في سفر المرأة لعموم قول النبي - صلى الله عليه وسلم - "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا ومعها ذو محرم) ، والحمد لله هذا الشرط نوفره في كل مرة. وبقية وحدي هذه المرة في صيف الغربة بين حرّ الهاجرة ولواعج الفراق ، والله تعالى المستعان.)

والنفسُ والروحُ والإحساسُ والذمُّ
والقلبُ يبكي ، ويبكي الطرسُ والقلمُ
والعينُ تُرسلُ دمعاً واجماً هطلاً
- بما تُعاني من الأحزان - ينسجم
وبالجوانح - من فرط النوى - ألم
وبالمشاعر - مما نالها - غم
وليس مثلي الذي في الصبر يُتهم
لأنني - بلِواءِ الستر - أعتصم
فبتُّ أصلى بأشواقِي وأضطرّم
والعيشُ دون أجبَاءٍ هو العدم!
يَقْضُ مَضْجَعَهُ التَّنْغِيصُ وَالْوَضْمُ
ولا أراه قريراً الببال يبتسم
وكيف - دونهما - الحياة تنسجم؟
تظِلُّ أَغْلَبَ مَنْ يَحْيَا بِهِ الظلم
أَوْ حَلَّتِ المِحْنُ القَعْسَاءُ وَالنِقْمُ
وبالمودة يسمو الخيرُ والقِيمُ
عبداً أَلَمَ بِهِ - في غربةٍ - سَقَمُ
أَوْ عَاقَتِي مَازَقٌ - في ذِي الدنا - وَخِمُ

القلبُ يبكي ، ويبكي الطرسُ والقلمُ
والعينُ تُرسلُ دمعاً واجماً هطلاً
وللخِواطِرِ أنباتٌ وهينمة
وبالعواطفِ مِنْ طُولِ الأَسَى غصصٌ
وكم تصبّرتُ حتى قيل: مُصْطَبِرٌ!
وكم كتمتُ عَذاباتي وأخيلتي!
لكنما خانني صبري وتجربتي
حبيبتي أيّ لأرض النيل سافرتا
فتأنهياً دامعَ العينين خلفتا
يعيشُ تصرعه كروبُ غربته
إذ الحنينُ لزوج وابنةٍ كدرٌ!
ريحانتي أيّ ونورُ العيش في زمن
هما اليسارُ إذا عنتُ مكابدة
هما المودةُ في أبهى معالمها
هما الدواءُ الذي يشفي المليكُ به
هما العونُ إن فتشتُ عن سَنَدِ

والْبُعْدُ نَارٌ لَهَا - فِي مُهْجَتِي - ضَرَمَ
عَلَى تَجَاوُزِ أَمْرِ فِيهِ نَخْتَصِمُ
وَكَمْ مَشَاكِلَ بِالتَّدْبِيرِ تَنْحَسِمُ!
وَقَوْلِهَا - لِلَّذِي يُصْغِي لَهُ - حِكْمَ
دَوْمًا ، وَمَا اعْتَذَرُوا يَوْمًا ، وَلَا نَدْمُوا
وَمَنْ تَنْقُصُنَا فَاللَّهُ يَنْتَقِمُ
وَحُبِّهَا - فِي سُوَيْدَا الْقَلْبِ - مُرْتَسِمُ
فَعَمَّنَا مِنْكَ نَوْرٌ مُشْرِقٌ تَمُّ
تَشَدُّ أَرْزَابٍ - بِالْحَبِّ - يَتَسَمُّ
وَالْحَبُّ فِي الْقَلْبِ يَا سَلْوَى الْفُؤَادِ دَمٌ؟
فَيَسْطُرُ الشَّعْرَ - فِي بُنْيَتِي - الْقَلَمُ
فِيهَا التَّرَانِيمُ وَالْإِيْقَاعُ وَالنَّغْمُ
تِلْكَ الْمُنَاجَاةُ كَمْ تَقْوَى بِهَا الْهَمُّ!
وَاللَّهُ مَا اسْتَوَىا الْإِصْبَاحُ وَالْغَسَمُ!
وَكَانَ - فِي عَوْنِكَ - الْمُهَيِّمُ الْحَكْمُ!
وَإِنَّ وَصَلَ ذَوِي الْأَرْحَامِ مُغْتَنِمُ
مَا خَابَ عَبْدٌ بِجَبَلِ اللَّهِ يَعْتَصِمُ!

صَدِيقَتِي ، وَكَمْ قَاسَيْتُ بَعْدَهُمَا!
وَلَسْتُ أَنْسَى (لَأَمِ الْعَبْدِ) قَدْرَتِهَا
وَحَزْمَهَا إِنَّ أَرَادَتْ فَضَّ مَشْكَلَةً
وَعَطْفَهَا إِنَّ حَنَتْ وَالْفَصَلَ إِنَّ نَطَقَتْ
لَكُنْ تَجَامِلُ مَنْ فِي عَرَضِنَا وَقَعُوا
لِيَغْفِرَ اللَّهُ مَا قَالَتْ وَمَا فَعَلَتْ
وَلَسْتُ أَنْسَى الَّتِي فِي الْقَلْبِ مَسْكَنُهَا
(زَهْرَاءُ) يَا نَجْمَةَ فِي عَالَمِي سَطَعَتْ
ذَكَرَاكَ - وَاللَّهُ - نَضَبَ الْعَيْنِ مَائِلَةً
وَكَيْفَ أَنْسَاكَ ، وَالْأَرْكَانُ شَاهِدَةٌ
أَرَاكَ فِي وَاقِعِي ، وَفِي مَخِيلَتِي
حَتَّى حُرُوفِكَ فِي الْأَذَانِ صَادِحَةٌ
وَمَنْ أَنْجَى هُنَا مِنْ بَعْدِ (فَاطِمَةَ)؟
هِيَ الصَّبَاحُ ، وَمَنْ هُمْ دُونَهَا غَسَقٌ
أَعَادَكَ اللَّهُ يَا بِنْتَاهُ سَالِمَةٌ!
وَرَدَّ أَمْرَكَ - لِلْأَبْنَاءِ - غَانِمَةٌ
إِنَّ الْمَلِيكَ - عَلَى مَا قَلَّتْ - مُقْتَدِرٌ

الياسمينة

(أهدي هذه القصيدة لأم عبد الله. وأضَمَّهَا بالياسمين عرفاناً بالجميل واعتراضاً بالفضل. فأعجب تارة ، وأشتكى تارة أخرى من ألم الرحيل وعذاب الفراق ومحن البين. إلا إن الرحيل عذاب كله ، ولا يدرك ذلك إلا من ذاق لوعة الرحيل. والذي يرحل عنه أولاده على رغم الأنف منه يتلظى بها أكثر. ويوم أن يكثر الواشون وشاياتهم تزداد لوعة الرحيل أكثر. والياسمين عطر جميل يُخفف من لوعة الرحيل ، وأجمل من ذلك أن تمتزج نضارة الياسمين بعذوبة الشعر! وعلى إثر رسالة أرسلتها لي أم عبد الله تعتبر الأولى بعد رحيلها أدركتُ كيف غير الوشاة قلبها وموازينها! والأصل أننا إذا تذكرنا الرحيل الأكبر (الموت) لما استهجننا الرحيل الأصغر! قال الخليفة عبد الملك بن مروان في مرض موته: ارفعوني ، فرفعوه حتى شم الهواء فقال: يا دنيا ما أطيبك! إن طويك لقصير ، وإن كثيرك لحقير ، وإن كنا بك لفي غرور. وقيل له في مرض موته: كيف تجدك؟ فقال: أجدني كما قال الله: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ). وقال بعضهم: دخلنا على عطاء السلمي نعوده في مرضه الذي مات فيه ، فقلنا له: كيف ترى حالك؟ فقال: الموت في عنقي ، والقبر بين يدي ، والقيامة موقفي ، وجسر جهنم طريقي ، ولا أدري ما يفعل بي ، ثم بكى.)

صَا بِي رِي فَالَصَّ بَرُّ زَيْنَةَ!
فِي تَلَا فِيفِ الضَّ غِينَةَ
وَأَنْ زَوَى يَنْعِي خَدِينَةَ
فِي السَّ دَجَى أَيْلِ السَّ كِينَةَ
أَمْ رَشَرَ شَكُّ تَنْكِرِينَةَ
فِي السَّ دِيَا جِيرِ اللَّعِينَةَ
وَأَنْظِرِي نَفْسِي الْخَزِينَةَ!
هَذِهِ السَّ نَفْسُ الْقَرِينَةَ
فَوْقَ رُبَّانِ السَّ فِينَةَ
لِلْيَوَاقِيَتِ الْخَنُونَةَ
إِذْ قَلَا الْخَادِي عَرِينَةَ
كَيْفَ صَارَ الْمَوْتُ دُونَهُ؟
صَارَ زَوْجًا تَجْهَلِينَةَ؟
شَانِهِ ، بَلَّ تَقْتَلِينَةَ
كُنْتُ بِالسَّ تَقْوَى مُعِينَةَ
كُنْتُ يَوْمًا نَعْمَ خِينَةَ
كَانَ دَمْعًا تَدْرُفِينَةَ
كَانَ خَيْمًا تَحْمَلِينَةَ
كَانَ رُوحًا تَأَلْفِينَةَ

إِيهِ يَا أُخْتِي الْمَصُونَةَ
لَمْ يَعْدُ لِلْعَيْشِ طَعْمُ
وَالْإِبَاءِ الْخُرُّ وَالْوَيْ
وَالْحِيَاءِ الْعَذْبُ بِيكِي
وَأَنْ بِلَاحِ الْفَجْرِ أَضْحَى
بَلَّ أَنْمَا الْمَقْتُولُ غَدْرًا
إِيهِ ، يَا أُخْتَاهُ رَفَقًا
فِي بَحَارِ الشُّوقِ مَا تَبَتْ
ثُمَّ رَاحَ الْمَوْجُ يَخْطُو
وَالْهَمَّ سَامَ الشَّ هُمْ يَزْنُو
ضَجَّ بِالتَّ ذَكَارِ عُمْرًا
كَيْفَ هَانَتْ نَفْسُ هَذَا؟
كَيْفَ قَوْلِي لَا تُبْ إِلِي
تَقْتُلِينَ الشُّوقَ فِي أَحَى
كُنْتُ يَوْمًا نِعْمًا زَوْجُ
كُنْتُ يَوْمًا نِعْمًا خِيْلُ
كُنْتُ فِي ذُنْيَاهُ نُورًا
كَانَ نَوْمًا ، كَانَ طَعْمًا
كَانَ خِيْلًا ، كَانَ زَوْجًا

كَمَانَ أَمْسَا ، كَمَانَ يَوْمًا
 كَمَانَ فَرَحًا ، كَمَانَ شِغْرًا
 كَمَانَ جُرْحًا ، كَمَانَ شَرْحًا
 كَمَانَ أَهْلًا ، كَمَانَ سَهْلًا
 ثُمَّ صَارَ الْيَوْمَ كَمًا
 أَيَّنَ عَهْدُ الْأُمِّسِ زَوْجِي
 أَيَّنَ مَا قَالَتْ شِشْفَاهُ؟
 أَيَّنَ وَعْدُ قَبْلِ وَعْدِ
 بُحَّ صَوْتِي مِنْ بُكَائِي
 ضَجَّ عَيْشِي مِنْ عَتَابِي
 كَيْفَ هَذَا الْحَالُ سَادَتْ؟
 وَاخْتَمَّ إِلَيَّ لِلْمَنَائِي مَا
 أَضْحَكَتِ النَّفْسُ تُعْجَانِي
 إِنِّي أَشْتَكُو كَثِيرًا
 كَيْفَ رَاحَتْ تَحْتِ وَيْنِي
 وَالْأَسَى فِي الْقَلْبِ يَكْوِي
 كُنْتُ سَافِرًا لَا يَدَاغِي
 كُنْتُ بِبِئْسَ الْعَيْشِ الْكُذِي
 وَيْحَ قَلْبِي مِنْ فِرَاقِي!
 كَيْفَ يَا رَبِّاهُ تَحْيَا
 يَنْفُثُ الشَّيْطَانُ سُمْمًا
 أَيَّنَ يَا أُخْتِي حَنَانُ
 يَهْتَدِي بِالنُّورِ قَلْبِي
 ثُمَّ أَنْبَتِ الْآنَ دَوْمًا
 شُنْطِ الْعِلِينَ النَّارَ عَمْدًا
 إِنِّي ضَلَّيْتُ قَلْبِي
 إِنِّي بِالْعِزِّ قَدْ أَتَمُّ
 ذَلِكَ شِغْرِي لَيْسَ يَخْبُو
 إِنَّمَا أُخْتِرَانُ قَلْبِي
 إِنِّي أَمْضِي أَعْمَانِي
 ذَلِكَ شِغْرِي قَدْ تَنَاعَى
 أَيَّنَ وَمَضُّ النُّورِ أُخْتِي؟
 وَيْحَ قَلْبِي مِنْ شِغْرَانِي!

كَمَانَ خُلْمًا تَبْدِيرًا
 فِي هَيْبَتِي تَقْرِينًا
 كَمَانَ نَبْتًا تَزْرَعِينًا
 كَمَانَ كَوْنًا تَعْلَمِينًا
 مُهْمًا لَا تَعْرِفِينًا!
 صِرْتُ زَوْجًا تَكْرَهِي؟
 أَيَّنَ عَبْرَاتِ سَخِينَةٍ؟
 كُنْتُ يَوْمًا تُظْهِرِينًا؟
 وَانْمَحَسَتْ ذَاتِي الْمَتِينَةَ
 مَا تَتِ الرَّوحِ الْمَصُونَةَ
 أَيَّنَ أَسْوَارِي الْحَصِينَةَ؟
 وَاصْطَبَارِي تَعْرِفِينًا
 فِي أَسْفَاها مُسْتَكِينَةَ
 هَذِهِ الذَّاتِ الْمَتِينَةَ
 هَذِهِ الذِّكْرَى الطَّعِينَةَ
 مِنْ خَطِّ سَابِ تَكْتِينَةَ
 فِي فَوَادِي تَشْهِينَةَ
 وَأَلْسِي وَجْهِي مُسْتَهِينَةَ
 إِنَّ رُوحِي كَالسَّجِينَةَ
 زَوْجَتِي هَذَا الرِّزِينَةَ؟
 تَارَكْتُ زَوْجِي رَهِينَةَ
 كُنْتُ يَوْمًا تُظْهِرِينًا؟
 كَيْفَ يَوْمًا تُرْخِصِينَةَ؟
 لِلْبَرَايِي تَشْتَكِينَةَ
 هَلْ وَفَاءٌ تُحْرِقِينًا؟
 بِالْيَوَاقِي تِ الرَّصِينَةَ
 قَائِلَةٌ لَا تَمْلِكِينًا
 لَيْسَتْ التَّقْعِينَةُ دِينًا
 صُنْعُهَا فِي (الْيَاسَمِينَةَ)
 صِدْقَ عَزْمِ تَعْهَدِينًا
 تَنْصِبُ الذِّكْرَى كَمِينَةَ
 أَيَّنَ وَالْآيِ الْمُبِينَةَ؟
 يَشْتَكِي قَلْبِي شِغْرَانِي

مَنْ يُبِّي؟ مَنْ يَمِيطُ السُّنْدَ
مَنْ يُوَسِّسِي؟ مَنْ يُزِيلُ الـ
مَنْ يَقُولُ الْآنَ كَفَى فِ
إِنَّ دَمْعًا فِي رَحِيْلِ
ذَلِكَ أَمْزَجَ لَيْسَ يُجِدِي
أَنْ يَذُوقَ الْخُرُّكَ أَسْ الذُّ
ذَلِكَ ظَلَمٌ ، بَلْ حَرَامٌ
مَا سِوَى مَا قَدْ كَتَبَتْ الْآ
فَأَسْمَعِي لِلْجُرْحِ جُرْحِي
ثُمَّ لَا تُخْبِرِي جَوَابًا
إِنِّي أَشْكُو لِمَا إِذَا

سِثْرَ عَنِّي آهٍ دَفِينًا؟
حُجْبَ عَنِّي جُرْحٍ نُحِينًا؟
عَبْرَةَ هَذَا نَمِينًا؟
فِي خَطِّ سَابِ تَطْبِينًا؟
كَيْفَ - عَقْلًا - تَرْغَبِينَ؟
لَقَدْ رَأَى تَكْتُبِينَ ه
كَيْفَ شَرَعًا تَفْعَلِينَ؟
نَ يُوَدِّي يَبَا قَرِينًا؟
تَقْرَأِي مَا تَشْتَهِي غُرِينًا؟
فِي وَفَاءِ تَصْنَعِينَ ه
كُلُّ هَذَا يَارَزِينًا؟

يا غادتي أنت المني!

(سألني غير واحد عن شعر الغزل ولماذا لم أكثر منه! فأجبت به بأني مشغول بقضايا الأمة والإسلام. وشعر الغزل لا أرى فيه حُرمة مادام شاعره قد التزم أدب العقيدة والتوحيد. ودين الإسلام قوامه بعد التوحيد الحب. جيء بفتاة خطبها رجلان على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - أحدهما موسر يريدُه أهل الفتاة والآخر معسر تريده هي. فأجاب: لم يُر للمتحابين مثل الزواج ، زوّجوها من تحب. فلقد خطب عبدُ الله بن عمر بنتاً خطبها المُغيرة بن شعبة! فلما أحببت الفتاة المُغيرة ورُفِع الأمرُ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأل عن رغبة الفتاة فتزوجت المُغيرة. وابنُ عمر يقول: وأنا أنظر. وعموماً الحب في الله عظيم أجره عند الله تعالى! فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعتُه امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله - عز وجل - يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي". وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن لله جلساء يوم القيامة عن يمين العرش - وكلتا يدي الله يمين - على منابر من نور ، وجوههم من نور ، ليسوا بأنبياء ، ولا شهداء ، ولا صديقين" ، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: "المتحابون بجلال الله تعالى". وأرى أن كل زوجة هي أخت لزوجها في الله! ومن هنا كتبت هذه القصيدة الوجدانية لزوجتي (أم عبد الله) تعبيراً عن صادق الحب وخالص الود وعاطر الشوق وطيب العلاقة التي هي في الله والإسلام أولاً وآخرًا!)

وعِطْرُ ودك - في الإحساس - مُنتشرُ
يلهو ، وفي ظله الحبورُ والسمر
تنسابُ رقتها ، كالغيث ينهمر
يدعو المليك ، وبالطاعات يبتدر
لمأ رأى الحب - من رؤياك - ينحدر
ومن شجاعته تعجّب البشر
والفكرُ أنت له ، والسمع والبصر
والحب - يا فتنتي - من ربا قدر
وفي القواد - لها - مساكنُ آخر

أطيافُ حُبك - في الفؤاد - تبتشرُ
وفي الضمير شذى التحنان في فرح
وفي الحنايا ظلالُ الحب وارفة
والقلبُ - من حبك الجميل - مبتهلُ
هاج الغرامُ به ، فالتاع خاطرهُ
ياوي إليك ، ولا يخاف من أحدٍ
فأنت دنياء ، والآمالُ أجمعها
أحبّك القلبُ ، والرحمنُ مُطلعُ
(أم البنين) لها في الروح مسكنها

أحببْتُها - وفق شرع الله - مُحْتَفِلاً
والله ناصِرٌ مَنْ يُعِزُّ شِرْعَتَهُ
وكم شَغَفْتُ بها حباً ومكرمة!
وكم تَلْظِيْتُ - في الغرام - محتسباً
وحال دون زواجي منك شِرْذمة
وأحدثوا فجوة هَزَّتْ عِلَاقَتَنَا
واستكثرتْ زمرُ العادين خلتنا
وحُبنا ذهبَتْ - في التيه - نَضْرَتَهُ
والله أبطلَ سِحراً خَابَ فاعله
ثم انطلقتا إلى الحياة في دأب
لَمَّا نَعَدَّ سَوَى التَّقْوَى تُبْلَغْنَا
فَعَادَ حُبُّكَ رِياناً بفرحته
بالود تترحلُّ الألامُ حَاقِنَةً
وغادتي أنتِ في غيدِ سَفَلنِ هَوَى
وسيفُ عِزِّي إذا ما الباطلُ انتفختْ
ودوحةُ أنتِ في هجيرِ عالمنا
أكمأمك السبعُ في الحياة حَرَبْتُنَا
إذا ملكتِ فكوني خيرَ آخذةٍ
وإن تجاوزتْ فالصفاة مَوْعِدُنَا

وبالشريعة حَبِّي باتت يفتخر
ومن لدين الهدى - في الناس - ينتصر
والحب - وفق كتاب الله - يبتشرُ
عند المليك فوِاداً كاد ينفطر!
وذو العداوة - رغم الأتف - يُحتقر
حتى رأيتُ لواءَ الحب يستعر
فأوقعوا بيننا ، وفي العدا فجرُوا
حتى الغرام مضى بنوره الخطر
إن المليك - على الطاغين - مُقتدر
ما عاقنا طولَ بلواها ، ولا القصر
ثم الدعاءِ ، فهذا السهمُ والوتر
إننا - إلى أرج الوداد - نفتقر
وبالوداد عَتِي الكَسرِ ينجبر
وفي نُجى العُمُرِ أنتِ الشمسُ والقمر
أوداجُه ، أنتِ نَعَمَ النصرِ والظفر!
منها الظلالُ ، ومنها العِطرُ والثمر
إما تضاشرتِ الهُمومُ والغَير
وإن زللتُ فإني - اليوم - أعتذر
بين الحبيبين كل الذنب يُغفر

أنت جنتي!

(مهما كتب شاعرٌ ما قصائد يهديها لزوجته التي أحبها في الله ، وتزوجها على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – فإنني أراه مقصراً في حقها جداً. لأنها تستحق منه الكثير ، خاصة إن كانت صاحبة تصوّر وعقيدة بكل ما تعنيه الكلمة من معان ، وبكل ما تحتويه من مفاهيم. والحقيقة أنني كتبت لأم أولادي أم عبد الله ، أطول ثاني قصيدة في جملة ما كتبت ، والتي بلغ عدد أبياتها (450 بيتاً من الكامل وقافية اللام). وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على فرط الحب في الله – عز وجل -. وكان عنوان هذه القصيدة (لوعة الرحيل) ، أنشدتها عندما فارقتني في غربتي لأول مرة في صيف 1995م ، وكان عمري آنذاك (32 سنة). ومن حقها أن تفاخر الآخرين والأخريات بهذه المعلقة التي تأتي في غير زمان المعلقات (على حدّ تعبير شاعرنا الفذ الكبير والناقد الأدبي العملاق الأستاذ / سالم النوبي). تفاخر بها لأنها أفضل من الأقرطة والعقود والأساور والجواهر والقلائد ، تلك التي يستطيع شراءها أغلب الميسورين متى توفر المال. في حين أن هذا الأغلب لا يستطيع قراءة بيت من أبيات (لوعة الرحيل) فضلاً عن تأليفه! تفاخر بها عندما تعابرها الجاهليات بالثعابين والقلائد الذهبية! كما كان القرشيون يفاخرون بهبل وباللات والعزى في بدر فيقولون: (اعل هبل! العزى لنا ولا عزى لكم!) فيقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه أجيئوهم! فيقولون وهم الشعراء النحارير والخطباء المغاوير احتقاراً لشخصياتهم وملكاتهم وحظوظ أنفسهم أمام رسولهم: (ماذا نقول يا رسول الله؟) فيقول لهم – صلى الله عليه وسلم -: (قولوا: الله أعلى وأجل ، الله مولانا ولا مولى لكم!) واليوم أكتب هذي القصيدة المتناغمة لزوجتي لأعبر بها عن خالص حبي وتقديري. وجعلتها هذه المرة على البحر العروضي المتدارك وقافية اللام. وسبق لي وأن أهديتها وأولادها جُل شعري غير نادم على ذلك. وكانت مناسبة هذه القصيدة العذبة جملة من الخلافات رانت على علاقتنا الوطيدة ، وكادت أن تؤدي بها لولا لطف الله تعالى. وحقاً الخلاف بين الخلائق وخصوصاً الأزواج سنة لا تتبدل ولا تتخلف أبداً. ولو كان بيت ما من بيوت المسلمين يخلو من الخلاف لخلا من قبل بيت النبي – محمد - صلى الله عليه وسلم – ومن هنا رحلتُ أبين لزوجتي مدى مكاتنتها عندي ، وذلك من باب: من أحب أخأله في الله فليعلمه!)

ألا يا زوجتي الفضلى	وبهجة خاطري المثلى
رَعَاكَ اللهُ مُؤْنَسِي	وطيَّبَ ذَاتَكَ الخَجْلِي
أحِبُّكَ أَنْتِ مُرْشِدِي	لنيل المَطْمَحِ الأَعْلِي
فكَمْ أَلْهَمْتِ ذَاكِرْتِي	بِحُسنِ القَوْلِ يَافُضْلِي!
عَلِمْتِ خَيْرَ صَادِقَةٍ	تَجِدُ الصِّدْقَ والعَدْلَ
وتنصَحُ أَهْلَ شِرْعَتِهَا	وفِيهم تنشُرُ الفُضْلَ
أراكِ - اليَوْمَ - عالمَةً	تصِدُّ الخُمُقَ والجَهْلَ

وتدعو كل شاردة
أحببك أنتِ ملهمتي
أحبب لأجلك الدنيا
أحببك يا معلمتي
كأني (قيس) إذ طلعت
وكم باهيت محتسباً
وتملاً عيشه مراحاً
أحبك زوجة رضىت
وتسترضى أقاربه
أحبك أنتِ مؤمنة
وتبلي في مصيبتها
أحب عبءة سترت
لأن حجابك الأسمى
أحب الدار كنت بها
أحب الأرض أنت بها
حماك الله من عيين
فإنك جنّة الدنيا
إلى ما ينفغ العقلا
وقلبي فيك كم أبلبي!
فأنت - من الدنيا - أغلى
طباعاً سأمثها الأهلبي
له - في نلجة - (ليلى)!
بزوج تشعد الأهلبي
وتبذل خيرها بذلا
بزوج زاده شغلا
وإن هم أتقتوا الخذلا
نوحاً ذربها الأعلى
بلاء المرأة الثكلى
حبيبة قلبى النجلى
يحيى الدين والأصلا
لقلبي الزوج والأهلا
وإن تك صفاً سها
تصيبك رمة العجلى
تسرُّ الزوج والطفلا

ألبوم (النور المبين) للمنشد الإماراتي الكريم / إبراهيم الهاجري

ترنيمة تتلو ترنيمة!

(لقد كانت الترنيمة في أول عهدها همسة شعرية مجتزأة ، ثم تطورت إلى قصيد طويل يحكي ما كان من شأن الترنيمة وما أعقبها من تداعيات وأحداث! وكم كلفتني هذه الترنيمة في أول عهدها! وكم عانيت في سبيل تنميتها والسمو بها لتكون إيجابية تحيا بين الأحياء ، وترسم صورة لصاحبها ليواجه الحياة بها! إنها الرجولة في مواجهة المواقف ، وصدق الله: (من المؤمنين رجال!) (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى!) (...يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالًا!) وصدق الدكتور الحوالي وهو يعرف للرجولة في إحدى محاضراته إذ يقول: (للرجولة في القرآن وصف آخر فيه زيادة على مجرد الذكورة ؛ فالله تبارك وتعالى بدأ بأنبيائه في هذا المنصب ، فقال: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ) والله تبارك وتعالى أرسل رجالاً موافقهم الرجولية واضحة لمواجهة الفساد ، والشرك ، والطغيان ، والانحراف ، والجور ، والظلم وكل ما من شأنه أن يخدش أمراً مما أنزله الله ، ولذلك كانت تلك المواقف البطولية ، التي لا يقفها إلا أعظم الرجال وأقواهم وأشجعهم: مثل ووقوف إبراهيم الخليل عليه السلام أمام النمرود ، ووقوف موسى عليه السلام أمام فرعون ، ووقوف نوح عليه السلام أمام أمة عاتية مأكرة ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ووقوف هود عليه السلام أمام أمة مستكبرة متجبرة بينون بكل ريع آية يعبثون ، وإذا بطشوا ؛ بطشوا جبارين ، كما أخبر الله عنهم حكاية عن نبيه هود عليه السلام ، وكل الأمم لا يقف لدعوتها ويتصدى لجبروتها إلا رجال. وإن أعظم هؤلاء الرجال هو خيرة الله ومصطفاه من خلقه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولو استعرضنا المواقف الرجولية لانقضى العمر كله ، وما زلنا نتحدث عن موقف واحد من موافقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! يكفيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من موافق الرجولة أن يقف وحده ، والناس كلهم قاموا ضده وأن يدعو إلى الله ويحطم الأصنام جميعاً ، ترتجف قلوب ملوك الروم والفرس منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يجف مداد صلح الروم بعد! كما ثبت ذلك في الصحيح وفي قصة هرقل. آية رجولة هذه التي عَلَّمَهَا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ربه ، وَخَلَقَهُ وَجَبَلَهُ عَلَيْهَا ، ثم عَلَّمَهَا أصحابه من بعده صلوات الله عليه وعليهم أجمعين؟! آية رجولة أعظم من قيامه على الصفا لينذر عشيرته الأقربين؟! ثم ذلك الموقف الشجاع الذي وقفه في هجرته). هـ. وإن فهي الرجولة التي تصنعها المواقف وتزيدها صلابة وشجاعة.)

ترنيمة الحـــــــــــــــــب الضـــــــــــــــــحوك عـــــــــــــــــلى فـــــــــــــــــمي
 طـــــــــــــــــيفٌ يُـــــــــــــــــداعِبُ شـــــــــــــــــوقَ قـــــــــــــــــلبي المـــــــــــــــــغـــــــــــــــــرم
 وأريـــــــــــــــــجُهـــــــــــــــــا كـــــــــــــــــالشمـــــــــــــــــسِ عـــــــــــــــــريـــــــــــــــــفـــــــــــــــــي دـــــــــــــــــمي
 ونـــــــــــــــــســـــــــــــــــيـــــــــــــــــمُها مـــــــــــــــــثـــــــــــــــــلُ الصـــــــــــــــــدى المـــــــــــــــــتـــــــــــــــــنعم
 ورضـــــــــــــــــيـــــــــــــــــاها كـــــــــــــــــالرشـــــــــــــــــد للـــــــــــــــــعـــــــــــــــــقـــــــــــــــــل الـــــــــــــــــظـــــــــــــــــمـــــــــــــــــي
 وشـــــــــــــــــورُها كـــــــــــــــــالـــــــــــــــــدُرِّ عـــــــــــــــــريـــــــــــــــــمـــــــــــــــــي
 وظلالهـــــــــــــــــا فـــــــــــــــــي واحةـــــــــــــــــي كـــــــــــــــــالـــــــــــــــــأنـــــــــــــــــجم

ترنيم ة ف ع ي ع الم متدم دم
ته دي الق ر ي ض ل ش ا ع ر م ت أ م
وتق و د ه ن ح و الم ع و ي ن الم ك ر م
وتش د ع ز م ك ي ا ن ه الم ت ا م
وتق ي م ه م ة ع ب ق ر ي ض ي غ م
وتج ر ع الع ذ ال ك أ س الع ل ق م
وتق و ل ش ع ر أ م س ت ب ي ن الم ع ل م
ترنيم ة ف ي ك ل خ ي ر ت س م ت م ي
ط ر ق ت ش غ ا ف الق ا ب ب ع د ت و ه م
وتع ط ر ت ب ا ل ص ب ر ل م ت م ت ج م ج م
وتش و ق ت ل ل ن و ر ، ل م ت م ت ظ ل م
وتن ا و ل ت ق ل ب ي ب ع ش ق الم س ل م
ر س م ت أ م ا م ي ال د ر ب ل م ت ت م
ن ف ح ت ف و ا د ي ب ال غ ر ا م الح ض ر م ي
ف ا ذ ا ل ف و ا ذ ك م ا ل ه ز ا ر الأ ف ح م

(ترنيمة على جدار الحب)

(أساء كثيرون فهم عنوان هذه القصيدة ، والتي أخذ الديوان اسمه منها. فالعنوان كما هو واضح وبديهي يتناول (الحب) ومن هنا يأتي سوء الفهم! حيث يُظن أن الحب الذي أعني هو الحب على منهاج الجاهلية ، وليس الأمر كذلك ، بل هو الحب على كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -. والحقيقة أنني تنازلت عن شعر كتبتة في جاهليتي (أعني قبل أن يمن الله عليّ بفهم حقيقة الإسلام والإيمان والإحسان). تنازلت عن هذا الشعر الجاهلي الذي لم يكن على كتاب الله وسنة رسوله. ولم يُبتغ به ابتداءً وجه الله وإعزاز دينه! ألا إن الحب عندما يكون كما شرع رب السماوات والأرض فهو الحب الحقيقي ، لأنه يستمد حياته من أنوار الوحي وإشراقات الرسالة ، ويأخذ صفة الخلود ويلبس لباس القيم. وإن كان الفراق نهايته كان وفق المنهج الرباني والسنة المحمدية. قيل للحسن: زوجت ابنتك من رجل صالح ، فما قولك في هذا؟ أو كيف ترى هذا؟ فأجاب: الرجل الصالح إن أحبها أكرمها ، وإن كرهها لم يظلمها ، فماذا تريد ابنتي أكثر من هذا وأعظم؟ وإن كان الحب كما شرعت المزابيل الماسونية والزرائب الجاهلية العفنة والأطباق الطائفة التي فوق بيوتات الأقوام ، فليس هذا بالحب ، إنما هي البهيمية والعجموية المنفلتة من عقال التوحيد وإسار الآدمية ورباط الحق. وقصيدي هذي قصة حقيقية عشتها لحظة بلحظة ، وصاحبها هي أم عبد الله ، (عزة مصطفى إبراهيم رزق) الفتاة ذات الثمانية عشر ربيعاً يوم تزوجتها! تحاببنا في الله ورسوله ووفق منهجه وشريعته ودينه ، وأثمر الحب في الله ، وكانت القصيدة تلك ترنيمة على جداره! وكان عرسها عرساً إسلامياً كما كانت الحياة معها على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -. وكان لأبيها الحاج مصطفى أبو رزق مواقف مشرفة في مستهل العقد عليها والبناء بها! وطبيعي أن يكون في القصيدة شيء من الركاكة والضعف الفني لحدثة التجربة وقلة الخبرة في الشعر ، فلقد كتبتها يوم الثلاثاء الموافق 18 من شوال لسنة 1408 هـ ، والذي يوافق 10 من نوفمبر لسنة 1987م ، وإذن فكان عمري 23 سنة بالتمام والكمال ، الأمر الذي يجعل لي عذري عند القراء. ويضاف إلى ذلك أنني تركتها - على طبيعتها - لتمثل المرحلة والتجربة معاً!

أنا كم رجوت الله زوجاً من كياني
ولكم بكيث أريدها متضرعاً
ودعوته ، رباه أكرمني بها
لنقوم - في الدنيا - على أمر الهدى
وبقيت وحدي كالكسير العاني!
ويأسها في عالمي الحيران
ولكم سهرت الليل أجار بالبكا
بين الورى بالمنهج الوسنان
ووددت عمراً مستبيناً هادئاً
ويريق دمعي - في الحشا - شرياني!
فيه انتصار الروح والوجدان
ودعوت ربّي لاندأ متوسلاً
متمنياً منه الأليف الحاني
وإذا أراد الله شيئاً قال: (كن!)
سبحان ربك من عظيم الشأن

وانزاح كـربُ الغزبية المُتداني
ومضى عَويلُ القلب دون تـوان
لَمَّا رجوت الله مِن وجـداني
أعماقُ روح حزنهـا أعماني
سـي مُخبِتاً مُتأدب العرفان
رأ ، وانبرى يهذي بغير عنان
ومضى يقول: سَئمتُ يا إخواني
حواء في هذا الهجير الفاني
سـد القوم للتوحيد والإحسان
أكرم بها يا صاح من خلان!
يا عز قلب يغتذي بأمان
أكذوبة ، أو فريسة الصبيان
هي وجهتي ، هذا إذن إعلاني
ك صـبابتي وشـببتي وحناني
وتعانقنا في واحدة القرآن
يتفاسمون مشاعر الولهان
أو أن تُباع ضـمانر الإنسان
فالله هـازم كل من عاداني
أن يأخذ الفضلى بمال دان
صر - في الورى - جهلي ولا شيطاني
يطأن في أرحابها بتفان

قبل الجليل توسلي وتذلي
وهناك - في المجهول - نامت صرختي
وتشوقتي الذكري بعذب ترنم
للهم هبني زوجة تسمو بها
حتى رزقت بـ (عزة) فشكرت ربـ
وندمت أن لعب الهوى بالعقل دهـ
نظر الحياة بحرقاة وبلوعة
إذ لا أرى أثراً لتوحيد علي
قال الجميع تأن قل: رباه فاهـ
أنا يوم قلت: أريدها قال الهوى:
يا سعد بيت قد أقيم على التقى
قال الجميع: تريدها ، هذي إذن
فنهـرتهم ، وصرخت في جهـالهم
لَمَّا رزقت بأنسها نبتت هنا
قلبان - في حب المليك - تلاقيا
والقوم بين مكذب ومصدق
زعموا القلوب بمالهم أن تشترى
أنا يا أختي لست أعبأ بالأذى
لَمَّا تطاول جاهلي ضجيجهم
قالت بعز أبية: أنا لست أنـ
لست التي تهوى حياة عشعش الشـ

عَلِقْتُ بِهِ خَفِي عَلَى هَذِيان
يَا مَنْ تُحَاوِلُ أَنْ تُبِيدَ صِيَانِي
مَنْ غَيْرَ مَا صَنَمَ وَلَا شَيْطَانَ
نَحِيَابَهُ ، وَنَعِيشَهُ بِمَعَانِ
مِ عَلَى عِبَادِ الْوَاحِدِ الْوَحِيدِ
مَنْ فَيضِ رَبِّي أَسْتَقِي تَبِيَانِي
بَعَثَ الْهُوَى وَالنَّفْسَ بِالْغَفْرَانِ
يَمْحُوبَهُ - حَقّاً - جُوى الْأَشْجَانِ
وَأَنَا أَقُولُ: (امكثْ فففيه أماني!)
وَأَنَا أَقُولُ: الْيَوْمَ مَرَّ ثَوَانِي!
لِيلاً وَالْوَانِياً مِنَ الْبُهْتَانِ!
وَيُذِيقُنِي دَهْرًا أَسَى الْحَرْمَانِ
مِنْ خَلْفِهِ كَتَخَبُّ الْعُمِيَانِ
وَيُمِيطُ عَن عَيْنِي سَنَا الْأَلْوَانِ
وَحَشِيَّةٍ ، وَسَيَهْدِمُنْ بُنْيَانِي
تَحْتَ النَّقَابِ بِعِزْمَةِ الْكُفْرَانِ!
وَسَيَكْبُتُ الْأَهْدَابَ فِي الْخُسْرَانِ
زَيْقاً ، فَذَلِكَ لَنْ يَهْدَى كِيَانِي
وَالسَّيِّئُ يَعُودُ عِزْمَكَانِي
ذَبَّ قَرِيضَهُ بِرُويَّةٍ وَبِيَانِ
نَفْحَاتِ عِطْرِ ذَاعَهَا بِسِتَانِي

مَا قَلَّتْ يَا رَعِيدُ فِي قَدَمِي ثَرِيَّ
أَنَا قَدْ عَلِمْتُ نَهَيْكُمْ فِي خَلُوتِي
وَأَعِيشُ - فِي أَهْلِي - هُنَا مَحْبُورَةٌ
بَلْ دِينُنَا الْإِسْلَامُ شِرْعَةُ رَبِّنَا
لَا دِينُنَا الْأَفْلَامُ أَوْ فَحْشُ الْكَلَامِ
أَنَا لَيْسَ تَخْدَعُنِي الْمَظَاهِرُ ، إِنِّي
وَالْعَيْشُ زِينٌ إِنْ يَكُنْ فِي طَاعَةٍ
وَاللَّهُ قَدْ أَعْطَى فُؤَادِي إلفه
كَمْ ذَا يَنْجِينِي (دَعِينِي أَنْصَرِفُ)
كَمْ رَدَّدَ الْآيَاتِ تُطْرِبُ مَسْمَعِي
كَمْ قَلْتُمْ عَن شَخْصِهِ كَذَباً وَتَضَى
قَلْبُكُمْ: سَيَحْبِسُنِي بَيْتِ مُقْفِرِ
وَأَسِيرُ تَسْحَبُنِي يَدَاهُ بِذَالَةٍ
وَسَيَحْرُمُ الْجِسْمَ النَّحِيلَ مِنَ الْهُوَى
وَسَيَمْنَعُ الْأَغْرَابَ مِنْ رُويَايَ فِي
وَسَيَحْجُبُ الْوَجْهَ النَّضِيرَ عَنِ الْهُوَى
وَسَيَغْلُقُ الْأَبْوَابَ دُونِي وَالْوَاقِدَا
وَأَنَا أَقُولُ: كَفَاكُمْ حَقِّدًا وَتَمَمَّ
أَنَا (عَزَّة) مِنْ عَزَّةٍ فِي عَزَّةٍ
وَالآنَ فَاسْمَعْ يَا عَدِيمَ السَّمْعِ عَمَّ
مَا قَالَ فِي أَشْعَارِهِ هَذَا سَوَى

ويلفني في أعذب الألبان
وحروفها تروي ظمما الظمان
برطيب شِعْر مُشْرِقِ فِينَانِ
أكرمُ بها ، هي منحة الرحمن
من عيشةٍ ملئت بذل قان
ليست يُصوِّرُها مِدادُ بِنَانِي
زادَ اعتزازاً قلبها المتفاني
عز الذي أعطاك من منان
وفصاحةٍ فاقت صدى (سَخْبَانِ)
إن التفقه حليمة الإحسان
فرضت - على قلبي - عطا الديان
والروحُ رُوحُ بُلْبُلِ رِنَانِ
من ثغرها فيضاً من التحنان
في الله ، بورك في الدنا الوصلان!
ووصالُ رُوحِ القلبِ وصلٌ ثان
ما قد رسمت بريشة الفنان
واجعله يارباه في الميزان
وأدمه في سير وفي إعلان
ونعطرُ الأجرِ واءً بالعرفان
ونزينة بحلاوة الشكران
أنتِ العطا يا زينة النسوان
واملاً إبائي بالمضما الرباني

سيعيشُ يرويني قصيداً نابضاً
هي للعليل دواؤه ، كلماتها
باتت منار السمع في قدسية
هي (عزتي) ، وأنا أتوق لأنسها
ولأن يموت المرء أهون عندنا
أعني مذلة غريبة مردولة
محبوبتي ، والله أعطاها التقى
هي عزة في عزة رِقراقاة
فالعز طابعتها ، ومحتد أصلاها
والله ببارك فقهها وفهومها
أنا لست أمدح فتنتي ، لكنها
والجودُ فاعلم والحياءُ خلالها
تتلو ، فتسخرني بقرآن غدا
ولذا أرى قلبي يروم وصالها
وصل الكتاب وسنة وهداية
وأنا أخذت العهد أن يروى لها
للهم فاجعل فيك كل وصالنا
واجعله نوراً في ظلام دروبنا
حتى نذر النور في أصقاعنا
عرفان حق ليس فيه تنقص
يا فتنتي أنت المعين لدعوتي
رباه فاعمر بالسعادة قلبها

وامحقق ديار الظلم والخذلان
وانفع بهار رُوحى كذا وجناني
رباه واحفظنا من العدوان
وانفع بعزة أمهم والثاني
وأفض - على ذي الزوج - بالولدان
وتزيد أو تنقص فكل فان
وعلى سطور معينه الفتان
وعلى (جدار الحب) كالقربان
وتعبئ الأشعار في الأوزان
ياقوتة مثل الأريج الحاني
حمراء مثل نضارة الرمان
تسنتنطق الأبواب كالعقبان
محشوة بالصدق والرجحان
مذخورة بسطة البرهان

وأزل بأنوار الهدى ظلم الهوى
وأجر إله الناس عبداً تائباً
حتى يعم الخير في أفياننا
واحفظ (أميمة) و(الخليل) شقيقها
لمآراتهم (عزة) فرحت بهم!
من عابد الرحمن ثم بنية
ترنيمه هذي على سفر الهوى
ترنيمه تهفو إلى محبوبها
ترنيمه تحنو على معشوقها
ترنيمه تسمو على دنيا الورى
ترنيمه تحو من النفس الأسى
ترنيمه أنشدتها زمن الصبا
ترنيمه نور الوداد جمالها
ترنيمه صدق الوفاء عبيرها

تُعِيرني بضيق العيش!

(ذات مساء أخذتني قشعريرة الشعر وانفعالة الغضب ، ورحتُ أطلع بعض الكتب ، فوقعت على درر من السيرة والأدب أسطرها هنا كما عثرت عليها ، وكان الباعث عليها اختلافي وأهلي ككل خلاف بين زوجين متحابين في الله ، والخلاف سنة! فعدت إلى الوراق ، حيث الوحي ينزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويروي لنا البخاري موقف أمنا أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - وهي تطمئن زوجها النبي الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأن قالت: (أبشُرُ يا محمد ، والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لعلى خلق عظيم: إنك لتكرم الضيف ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل عن الضعيف ، وتعطف على المسكين ، وتعين على نواب الحق! فوالذي نفس خديجة بيده إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة). ولقد عاشت ابنتها الزهراء فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها - وصلى الله وسلم وبارك على أبيها - عاشت لزوجها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كما كانت أمها لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - روي أبو داود في سننه: (أن علياً ابن أبي طالب صهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدث عن نفسه وعن زوجة فاطمة بنت محمد في آخر حياته فقال: يا ابن أم معبد ، ألا أخبرك عني وعن فاطمة؟ كانت بنت رسول الله وأكرم أهله عليه ، وكانت زوجتي ، فجزت بالرحى ، حتى أثرت الرّحى في يدها ، واستقتت بالقربة حتى أثرت القربة في نحرها ، وقمّت بالبيت ، حتى اغبرت ثيابها وأصابها من ذلك ضر). فتعجبت وقلت في نفسي: إنه الجيل القرآني الفريد. وماذا عن الفتن في آخر الزمان؟ أخرج الحافظ الدمياطي في مصنفه (المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح) حديثاً للنبي - صلى الله عليه وسلم -: (يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه ، إلا من هرب بدينه من شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر ، فإذا كان ذلك لم تزل المعيشة إلا بسخط الله ، فإذا كان ذلك كذلك ، كان هلاك الرجل على يد زوجته وولده ، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد كان هلاكه على يد أبويه ، فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على يد قرابته أو الجيران قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يعيرونه بضيق المعيشة ، فعند ذلك يورد نفسه الموارد التي يهلك بها نفسه). وإني لأدعو الله تعالى أن لا يجعل أزواجنا ولا أولادنا ولا آباءنا ولا قرابتنا كذلك ، وأن يغنيننا بحلاله عن حرامه ، ويكفيننا بحلاله عن حرامه! وسبحان من إذا بسط لعبد في الرزق فلحكمة ، وإذا ضيق على آخر في الرزق فلحكمة ، ولذا أمرنا الله أن لا نتمنى ما فضل الله به بعضنا على بعض فقال: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) ، وأقول لكل حليلة تُعِير حليلها بضيق العيش: اصبري صبر فاطمة بنت محمد ، فليست بأفضل منها ، وليصبر زوجك صبر علي زوجها ، فليس بأفضل منه.)

تُعِيرني بضيق العيش ، ما ذنبي؟ وتكوي بالتجني - في الدجي - قلبي
وتشهرُ سيفها في وجه مُلتاع وتُتمعنُ في دروب النّيل والحرب
وتجرّحُ بالعتاب المُرّ تصبيري وتنسي ودنا في سالف الحب
وتنبش في رُفاتِ الفقر لم ترحم وتجري خلف ظل الوزر والذنب

أعاني من أسي إحساسِي العَظَب
وتصنَع مِن مَعاول هدمها كربي
وأني قد محَا عَزَمِي لظي الرَّهَب
وأني تهتُّ عن خلي ، وعن دربي
وليس بخاطري المَكلوم مِن عيب
فلا تسَلِي علي ما كان في العَيب
ولا تستمطري ، يا فتنتي نَدبي
رضيتُ بما قضي من فتنة رَبِّي
ونفسٌ تشتكي مطعونة الصَّحب
ويسقط في أتون الموقف الصَّعب
بخلتُ بها علي هَتَّافة الرُّكَب
بما فعل الهُمام اليوم من لُعب
ويصطنع التباكي في جَوِي النَّخب
ويطعنُ رُمَحَه بالعُقدِ في جنبي
ولا أدري بما يجري ، وما حَوبي
ومقتولٌ بأيديهم بلا ريب

وتتركني - وحيداً - في براكيني
وتسجُجُ مِن لهيب اللوم آفاقاً
تُغيرني بأني قد رَضِختُ هنا
وأني خِفت من قومي ومن ظلي
ألا رفقا بقلبِ في الأسي يرسو
فضيقُ العيش ، يا محبوبتي رزقي
ولا تستكثري البلوى ، لنارِباً!
يَمِينُ الله رغم الأنف ما يجري
جلاوذة تلوكُ العِرض ، ما استحيتُ
وسمَّاعٍ لِمَا حاكوا ، ولا يدري
وبين يديه أشعاري وأشواقِي
وجوقة الارتزاقِ اليوم في فرح
يُكشِّرُ كلُّ رعيد عن الفُتيا
ويحطمُ كلُّ خوان رَحِي عِزي
أنا المسكينُ لا حول ، ولا طولُ
طَعِنْتُ اليوم في خلي وفي صِحي

ولم يُبصرُ كَبِيرُ القومِ من أوب
أجادوا السَّبكَ والتضليل في الخُطب
وقد نصَبَتْ هُنَا من عَيْشِنَا الجَدْب
كفاني اليوم ما ألقاهُ مِنْ صَحْبِي!
يُقاسُ المرءُ بالإيمان لا الجِيب
فأنتِ الصاحبُ المحبوبُ ذو اللب
فرَّقِي وانظري الأحوالَ عَن قَرَب
ألا فاستكثري (يا عَزَّ) من (حَسْبِي)
وخلِّي عنكَ سيفَ اللومِ والسَّب
تعالَى اللهُ يا محبوبَةَ القَلْب

وطابورُ الخزايا لم يقل حرفاً
وصفقَ للجناة الآن عمداً من
تُعيرُنِي بما ربي به يقضي
ألا يا معقدَ الآمال ، يا زوجي
سيمضي المالُ والدنيا ، فلا تبكي
لذا فاستمسي بالحق ، يا زادي
وأنتِ اليومَ أصحابي وأحبابي
ورزقُ الله لا يُرجى بأوزار
ألا واستنشقي التوحيدَ ، واحتاطي
وربُّ الناس لا ينسأكَ ، حاشاهُ

دِفاعُكَ عنِ نَفْسِكَ أُولَى!

(عندما يكون الإنسان في موضع شبهة ، فإنه ينبغي عليه أن يدافع عن نفسه ، ليظهر الحق وليتبين للناس من حوله الحقيقة كاملة غير منقوصة. وهذه امرأة مازال الوشاة بزوجها حتى قلبوا له ظهر المَجَن عنها ، وصارت هناك فتنة لا يعلم إلا الله مداها ، وأوقدت النار لتحرق بريئين ، وليصطلي فيها من لم يرتكب إثماً ولا خطيئة. وذلك أن الزوج ذهب ليتبين فكانت أولى كلماته: اذهبي من هذا المكان ريثما يهدأ الجو فنناقش ماذا لنا وماذا علينا! فلم تستجب! فقال: أليست طاعتي واجبة؟ اذهبي ولنا كلام آخر. فلم تستجب ، كما أنها لم تدافع عن نفسها فيما نسبه الوشاة إليها ، فزادت بذلك حبات الطين بلة ، وأضافت إلى النار الوقود ، وأجبت الفتنة بصمتها ، فلم يتمالك الزوج نفسه فليس ملاكاً ، كما أن الفرص التي أعطاها لها قد نفدت ، فراح يرد عليها وينتصر لما قالت على أسنة الوشاة. ذلك أنها لم تدافع عن نفسها ببنت شفة ، فأخذ على عاتقه أن يحملها على الاعتراف أو الرحيل ، فلم يكن شيء من ذلك إطلاقاً. وبعد أن وضعت الحرب أوزارها راحت تلوم الزوج وتطلق لسانها في عرضه بدون وجه حق لها في ذلك. الأمر الذي جعله يأخذ موقفاً منها ريثما ترجع. قال محمد المنجد في وجوب إصلاح ذات البين والتحذير من الإيقاع والإفساد بين الناس ما نصه: (إن الشريعة قد رغبت في جمع القلوب والإصلاح بين الناس وأن يكون أمر المسلمين مجتمعاً ، ولذلك جعلت الأخوة أمراً مرغوباً فيه ، مثاباً عليه لمن قام بحقه ، وكذلك دعت إلى رفع ضده ومقاومة كل ما يشينه ، ولذلك ترى الشريعة قد أمرت بإفشاء السلام ، وإجابة الدعوة ، وعبادة المريض ، وكل ما من شأنه أن يقرب بين المسلمين ، ونهت عن الكذب والنميمة والغيبة ، وعن الهمز واللمز والسخرية ، وعن كل ما من شأنه أن يسيء العلاقة ويقطع المودة بين المسلمين ، ومن الإجراءات التي جاءت الشريعة بها لأجل الحفاظ على العلاقات بين المسلمين إصلاح ذات البين. ونحن في مجتمع مادي تغلب عليه المادة ، وتكثر فيه المعاصي ، ولذلك فإن الخلافات لا بد أن تكثر تبعاً لذلك ، والدعاة إلى الله عز وجل - بل وجميع المسلمين - عليهم واجب إصلاح ذات البين ، ومحاولة إزالة ما في النفوس ، وهذا من العبادات العظيمة ولا شك. أما الإصلاح بين الناس فإنه واجب ، قال الله تعالى: (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ). والصلح يكون بين متغاضبين كالزوجين ، ويكون في الجراحات كالعفو على مال ، ويكون لقطع الخصومة ، كما إذا وقعت المزاحمة في الأملاك أو المشتركات). هـ. جزا الله خيراً الأستاذ المنجد على ما قال!

وترثي في وصف نيات الورى
وأنا الذي ما كنت أعلم ما جرى
في معشر أضحي يلوك المنكرا
أما أنا ، فلقد تجرعت الثرى
إن الذي حاكوه إفاك مفتري
وكبيرهم - فيما ادعاه - قد امترى
ومتى استبان الدرب أصحاب الفرى؟

كُفي عن الشكوى ، وعودي القهقري
أعطيت فرصتك التي استكثرتها
في فتنة عصفت بقلبي والنهي
أعطيتهم فرصاً تُعضدُها المدي
لم تسبُري أغوارهم إذ أوقعوا!
فيك استطالوا جهرة ، وتخرصوا
لما يراعوا حُرمة في خوضهم

إذ لم أقابلن طيباً أو خيراً
والعقل فيما لفقوا ما فكرا
أرجو التماس الحق فيما دُبراً
فرايئتي - في الناس - أجتز المرأ
والكيد - عن ثقل الدسانس - أسفرا
والمعتدي - عن ساق غدر - شمراً
أمسى - على هذي الضعيفة قيصرأ
بمواقفٍ سبقت ، ولت وكراً!
في مشهدٍ فيه الالهيب تسعرا
حتى يُحسن - في السجال - المنظرا
وكبيرُ فتنتهم شدا وتندرا
حرباً تُصارغ من بغى وتهورا
كيلا ألقى - في الصراع - مبررا
وتحطمي سيفاً مبيراً مشهرا
خرقاء تجترُ الشائم والمرأ
كشواظ نار ، ما استساغ المجرأ
فمن استفز الليث حتى يزأرا؟
وأراد تمزيق الأواصر والعورى
كيلا يعاود كيده ، أو يسحرا
واجعله عبرة من تطاول واقتري

وأنا ضحية مكرهم وخداعهم
نسبوا إليك مخارفاً تُزري بنا
وأنا أتيتك حائراً متحقةً
سخرُ الكلام سباً جميع مداركي
ورأيئتي - فيهم - ضحية كيدهم
والمسرحية فصّلت أغازها
والكل أعرض عن نصيحة ثائر
كال المطاعن - في الجدل - معرضاً
وتكلف الألفاظ ، لم يك منصفاً
لم يأل جهداً في المعائب ساقها
والشامتون تفكّهوا واستهزأوا
والعاذلون توقعوا أن يشهدوا
وصمتت ، والأحرى بأن تتكلمي
حتى تردى شبهة فتكت بنا
أنا ما عهدتك - في الشجار - غيبة
أوما نظرت العين تقدح شرها
أوما سمعت زئير ليث حارب
تعباً لمن - بالمكر - فرق بيننا
للهم دمّره ، وأبطلن سحره
واثأر لنا منه ومن أعوانه

دموع الذكرى!

(ابتهل الشاعر العباسي المعروف (العباس بن الأحنف) قائلاً يشكو الفراق ورحيل الأحبة:

أَرَى الْبَيْنَ يَشْكُوهُ الْمُحِبُّونَ كُلَّهُمْ فَيَارِبَّ قَرَّبَ دَارَ كُلِّ حَبِيبٍ

أقول: إن الفراق فيه آلام وأوهام ، ومحن وإحن ، وعذابات وبلاءات ، لا يدركها إلا من عانى من الفراق. وإن الرحيل يخلف في نفس الراحل أسمى ، ويترك في نفوس من فارقهم حزناً: (هذا إن كانوا فعلاً يحبونه). والذكريات تخفف من الألم نسبياً ، حيث يجد الإنسان فيها السلوى والعزاء. وأحلى الذكريات القريض. وأحلى القريض ما كان صادقاً يخرج من القلب وترويه المشاعر!

وكنت قد فارقتُ الأحبابُ وفلذاتِ الأكباد والخلان ، وأصبحت فريسة للهواجس والأحزان وحاولت أن أتصبر وأتجلد ، ولكنَّ دموع الذكرى كانت أقوى مني ، والرجولة تأبى عليَّ الجزع والهلع ، والإيمان نعمة كبيرة ، ومن يتصبر يصبره الله – تعالى - ومن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ، والله المستعان على كل كرب. وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وإنما حاولتُ في هذه القصيدة أن أصوغ دموع الذكرى وآلامها شعراً! وواضح جداً أن آمالي وطموحاتي أكبر بكثير من عمري والله أعلم. وإن أخوف ما أخافه أن ينقضي العمر ولم أكن قد أنجزت عشر معشار ما أرجوه من هذه الحياة! ويهدد حياتي هاجس غريب أنني سوف أخذ معي جُل الذي كتبته معي إلى قبوري! الأمر الذي يحدث لكثير من الشعراء منذ الأزل! ألا وإن الباعث على هذا الهاجس أن مئات القصائد لم تنشر إلى يومي هذا!

وَأَسْكُبُ عَبْرَهَا فُحْوَى حَيَاتِي
وَأَمْعِنُ فِي التَّوَجُّعِ وَالشُّكَاةِ
كَأَنَّ عَلَيَّ الْفِرَاشِ الْعَائِدَاتِ
وَأُبْكِي فِي اللَّيَالِي ذِكْرِيَاتِي
فَلَا حَبَرَ هُنَالِكَ مِنْ عِدَاتِي
فَأُنْكِرُ فِي الْمَهَاوِي أُمْنِيَاتِي
كَأَنِّي مُوَلِّعٌ بِتَأْوُهُنَّاتِي
وَأُنِّي مُفْعَلٌ بِتَحَسُّرَاتِي
وَتَعْصِيفُ - بِالْمَطَامِحِ - أُمْسِيَاتِي
وَأَسْنَقُطُ فِي مَوَآخِرِ الرُّفَاتِ
طَوَاهُ السَّوَاهُ فِي ظِلِّ الْإِمَامَاتِ!

أَتَأْجِي فِي الدِّيَاجِي ذِكْرِيَاتِي
وَأَنْظُرُ عَنْ يَمِينِي ، وَشِمَالِي
وَأَرْقُدُ كَالْقَتِيلِ عَلَى فِرَاشِي
وَأَرْقُبُ مِلءَ أَجْفَانِي سُهَادًا
أَسْأَلُ فِي السُّورِ أَيْنَ حَيَاتِي؟
وَيَهْرَبُ مِنْ أَمَامِي ضَوْءُ عَيْنِي
وَأَكْتُمُ أَهْتِي فِي جَوْفِ قَلْبِي
وَأَلْمَنِي بِكُنَائِي وَأَنْفَعَالِي
أَحْبَبِي فِي فُؤَادِي دَمْعَ رُوحِي
فَأَجْرِي خَلْفَ نَفْسِي لَا أَبَالِي
وَكَمْ ضَلَّ السَّوَى فِي الدَّرْبِ حَتَّى

وَعَانِي مِنْ تَهَاوِيلِ الشُّمَاتِ
وَأَمْ يَصْبِرُ عَلَى أَلَمِ الثُّبَاتِ
وَقَضَّى الْعُمْرَ فِي كَنْفِ الْمَوَاتِ
وَبَالَغَ فِي التَّعَامِي وَالسُّكَاتِ
وَأظْهَرَ ذُلَّهُ عِنْدَ الشُّنَاتِ
وَأَبْدَى صَمْتَهُ عِنْدَ الْحَتَاتِ
وَأَحْنَى ظَهْرَهُ أَمْلَ الْفَتَاتِ
وَأَمْضَى اللَّيْلَ فِي عَذْبِ السُّبَاتِ
وَتَعَصَّفَ بِالذَّلِيلِ رَحَى الْخَوَاتِ
وَيَمْضِي فِي دِيَاجِيرِ الْفَوَاتِ
عَلَى الْمُسْتَهْزِئِينَ مِنَ الْمَوَاتِ
يَبْذُلُ عَلَى أَبَاطِيلِ النَّكَاتِ
وَأَتِ مَوْتَهُمْ إِصْرَ الْفِئَلَاتِ
وَحَاذِرُ مِنْ مُصَاحَبَةِ الْهَفَاةِ
وَلَا تُعْرَرِ انْتِبَاهًا لِلْغَفَاةِ
سَوَاءَ فِي الضُّحَى أَوْ فِي الْبَيَاتِ

فَمَا اسْطَاعَ الْفَوَادُ لَهُ اخْتِمَالًا
وَأَمْ يَطِيقُ الْبَقَاءَ بِغَيْرِ خِلٍّ
إِذَا مَا الْمَرْءُ عَانِي مِنْ فِرَاحٍ
وَعَطَى بِالذُّمُوعِ مِنْ بَقَاةِ
وَأَخْفَى فِي الْوَرَى صِدْقَ النَّسَامِي
وَضَحَى بِالنَّفِيسِ يَرِيدُ خَلًّا
وَقَدَّمَ نَفْسَهُ يَفْدِي الْكَسَالِي
وَحَبَّأَ بِالنَّثْرِ وَجْهَ التَّهَانِي
سَتَطْوِيهِ الْخَطُوبُ بِغَيْرِ رَفْقٍ
وَتَذْرُوهُ الرِّيَاخُ وَلَا تُبَالِي
قَطَارُ الْعُمْرِ مَاضٍ لَيْسَ يَأْسِي
لَهُ فِي الْعَالَمِينَ دَلِيلُ سَيْرٍ
وَإِنَّ النَّاسَ فِي لَهُوَ مُمِلٌّ
فَحَبَّبِي ذِكْرِيَاتِكَ فِي الدِّيَاجِي
وَعَضَّ الطَّرْفَ عَنْ كَأْسِ التَّدْنِي
وَأَمْرُ اللَّهِ آتٍ لَا يَخَابِي

###

بعض معاني الكلمات التي وردت في القصيدة

- **الإمات:** جمع أمت وهو المكان المرتفع. - **الموات:** أي الذي لا روح فيه. - **السُّكَات:** السكوت. -
- **الحتات:** أي الجلبة والضجيج. - **الشُّمَات:** أي الخائبون من الناس. - **الخَوَات:** صوت الرعد. -
- **المَوَات:** من مترادفات الموت في لغة العرب. - **الفِلات:** المراد المفاجأة ، ولما كانت المفاجأة تأتي بغتة ناسب في العربية أن ترادف مادة الانفلات التي تفيد مباغتة المفاجأة.

يا فتاتي رجّعي الشعر الجلي!

(رحلتُ عني إلى مصر أمّ الأولاد مع أولادها جميعاً. وبقيتُ وحدي ألوكُ آلام الفراق وأعاني لواعج الشوق إليهم. وليس في كل سفر ووداع ورحيل تكون قصيدة ، فليس الأمر ميكانيكا أو أن الشعر لا يستعصي عليّ مرة أو مرات! إن الذي يتصور أن الشاعر يمكن له أن يكتب في كل وقت وحين هذا إنسان لا يفهم عن الشعر والشعراء الكثير من الذي ينبغي أن يعرف عنهم. بل القضية قضية انفعال يقود إلى عاطفة! وإذا تمخضت الفكرة عن قريض أمسكت الأنامل باليراع وكانت القصيدة ترجمة لما عاش الإنسان من شعور. فالمسألة شعور قاد إلى شعر ، وليست أبداً شعر قاد إلى شعور! إن الشعر أسمى من ذلك مقاماً وأرفع قدراً وأعلى منزلة. وكنتُ قد كتبتُ قصيدة مماثلة في ديوان (نهاية الطريق) منذ خمس سنوات ، وكان عنوانها: (الياسمينة) ، وأيضاً قصيدة مرارة الذكرى ، وأيضاً قصيدة: (لوعة الرحيل) التي تجاوزت الستمئة بيت عندما رحلت عني بأولادها! وهي أطول ثاني قصيدة! وأهديتها يوماً لذات الإنسانية التي أكتب لها اليوم لها (يا فتاتي ، رجّعي الشعر الجلي!) لأم عبد الله - حفظها الله تعالى - أذكرها بالأيام الخوالي التي عشناها في مصر من صفاء الحب وطيب العشرة! وكأني أريد أن أقول لها: رجّعي الشعر الجلي الذي تذاكرناه معاً في أول زواجنا ، واغمري قلبي بسالف الذكريات العذبة! وذكّرنا بقراءة القرآن ومدارسة أحاديث النبي العذنان - عليه السلام -. وظللتُ أتخيلها أمامي وأطلب منها أن تعيد أطياف الأيام الحلوة التي قضيناها معا إبان زواجنا عام 1988م ، هناك في مصر في كنف الأهل والأصحاب والإخوة! وفي كل مرة أكتب القصيدة على فترات تشبه زخات المطر ، وأحياناً أكتبها جملة واحدة ، وهذه القصيدة من هذا النوع! وما ذاك إلا لفرط الحب في الله ، وتعتبر أم عبد الله المرأة الوحيدة التي أحببتها في الله وعلى نور منه - سبحانه وتعالى - وتزوجتها على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -. وأسأل الله أن تكون زوجي في جنات النعيم!

واغمري القلب الخالي	رجّعي الشعر الجلي
يا فتاتي ، واسألني	بالأمماني والصفا
للمعين الأول	عن حبيب راحل
ورحيل الأشمل	هد قلب بي بعوده
وفسق قرآن العلي؟	أيمن حبيب صادق
كان عذب المنهل؟	أيمن نصح مخاصم
مغدق كالج دول؟	أيمن ود مخبب
ففي العطاء المكمّل؟	أيمن نور مشرق
من ثنينا المخمّل؟	أيمن عطّر فائح

ففي أريج المأمول؟
كمان عصف المحمل؟
وانفحيننا ، عجايب!
ففي الهشيم الممحل
ولأم من المومل!
ولمراه الجلي
فمن الماضي سلي
والجوى قد عن لي
كمان غص المنزل
كربيع الغيدل
وعغي قوم كممل!
بأزهبا بالمغزل!
بأبعزم مخضبل
عند أسمي معقل
بالقريض المتكل
والعذاب المقصل
واصدقي في المقول
أو كلام العذل
كاحمرار الكربل
بالعيون الهمل!
ري قطيع الميّل

أين ياقوت المنى
أين قول قاطع
نكرينا بالسنا
بلغني (العز) الـذي
أننا اشـتقنا لـه
وللقيا هناه
إن تلاشى حُبنا
منذ غابت (عزتي)
عكسر الصفو الـذي
كانت الدنيا به
كم قرأنا الـذكر في
ونسجنا الشعر
وتخذنا الصبر
وسمونا للذرى
سلمي يبا غادتي
واذكري عن حالي
وصرفيني عنها
لا تخافي لومها
إنها اللطف بنا
كم بكيت فقدها
ورحيل الإلف يُغـ

ففي النهار الأليل
سُـقـتـه ، لـمـ أبـخـل
عنه ذي لـمـ تـرحـل
يـصـطـلي فـي مـرـجـل
وارفقـي بـي الأـعـزـل
عـن غـرامـي الأـمـثـل
لـمـ يـكـن بـالمـبـطـل
فـي قـريـضـي المـجـمـل
واقـرئـي ، لا تـخـجـلي
مـثـل شـدو البـابـل
كـرسـوخ الأـجـبـل
كـصـفـاء السـلسـل
أـكـرمـيـهـا ، وابـيـذـلي
لـمـ يـصـغـه (المـوصـلي) !
خـضـب الأـلـحـان لـي
لـك بـشـالـرتم الجـلي
لـك - حـبـي - فـاقـبـلي

يـجـعـل الشـمس دـجـي
رـجـعـي الشـعر الـذي
لوعـة فـي خـاطـري
وفـوادي عبـرـهـا
فـارحـمـي القـلب كـفـي
واذكـري مـا قـاتـه
وفـسق شـرع طـاهـر
صـغـه (تـرنيـمـة)
فـاقـبـليـهـا غـضـة
إنـني حـبـرتـهـا
رـسـخـت فـي (عـزـتي)
وصـفـت فـي لـفـظـهـا
رـجـعـي الشـعر لـهـا
أخـبرـيـهـا أنـه
وكـذا (زـريـاب) مـا
إنـني غـنـيتـه
ثـم قـذ أهديتـه

زوجتي!

(بناءً عن طلب ابننا أبي تميم كتبت هذه القصيدة بعنوان: (زوجتي) مبيناً لماذا كان الحب؟ وما هي حيثياته؟ وكيف يكون استمراره فلا ينتهي بانتهاء العمر في الدنيا؟ وبيّنت استمراره لما بعد الموت والبعث والحساب ، هناك في جنات النعيم (على سرر متقابلين لا يمستهم فيها نصب ، وما هم منها بمخرجين) ، مُذِلاً ذلك كله بالدعاء لهذه الزوجة الصالحة الراشدة! وإنما عنيتُ بالزوجة هنا أم عبد الله ، التي أحببتها في الله تعالى ، وتزوجتها على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –! ورجوت من ولدي عبد الله أن يحسن معاملة أمه وألا يفرط في الإحسان إلى زوجته على حساب أمه! بل يعطي كل منهما حقها! وليعتبر بسلفنا الكرام! فهذا حارثة بن النعمان ، فإنه كان يفتلي رأس أمه ، ويطعمها بيده ، ولم يستفهمها كلاماً قط تأمر به حتى يسأل من عندها بعد أن يخرج ، ماذا قالت أمي؟ البر والصلة لابن الجوزي. وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نمت فرأيتني في الجنة ، فسمعت صوت قارئ فقلت: من هذا؟ فقالوا: حارثة بن النعمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك البر ، قال: وكان أبر الناس بأمه». رواه ابن وهب في الجامع. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. وقال أبو موسى الأشعري- رضي الله عنه - شهد ابن عمر- رضي الله عنهما- رجلاً يمانياً يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره يقول: إنّي لها بغيرها المذلل ... إن أذعرت ركابها لم أذعرت ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها قال: «لا ، ولا بزفرة واحدة». الأدب المفرد للبخاري. وعن ابن عون قال: نبت أن رجلاً دخل على محمد وهو عند أمه فقال: ما شأن محمد أيشتكى شيئاً؟ فقالوا: لا ولكنه هكذا يكون إذا كان عند أمه. الزهد لأحمد ابن حنبل. وبعض أسلافنا كان لا يأكل مع أمه يخاف أن تسبق يده إلى ما سبقت إليه عين أمه! فعن موسى بن عقبة قال: سمعت الزهري يقول: كان أبو الحسن علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهم من سادات التابعين ، وكان كثير البر بأمه حتى قيل له: إنك من أبر الناس بأمك ، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة ، فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها ، فأكون قد عققتها. البر والصلة لابن الجوزي. من لا تقضي حاجتها إلا وظهره مطية لها ويوضنها ويصرف وجهه عنها! فعن زرعة بن إبراهيم أن رجلاً جاء إلى عمر فقال إن لي أماً بلغ بها الكبر وإنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري مطية لها وأوضنها وأصرف وجهي عنها فهل أدبت حقها قال لا. قال أليس قد حملتها على ظهري وحبست نفسي عليها. فقال عمر إنها كانت تصنع ذلك بك وهي تتمنى بقاءك وأنت تتمنى فراقها. بر الوالدين لابن الجوزي.)

ألا يا زوجتي ، أنتِ	بمرضاتي لقد فزرتِ
عبدت الخالق المولى!	وبالتقوى تزينت
وتابعنت النبي ، وما	بغير الشرع جاهرت
وأحببت الصحابة ، كم	على منهم سرت!
وأثرت الحياة على	يقين ، فيه كم عشت!
بلا لاتي ، ولا غزى	ولا طغيان ، أو جبت!
وعظمت الصلاة ، لذا	على الميقات صليت
وأديت الزكاة ، لذا	بأمر الله زكيت

بمَحمتِ الشَّهرِ عن رَغْب
ونبهِتِ الأَلَمِ غَفَلوا
وسِرتِ فَمَا رَأَتْ عَينُ
لِذَا أَحْبَبْتِ طَيِّبَةَ
وَمَنْ فِي الخَيْرِ أَغْبَطَهَا
أحْبَبكِ ، أَنْتِ رَاشِدَةٌ!
أحْبَبكِ يَمَا مُعَلِّمَتِي
وَلَا أَطْرِيكِ فِي وَآلِهِ
فَلَسْتِ مَزَكِيًّا أَحَدًا
دَعَا اللهُ يَجْمَعُنَا
وَكَمَا ان القَوْلُ مُلتَبَسًا
فَأبْعَدَ رَبَّنَا السَّوَا
وَجَنَّبَنَا مَن انْحَرَفُوا
وَأَنْتِ تَرِيئِي دَوْمًا
إِذَا جَافِيَتْ فِي خَلْقِ
فَرَقِي فِي مَعَامَلَتِي
وَلَا أَلْقَاكِ ثَمَانَةَ
وَحُسْنُ الظَّنِّ مَنقَبَةٌ
وَدَارِكِ لَيْسَتْ الدُّنْيَا
وَلَا نَدْرِي نَهَائِتِنَا
فَسَبْحَانَ الَّذِي يَدْرِي

بمَحمتِ الشَّهرِ عن رَغْب
ونبهِتِ الأَلَمِ غَفَلوا
وسِرتِ فَمَا رَأَتْ عَينُ
لِذَا أَحْبَبْتِ طَيِّبَةَ
وَمَنْ فِي الخَيْرِ أَغْبَطَهَا
أحْبَبكِ ، أَنْتِ رَاشِدَةٌ!
أحْبَبكِ يَمَا مُعَلِّمَتِي
وَلَا أَطْرِيكِ فِي وَآلِهِ
فَلَسْتِ مَزَكِيًّا أَحَدًا
دَعَا اللهُ يَجْمَعُنَا
وَكَمَا ان القَوْلُ مُلتَبَسًا
فَأبْعَدَ رَبَّنَا السَّوَا
وَجَنَّبَنَا مَن انْحَرَفُوا
وَأَنْتِ تَرِيئِي دَوْمًا
إِذَا جَافِيَتْ فِي خَلْقِ
فَرَقِي فِي مَعَامَلَتِي
وَلَا أَلْقَاكِ ثَمَانَةَ
وَحُسْنُ الظَّنِّ مَنقَبَةٌ
وَدَارِكِ لَيْسَتْ الدُّنْيَا
وَلَا نَدْرِي نَهَائِتِنَا
فَسَبْحَانَ الَّذِي يَدْرِي

سلام الحبيب!

(وقبل أن ينصرم عام 2018م ، أردتُ أن أختمه بالسلام على أم أولادي أم عبد الله ، وقد سافرت مع بعض أولادها إلى دمياط وتُركتُ وحدي في دار غربتي! فرحْتُ أسلم شعراً عليها وعلى أولادنا وأحبابنا وأصدقائنا! وذلك لنلا يُقال احتفلتُ بعام 2019م على عادة الجاهليين! فكانت هذه القصيدة سلاماً على من أحب! وكأنني تأثرتُ بدالية أبي فراس الحمداني: (سلام رانح غادي على ساكنة الوادي)! ولي شرف المحاولة الذي أدندن حوله دائماً! وإلا فمن أنا كشاعر إن قارنت نفسي بأبي فراس الشاعر؟! وقصيدة أبي فراس في ديوانه لا تتجاوز الأبيات العشرة! وأعرفُ وزني وحجمي في الشعر ، وأعرفُ حجم ووزن أبي فراس وشعره!)

ســــــــــــلامٌ عــــــــــــاطرٌ شــــــــــــادي	يُــــــــــــداعِبُ أُمَّ أولادي
إــــــــــــلى (دِــــــــــــمياط) أُرْســــــــــــلُهُ	لــــــــــــدِلتِ النِّــــــــــــيلَ والــــــــــــوادي
أَحْيــــــــــــي مِــــــــــــن قِــــــــــــرابتِنا	جَمِــــــــــــعَ لَطِــــــــــــيفِ أَفــــــــــــراد
مَــــــــــــن اشــــــــــــتاقوا لرويتنا	وَمَــــــــــــن هَمَّ خِــــــــــــرُ قِــــــــــــصَّاد
وَمَــــــــــــن يَــــــــــــتَطَّلَعُ وِــــــــــــونَ إــــــــــــلى	تَــــــــــــلاقِينا بِمِــــــــــــرْصَــــــــــــاد
وَمَــــــــــــن لــــــــــــكَ جِــــــــــــاءَ مَعْشَـــــــــرُهُم	بِــــــــــــإِكْرامِ وإِــــــــــــرْغَــــــــــــاد
أَحْيــــــــــــي يَــــــــــــهم ، وَأَكْبِــــــــــــرُهُم	كَمَــــــــــــا حَيَّــــــــــــيتُ أَجــــــــــــوادي
وأحِبُّ أباي الأــــــــــــلى ظُفِــــــــــــروا	بِــــــــــــأرواحِ وأكْبــــــــــــاد
وأصــــــــــــحابي الأــــــــــــلى رَحــــــــــــلوا	وَأبــــــــــــائِي وأجــــــــــــدادِي
وأخــــــــــــتِمْ عــــــــــــامِي الحــــــــــــالي	بِشِــــــــــــعرِ مُطــــــــــــربِ حــــــــــــادي
يُذَنِّبُ دِــــــــــــنُ فِــــــــــــي مِــــــــــــسْــــــــــــامِعِهِم	صَــــــــــــدىُّ يُزْري بِأَعْــــــــــــواد!
وَأَسْــــــــــــطَرُهُ عَــــــــــــلى عَــــــــــــجَلِي	أَعيــــــــــــدُ قَــــــــــــديمِ أَمْجــــــــــــادي
وَأُتْجِــــــــــــفُ مَــــــــــــن أَتِــــــــــــيهُ بِهَــــــــــــا	بِتَــــــــــــرجِــــــــــــيعِ وإِنْشــــــــــــاد
وَأذْكَرُ بَعْــــــــــــضَ ما أَلْقــــــــــــى	بِبُــــــــــــرْهَــــــــــــانِ وإِشــــــــــــهاد
فَسَــــــــــــيفُ البــــــــــــينِ قَسَّــــــــــــمني	وَقَسَّــــــــــــمَ شِــــــــــــعرِي الشــــــــــــادي
إــــــــــــلى نِــــــــــــصْفِينِ قَــــــــــــد رُصِــــــــــــدا	وَلِــــــــــــم يَخْــــــــــــلُذُ لِإِغْــــــــــــمِــــــــــــاد!
فِــــــــــــي (عِجْــــــــــــمان) نِــــــــــــصْفُ فَتــــــــــــى	يُعْــــــــــــالجُ طــــــــــــولَ تِــــــــــــسْــــــــــــهاد

(ط) يَدْفَعُ سُقْمَ إِجْهِادِ
 عَذَابِ رَائِحِ غِيَادِي
 وَهَذَا غَيْرُ مُعْتَادِ
 وَلَمْ يَلِ خَيْرَتِي هَادِي
 بَلَاءٌ وَخُزْزُهُ بِبَادِي
 غِيُونِ عَتِي حَسَّادِ
 وَتَحْقِرْهَا بَارِصَادِ
 بَتَعْمِ يَمِ وَإِفْرَادِ
 لِنَكْسَرِ شَرِّ أَصْفَادِ
 وَتَسْبِيحَاتِ عُبَّادِ
 عَلِي حُكْمِ وَإِسْعَادِ
 وَتَتَلَوِ عَذَابِ أُوْرَادِ
 بِلَا وَعِدِ وَمِيعَادِ
 فَبِإِنِ الْعَوْدِ مِيلَادِي
 بِسُوطِ فِرَاقِ السَّادِي
 كَعَنْتِ رَةَ بِنِ شَدَادِ!
 بَعَزَمِ الصَّائِلِ الْعَادِي
 تَضْرِبُ بِشَرِّ أَضْدَادِ
 تَحْنُنُ لَزُورِ غُوَادِ
 وَ(عَزَّة) أُمَّ أَوْلَادِي
 وَأَلْهَمِهَا الْهُدَى الْهَادِي

وَنَصَفَتْ بِنَاتِ فَي (دَمِيَا
 هَذَا قَلْبُ يُصَارِعُهُ
 وَفِي (دَمِيَا) مُهَجَّتُهُ
 وَإِنِّي احْتَرْتُ بَيْنَهُمَا
 يَمِينَ اللَّهِ سَابِلِنِي
 هَذَا رُوحٌ تُجْنِدُهَا
 فَلَا تَنْفِكُ تَرْمُقُهَا
 وَأَسْأَلُكَ الدُّعَاءَ لِنَا
 وَالْحِمَاةَ وَتَسْرِيَةَ
 وَلَا تَنْسَى مَوَدَّتِنَا
 وَذِكْرَنَا كَمَا يَجْمَعُنَا
 تَمْرُ الْذِكْرِيَّاتِ بِنَا
 تَحِيَّاتِي لِمَنْ رَحِمْتِ
 أَلَا غُودِي لَضِيغَتِنَا
 لِأَنَّ الشَّوْقَ أَلْهَبُنَا
 فَمَا بِي قِيَّةٌ كَفْتِي
 لِأَقْهَرِ مَا أَكَابُنَا
 أَنْسَا قَلْبٌ وَعَاطِفَةٌ
 إِذَا التَّاعَبْتِ مَشَاعِرُهَا
 وَ(عَزَّة) عَتِيَّةٌ وَجَمِيَّةٌ
 شَفَاهَا اللَّهُ خَالِقُهَا

عزة الخير (عشريات وجدانية)

(المقدمة)

(ابتليت أم عبد الله بأوجاع شتى وأمراض عديدة ، شفاها الله وعافاها! فتوسلت إلى الله بهذه الأدعية الشعرية داعياً الله الشافي المعافي أن يشفيها ويعافئها! يقول أحد السلف: "ما أصابتنى مُصيبة إلا حمدتُ الله عليها لأربع: أن لم يجعلها في ديني ، وأن رزقتي الصبر عليها ، وأن لم يجعلها أكبر منها ، وأن رزقتي الاسترجاع عندها". وإذن فليس للمرض إلا الأخذ بالأسباب والتداوي والعلاج ، ثم الاحتساب والصبر والمصابرة! قال عمر - رضي الله عنه: «وجدنا خيرَ عيشنا بالصبر» ، وقال علي «رضي الله عنه»: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس ، بار الجسد» ، ثم رفع صوته فقال: «ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له» ، وقال: «والصبر مطية لا تكبو». وقال الحسن: «الصبر كنز من كنوز الخير ، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده». وعن يونس بن محمد المكي قال: زرع رجل من أهل الطائف زرعاً فلما بلغ أصابته آفة فاحترق ، فدخلنا عليه لننسله فيه فبكى ، وقال: وما عليه أبكي ، ولكني سمعت الله تعالى يقول: {كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ} ، فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة فذلك الذي أبكاني. وذكر سلمان الفارسي أن رجلاً بسط له في الدنيا ، فانتزع ما في يده فجعل يحمد الله عز وجل ويثني عليه ، حتى لم يكن له فراش إلا بوري ، فجعل يحمد الله ويثني عليه ويسط للآخر في الدنيا ، فقال لصاحب البوري ، أرأيتك أنت علام تحمد الله عز وجل؟ قال: أحمد الله على ما لو أعطيت به ما أعطي الخلق لم أعطهم إياه ، قال: وما ذاك؟ قال: أرأيت بصرك؟ أرأيت لسانك؟ أرأيت يدك؟ أرأيت رجلك؟!)

شَفَاكُمْ اللهُ مَوْلَانَا وَمَوْلَاكُمْ	وخَفَّفَ اللهُ بِلْوَانِنَا وَبِلْوَاكُمْ
فَصَدَّقُوا دَعْوَتِي: أَجْرٌ وَعَافِيَةٌ	وصَابِرُوا وَاصْبِرُوا تُغْفَرُ خَطَايَاكُمْ
هَذَا ابْتِلَاءٌ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا	فَأَصْلِحُوا كُلَّ مَا تَحْوِي نَوَايَاكُمْ
وعند رب الورى بلاءه احتسبوا	فكم مرضتم ، ورب الناس عفاكم!
وكم شكوتم من الأوجاع أصعبها!	وخالقُ الناس كم لبى شكواكم!
وكم تحمّلتم الأسقام ما رحمت	ضعفاً ، ورب الورى بالصبر قواكم!
وكم صبرتم على مرّ القضا زماً	ومحص الله - بالتصبير - تقواكم!
فيم التوجع والمولى بكم رؤف؟	هذا التوجع يضمنينا ، فرحماكم!
آهاتكم تجتني أفراح عيشتنا	ونسأل الله أن تزول شجواكم!
جَهْرًا دَعَوْنَا ، وَفِي الْإِسْرَارِ فَرَعْتْنَا	لقائل: سرركم عندي ونجواكم!

(الخاطرة الأولى)

(لا بأس يا أم عبد الله فلقد جعل الله المرض كفارة للذنوب والخطايا! فعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: {ما يُصِيب المسلم من نصب ، ولا وَصَب ، ولا هَم ، ولا حَزَن ، ولا أذى ، ولا غَم ، حتى الشوكة يُشَاكُّهَا إلا كفر الله بها من خطاياها}. [متفق عليه] واللفظ للبخاري. والنصب: التعب. والوصب: المرض. ولقد مرض كعب فعاده رهط من أهل دمشق فقالوا: كيف تجدك يا أبا إسحاق؟ قال: بخير ، جسدٌ أخذ بذنبه ، إن شاء ربه عذبه ، وإن شاء رحمه ، وإن بعثه بعثه خلقاً جديداً ، لا ذنب له. وعاد رجل من المهاجرين مريضاً فقال له: إن للمريض أربعاً: يرفع عنه القلم ، ويكتب له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته ، ويتبع المرض كل خطيئة من مفصل من مفاصله فيستخرجها ، فإن عاش عاش مغفوراً له وإن مات مات مغفوراً له ، فقال المريض: اللهم لا أزال مُضطجعاً. وعن أنس قال: كان لأبي طلحة ابن من أم سليم ، فمات ، فقالت لأهلها: لا تُخبروا أبا طلحة بابنه ، حتى أكون أنا أحدثه ؛ قال: فجاء ، فقربت إليه عشاءه وشرابه ، فأكل وشرب ، قال: ثم تصنعت له ، أحسن ما كانت تصنع له قبل ذلك ؛ فلما شبع وروي وقع بها ؛ فلما عرفت أنه قد شبع وروى وقضى حاجته منها ؛ قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن أهل بيت أعاروا عاريتهم أهل بيت آخرين فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يحبسوا عاريتهم؟ قال: لا! قالت: فاحتسب ابنك! قال: فغضب ثم قال: تركتني حتى تلطخت بما تلطخت به ، ثم تحدثني بموت ابني؟ فانطلق إلى رسول الله - عليه السلام - فقال: يا نبي الله ، ألم تر إلى أم سليم ، صنعت كذا وكذا؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما» ، قال: فتلقيت تلك الليلة فحملت بعبد الله ابن أبي طلحة. حلية الأولياء. أقول لأم عبد الله: أزعجنا الخبر ، وندعو لك بالشفاء! فاللهم يا عظيم يا ذا العرش العظيم اشف أمك عزة!)

يا عزة الخير عاتٍ ذلك النبأ	والمشتكى - لمليك الناس - واللجأ
ومؤذ سمعناه ، والقلوب لأعجاة	وبالنفوس أسى يبدو ، ويختبئ!
وبالعيون ذموع لا يكفّفها	تجادنتقي به ، ونذري!
وبالخواطر أحزان تجنّدها	والصبر - من ثقل الأواء - يهترئ
وعزمتي وهنت ، وليس يصقلها	جدّي ، وقد غالها الوسواس والصدأ
تجادبثني هموم لا حدود لها	يا ليت شعري فهل تطوى وتجزئ؟
إنالما أنت فيه اليوم في شجن	عسى سراياً وزيفاً ذلك النبأ
نهفو إلى خبر يُعيد فرحتنا	فلا يُزلزلنا طيش ، ولا خطأ
(بلقيس) أنت ، وهذا البيت مملكة!	وكم تحنّ إلى بلقيسها (سبأ)!
شفا المليك لهذا البيت (عزته)!	إننا - إليك إله الخلق - نلتجئ

(الخاطرة الثانية)

(يا أم عبد الله المسألة مسألة ابتلاء واختبار ، وإذن فلا بد إذن من الصبر والتصبر! قال عمر - رضي الله عنه -: «أفضل عيش أدركناه بالصبر ، ولو أن الصبر كان من الرجال لكان كريماً». وقال عمر بن عبد العزيز «رحمه الله»: «ما أنعم الله على عبدٍ نعمة ، فانتزعها منه ، فعوضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه». وقال علي بن الحسن: كان رجل قد ذهب نصفه الأسفل لم يبق منه إلا روحه في بعض جسده ، ضريزٌ على سريرٍ مثقوب ، فدخل عليه داخلٌ فقال له: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ قال: ملك الدنيا منقطع إلى الله عز وجل ، ما لي إليه من حاجة ، إلا أن يتوفاني على الإسلام. عن زهير الباني قال: مات ابنٌ لمُطَرَّف بن عبد الله بن الشخير ، فخرج على الحي - قد رجل جُمته (أي مشط شعره) ، ولبس خُلته - فقيل له: ما نرضى منك بهذا ، وقد مات ابنك ؛ فقال: أتأمرونني أن أستكين للمصيبة؟ فوالله لو أن الدنيا وما فيها لي ، فأخذها الله مني ، ووعدني عليها شربة ماء غداً ، ما رأيتها لتلك الشربة أهلاً ؛ فكيف: بالصلوات ، والهدى ، والرحمة. حلية الأولياء (2 / 199). وعن يونس بن يزيد قال: سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن: ما منتهى الصبر؟ قال: أن يكون يومَ تصيبه المصيبة ، مثله قبل أن تصيبه. حلية الأولياء (3 / 261 - 262). وعن سفيان الثوري قال: أتدرون ما تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله؟ يقول: لا يعطي أحد ، إلا ما أعطيت ؛ ولا يقي أحد ، إلا ما وقيت. حلية الأولياء (7 / 140). وعن سفيان بن عيينة قال: قيل لبعض الحكماء: ما الصبر؟ قال: الذي يكون في الحال ، الذي إذا نزل به ما يكره: صبر ؛ وكان مثل حاله الأول: إذا لم يكن أصابه البلاء. حلية الأولياء (7 / 280). وهنا نتذكر عزة أم عبد الله صاحبة حلقات العلم والذكر!

يا عزة الخير عز العلم والأدب!
قد كنت فينا لهذي المصطفى سبباً
والأنس عز ، وعز السعد والطرب!
فكم أقمت لنا للعلم من جلق
وبالفراق وهى الوصال والسبب
وكم دعوت إلى الخير الألى انصرفوا
تسُرُّ طالبه ، حتى خبا الطلب!
وسورة الكهف في الجمعات ما تليت
وجرهم للشورور اللهو واللعب!
وظاننا الجهل والتقصير أجمعنا
أما الأحاديث عنها الكل قد رغبوا
كنت السراج إذا ما خيمت ظلم
أبئس بجمع - إلى الأهواء - ينقلب!
كنت الأمان لنا في شر مغترب
ولم تحل بيننا ونورك الحجب
والمغتررب
والأنس كنت إذا ما استوحشت همم!
عساك أدركت ما نحياه من كُرب!
ومذ رحلت رأيت الجمع ينتحب
عسى تفارقنا الأثاث والكُرب!

(الخاطرة الثالثة)

(عزى ابنُ السَّمَاكِ رجلاً فقال: إن المصيبة واحدة: إن جزع أهلها أو صبروا! والمصيبة بالأجر ، أعظم من المصيبة بالموت. حلية الأولياء(8 / 209). وعن ميمون بن مهران قال: ما نال رجلٌ من جسيم الخير ، نبي ، ولا غيره: إلا بالصبر. حلية الأولياء(4 / 90). وعن ابن ذر - أبو ذر عمر بن ذر - قال: من أجمع على الصبر في الأمور ، فقد حوى الخير ؛ والتمس معاقل البر ، وكمال الأجر. حلية الأولياء(5 / 111). وعن سفيان الثوري قال: ثلاثة من الصبر: لا تُحَدِّث بمصيبتك ، ولا بوجعك ، ولا تُزكِّ نفسك. حلية الأولياء(6 / 389). وعن أبي سليمان الداراني قال: ثلاثة من أعلام الصبر: التبعاد عن الخلطاء في الشدة ؛ والسكون إليه مع تجرُّع غصص البلية ؛ وإظهار الغنى مع حلول الفقر ، بساحة المعيشة. حلية الأولياء (9 / 362). وعن عمر بن عبد العزيز قال: الرضا قليل ، والصبر معولُ المؤمن. حلية الأولياء (5 / 342). وعن صالح المري قال: لو كان الصبر حلواً ، ما قال الله عز وجل لنبيه: اصبر ؛ ولكن قال له: اصبر فإن الصبر مُر. حلية الأولياء (6 / 171). وعن عبد الواحد بن زيد قال: من نوى الصبر على طاعة الله: صبره الله عليه وقواه لها ؛ ومن نوى الصبر عن معاصي الله: أعانه الله على ذلك ، وعصمه منها. حلية الأولياء (6 / 163). وعن سفيان الثوري قال: إنما الأجر على قدر الصبر. وعن سفيان بن عيينة قال: لم يعط العباد أفضل من الصبر ، به دخلوا الجنة. حلية الأولياء (7 / 305). وعن إبراهيم بن سعد قال: سمع علي بن الحسين ناعية في بيته وعنده جماعة ؛ فنهض إلى منزله ثم رجع إلى مجلسه فقيل له: أمن حدث كانت الناعية؟ قال: نعم ؛ فعزوه وتعجبوا من صبره. فقال: إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب ونحمده فيما نكره. حلية الأولياء. وهنا قطعنا أم عبد الله ، فانقطعت أخبارها عنا زمناً!)

يا عزة الخير إنني لستُ أفتتُ
وليس - في كل ما نظمته - نكتُ
فيم انقطاعك عن وصل يمتعنا؟
فهل يسُرُّك أحبابٌ إذا انكبتوا؟
أما تفكرت في أحوال (فاطمة)
يكاد يقتلها - في الغربية - العنت؟
أما تساءلت هل في عيشها انتظمت؟
وهل - إلى كل ما نوصيه - تلتفت؟
أما تساءلت عن أبنائك احتملوا
مُرَّ افتراقك؟ أم لطيفك التفتوا؟
أما تساءلت هل ناوي لمصلحة؟
أم نحن نحو الهوى والهزل ننفلت؟
أما تساءلت من يزور ضيعتنا
ويحتفي بأناس بالجوى كُبتوا؟
لم يأت آت يسألهم ويضحكهم
حتى تناسوا صوى الكرام إذ سكتوا
في غربة سلبت فحوى سعادتهم
فعانينوا كُنْهها ، لذاك قد بهتوا
فعللهم بوصل يطربون له
ويُفحِّمون الذي عليك يفتتت

(الخاطرة الرابعة)

(عن علي بن الحسين قال: إذا كان يوم القيامة ، ينادى مناد: أين أهل الصبر؟ فيقوم ناس من الناس ، فيقال: على ما صبرتم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله ، وصبرنا عن معصية الله عز وجل ؛ فيقال: صدقتم ، أدخلوا الجنة. حلية الأولياء(3/ 138 - 139). ولقد نظر إبراهيم بن أدهم إلى رجل: قد أصيب بمال ، ومتاح ، ووقع الحريق في دكانه ؛ فاشتد جزعه ، حتى خولط في عقله ؛ فقال: يا عبد الله ، إن المال مال الله ، متعك به إذ شاء ، وأخذته منك إذ شاء ؛ فاصبر لأمره ، ولا تجزع ، فإن من تمام شكر الله على العافية: الصبر له على البلية ؛ ومن قدم: وجد ، ومن آخر: فقد ندم. حلية الأولياء(8/ 32 - 33). وعن وهب بن منبه قال: أتى رجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحوم الخنازير ، فلما أتى به ، استعظم الناس مكانه ، وساءهم أمره ؛ فقال له صاحب شرطة الملك: انتني بجدي نذبحه ، مما يحل لك أكله ، فأعطينيه ، فإن الملك إذا دعا بلحم الخنزير ، أتيتك به ، فكله ؛ فذبح جدياً ، فأعطاه إياه ، ثم أتى به الملك ، فدعا له بلحم الخنزير ، فأتى صاحب الشرط باللحم الذي كان أعطاه إياه - وهو: لحم الجدي - فأمره الملك أن يأكله ، فأبى! فجعل صاحب الشرطة يغمز إليه غمزاً ، ويأمره بأكله ، ويريه: أنه اللحم الذي دفعه إليه ؛ فأبى أن يأكله ، فأمر الملك صاحب شرطته أن يقتله ، فلما ذهب به ؛ قال: ما منعك أن تأكل ، وهو اللحم الذي دفعت إلي؟ أظننت أنني أتيتك بغيره؟ قال: قد علمت أنه هو ، ولكن: خفت أن يقتاس بي الناس ؛ فكل من أراده على أكل لحم الخنزير ، قال: قد أكله فلان ، فيقتاسُ بي ، فأكون فتنة لهم ؛ فقتل. حلية الأولياء(4/ 55 - 56). والقصد من هذا أنه لا بد من الفتنة والابتلاء! والحياة بعدك يا أم عبد الله ملل لا يطاق!)

يا عزة الخير غالى دربك الوعث
والشوق أوقد - في القلوب - جذوته
كل يرى فيك أمالاً يتوق لها
وكم تُعرقلنا الأحداثُ جارية!
يا ليت شعري إذا عيناك أبصرتنا
أين الأمومة - بالتحنان - تغمرنا
أين الأمومة تُهدي الطفل فرحتهم
أين الأمومة لم نشهد لها أثراً؟
أين الأمومة بالألطف تشمنا
والناس - من حولنا - لا يأنسون بنا
ولم يعد بنوى الأحاباب يكثرث
والوجد أمسى من الضرام ينبعث
ولو تحقق - من مجموعها - الثالث
وكل يوم له - في دارنا - حدث
عيشاً يُصارغُه الملال والعبث!
وبيتنا دونها كأنه الجَدث!
إن زایلوا البيت ، أو في أمه مكثوا؟
أين الأمومة فيها الخير يبتعث؟
تضمُّ طفلاً - إلى ونامها - لهثوا؟
هُم كالحبائث ، تسعى حولها خُبث!

(الخاطرة الخامسة)

(وعن إبراهيم بن مته السمرقندي قال: سألت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن عن أحمد بن حنبل ؛ قلت: هو إمام؟ قال: إي والله ، وكما يكون الإمام ؛ إن أحمد: أخذ بقلوب الناس ، إن أحمد: صبر على الفقر سبعين سنة. حلية الأولياء(9 / 176). ولما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، وسهل بن عبد العزيز ، ومزاحم مولى عمر - في أيام متتابعة - دخل الربيع بن سبرة عليه ؛ وقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين ، فما رأيت أحداً ، أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة ؛ والله ، ما رأيت مثل ابنك ابناً ، ولا مثل أخيك أخاً ، ولا مثل مولاك مولى قط ؛ فطأ عمر رأسه ، فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت عليه ، قال: ثم رفع رأسه ، فقال: كيف قلت الآن يا ربيع؟ فأعدت عليه ما قلت أولاً ، قال: لا والذي قضى عليه - أو قال: عليهم - بالموت: ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن. حلية الأولياء (5 / 330). وعن محمد بن عمرو قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب ، قال: ما أنعم الله على عبد نعمة ، ثم انتزعها منه ، فعاذه مما انتزع منه الصبر ؛ إلا كان ما عاذه خيراً مما انتزع منه ؛ ثم قرأ هذه الآية: { إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } . حلية الأولياء (5 / 298). وعن أحمد بن محمد التستري قال: ذكروا: أنه مر عليه - يعني: أحمد بن حنبل - ثلاثة أيام ، ما كان طعم فيها ؛ فبعث إلى صديق له ، فاستقرض شيئاً من الدقيق ، فعرفوا في البيت شدة حاجته إلى الطعام ؛ فخبزوا بالعجلة ، فلما وضع بين يديه ؛ قال: كيف عملتم خبزتم بسرعة هذا؟ ؛ فقيل له: كان التنور في دار صالح ابنه مسجراً ، وخبزنا بالعجلة ؛ فقال: ارفعوا ، ولم يأكل ، فأمر بسد بابه ، إلى دار صالح. حلية الأولياء (9 / 177). فاصبري يا أم عبد الله شفاك الله وعافاك!)

يا عزة الخير شهر غبته حجج
وأهلها - في دروب الخير - ما ارتحلوا
إن غبت عنا ، ففي الوجدان صورثكم
في كل ركن نرى ذكراك ماثلة
نراك في الثوب ، ما انفكت أساوره
نراك أمرة فينا ، وناهيمة
وتسألين أناساً عندنا دخلوا
ولا تمرر أمور دون غربلة
نراك - في مطبخ - تاهت بشاشته
تناثرت فيه أطباق وأطعمة
ودارنا حل فيها التيه والدخ
وصابروا ، ريثما يأتهم الفرج
ونحن - بالسيرة العصماء - نبتهج
وللوصايا - بها - عطر له أرج
وإن علا فوقه التراب والرهج
وليست النفس - مما قلت - تعتلج
وتسألين الألى - من بيتنا - خرجوا
وإن تمحك بعض القوم ، وانزعجوا
ولم يعد - في مسمى الطبخ - يندرج
طغى عليها - به - الفساد والخمج

(الخاطرة السادسة)

(قال بشر الحافي: لا ينبغي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، إلا من يصبر على الأذى. حلية الأولياء (8 / 337). ووعنه قال: النظر إلى الأحمق سخنة عين ، والنظر إلى البخيل يُقسي القلب ، ومن لم يحتمل الغم والأذى ، لم يقدر أن يدخل فيما يحب. حلية الأولياء (8 / 350). وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: تعوّدوا الصبر ، فأوشك أن ينزل بكم البلاء ؛ أما أنه لا يصيبكم أشد مما أصابنا نحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. حلية الأولياء (1 / 283). ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ناصحاً للأمة: (قاربوا وسددوا) ، ولما نزل قول الله: (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) ، شق ذلك على المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قاربوا وسددوا ، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها). ومعنى النكبة مثل العثرة التي يعثرها برجله ، فربما جرحت أصبعه ونحو ذلك ، حتى هذه فيها كفارة من الذنوب والخطايا ، والشوكة فيها كفارة كذلك ، والخُمى فيها كفارة أيضاً. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ما لنا بها؟ قال: (كفارات) ، قال أبي بن كعب رضي الله عنه: وإن قلت؟ قال: (وإن شوكة فما فوقها). قال: فدعا أبي على نفسه أن لا يفارقه الوعك حتى يموت ، شريطة أن لا يشغله عن حج ولا عن عمرة ولا جهاد في سبيل الله ، ولا صلاة مكتوبة في جماعة. واستجاب الله دعاءه! فما مسه إنسان إلا وجد حرّه حتى مات. وهذا الحديث حسنه الدمياطي وابن حجر وغيرهما رحمهم الله تعالى. وإننا نحسن الظن بالله أن تعود أم عبد الله معافاة لا تشكو ألماً ولا وجعاً ، وأن يكون ما أصابها كفارة لها من الذنوب والخطايا!)

يا عزة الخير بُشْرِى بعدها فرح
وأن نراكِ كمثل الشمس ساطعة!
وأن نراكِ بلا سُقم ولا مرض
وأن نراكِ وقد جاوزتِ مرحلة
كم طاردتُك هنا إذ أصبحتُ شبحاً!
وأن نراكِ - على الشفاه - بسمتها
وأن نراكِ بوجهٍ ناضرٍ غردٍ
وأن نراكِ كمثل الصبح مُسفرة
وأن نراكِ بأثواب مزرکشةٍ
وأن نراكِ هنا بخير عافيةٍ
أن لا يصيبك مكرورة ولا ترخ
أما أشعتها فاليسرُ والمنح
في عيشةٍ ملؤها الهناء والمرح
من الرزايا ، فنستقوي وننفتح
واليوم زال العنالمما قضى الشبح
والثغر تغمره النكات والمزح
وصدر مؤمنةٍ باليمن منشرح
نمسي على نوره الزاهي ونصطح
وفوقها حُجبٌ من فوقها وُشج!
وعيشةٍ يعتلي سَفينها الفرح

(الخاطرة السابعة)

(قال ابن كثير رحمه الله: (إن الأمراض والأسقام والآلام والمصائب والنوائب محتمات ، فلا بد منها!) ومن ابتلاه الله بالبأساء والضراء فقد رزقه عليه رزقه مثلاً فليس هذا إهانة له ، ليس تضيق الرزق ، وفقدان الوظيفة ، ونزول المرتب ، وخسارة التجارة ، إهانة من الله للعبد ، وإنما هو ابتلاء وامتحان ، فمن أطاع الله في ذلك كان سعيداً ، ومن عصاه كان شقيماً. وكذلك الأمراض والأوجاع والأسقام كلها حتمية الحدوث ولو كان فيها استثناء لكان أولى الناس بها أنبياء الله ورسله! قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره لزداد ذلك على عشرة آلاف موضع ، مع قصور أذهاننا ، ونقص عقولنا ومعارفنا ، وتلاشيها وتلاشي علوم الخلائق جميعهم في علم الله كتلاشي ضوء السراج في عين الشمس. قال عبد الملك بن أبجر رحمه الله: ما من الناس إلا مبتلى بعافية لينظر كيف شكره أو بلية لينظر كيف صبره. وكلنا يذكر دعاء أبي بن كعب رضي الله عنه على نفسه (وهو اجتهد صحابي على أي حال) ، والمأمور به شرعاً أن لا يدعو الإنسان على نفسه بالبلاء، ومن فقهه أن قال: لا يمنعني ذلك عن حج ولا عمرة ، ولا جهاد ، ولا صلاة جماعة ، فهو يريد أجر المرض ولا يريد أن يقطعه ذلك عن هذه الطاعات ، وعلى أية حال نحن أمرنا أن نسأل الله العافية ، ولم يشرع لنا أن نأمر الله بأن يوقع بنا البلاء والمرض ، وهذا فعله صلى الله عليه وسلم. فلقد قال مطرف بن عبد الله رحمه الله: لأن أعافى فأشكر أحب إليّ من أن أبتلى فأصبر. والنبي عليه السلام قال: (سلوا الله العافية). والشاهد من الحديث السابق أن الأمراض كفارات. وقال قيس بن عباد: ساعات الوجد يذهبن ساعات الخطايا. فطهوراً يا عزة!)

يا عزة الخير أبنائي هنا اصطرخوا
فقلت: كلا ، فإن القول متزن
وما تجاوزت في حق التي رحلت
فعفوني بألفاظٍ تفيض جفا
كأنني لست - في هذا الجدل - أباً
ماذا فعلت لكي يُزرروا بمغضبتي؟
عليك أعتب أن أهملت نصحتهم
قولي: أبوكم له - شرعاً - مكانته
وعقد إمرته لا شيء يفسخه
ما زال يدأب - في الدنيا - لرفعتكم
أنني جهرت بقول شابه الوسخ
ونصه بسلام الله مرتسخ
وقبل كوني حليلاً ، إنني لأخ
وفي سعي خلافتي لقد نفخوا
إذ بعضهم هزئوا وبعضهم صرخوا
سُقيا لأبناء - من أبوتي - انسلخوا!
إن الجميع إذا ناصحتهم رضخوا
ولا يجوز بأن تلوا ، وتصطرخوا
من هؤلاء الألى - لعقده - فسخوا؟
أنتم شباب ، وهذا جيله شيوخ!

(الخاطرة الثامنة)

قال عبد الرحمن بن سعيد عن أبيه: كنتُ مع سلمان رضي الله عنه وعاد مريضاً ، فلما دخل عليه قال: أبشر فإن مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتباً ، وإن مرض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عقل ولم أرسل. أخرج البخاري في الأدب المفرد. والمنجد يرى أن معنى أن يكون المرض مستعتباً للمؤمن أي: أن يكون سبباً في محاسبة نفسه ورجوعه عن الإساءة ، ويقظته من غفلته بخلاف الفاجر والكافر ، فإن مرضه لا ينفعه ، وهو لا يزال مُصِراً على المعصية ، ولذلك هو كالبعير الذي أمسكه وربطه أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم أمسك ولم أرسل ، الكافر إذا مرض لا يدري لماذا مرض وما هي الحكمة من المرض ولا يحتسب أجراً ولا يرجع إلى الله. قال ابن القيم رحمه الله: إن انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمر لا يحس به إلا من فيه حياة ، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها ، ولولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلوب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وأجلاً ، فمن رحمة أرحم الراحمين ، أن يتفقد عبده في بعض الأحيان بأنواع من الوصايا تكون حمية له من هذه الأمراض الخطيرة ، وحفظاً لصحة عبوديته واستفراغاً لهذه الأدواء الفاسدة الرديئة ، فسبحان من يرحم ببلانه ، ويبتلي بنعمانه. قال يزيد بن ميسرة: إن العبد ليمرض وما له عند الله من عمل خير ، فيذكره الله سبحانه بعض ما سلف من الخطايا ، فيخرج من عينه مثل رأس الذباب من الدمع من خشية الله ، فيبعثه الله إن يبعثه مطهراً ، أو يقبضه إن قبضه مطهراً ، ولذلك فإن هذه الأمراض في الحقيقة نعمة من الله. فعسى الله يا أم عبد الله أن تخرجي منها ، وليس عليك خطيئة ولا ذنب!

يا عزة الخير أذاني الألى انتقدوا
وبالنقائض والمثالب انفردوا
يقول قائلهم إذ ساق أسئلة
قوامها الحق والتشويه والحسد
يقول: هل تدعي جهراً محبتها؟
أجب ، ويسمعك المهيمن الصمد!
وهل تُقدر مجهوداً تقوم به؟
كي يسعد الزوج في الحياة والولد
وهل تريد لها دوام عشرتها
زوجاً تحبك يُقري عيشها الرغد؟
أم أنت تكرهها ، ولا تُكين لها
حباً به تذهب الأوجاع والعقد؟
كي يستريح الألى لاموك ، وانتقدوا
لا غرو قلبها لنا ، بلا مواربة
إن شئت أجمتهم بقول: أكرهها
إن كنت تأمل أن ينأوا ، ويبتعدوا
قلها ، وأجرك موفور ومُدخر
إن الشهد - عليك - الواحد الأحد
فقلت: فلتسألوها عن علاقتنا
إذ ليس ينقصها عقل ، ولا رشد!

(الخاطرة التاسعة)

(إن ابتلاء الله للعبد المؤمن وللأمة المؤمنة صارف له ولها عن الزهو والخيلاء والغرور! قال ابن القيم رحمه الله: (لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً أو آجلاً! وبالمرض تتم معرفة العبد ذله وحاجته وفقره وافتقاره إلى الله تعالى ، فأهل السماوات والأرض محتاجون إليه سبحانه ، فهم الفقراء إليه ، وهو الغني عنهم جميعاً سبحانه ، ولولا أن سلط على العبد هذه الأمراض وتلك البلايا لنسي نفسه ونسي خالقه! قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (مصيبة تقبل بها على الله خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله). ومن هنا تأتي صحة الأثر: رُب طاعةٍ أورشَتْ كِبَراً ، ورُب معصيةٍ أورشَتْ ذِلاً وانكساراً! ونحن نقول: رُب نعمةٍ وصحةٍ ونعيمٍ وسعةٍ أورشَتْ عُجبا وزهواً ، ورُب نعمةٍ ومرضٍ وحرمانٍ وضيقٍ أورشَتْ انكساراً لله وتذلاً له سبحانه! وعن أبي مسعود قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: {ما من مسلم يُصيبه أذى من مرضٍ فما سواه إلا حطَّ الله به من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها}. [متفق عليه]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: {ما من مصيبةٍ تصيبُ المسلم إلا كفرَ الله بها عنه ، حتى الشوكة يُشاكُّها}. [متفق عليه]. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: لما نزلت: (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {قاربوا وسددوا ، ففي ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة يُنكبُّها ، أو الشوكة يُشاكُّها}. [رواه مسلم]. وأسأل هل هنتُ عليك لهذه القطيعة ، وهنتُ على أبنائك لهذه المواقظة؟! والأصل هو الثبات على الحق مهما حيكت المؤامرات!)

يا عزة الخير أين النصرُ والنقذُ
من جوقةٍ قلبوا القرار ، واتخذوا؟
عليك هنتُ ، وهانتُ سُمعتي تبعاً
وصرتُ نهياً لمن عابوا ومن نبذوا!
لم يُحسنوا الظن في الأقوال بُحتُ بها
بل أولوا القول والأسياف قد شحذوا
شتان بيني وبين السارقين غدي!
لا يستوي الليثُ في الميزان والجُرذُ
قولي الحقيقة ، لا تخشي تطاولهم
إني أحبُّك ، والأحوال تشهدُ لي
ولا تخافي من الحذر الذي أخذوا
إني أحبُّك ، والماضي يُسجلها
مهما تطاول من مشاعري جَبذوا
إني أحبُّك ، مهما قيل يكرهها
حقيقة لم تعد تُطوى وتنتبذ!
وإن دهاني الشقا والخذل والعوذُ
إني أحبُّك ، مهما شككتُ فئدة
مما افترثه سيأتي الفوز والنقذُ
وسائلي كل من أنجبت من ولدٍ
لقد يخصُّك – بالحقيقة – الفلذ!

(الخاطرة العاشرة)

(عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على أم السائب فقال: {مالك يا أم السائب تُزفزين؟} ، قالت: الحمى لا بارك الله فيها. فقال: {لا تسبني الحمى ، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكبر خبث الحديد}. [مسلم]. ومعنى تُزفزين: ترتعدين. وعن أم العلاء رضي الله عنها قالت: عادني رسول الله وأنا مريضة فقال: {أبشري يا أم العلاء ، فإن مرض المسلم يذهب الله به الخطايا ، كما تذهب النار خبث الذهب والفضة}. [أبو داود وحسنه المنذري]. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله ، حتى يلقي الله وما عليه خطيئة}. [الترمذي وقال: حسن صحيح]. وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله عليه وسلم: {ما يبرح البلاء بالعبء حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة}. [الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: {ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ، ومحيت عنه بها خطيئة}. [مسلم]. وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: {صداع المؤمن ، أو شوكة يشاكها ، أو شيء يؤذيه ، يرفعه الله بها يوم القيامة درجة ، ويكفر عنه ذنوبه}. [رواه ابن أبي الدنيا ورواه ثقات]. وقال النبي عليه السلام: (من يرد الله به خيراً يصب منه). رواه البخاري. والحقيقة أنني أحببت في أم عبد الله خصائص وشيماً وردت في هذه الخاطرة الشعرية ولا أكرر! وميزة لم ترد هي الصبر على الشدائد والمحن والآلام! وأشهد الله أنها أصبر مني وأقوى! فأرجو الاحتساب لنيل الأجر!

يا عزة الخير أهل العذل قد مكروا
فأدريني على إخماد فتنهم
ويشهد الله أنني في محبتكم
أحبُّ فيك التزاماً صادقاً وتقياً
أحبُّ فيك رداءً سابقاً تقياً
أحبُّ فيك خشوعاً لا يضارعه
أحبُّ فيك قناعاتٍ يُدعمها
أحبُّ فيك ذكاءً ليس ينقصه
أحبُّ فيك عفافَ النفس تصحبه
أحبُّ فيك تدابيرَ الأمور إذا
وأنت أعلم بالعيد الذي نذروا
فلا يكون الذي عليه كم سهروا!
دوماً أضحى ، أنا إليك مفتقر!
ودمع عين همى يراه مقتدر!
من فوقه وضعت وفق الهدى خمر!
خشوع قوم بما هم فرطوا اعتبروا
نور من الوحي في طياته العبر
فراصة ليس تبقى الحَدَس ، أو تذر
شرافة قد قلاها اللوم والدبر!
ما احلوكت ظلم ، أو داهم الخطر!

(الخاطرة الحادية عشرة)

(قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط). رواه الترمذي. وعن محمد بن خالد عن أبيه عن جده وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سمعت رسول الله يقول: (إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة ، فلم يبلغها بعمل ، ابتلاه الله في جسده أو ماله أو في ولده ، ثم صبر على ذلك ، حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل). رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبراني. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن إن أصابته سرآءٌ شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراءٌ صبر فكان خيراً له). رواه مسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الرياح تُفنيه ، ولا يزال المؤمن يُصيبه بلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز ، لا تهتز حتى تُستحصد). رواه ومسلم. الأرز هي شجرة السنوبر ، وقيل شجرة السنوبر الذكر خاصة وقيل شجرة العرعر. وعن عطاء بن أبي رباح - رضي الله عنه - قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: (ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء! أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع وإني أتكشف ، فادع الله تعالى لي! قال: إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوتُ الله تعالى أن يعافيك! فقالت: أصبر! فقالت: إني أتكشف ، فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها). رواه البخاري ومسلم. وأذكر أم عبد الله بأيام شعري الخوالي! وقد كانت أول من يسمع لأي قصيدة أكتبها! وتُدلي بدلوها في النقد والتعديل والحذف والإضافة! لكنها هذه الأيام ، بل ومنذ فترة ليست بالقصيرة ، لا تأخذ أمر الشعر على الجادة! فهل صرفتها عن الشعر والشاعر زحمة حياة ، أو انشغال بمرض ، أو غربة أو سفر! على كل حال لم يكن شيء من ذلك صارفي عن الكتابة والتأليف ، فلم انشغلتُ هي عن القراءة والنقد؟)

يا عزة الخير عز الشعر والرجز
وأنت أغلى من القريض أنظمه
أنت الحياة ، وإن أزمعت راحلة
والشعر أنت بما يحويه من صور
هل تذكرين عقود الشعر أربعة
أصغي إلى نقدك الدقيق في شغف
فكم أشرت برأي طاب رونقه!
وبات عندك الماء وتجربة
وما اشتكيت طويل الشعر ، أو هزجاً
وما مللت من الأشعار أنشدتها
ونازعتني ذكائي الآه واللغز
وإن أكن في بغيض الوقت أرتجز
والعيش يسقم إن أودى به العز
فإن عييت فماذا تحمل الصور؟!
وعبرها كنت - في رؤياك - أرتجز!
فهذه فرصٌ تُسبى وتنتهز
وصائب الرأي يُسبى ثم يُكتنز!
شأن العماليق - في أشعارنا - برزوا
ولا اشتكى منك كامله ولا الرجز!
ولم يمألك صدرٌ فيه أو عجز!

(الخاطرة الثانية عشرة)

(عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت: (يا رسول الله إنك توعك وبعكاً شديداً. قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجالن منكم. قلت: ذلك أن لك أجريين. قال: أجل ، ذلك كذلك ، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها). رواه البخاري ومسلم. الوعك: مغث الحمى وقيل الحمى. وعن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال: (اتقي الله واصبري. فقالت: إليك عني ، فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه. فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم! فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك. فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى). رواه البخاري ومسلم. وعن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنهما ، أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده ، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: ما يكن من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يُعفه الله ، ومن يستغن يُغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر). رواه البخاري ومسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين فقال: انظروا ما يقول لعوداه! فإن هو إذا جاؤوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول: لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة ، وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ، وأن أكفر عنه سيئاته). رواه مالك وابن أبي الدنيا. فلا تقولي يا أم عبد الله لغوادك إلا كل خيراً! لأنك إن فعلت غير ذلك تكونين قد شكوت الرحيم الذي يملك شفاءك ، إلى الذي لا يرحم ولا يملك شفاءك! والحقيقة أن أقول لأم عبد الله إن فراقك ومرضك قد عطلا حلقات دروس العلم! أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك! وتعودين إلى حلقات العلم والشعر!)

يا عزة الخير شعري اليوم مُبتسئُ
وَأنتِ أهملتِ ما أنشدتِ عامدة
إذ جُل ما قلتِ في القِرطاسِ مُحْتبسُ
فصرتِ نقادِي الأَفْذادِ أَلتمسُ
أني لأَسألُ مَنْ تُصغِي لمَسألتي
أراكِ أنسيتِهِ ، مثلَ الذينِ نسوا!
أين انتقاداتُك للأشعارِ أكتبُها؟
وأين عقلُ حصيفٍ نابةٍ مَرس؟
أين اصطفائكِ للأبياتِ في مَلا
تلقى فتُطربُ مَنْ يهوى وَيأتس؟
لذا وَعَيتِ مِنَ الأشعارِ أَعذِبها
ولم يكنْ جَرَسُها عَلَيْكَ يَلتبسُ
وكنْتِ باهيتِ بالأشعارِ مَنْ جهلوا
قُدري ، وقلتِ قصيدُ زوجي القبس!
وكنْتِ عوناً بما تُبدينِ مِنْ زَبَدِ
في ظلها تُبتنِي في شِعري الأَسسُ
وكنْتِ ناصحةً تُزجِي ناصيحتَها
فبوركَ النصْحُ والإرشادُ والنفس!
أنا المَدينُ بأبياتِ بأكملها
ولا أراها مدى الأيامِ تَندرس!

(الخاطرة الثالثة عشرة)

(قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرصت بالمقاريض). رواه الترمذي وابن أبي الدنيا. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً). رواه البخاري. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعطني! قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟) رواه مسلم. وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون! اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها ، إلا أجره الله تعالى في مصيبتة وأخلف له خيراً منها. قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم! فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله صلى الله عليه وسلم). رواه مسلم. إن الدنيا دار بلاء وأمراض ، وهي على كل حال ظلّ زائلٌ ومتاعٌ مُنته! وما من إنسان في هذه الدنيا إلا ولا بد أن يواجه فيها مرضاً وعافية ، وسروراً وغماً ، وفرحاً وترحاً ، وسعداً وحزناً ، وسراءً وضراءً ، ونسأل فنقول: كل هذا من الابتلاء بالخير والشر لماذا؟ والجواب قوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) ، وقوله: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) ، وقوله: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا). يا أم عبد الله ، أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يبذلك من مرضك صحة وعافية ، ومن قلبك قلباً صحيحاً معافىً ، ومن شرابيك شرابين أخرى معافاةً ، ومن دمك دمأً صحيحاً معافىً ، ومن نفسيتك المضطربة نفسية متفائلة راضية بقضاء الله وقدره! فلتسعدى بغفران الذنوب! وليسعد غوادك بسبعين ألف ملكٍ يستغفرون لهم!)

يا عزة الخير أبنائي هنا دُهِشُوا
لَمَّا جَهِرَتْ بِحَبِي انْتَابَهُمْ دَهْشٌ
صَارِحَتْهُمْ: إِنَّمَا حَبِي لَهَا قَدْرٌ
مِنَ الْمَلِيكَ بِهِ الْفَوَادُ يَنْتَعِشُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ قَلْبِي كَمَا يُكِنُّ لَهَا
مِنَ الْوَدَادِ صَفَا ، فَمَا بِهِ غَيْشٌ!
لَكِنَّمَا سُنَّةُ الْخِلَافِ بَاقِيَةٌ
وَنَحْنُ دَوْمًا عَلَى الْأَرَاءِ نَحْتَمِشُ
نَرْغِي وَنَزْبُدُ إِنْ نِيلَتْ شَرِيْعَتُنَا
كَمْ مِنْ رِعَاعٍ جَنَوْا عَلَى عِلَاقَتِنَا
مَا بَيْنَ قَوْمٍ عَلَى تَدْمِيرِنَا انْفَقُوا
وَأَخْرَيْنَ عَلَى الْعَدْوَانِ قَدْ جُبِلُوا
وَعَرَضْنَا انْتَهَكُوا ، وَلَحْمْنَا نَهَشُوا!
تَعَمَّدُوا أَنْ يَخْطُوا دَرَبَ خَيْبَتِنَا
وَأَفْكَهُمُ رَغْمَ أَنْفِ الْكَلِّ مُنْتَفِشٌ!
حَاكُوا الدَسَائِسَ فِي سِرِّ وَفِي عَلَنٍ

(الخاطرة الرابعة عشرة)

(إن كثيراً من الناس قد يواجه المرض والسقم ، ولكنه ينسى الصبر والاصطبار عليه ، وينسى ما في المرض والبلايا من فوائد جمّة في الدنيا والأخرى. ذلك أن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا وفيه نعمة ، ولولا أن الله خلق العذاب والألم لما عرف المتعمون والمترفون قدر نعمة الله عليهم. ومن النرح يولد الفرح ، ومن الضيق يولد الفرج ، ومن الهم والغم يولد السرور والحبور ، ولولا الليل لما عُرف قدرُ النهار ، ولولا المرض لما عُرف قدرُ الصحة والعافية ، وأهل الجنة يفرحون ويزداد فرحهم عندما يتفكرون في آلام أهل النار ، بل إن من نعيم الجنة رؤية أهل النار وما هم فيه من عذاب. وحوار أهل الجنة وأهل النار مسطورٌ في سورة الأعراف لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً! والمرض كما يصفه أستاذنا أمير بن محمد المدري فيه فوائد كثيرة منها: أولاً: المرض تهذيب للنفوس ودرية لها وتصفية من الشر الذي استقر فيها جرّاء الإقبال على الدنيا والتعاطي معها! قال الله تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير). فإذا أصيب العبد فلا يقلّ من أين هذا؟ ولا من أين أتى؟ فما أصيب إلا بذنبٍ (والمعنى هنا إلا بذنب ارتكبه فكلنا خطايا ، أو لرفع درجة وكف خطيئة!) فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما يُصيبُ المؤمن من وصبٍ ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يُشاكها إلا كفرَ الله بها من خطاياها). متفق عليه. وقال صلى الله عليه وسلم: (ما اختلج عرقٌ ولا عينٌ إلا بذنب ، وما يدفع الله عنه أكثر). والاختلاج هو الحركة والاضطراب ، وتعجيل العقوبة للمؤمن في الدنيا خيرٌ له من عقوبة الآخرة حتى تكفر عنه ذنوبه. وأناشد أم عبد الله أن تجتهد في الصبر والتصبر والاحتساب! وذلك لنوال الأجر الجزيل عند الله! ولتوقن أن الله أراد بها الخير! (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (والله يريد أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً) ولتحذر من أهل الدنيا وعبيدها!)

يا عزة الخير جافي كل من حرصوا
على الخلافات تأتي بعدها الغصصُ
واسـتقبلي أمركِ ، الدنيا سـتُهلِكنا
فاز الألى من حظوظ النفس قد خلصوا
أما نظرت لها تُعلي الألى سـفلوا
وأخـرين - على أعقابهم - نكصوا
أما تفرّست في قوم بها افتتوا
وكلمـا عاينوا فريسة ، قنصوا
لذا استكانوا لدنياهم وزخرفها
ولم يُصِـبهم بها ضيقٌ ولا نغص!
ولست منهم ، فإن الحرصَ مُهلكهم
والزهْدُ طابِعٌ من على الهدى حرصوا
أعيذكِ اليوم من دنيا لنا قلبت
ظهرَ المِجَنِّ ، فأضحى الحق يُختبص
فلا تبوحي لنا برخصةٍ وهنت
خذي العزائم ، ماذا تنفَع الرخص؟!
وخففي اللومَ ، إن النفس تمقّته
إن لم تحنْ لدفاع الشبهة الفرص
ومَن علمتِ بلا وزر ومعصيةٍ
وكل عبدٍ له - من الخطأ - حصص

(الخاطرة الخامسة عشرة)

(عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة). رواه الترمذي وقال حسن صحيح. وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حظ الله بها سيناته كما تحط الشجرة ورقها). رواه البخاري. ومن الناس من له ذنوب وليس له ما يكفرها فيبتليه الله بالحزن والمرض لتصفيته وتنقيته من الذنوب إن صبر واحتسب. فعن عائشة أن رسول الله طرقه وجع فجعل يشتكى ويتقلب على فراشه! فقالت له عائشة: لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الصالحين يُشَدَّد عليهم ، وإنه لا يصيب مؤمناً نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلا حُطت عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة). وثانياً: من فوائد المرض أنه يعقبه لذة وسرور في الآخرة. فإن مرارة الدنيا حلوة الآخرة ، والنعيم لا يدرك بالنعيم. وكما قال صلى الله عليه وسلم: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر). وإن الابتلاءات سنة ربانية اقتضتها حكمة الله سبحانه في هذه الدار ، لتكون داراً لامتحان في الشهوات والفقر والمرض والخوف والنقص في الأموال والأنفس والثمرات ، كما يكون الابتلاء بكثرة الأموال والأولاد والصحة قال تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنةً وإلينا ترجعون). ومن جملة الابتلاءات: الأمراض حيث يبتلي الله بها من شاء من عباده. وإذا نزل بالعبد مرضاً أو مصيبة فحمد الله واسترجع وصبر ، إلا أعطاه الله من الأجور ما لا يعلم قال تعالى: (إنما يُوفى الصابرون أجرهم بغير حساب). وإذن فكل الأعمال قد تجد لها أجراً معيناً إلا الصبر لعظمته. فلنوقني يا أم عبد الله أنك قد تزوجت من زوج مُبتلى مُحْتَسَب صابر! ابتلينا في الدار فأغتربنا ، وابتلينا في النفس فصبرنا! وابتلينا في الأهل فصبرنا ، وابتلينا في المال والصحب والأصدقاء فصبرنا! فاصبري!)

يا عزة الخير بعض العترة امتعضوا
ولم أقصّر ، ولكن ضيق ذات يدي
أوهى قواي فلم أهنأ بمقربة
أنا الذي كنت أجزلت العطاء لها
وكنت روجعت في بذلي ومكرمتي
وعشت أخلص ، لم أبخل بعارفة
ثم استدار لي الزمان ، فأنحسرت
فعاقبوني على جودي ، وما رحموا
وعايروني بما كنت ابتليت به
بنس القرابة لا أخلاق تحكّمها!

مني ، وعهدي كما ترين قد نقضوا
وحسن ظني الذي كم عشت أفترض!
لما أسد لها ما كنت أفترض
وكما طلبت ما كنت أعترض
فعبت من راجعوا وعبت من رفضوا
لله بذلي ، فلا دنيا ولا غرض
يد العطاء ، وجادور الألى قبضوا
ضعفي ، ومالههم علي ما عرضوا
فقلت: كُفوا عن التعيير ، فامتعضوا
وفي سواها من الأبعاد العوض

(الخاطرة السادسة عشرة)

(إن المصائب والآلام ملازمة للبشر ولا بد لهم منها لتحقيق العبودية لله قال تعالى: **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**). وقال بعضهم: لولا حوادث الأيام لم يُعرف صبر الكرام ولا جزع اللئام! وثالثاً: من فوائد المرض أنه يُعرف به صبر العبد على بلواه ، وأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط! نعم ، إذا صبر العبد إيماناً وثباتاً كتب في ديوان الصابرين ، ويكفي الصابرين شرفاً أنهم في معية وحفظ الملك جل وعلا قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)**. فإذا حمد العبد وشكر كتب في ديوان الشاكرين ، ويكفي الشاكرين شرفاً أنهم أهل الزيادة قال تعالى: **(ولئن شكرتم لأزيدنكم)**. والصبر المأجور صاحبه هو الذي لا بد أن يتدبر فيه أموراً: منها أن يعلم أن المرض مقدر من عند الله (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ، وأن يتيقن أن الله أرحم به من نفسه ومن والده ووالدته والناس أجمعين ، وأن يعلم أن ما أصابه هو عين الحكمة من الله ، وأن الله أراد به خيراً ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: **(من يرد الله به خيراً يصب منه)**. رواه البخاري. وأن ما أصابه علامة على محبة الله له ، وأن يعلم أن الجزع لا يفيد ، وإنما يزيد آلامه ويفوت عليه الأجر ، ولذا قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: **(إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور ، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور)**. ورابعاً: إن المرض سببٌ للدعاء واللجوء والانكسار بين يدي الله. قال تعالى: **(فأخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم يتضرعون)**. والصبر اليوم أجره مضاعفٌ لأن حال الأمة يُشبه العباداة في الهرج التي هي هجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. حيث عمَّ الجهل وغربت السنة وألفت البدعة وأصبح أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع! وإذن فالقبض على الدين والإيمان اليوم أفضل من أي زمان مضى! فاصبري واحتسبي يا أم عبد الله!

يا عزة الخير عمَّ الجهل والغط
والدين أمسى غريباً في مرابعنا
وأصبح الحق مبعوضاً ومُنْتَبِذاً
والسنة اليوم تلقى من يبدعها
ولى زمانٌ به ازدهت شريعتنا
وهم ورب الورى شرَّ مخالطة
لا يعرفون لهم ديناً ولا رشداً
لا يُدركون من الإسلام خردلة
إلا قليلاً غرى إيمانهم كتموا
أما الضحايا فهم أبناء جلدتنا
وقل قوم بهدي المصطفى ارتبطوا
وأغلب الناس – بالكبانر - اغتبطوا
من الخلائق في أهوائهم خبطوا
وفي الأناسي من بالبدعة اعتبطوا
وحلَّ عهدٌ به يستأسد الشرط
وضلَّ قومٌ بفردٍ منهم اختلطوا
إذ في الضلالة والكفران قد سقطوا
وفي التعنت والسوآى لهم خطط
ولم يُبالوا بقوم بينهم قسطوا
الصالحون هم ، والأمة الوسط

(الخاطرة السابعة عشرة)

(ها هو عروة بن الزبير من أفاضل التابعين وأخيار التابعين ، كان له ولد اسمه محمد من أحسن الناس وجهاً ، دخل على الوليد في ثياب جميلة ، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش ، وما دعا له بالبركة ولا ذكر الله تعالى! فقالوا أنه أصابه بالعين ، فخرج محمد بن عروة بن الزبير من المجلس فوق في اصطبل للدواب فلا زالت الدواب تطأه حتى مات ، ثم بعدها مباشرة وقعت الأكلة في رجل عروة بن الزبير والده ، وقالوا لا بد من نشرها بالمنشار وقطعها ، حتى لا تسري في أماكن أخرى من الجسد فيهلك ، فنشروها فلما وصل المنشار إلى القصبية (وسط الساق) ، وضع رأسه على الوسادة فغشي عليه ثم أفاق والعرق يتحدّر من وجهه وهو يهزل ويكبر ويذكر الله ، فأخذها وجعل يقلبها ويقبلها في يده وقال: (أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أنني ما مشيت بك إلى حرام ولا إلى معصية ولا إلى ما لا يرضي الله) ، ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت ، وأمر بها أن تقدم إلى المقبرة ، ولما جاء من السفر بعد أن بُترت رجله وفقد ولده قال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، ولما قالوا: نسقيك شيئاً يُزيلُ عقلك؟ قال: إنما ابتلاني ليرى صبري ، ورفض. وها هو أبو قلابة التابعي الجليل ممن ابتلي في بدنه ودينه ، وأريد على القضاء وهرب إلى الشام فمات بعريضة ، وقد ذهبت يداه ورجلاه وبصره ، وهو مع ذلك حامدٌ شاكراً ، وعندما سئل على ماذا تحمد؟ فقال: ألم يعطني لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وبدناً على البلاء صابراً؟) وإذن فالبلاء والابتلاء سنة ماضية لا تتبدل ولا تتحول ولا تتخلف! والإنسان يا أم عبد الله عندما يُطالغ هذه السير العظيمة تهون عليه بليته ويرزق القدرة على الصبر والاحتساب! ومن يتصبر يُصبره الله! والعاقل من وعظ بغيره! وأنت ذات بصيرةٍ ووعي فاصبري!)

يا عزة الخير إن الفذ يتعظ
من الذين هدى الإسلام قد لفظوا
إن الثبات على الإسلام منقبة
يحظى بها المسلم المسترشد اليقظ
والناس أعداء من دعا جحافلهم
للحق فيهم ، فكم يهدي وكم يعظ!
كم أقسموا أن يتوبوا عن كبائرهم!
فهل جموع الورى أيمانهم حفظوا؟!
وكم تشبه من سادوا بمن رحلوا!
فما استكانوا ، وما فاؤوا لما وعظوا
برغم أن دعاة الخير ما انفعوا
وما اعترى صدعهم زجرٌ ، ولا غلظ
وبعضهم ناوأوا الدعاة في صلف
مستهجناً الهدى ، وبعضهم لمظوا
وعمت القوم فوضى تعتلي شُبهاً
وغرهم جهلهم ، يا ليتهم لحظوا!
وأذروا ، وذوو الأوهام ما اتعظوا
وزاحمت بدعة الإرجاء عليهم
من الذين - بأخذ الجذر- ما احتفظوا
أواه كم تقتل الدنيا أعابدها

(الخاطرة الثامنة عشرة)

(وتحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد: (يا من منعك المرضُ من الذهاب إلى بيوت الله في الأرض ، الحذرَ الحذرَ من ترك الصلاة خلال فترة المرض أو التهاون في أدائها في أوقاتها ؛ لأن ذلك ذنبٌ عظيمٌ وأمرٌ جسيم ، فتركُ الصلاة عمداً كفر – والعياذُ بالله – كما أفتى بذلك علماء الإسلام ، كما أن التهاون في أدائها ذنبٌ كبيرٌ يكون الإنسان منه على خطرٍ عظيم. فعليك بالمحافظة على أداء الصلاة في وقتها قائماً أو قاعداً أو مُضطجعاً أو مُستلقياً أو على قدر استطاعتك. وليس هذا فحسب بل عليك أن تُدكّر من هم حولك من المرضى بعظم شأن الصلاة ، وأهمية المحافظة عليها لا سيما وأن المرضى أحوجُ ما يكون إلى ذلك في حال مرضهم).هـ. وتحت عنوان: (خواطر على فراش المرض!) تقول الأستاذة سحر المصري ما نصه بتصريف زهيد: (نعم الله تعالى تنرى لا تُعدّ ولا تُحصى! المرض ابتداء كما أشعر به! اصطفاء تمر الأيام والشهور ويعيش العبد حياته في روتين شديد. وربما أنسته الدنيا ذكر الله أو حمده. ولربما انشغل بهومومه ومسؤولياته وضغوطه حتى إذا ما شطّ ألزمه ربه جل وعلا لباس المرض أن: عُد. ألم تحنّ إلينا؟! فهو إذاً رحمةً يمنّ الله جل وعلا على عباده ليذكروه ويبتهلوا إليه بالدعاء "لعلهم يتضرّعون". وحين يسمع الأتین يتجلّى بالشفاء ويمسح الحزن. أو يكون غير ذلك بأمره وحكمته فالموت حق. قدرٌ مكتوبٌ في طياته كل الخير إن أحسن العبد القراءة والتمعن. ولقد هالني حقيقة ما سمعت ذات مرة من عبارات لا تليق بمؤمن أن ينطق بها. "حزناً لأجلك. فأنت لا تستحقين ما يحدث لك". أويحزن مؤمن لقدر مؤمن إن صبر فاز؟).هـ. والمقصود أن يستمر المسلم في الطاعة مهما كان من عذاب ونصب!)

يا عزة الخير عمّت دارنا البدع
والمحدثات غزت أرحاب ضيعتنا
وللضلالات شأنٌ عز جانبُه
وشريعة الغاب سادت في غياب تُقى
ماذا هنالك؟ قالوا: أمة تركت
وحاربت أولياء الله في شُبهه
وهدمت دور أقوام بلا سبب
ومارسست سنة الإرهاب تُتقنها
لم ترحم الطفل في أحضان والدة
فأخر الله نصراً كان يرصدها
وغاص في لجج الأحوال مُجتمع
وأصبحت سناً تُرجى وتُتبع
وأغلب الناس في دروبها اندفعوا
واليوم كثر عن أنيابه السبع
دين الإله ، فعمت أرضها البدع
وسالمت زمراً تطغى وتبتدع
وأهرقت دم من لربهم ركعوا!
وأحرق غزلاً في الساحة اجتمعوا
بل غاله حقدُها المروع البشع
إذا لها باب حرب الله قد قرعوا

(الخاطرة التاسعة عشرة)

(تحت عنوان: (خواطر على فراش المرض!) تقول الأستاذة سحر المصري ما نصه بتصرف زهيد: (من زعم أن المرض هو بلاء وشر كله أو أنه عقاب يفتك بأجساد السنين من البشر؟! أليس المرض هو علامة حب الله جل وعلا فإذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه؟! أليس فيه تقرب من الله جل وعلا؟ ألسنت حين تمرض توقن أن النفع بيد الله تعالى فيسجد القلب قبل الجوارح بين يديه جل في علاه؟ ويشعر بضعفه وحاجته لهذا الرب الكريم؟ أليس المرض ابتلاءً من الله جل وعلا ليمحص الإيمان؟ ويا له من شعور حين يسلم المريض الأمر لله جل وعلا ويقول: هذا جسدي وقلبي ونبضي ولحمي بين يديك. فافعل ما تشاء فإني راض راض! أليس تكفيراً للخطايا والذنوب كما أخبر الحبيب عليه الصلاة والسلام حيث قال "حطه يحط الخطايا عن صاحبه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها"؟ أليس رفعاً للدرجات وبعداً عن النار؟! فلم نخشى المرض إذن ونرهبه؟ ووالله إن أول ما يتبادر إلى ذهن المؤمن حين يبتلى بجسده هو الحمد والشكر أن من الله جل وعلا عليه بالمرض ليقربه منه. ويُعَدِّق عليه بالخيرات والرضا. ففي كل آفة أو ألم أو وجع تكفير ذنب وقرب من الرب وحمد وتوب ولين قلب. وهل أكثر من ذلك من عطاء؟! نبضات الأصدقاء الصادقة. أنجع من كل العقاقير والأدوية! وقبل الأصدقاء الأهل!). ومن هنا أناشد أم عبد الله أن تعلم يقيناً أن ما يحدث حولنا من ابتلاءات لأهل الإيمان إنما يحدث على عين الله وبارادة منه سبحانه ويقدر! وليعلم كل منا أن أهل الباطل إنما يعيشون فترة الإملاء والإمهال فقط! وسوف يأتيهم من الله قدرهم في أخذ الظالمين! (ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) (إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته!) (أيحسبون أننا نمدهم به من مال وبينين نساغ لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وأنت أهل لمعرفة الواقع وإنزال الآيات والأحاديث عليه! لذلك فاستعيني بالله تعالى ، واصبري واحتسبي!

يا عزة الخير أهل السوء قد بلغوا
وأشربت ظلمها الجموع مكرهة
تستهجن العير ما قالوا وما فعلوا
غدا الحرام حلالاً ، والصواب خطأ
ونفذوا كل ما أعدوا رسماً
وراهنوا في الدنا على مذلتنا
وعقدوا عيشة ما كان أيسرها!
ويؤاد العيش إمّا أمر السفها
لا يدركون من التأمير جوهره
وهل حياة إذا ما ساد من هزلوا؟
حداً خطيراً وفي سحق السورى نبغوا
والظالمون لما يُزري بهم فزعوا
وتستجير من السواى بها اصطبغوا
ومنتهى ظلمهم للناس قد بلغوا
والعيش زاحمه الفساد والوتغ
وفي معين تسامينا لقد ولغوا
فهل شياطين إنس بيننا نزغوا؟
من الغتاة بألوان الهوى صبغوا
وإن يقولوا فاطفال بهم نشغ!
وهل بخير أسود أمهم وزغ؟!

(الخاطرة العشرون)

(تحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد: (يا من أحاطت بك الآلام والأوجاع ، احتسب ما تشكته من مرض عند الله تعالى ففعل ذلك مُقَدَّرٌ منه سبحانه لرفع منزلتك في الدار الآخرة متى صبرت واحتسبت. ولأن ذلك قد يكون ابتلاءً من الله سبحانه وتعالى ، فالمؤمن مُبْتَلَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}. فعليك أن تصبر وتحسب الأجر على ما أصابك ، وأن ترضى به امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط". يا من تنشُد الصحة وتبحث عن العافية ، لا شك أنك تبحث عن أي علاج يمكن أن يُعالج مرضك ويُريحك مما تجده من الآلام والأوجاع ، وهذا أمرٌ مشروعٌ وأمورٌ به شريطة أن لا يكون حراماً أو غير جائز ، لما روي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله خلق الداء والدواء ، فتداووا ، ولا تتداواوا بحرام". (رواه الطبراني). فإذا كان العلاج بما أباحته الشريعة فهو أمرٌ جائزٌ شرعاً ، أما إذا كان غير ذلك مما فيه سحرٌ أو كهانةٌ أو شعوذةٌ ونحو ذلك مما حرّم الله تعالى فلا يجوز أبداً لما فيه من احتمال الوقوع في الشرك ، أو الكذب والخداع ، والتدليس والاحتيال ، ولما في ذلك من الشر والفساد وأكل أموال الناس بالباطل ؛ إضافةً إلى كونه أمراً يقدر في عقيدة الإنسان وصدق إيمانه – والعياذ بالله – فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أتى كاهناً أو عرافاً فصدّقه فيما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد". (رواه أحمد). فإن كان الواقع من حولنا يضغط على أعصابنا ويستفزنا كثيراً فلنعلم أن هذا كله يحدث على عين الله ، فنسأل الله أن يفرّج عنا ما نحن فيه وما تمر به أمتنا من المحن!)

يا عزة الخير أمسى الطفل يُختطفُ
في عالم بغياب الأمن يُتصَفُ
إذ يُسرقُ الطفلُ كي يُباعَ تجزئة
كما يُباعُ متاعُ البيت والتحف!
في قريةٍ بطرتُ عمداً معيشتها
وفي مرابعها الإجرامُ يُحتَرَفُ
فلم تعدْ قيمٌ فيها ، ولا مثلاً
وأهلها جُلهم بالجور ما اعترفوا
أمسى الأطباء جزارين تحسبُهم
لَمَّا تُعدُّ مهناً لهم ولا وُظف
إلا التجارة في الأعضاء في وطن
إلى الضلالة والإجحاف ينجرف
طغأته جرّ عوه الكيد عن رَغْم
ولم يعدْ عن ديار الكفر يُختلف
بل قد غدا عنهم أضلُّ مرتبة
لذا تفيأ محكومٌ وحاكُمُه
إذ حققوا العدل ما جاروا ولا احتلفوا
ظلال عدل ، فما هانوا ، وما ضعفوا
ودولة العدل تبقى الدهر صامدة
ودولة الظلم يطوي بأسها الجَنَف!

(الخاطرة الحادية والعشرون)

(تحت عنوان: (خواطر على فراش المرض!) تقول الأستاذة سحر المصري ما نصه بتصرف زهيد: (فأحياناً نجد الأهل في صخب ونصب. فدعاء ودعاء ودعاء. وزيارات مكوّية للاطمئنان. واتصالات متوالية لمواكبة كل تطورات الحالة المرضية. حتى ليكاد المريض يشعر أن العالم توقف عنده هو فقط! فيشعر - بالرغم من ضيقه لاستنفاد طاقات الأهل بالسؤال - أنه بعمق نعمة الله جل وعلا ، وأنه قد رزقه أهلاً يهتمون بأمره ويتابعونه بحب وخوف ورجاء! ومن مثل الأم في عطفها وتفانيها أمام فلذة كبدها مهما بلغ من العمر؟ فهو يبقى الصغير الذي لا يكبر أبداً في عينيها المحبتين! تداريه برموشها وتغمره بدفء قلبها. تنن قبل أن ينن ، وتمده بالرعاية والحنان حتى يقوى على المرض ويستعيد صحته. وتظلّ تداري أمها وخوفها حتى لا يعتريه الضيق. وقد تتألم أكثر من ألم مريضها إلا أنها تُخرس أي صوتٍ يعلو على صوت الأمومة الحقّة. ويأتي العوّاد ابتغاء الأجر ، وترجمة لمعاني الأخوة الراقية وتجسيداُ لأسمى رابطة قدسية قد تجمع بين بشر وهي "الأخوة في الله". تلك المفردات التي لا يعرف كنهها إلا من عاشها وسبر أغوارها فانتشى كلما قرب. يشعر المريض وإخوانه إلى جانبه كأنهم غمامة تقيه حر الألم. وتظلمه حتى إن غابوا عن ناظره. فابتهالاتهم ودعواتهم تحوم حول سريره الذي يقبده. فترفعه مكاناً علياً من السعادة والظفر. وأيّ مشاعر تعلو ما يعيش؟! ثم يقولون: المرض شرٌّ مستطر؟! كلا وربّي!). هـ. وأنا أشعر أن هذا شعورك الدائم وإحساسك القديم الجديد يا أم عبد الله! وهو أنك وسط أهلك وقرابتك يهون عليك كل مرض وبلية! وتعلمين أن جل أصحابي وأصفيائي قد سبقوا وأنا بهم لا شك لاحق! وهذا مما يزيد ألمي ووجدي!)

يا عزة الخير أصحابي لقد سبقوا
وُحزنُ قلبي على الأحباب يقهرني
وحكمة الله في الحالين بالغّة
يبقى فراقي لهم طيفاً أضيقُ به
وكلمما جاءني نعيّ رثيثُ له
أن يأتي الدورُ مأموراً ليحصدني
لكنُ أموتُ ، وأشعاري تموتُ معي
ولا تلاقى الذي يهوى قراءتها
يا ليت شعري إذا نأح القريضُ على
وشيعُ الشعرُ جُثماني بفرط جوى
إلى القبور ، وأعدائي العُتاة بقوا
طواهمُ الموتُ واستحيا الذين شقوا
ونحن فيما قضى إلهنا نثق!
ذرعاً مريراً ، له الأعصابُ تحترق
وانتابني الوجدُ والإيجاعُ والقلق
هذا قضاءً - على الأحياء - ينطبق!
هل بعد وصل بها يحينُ مُفترق؟
وقد تمزق هل تطالعُ اللزق؟!
رحيل صاحبه وضُيقُ الأفق!
ودمغُ عينيّه مثلُ السيل يندفق!

(الخاطرة الثانية والعشرون)

(اقرني واسمعي يا أم عبد الله لكي يهون المرض! تحت عنوان: (رسالة إلى موهوب)
يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد: (عليك أن تحرص على قراءة القرآن الكريم لحصول
الطمأنينة ، كما أن عليك أن تحرص على مطالعة الكتب النافعة والانشغال بقراءتها والاطلاع
على محتوياتها ؛ فإن لم تستطع فلا تهمل سماع المصنفات الإسلامية التي تشتمل على التلاوات
المباركة ، والمحاضرات النافعة ، والدروس المفيدة ، والخُطب العظيمة التي يمكن أن تُشغل
بها وقتك ، وتنسى بها. • يا من صبرت على ما أصابك واحتسبته عند الله تعالى ، اعلم أن في
مرضك خيرٌ كثيرٌ لك لما فيه من تطهيرٍ لقلبك وجوارحك من الذنوب والخطايا ، ونيلاً لعظيم
الأجر وجزيل الثواب. وليس هذا فحسب بل إن من كرم الله جل جلاله عليك أن يُجري لك الأجر
والثواب على أعمالٍ لم تعملها ، ولكنك كنت تُحافظ عليها قبل مرضك ، فقد روي عن أبي
موسى الأشعري رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مرض العبدُ أو سافرَ
كُتِبَ له مثلُ ما كان يعملُ مُقيماً صحيحاً". (رواه البخاري). • يا من مسك الله بضرٍ لا يكشفه إلا
هو سبحانه ، اصبر على ما قضاه الله تعالى وقدره عليك ، فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم
يكن ، وإياك أن تياس أو تقنط من رحمة الله تعالى ؛ فإن ذلك مُخالفٌ لهدي الإسلام وتربيته
وآدابه ، واحذر من تمني الموت متى اشتد عليك المرض لما روي عن أبي هريرة رضي الله
عنه أنه قال: سمعت رسول الله يقول: "لا يتمنين أحدكم الموت إما مُحسناً فلعله يزداد خيراً ،
وإما مسيئاً فلعله يستعتب". (رواه ابن حبان). هـ. فاحرصي على ما ينفعك يا أم عبد الله من
القراءة والصحبة! عندما استعرضتُ أصفياي وأحبابي وجدتهم قد رحلوا فمن لشعري هذا؟!)

<p>يا عزة الخير أمسى الشعر يرتبك</p> <p>فأين للشعر (شـربيني) رفقتنا؟</p> <p>وأين للشعر (بغداددي) صُحبتنا؟</p> <p>وأين للشعر (عدنان) بما سَطَرَتْ</p> <p>وأين (سالم) للأشعار يتقذها</p> <p>وأين لي كـ (أبي عبد الوهاب) أخاً</p> <p>وأين لي كأخي (المتوكّل) اكتملت</p> <p>وأين (خالذ) للأشعار أنشدها؟</p> <p>كانوا جميعاً أساطيناً أتية بهم</p> <p>لكنهم رحلوا ، والشعرُ يذكُرهم</p>	<p>أن الرفاق الألى يهونونه هلكوا</p> <p>وأين للشعر (حُسنِي) الناقدُ المَحِك؟</p> <p>وأين للشعر (إسماعيل) يشترك؟</p> <p>يدُ القريض تُحاكي شعرَ مَنْ سَبكوا؟</p> <p>نقداً به يذهبُ الإبهامُ والخلل؟</p> <p>يهدي الطريق إذا ما استشكلت طرق؟</p> <p>رُواه في الشعر كالأفذاذ الألى حبكوا؟</p> <p>حسبته لأداة النقد يمتلك!</p> <p>وكل فردٍ - إذا ما جنته - ملك!</p> <p>ويذكرُ النفعَ والخيرَ الذي تركوا</p>
--	---

(الخاطرة الثالثة والعشرون)

(تحت عنوان: (خواطر على فراش المرض!) تقول الأستاذة سحر المصري ما نصه بتصرف زهيد: (محرومٌ والله من مرض صاحبه ولم يَعهده. ومن استطاع زيارته فلم يفعل. جلستُ قبّالتي وقالت: قبل أن أسألك عن صحتك دعيني أقول الدعاء كما ورد "أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك". ردّدتها ثلاثاً وحين فرغت من الدعاء سألتني كيف هو الألم. رددت عليها: قد غاب! وتيقنت أنني لا بد معافاة من هذا المرض! فالحبيب عليه الصلاة والسلام قد صدق! وبقدّر تعبي من الزوّار إلا أنني كنت مفعمة بالسعادة سابحة في محيطاتها. أن قد حباني الله جل وعلا كل هذه القلوب المُحبّة. وحين يجنّ التعب أغمض جفني وأنام. لأفبق على نبرات ودودة وأصوات رقيقة من جديد. بت أعرّفها جيداً وأحفظها عن ظهر قلب! ومن لم يستطع الزيارة فلم يبخل بالاتصال. من كل بقعة من الأرض قلوب تتفقّد وتسال وتطمئن. يا لهذا الكون ما أوسعها بما حوى! وكم دمعت العيون وفاضت الجفون محبة وحنيناً. حتى إذا ما مررت على موقع فيه أمل للأمة أو عنوان بريدي. أو شبكة اجتماعية تعرفت من خلالها على أناس يستحقون الأخوة ركنتُ ودعوتُ لهم مخلصّة أن يجمعنا الله جل وعلا في الفردوس الأعلى كما جمعنا في دنيانا هذه. ويبقى لبعض الناس نكهةً خاصة. أصواتهم كالماء البارد على الظمأ. يُواسون ويدعون ويعدّون الأيام سنيناً حتى أعود. ومن أجلهم إن شاء الله سأعود!). هـ. وأكد أجزم أن هذا شعورك يا أم عبد الله فرحة بالأهل والصدقات! ولكنني أعود بالذكرى إلى الوراء حيث تذكرتُ الآباء والأمهات الذين هم في الدنيا الرحماء! وتذكرت تقصيري غير المتعمد والله! وإنما فرضته ظروفٌ ومقادير! وتذكرتُ أنني لم أغسل ولم أكفن ولم أصل ولم أشيع فبكيت!

يا عزة الخير والذكرى لها طللٌ
بوالـديّ ووالـديك يتصلُّ
إذ مات من مات لم أشهد جنازته
ولم أشيخ ، ولم ألق بمن حملوا
ولم أعز كما عزى الألى حضروا
كما قضى شرغنا والعُرف والمثل!
فقال قوم: يُرى قد باعَ عشرته
وقال قوم: غدت دنياه قبّله
ويشهد الله لم أبغ مودة من
يبدش إن أقبّلت ، وبعد يحتفل
وما انشغلت عن الأحاب ، بل قدر
وما احتفلت بدنيا ، أو بدششت لها
وما غدت قبّالتي دنيا ابتليت بها
ليغفر الله تقصيراً رُميتُ به
بهم تبلغت ، حتى كان لي أمل
أفضى إلى غربةٍ مصائبها جَل
وذات يوم أنا عنها سارتحل
هذي وربّي - على التحقيق - مُعتقل
وكم بهذا الدعاء الفذ أبتهل!

(الخاطرة الرابعة والعشرون)

(كم من أناس عندما مرضوا أعرضوا عن اللجوء إلى الله والدعاء والالتكسار بين يديه جل وعلا. فليتهم إذ مرضوا لجأوا إلى الله خاشعين منكسرين! وأهل التوحيد إذا أصيبوا ببلاءٍ أو مرض صبروا ولجأوا إلى الله وحده واستعانوا به وحده جل جلاله. فلنتأمل البلاء العظيم الذي ابتلي به أيوب – عليه السلام – فقد ابتلاه الله في أهله وماله وولده وجسده لله حتى ما بقي إلا لسانه وقلبه ، ومع هذا كله كان يُمسي ويُصبح وهو يحمد الله ولم يشكُ حاله إلا إلى الله جل وعلا! وبعد سنين من البلاء والمرض رفع يديه إلى الله بكل ذلٍّ وانكسار: (رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) ، فجاء الجوابُ من الجواد الكريم: (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمةً من عندنا وذكرى للعابدين) ، ومدحه ربه سبحانه بقوله: (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب). وتحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد ما نصه: (إن من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى على عباده أن متعهم بالعافية ورزقهم الصحة والسلامة ؛ كالتاج على رؤوسهم لا يراه إلا المرضى الذين يرقدون على فراش المرض يننون ويتوجعون ، ويتألمون أثناء الليل وأطراف النهار ، وهم تحت رحمة الله جل وعلا ؛ ثم عناية من حولهم من الأهل والأطباء والممرضين لا يملكون لأنفسهم حيلة ، ولا يجدون مهرباً مما هم فيه إلا بفضل الله ورحمته).هـ. وكنت قد شردتُ بخيالي في تُهم رماني بها المُغرضون من بيع العِشرة والإقبال على الدنيا والعزم على اللادعة للديار ومُجافاة الأهل والأحباب والأصدقاء! تلك التهم الشنيعة التي سببها الاغترابُ الجبري الطويل! ونعود بإذن الله وقد أزال الله الغمة وأزاح الطغمة ورفع شأن البلاد والعباد! إنه لما يشاء قدير!)

يا عزة الخير حامت حولي التهمُ
وكم أسوقُ من التبرير ملتمساً
أقول: ساحة أهلينا لقد برئت
غزا الديار طغاة لا خلاق لهم
فأصبحتُ عودتي للدار معجزة
أعوذُ رافع رأس لا أطأطنها
أعوذُ أصنع مجداً عشتُ أحرسه
أعوذُ أكملها مسيرة بُدنتُ
أعوذُ أنشرُ شعراً قلّ ناشره
أعوذُ أحملُ أفكاري لعاشقها
كأنني لم أعشُ بالدين ألتزمُ
عفو القضاة الألى عليّ قد حكموا!
والعيبُ في الدار إذ حلتُ بها النقم
والله من تقم من الألى ظلموا
حتى تُزايها الداءات والإزم
إلا لرب به في الكرب أعتصم
من الضياع ، فلا يُودي به العدم
من أربعين مداها الطرس والقلم
لأن زبدته الأخلاق والشيم
حتى تُغرّد في أصقاعنا القيم!

(الخاطرة الخامسة والعشرون)

(تحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد: (لأن الأمراض والأوجاع مما يُبتلى به عبادُ الله في أجسامهم وأنفسهم فلا ينعمون بطعم الحياة ولذّة الصحة ، وربما حُبسوا على فراش المرض دونما قيامٍ أو قعودٍ أو حركةٍ ، الأمر الذي تثقل معه الأجسام ، وتتعطل معه الحركة ، وتقلّ به الصُحبة ، وتضيق معه النفس ؛ فقد رأيتُ من واجبي أن أكتب هذه الرسالة لإخواني المرضى مُواسياً لهم ومُشاركاً ، فعسى أن يكون بين أسطرها تخفيفاً لآلامهم وأوجاعهم ، وتذكيراً لنا جميعاً بفضل الله ورحمته. وفيها أقول مستعيناً بالله وحده: • يا من تعلم أن ما أصابك ليس إلا بقدرة الله تعالى ، أحسن الظن بالله سبحانه حتى يُهَوِّنَ عليك ما أنت فيه من مرض ، فإن الله لطيف بعباده. واعلم أنك متى أحسنت الظن بالله سبحانه شعرت بالرضا ، وهان عليك مرضك لأنك على يقين تام بأن الله لا يُقدِّر إلا الخير ؛ ثم إن من قدَّر عليك المرض ليس إلا أرحم الراحمين الذي هو أرحم بخلقه من الأم بولدها. • يا من ابتليت في صحتك وعافيتك ، أحمد الله تعالى أن ما أصابك من مرض أو ابتلاء لم يكن في دينك فإن المصيبة في الدين هي الخسران المبين. واحذر من التسخط وإظهار الجزع ، وعدم الرضا بالقدر فإن ذلك مما لا يليق بالإنسان المسلم ولا يجوز له بحال من الأحوال. • يا من تطمغ في رحمة الله تعالى وفضله ، لا تنس أن المرض كفارة – بإذن الله – للذنوب والخطايا ؛ فاستبشر خيراً بلطف الله تعالى ورحمته ، واعلم أن مُصيبتك أهون من مصيبة غيرك ؛ وأن هناك من هو أشد منك بلاءً ، وأكثر ألماً ووجعاً).هـ. فاستمسكي بالتقوى يا أم عبد الله ، واستعيني بالله واصبري! وأحسني الظن بالله ولا تركني لأي ظالم مغرض! والله معك ناصرًا ووكيلًا!)

يا عَزّة الخير تقوى الله والسنن
فاستمسكي بعُرى التوحيد ، واتبعي
واسترجعي دائماً في كل نائبةٍ
وراجعي النفسَ في كل الأمور ، فلا
وادعي الإله إذا مسَّتْكَ نازلة
إياك أن تركني إلى الألى ظلموا
واستكثري من فعّال الخير أجمعها
وأحسني الظن بي ، إما أتى خبرٌ
أراك أكبرَ من قوم بنا مـكروا
فبادليني شعوراً عشتْ أبذله

حبّل النجاة لنا إن سادتِ الفِتنُ
هُدى النبي إذا عمَّ الورى دخن
وحوقلي ريثما تُطوى لنا المِحَن
تعصي المليك ، ولا يحلو لها الوهن
فليس تبقى إذا طال الدعا إحن
خاب العبادُ لعاتِ ظالم ركنوا!
إن الثواب بفعل الخير مُقترن
إني - بما يفتري الوشاة - ممتحن
سِرِّي لـديك ، وطبعاً عندك العـن
حتى يزول أسَى في القلب محتقن

(الخاطرة السادسة والعشرون)

(تحت عنوان: (رسالة إلى موهوب) يقول الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد: (يا من فقدت طعم العافية ، لا تُكثر من الشكوى والأنين ، فقد كان السلف الصالح يكرهون ذلك لما فيه من الضعف وعدم الصبر. وعليك بكثرة الذكر تسبيحاً وتحميداً وتكبيراً وتهليلاً ، واحرص - شفاك الله - على لزوم الاستغفار واللجوء إلى الله سبحانه ، فإن في ذلك فرجاً لك ومخرجاً مما أنت فيه من ألمٍ وهمٍ ووجعٍ وضيقٍ ، فقد روي عن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيقٍ مخرجاً ، ومن كل همٍّ فرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب". (رواه أبو داود). وعليك أن تُكثر من الدعاء الصادق والإلحاح في الطلب ، فإن الله جل جلاله يُحب من عبده أن يسأله ، ومتى علم سبحانه وتعالى من العبد الصدق والإخلاص أجابه وحقق رجاءه ، ورفع عنه ما يشتكيه بعزته وقدرته سبحانه. • يا من كثرت همومك وزادت أوجاعك ، تذكر أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وإياك والوقوع فيما يسؤله الشيطان لبعض المرضى الذين يظنون أن السبيل إلى نسيان الآمهم ، والتخفيف من أوجاعهم ، والترويح عن أنفسهم لا يكون إلا بسماع الموسيقى والغناء المحرم). هـ. فيا أم عبد الله جدّي في كل أمورك وقولي الحق وإن كان مُراً واعلمي به ولو كان صعباً! وفاصلي أهل الهزل والاستهتار والنزق! وآثري أهل الآخرة ومن يعملون لنيل كرامة الدنيا وشرف الآخرة بالعمل الصالح وتقوى الله! والزمي طريق الفضيلة ولا تضرك قلة السالكين! وابتعدي عن طريق الرذيلة ولا تغرك كثرة الهالكين!)

يا عزة الخير لا يغررك من سفهوا
من الذين إلى الضلالة انتبهوا
ضلوا الطريق إلى الرشاد ، فانحرفوا
واستعذبوا السوء يُزكي ناره البله
وحاربوا الحق حرباً نارها استعرت
وقودها القهر والتضليل والعمه
عليك بالحق مهما كان مُغترباً
وصاحبي القوم دين الله قد فقها
هم السبيل لنيل الخلد جائزة
عاشوا وكان لهم بربهم وله
وأن أهل التقى خير ملازمة
إذ لم يُعكّر صفا إيمانهم شُبه
هم قد أحلوا الذي أحل خالقهم
وللحنيفة - في تشريعها - أبهوا
وحرّموا كل ما المليك حرّمه
وزايلوا الناس في تفكيرهم سَفه
وغلّبوا الزهد في الدنيا وزخرفها
فلم يكن لفتى منهم بها شره
بل جُلهم عملوا فيها لآخرة
شأن التقاة - إلى نجاتهم - نبهوا

(الخاطرة السابعة والعشرون)

(تحت عنوان: (بلاء المرض وكيفية العلاج) يقول الدكتور عصام بن هاشم الجفري ما نصه بتصريفٍ بسيطٍ: (اتقوا الله عباد الله واصبروا على ما أصابكم من البلاء فإن الله لا يضيع أجوركم. هذه الدنيا دار ابتلاء ومن الناس من يبتلى بالسراء ومنهم من يبتلى بالضراء أخبر عن ذلك ربنا بقوله: {كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَتُبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِنَّا تُرْجِعُونَ}. وأكثر البلاء تكراراً على الإنسان هو المرض ، وذلك لحكمة ربانية بالغة حتى لا ينسى الإنسان الصفة الملازمة له التي ذكرها له ربه في كتابه بقوله: {..وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا}. فهو مهما بلغ وزنه واشتدت عضلاته وغرته صحته يصرعه مخلوقٌ صغيرٌ لا يرى ويجعله طريح الفراش لا يقدر على الحركة ، وقد يكون سبباً في أخذه إلى المقبرة وتُختم حياته على هذه الأرض ، والإنسان إذا مرض ذهب للطبيب وتناول الدواء ، وقد تجرى له جراحة أو جراحات ، كل هذا أسباب مأمورون بالأخذ بها ، لكن من الشافي؟ من المعافي؟ إنه الله ، ولا يمكن أن يشفى مريض ولو اجتمع له أحذق أطباء العالم إذا لم يأذن الله في الشفاء ، وتعالوا واسمعوا معي لإيمان الأنبياء الذي خلده الله في كتابه عن إبراهيم عليه السلام بقوله: {وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}. ليس هذا في حال المرض فقط ، بل كل بلاء أو ضراء تصيبك فلا يكشفها إلا الله قال سبحانه مخبراً عن ذلك: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. هـ. فاغتنمي أوقاتك يا أم عبد الله فإنها خزانك! واعلمي أن كثيراً ممن حولك فئة من فئتين: إما عالِمات فتعلمي منهن العلم ، وإما جاهلات فعلميهم مما علمك الله سبحانه! ولا تنتظري سؤالهن بل ابدئيهن بالسؤال ، وحدثي عن ربك ونبيك ما تعلمين من العلم!

يا عزة الخير لا يلعب بك الزهو
ولا يملك عن المثوبة اللهو
جدي كما جد أسلافنا سلفوا
وطاب عيش صواها الود والصفو!
وأسد دينهم حُب لفاطرهم
والخوف منه ، وأس بعده الرجو!
تخولي القلب بالذكير تبصرة
جهرأ إذا استشكل الإسرار والنجو
وناصحي الأهل ، لا ترضي ترهلهم
أودى بهم جهلهم والصد والغفو
وعلميهم من القريض أذببه
ولا يكن صارفاً عن ذلك النحو
ونظمي حلقات العلم تُخفهم
حتى يزول ردى القول واللهو
ولقنيهم أصول العلم دون هوى
حتى يُزيّن بالحقائق الجو
لا تكتمي العلم يحتاج الجهول له
وسامحي من نأى حيناً بجانبه!

(الخاطرة الثامنة والعشرون)

تحت عنوان: (بلاء المرض وكيفية العلاج) يقول الدكتور عصام بن هاشم الجفري ما نصه بتصريفٍ بسيطٍ: (من نعمة الله أن من ابتلاه الله ببلاء أو مرض فإنه يكون كفارة له ورفعته في درجاته. أخبر عن ذلك الصادق المصدوق بقوله: (لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةُ ، فِي جَسَدِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ). (الأدب المفرد ، كفارة المريض ح(494) [صححه الألباني]) ، الله أكبر ما أعظم تأثير هذا الحديث في تحمل البلاء والمرض فهل هناك أعظم وأسعد من أن تلقى الله وليس عليك خطيئة ، إنها السعادة الكبرى، فليعمل المبتلى بها نفسه ، وعليه فإنه كل ما كان مرضك أكبر وألمك أشد كان أجرك عند الله أكبر متى ما احتسبته ، وكم من الناس من يتسخط عياداً بالله حال البلاء أو المرض ولا يصبر على قضاء الله فيرسب في الامتحان فينفذ فيه قدر الله ويحرم الأجر! والحبیب صلی الله علیه وسلم يقول: (إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ) (الترمذي – ما جاء في الصبر، ح(2320). فليعلم كل مريض أنه في نعمة من الله وأن هذا المرض قد يكون من دلائل محبة الله له ، فليصبر وليحتسب ولينتظر الفرج ، فكم من مريض بداءٍ لا نهاية له إلا القبر عافاه الله وعاد يدب في هذه الحياة ، وكم ممن دخل المستشفى في مرض بسيطٍ عاد أهله ليتسلموه من ثلاجة الموتى ، فالله الله في الصبر والاحتساب فإن الله وعد والله لا يخلف الميعاد بقوله: {إِنَّمَا يُؤَفِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}! وهنا أتخيل أم عبد الله ظبية أنهكها الجري في رحلةٍ طالت! ولم تكن وحدها التي أنهكت ، بل أنك ظبيها العدو معها في اغتراب طال عن الحد لحكمة يعلمها الله تعالى!

يا عزة الخير أوهى ظبيتي الجري
أعيثته همته عن اللحاق بها
وزادها الناس من عيونهم حسداً
لم يرحموا غربة أدمت كرامتها
فكابدت ظبية في عيشها شظفاً
في الأربعين وتسجدي تحملاًها
في عيشة قلبت ظهر المجن لها
وتحت إمرتها الطبيبات طيعة
دهى السقام بلا رفق شبيبتهها
فلتصبري ظبيتي في مررٍ معترك
ومن تتبعها ترهّل الطبي
فهذه الوهم والإيلام والأي!
حتى طواهم أذى العيون والعي
وزاد ضنك الحياة الظلم والبغي
والسير أنهكها ، وقبله الجري
إذ ليس يسعها عدو ولا مشي
وغربة هي عن أوطانها نفي
واليوم لَمَّا يَعْدُ أمرٌ ولا نهى
والطب ما عنده لبرئها هذي
مهما حلا للظبا من حولك الرغي

(الخاتمة)

(روى الطبري وصححه الألباني عن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما اختلج عرقُ (أي اضطرب ولا تحرك عرق) ولا عينٌ إلا بذنب ، وما يدفع الله أكثر". وقال ابن سيرين - رحمه الله -: "إني لأعلم الذنب الذي حرمت به قيام الليلة أربعة أشهر ذاك أني قلت لرجل: يا مفلس!" قال أبو سليمان الداراني: "قلت ذنوبهم فعرفوا من أين أوتوا وكثرت ذنوبنا فلم ندر من أين نوتى". وروي أنه كان في زمن حاتم الأصم رجلاً يقال له: معاذ الكبير. أصابته مصيبة ، فجزع منها ، وأمر بإحضار النائحات وكسر الأواني. فسمعه حاتم فذهب إلى تعزيتة مع تلامذته ، وأمر تلميذاً له. فقال: إذا جلست فاسألني عن قوله تعالى: {إن الإنسان لَكَنُودٌ}! فسأله فقال حاتم: ليس هذا موضع السؤال. فسأله ثانياً ، وثالثاً. فقال: معناه أن الإنسان لكفور ، عداد للمصائب ، نساء للنعم ، مثل معاذ هذا ، ان الله تعالى متعه بالنعم خمسين سنة ، فلم يجمع الناس عليها شاكراً لله عز وجل. فلما أصابته مصيبة جمع الناس يشكو من الله تعالى؟! فقال معاذ: بلى ، إن معاذاً لكنود عداد للمصائب نساء للنعم. فأمر بإخراج النائحات وتاب عن ذلك. وسار أحد العلماء ومعه أحد طلابه فمرّت امرأة فأطلق الطالب بصره فيها ، فقال الشيخ: "والله لتجدن غيبها ولو بعد حين" فنسي القرآن بعد أربعين سنة ، وقد كان حافظاً له. نعوذ بالله من سخطه وعقابه. وذكر ابن القيم - رحمه الله - بعضها في إغاثة اللفهان: ومنها: حصول الإخلاص في الدعاء ، وصدق الإنابة إلى الله ، والالتجاء وشدة التضرع بمن لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ...} ومن فوائد الابتلاء: تمحيص الذنوب ، وبلوغ الدرجات العلية في الجنات". وإذن فالتصبر والاحتساب هما الحل ومن يتصبر يصبره الله!)

يا عزة الخير حرّكتِ الجوى فينا
شفاك ربك يا نبراسُ أسرتنا
آهاتك اليوم من آهاتنا انبثقت
هذي الشرايين لو تدري مُصيبتنا
وقلبك الغضُّ يُضنّينا توجّعهِ
وعُدتِ سالمة من كل مُوجعةٍ
وبُوتِ بالخير يجلو ما ابتليت به
حتى نراك هنا في خير عافيةٍ
كي تنعمي بحياةٍ كلها رَغْدٌ
وأختمُ الخاطرات الغيد منتظراً
وبات سُقمكِ ألاماً تُعنيننا
أمنيةً تلك من أغلى أمانينا
ونارُ جرحكِ رغم الأنف تكويننا
لقاومتُ ، واتقت رب السما فينا
شفاه رب البرايا ، والشرايينا
فلا تُعانين مما عشته حيننا
حتى نقدّم من أركى تهانينا
تستوعبُ الدينَ والحياة والديننا
يكون طابعها التيسير والليننا
رضاكِ عنهنّ ، قلبي قال: آمينا

قصة رؤيا

(إن للرؤيا في الإسلام آداباً نصت عليها الكتب. ولا أعلم كتاباً حواها مجتمعاً – حسب اجتهادي – مثل كتاب (منهاج الصالحين في الآداب الإسلامية) للأستاذ / محمد عبد العاطي بحيري حفظه الله. يقول في آداب الرؤيا: (1) أن ينفث عن يساره ثلاث مرات أو يتفل أو يبصق إن هو رأى ما يكره. (2) أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً إن رأى ما يكره. (3) أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه تفاعلاً بأن يغير الله حاله للأحسن. (4) أن لا يحدث بها أحداً حتى يظل طامعاً في كونها أضغاث أحلام. (5) أن يقوم فيصلي ما شاء الله له أن يصلي حتى يذهب عنه ما يجده. وهذه الآداب السابقة كلها إن كانت رؤيا مزعجة تقلقه ، وهو في جزع منها. وأما إن كانت رؤيا صالحة طيبة فآدابها: (1) أن يحمد الله حمداً كثيراً ، ويثني عليه بما هو أهله ، لأنها نبوءة من الله تبشره بخير قادم. (2) أن يحدث بالرؤيا الصالحة من يحب ومن يثق به. (3) أن من قصت عليه إن رأى فيها شراً ، عليه بلباقة أن يؤولها تأويلاً لا يزعج الرائي. (4) أن لا يقصها على حاسد ، لأن الحاسد يكره الخير لمن يحسده). هـ. وكم رأيت من رؤى سبقت وأغلبها حسن. والحمد لله. وأذكر أنني يوم استخرتُ الله – تعالى – في زواجي من أم عبد الله رأيتُ فيما يرى الرائي جدها الحاج كمال محمد مجاهد – رحمة الله تعالى عليه – فقد عُرف بالصلاح ، ولا نزكّيه على الله ، والله حسيبه ، بل نحسبه هكذا ، جاءني في منامي مبتهلاً فرحاناً ، وكنتُ أعرفه جيداً ، وبشرني بأن أتزوج من هذه البنية. وكان الزواج والله الحمد ومنه العون والسداد. ونسأله سبحانه أن يكون ذلك كله في طاعته ومرضاته. وكانت أم عبد الله قد رأت رؤيا ، فقصتها عليّ ، وكنت قد رأيتُ رؤيا تكاد تشبهها ، فرحتُ أضمن ذلك شعراً فأنشدت هذي القصيدة من شعري تعبيراً عن ذلك التضمين. والأصل أننا لا نستقي الحقائق الراجحة من الرؤى والأحلام! ولكن قد نستأنس بالرؤيا الصالحة فقط! أما أن نبني أحكاماً على الرؤى والأحلام فهذا لا يستريح إليه ولا يطمئن به من كان عنده مسكة من عقل ورشد وتبصر! وهذا أقوله لأن كثيراً من الناس يبنون أحكاماً على الرؤى والأحلام! وكثير من الأحلام التي نراها لا تتحقق مطلقاً! وكم تتحقق لنا أمنيات كنا نتمناها ولم نحلم بها ولم نر عنها ولو رؤيا واحدة! وإن فالرؤى والأحلام لها عالم آخر تؤول فيه وقد تتحقق وقد لا تتحقق! وهذا الأمر اعتدتُ عليه مع أم عبد الله عندما أقص عليها الرؤيا أراها في منامي! وكنتُ دائماً أحذرُها من بناء الأحكام على الرؤى والأحلام ، إذ ليس هذا سمت طلبية العلم الشرعي!

لَمَحَثْ سَخَابَتِكَ الْهَاتِئَةَ	فَهَاجَتِ دُمُوعُ الْجَوَى السَّاكِنَةَ
وَنَامَ الْخَرِيرُ عَلَى مَخْدَعِي	وَأَحْسَسْتُ دِفَاءَ الدُّنَا السَّاخِنَةَ
وَجَاءَتْ عَلَيَّ الصَّوْتُ أَمْنِيَّتِي	ثُمَّ ذَكَّرْنِي وَحَدَّتِي الطَّاعِنَةَ
وَتَمَسَّخُ دَمْعِي بِبَرْدِ الدُّجَى	وَتَمَحُّوْ أَسَى عَثْرَتِي الْوَاهِنَةَ
تُصَوِّرُ لِي ، كَيْفَ كُنَّا مَعَاً	حَبِيبَيْنِ فِي عِزَّةٍ حَاسِنَةَ
حَبِيبَيْنِ سَارَا ، وَلَمْ يَحْسِبَا	جِسَابَ الْقَوْلِ الْعَائِنَةَ ، وَالْعَائِنَةَ

وليس لعرافة كاهنة
تسيرين فوق رُباً داكنة
وكنيت من المشتهي أمانة
بدينك ، رغم العرى الحاتنة
وآخر كالدوحة الواطنة
ومررت سحابتك الهاتنة
لأن الديار غدت عارئة
ورج السحاب صدى الأونة
وعتات مقالته خامنة
على عسر أحوالنا الراهنة
بقوس المعاقبة الآسنة
وأخفاه في غرفة داكنة
وغاب الأقباب ، والحاضنة
وعاني من الرحم الخائنة
يعيش على الدل ، كالمهنة
فيشجب أفعال الشاطنة
وفي كفه الدرّة البائنة
وتفجع أمماً له صاننة؟
وفي خدعة الرحم الداهنة!
سنصبر في الأزمة الطائنة
ففي صمتنا أسهم كائنة
ولن ننصر الرحم الخائنة

سأحكي منامي لمحبوبتي
رأيت كأنك في غابة
لبست من الثوب مسطورة
وسرت - على الأرض - مزهوة
وظفلاك: طفل على راحة
وعشتى رداك قطر الندى
وحاولت لمسك ، لم أستطع
وغطى السراب حدود المدى
ونار وراعك تشوي الحمى
بضاعتك الخزن ، ثم البكا
وجفاف تعقبكم في الخفا
ونال غلاماً - لنا - بالأذى
وغلاق بالكياد أبوابها
وبات الصغير ، بلا روضة
ينام ويصحو على غدرها
ويمضي أبوه إلى من طغى
ويضربه لم يخف بأسه
تساءل: كيف تجرّ الفتى
يميناً تحرقته في ناركم
ومهما فعلتم بأكبادنا
فرّد الفتى ، وانتظر ثأرنا
سأخذ ثأر الفتى ربنا

أفتش عن أمه الأينة
وأبيك في الليانة الداينة
لأن القلوب هنا غابنة
تقولين باللهجة الحاسنة
سيعمي الصغير من الحائنة
وكنيت العطفة والسائدة
فنعمة المقيمة والظاعنة!
كأنتك للمنتقى ضامنة
وقال: انج من سكرة ماجنة
أردد باللفظة اللاحنة
لأضغاث أحلامك الفاتنة
يعبّر عن محنة كائنة
وعرض للفتنة المارئة
ولم يسبر الصلة الضائنة
وصخرة غدر كما الزائنة
وجمراتها بالمدما راقنة
فقبحت من رحم شاحنة
فما أنت للمرء بالزائنة
لبي الله ، يا رجماً شائنة
عجبت لأمرك من ساطنة
إذا كنت يا رجمي شافنة

وغدت - بطلاي - عزيز الخطا
أسائل عنك دموع الثرى
وما من مجيب على صرختي
إلى أن وجدتك فوق الزبا
بأن الإله قوئ عزيز
بكيبت ، وهيبت في البكا
وكنيت المقيمة في دعوتي
أخذت الصغير بتحميدة
وأتأتاني على غيرة
فقميت من النوم مثل الدمي
ورد الضمير: ألا لا تثر
ولكن هذا منام عجيب
أثم إذا ما استبج الضنا
مع العم سار بكل الصفا
فإذ بالعمومة سيف العدا
ونار تبغ اللظى والردى
علينا كمثل اندلاع اللظى
لقد عقتني عن بلوغ الذرى
وكم نلتني بصنوف الأذى!
وألقيتني في مهاوي البلا
ألا إن عندي الهدى ، والضيا

تعالِي ، وتوبي إلي ربنا
وإن النعيم لفي توبية
وليس النعيم بنيل الغنى
أحبوا ضناكم لرب السما
فلا يشترى حُبكم بالعطا
وإن عيالي يُحبونكم
وأم العيال لكم تنتهي
رأيت المكارم أخلاقها
ثُبت التواضع في شأنها
وفي الحق سيف عتي المضا
تميل إلى الجد في أمرها
وتهوى الحياة كما قُدرت
تطيع الخليل ، تُحب الوفا
أعدها إلهي إلى دارنا
وكنفي عن الخيبة الطاحنة
وليس بأرض ولا داجنة
فإن الغنى فتنة فاتنة
وليس لأمواله العاهنة
كما الحال في الفرس الضاعنة
بـرغم تهانيكم الخابنة
لها الله من زوجة حاصنة
وليست بكفارة غابنة
وليست بمختالفة رافنة
وليست بمختالفة آسنة
وهمتها - في الهدى - فاطنة
وتشبعها اللقمة الأبننة
وإن يأس كانت هي السادنة
فإن الحياة هنا فاتنة

••• بعض معاني المفردات حسب ورودها •••

• سحابة هاتنة: أي التي تهطل بالماء. • غابة المهجنة: أي القوم لا خير فيهم أبداً. • ديار
عارنة: أي بيوت بعيدة. • الميجنة: أي المدقة. • الماهنة: هي الأمة أو الخادمة. • الشاطنة: أي
الخبثة. • القحزنة: العصا أو الهراوة. • الآينة: مأخوذة من امرأة آينة أي وادعة رقيقة. •
غابنة: أي فاترة عن العمل. • الحاننة: هي الأزمة النازلة المهلكة. • السادنة: التي تهدئ من
روع المرء. • الظاعنة: المسافرة الراحلة عن ديارها. • القاتنة: من سوداء قاتنة أي قاتمة. •
المارنة: الصلبة. • الملينة: هي لين الجانب. • الزابنة: هي الأكمة تكون في الوادي وهو
ينعرج منها. • راقنة: هي الحسنة اللون أو المختضبة. • ساطنة: خبيثة. • شافنة: ذكية عاقلة.
• عاهنة: أي فقيرة. • فرس ضاعنة: الفرس لا تجري إلا بالضرب. • الخابنة: الكذابة. • طعنة:
سيئة الخلق. • رافنة: متبخرة. • فاطنة: ذكية. • لينة: مراوغة وخداعة. • اللقمة الأبننة:
اليابسة. • المزامنة: المحبة. • مساحنة: معاشررة.

لا تنبشي الماضي!

(الماضي وصلة بين ما سبقه والحاضر الذي نعيشه. كما أنه وصلة بين الحاضر والمستقبل الذي نرقبه. وأنا هنا أخاطب زوجي ومحبوبتي وأطلب إليها أن لا تذكرني بما مضى من الذكريات ، ريثما أتمالك نفسي في أول اغتراب عنها ، وأبين أنه لا حياة أسعد فيها بدونها. وأبتهل إلى الله كي يجمعها بي بعز عزيز أو بذل ذليل. وأضرب على وتر البعد. وأعزف على نغم التصبر! والحقيقة أن ساعة الرحيل لا يتمالك فيها كل محبوب دموعه. وأكتب هذه القصة لزوجي أم عبد الله ، وقبل رحيلي عنها ، كنت قد وعدتها أنها سوف تلحق بي عما قريب إن شاء الله ، وأخذت أعالج خلجات الرحيل ولواعج الفراق ، وأزایل الهموم جانباً ، إلا أنني لم أستطع صنع جو شعري أكتب عبره قصيدتي تلك. فكما غلبت الدموع زوجي ، كذلك غلبتني دموعي! فبينما سألت دموعها عينيها على وجنتيها ، سألت دموع شعري على قرطاسي. وربما يورث السفر عن الأهل الجفاف العاطفي. وربما أورث الجفاف أيضا الجدال والنقاش الحاد ، أو المقارنات بين عيشة فلانة وعلانة ، ولكن أم عبد الله كانت إذ ذاك حديثة عهد بعرس! وإذن فلم يكن مكان لشيء من هذا. يقول الأستاذ سالم العجمي وتحت عنوان: (الجفاف بين الزوجين) ما نصه: (الزوج والزوجة شخصان غريبان عن بعضهما البعض ، ربط بينهما هذا الرباط الوثيق وظللها سقف واحد ، وحوتهما بقعة واحدة ، بعد أن لم يكن بينهما تواصل ولا اتفاق. ولذا فمن المهم التنبيه إلى أنهما سيمران بمرحلة خطيرة ، إذ لم يتنباها إلى كيفية التعامل معها فإنه سيسقط الصرح الذي شرعا في تشييده ، وهذه المرحلة هي أول عام أو عامين من تاريخ الحياة الزوجية ، فإنها فترة دراسة كل من الزوجين لطباع الآخر ، ويغشاها الاضطراب وتغير النفسيات ، ودراسة أحد الزوجين طباع طرف آخر قد ارتبط به ولم يكن بينهما ثمة صلة قبل ذلك وقد يوفق أو يفشل. وكثير من الشباب يقع بينهما الطلاق في هذه الفترة إما لقلّة الخبرة أو فقد الصبر وعدم معرفة التعامل مع الأحداث. فلا بد لكل من الزوجين التفهم ومعايشة طباع الشخص الذي اقترن به ، فيكيف نفسه وفق ذلك ، ولعل الزوجة هي التي تتحمل العبء الأكبر في ذلك ، لأن الرجل أكثر تعرضاً للاختلاط بالبشر والأخذ والرد نظراً لطبيعة البشرية. فربما انعكس ذلك على حياته في بيته ، فإن لم يوفق لزوجة تعينه وتفهمه وقع بينهما الشقاق والخصومة. وقد تسير الحياة الزوجية بهدوء تام دون التعرض للمشاكل المردية التي من شأنها هدم عش الزوجية ، لكن يكتشف بعض الأزواج بعد فترة طويلة عدم الميل لصاحبه ، وهذا لا يعني نهاية الحياة بل يجب عليه التفتيش في الأسباب ، ولعل من أعظمها تعود كل منهما على صاحبه والاختلاط به أعظم الوقت ، فإن كثرة الاختلاط ينتج عنها معرفة العيوب والاطلاع على الخبايا المستورة عن نظر الناس ، ولكن العاقل من استدرك وحاول تجنب الأمور التي توقع في الزلل. ومن أخطر ما يواجه الحياة الزوجية. الجفاف الذي يخيم عليها ، حيث يجد أحد الأزواج عند الطرف الآخر مشاعر متبلدة ، وعواطف متجمدة ، تؤدي إن استمرت إلى ضياع الأسرة وتشتت الشمل وإطفاء نور المودة. كانت عائشة رضي الله عنها تشرب من الإناء فيأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فيه على موضع فيها ويشرب ، وكان يضع رأسه في حجرها - وهي حائض - فيقرأ القرآن. تقول عائشة رضي الله عنها: كان الحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد فيحملني الرسول صلى الله عليه وسلم على ظهره لأنظر إليهم ، فيقول: انتهيت ، فأقول: لا ، حتى أعلم مكانتي عنده. والزوجة الطيبة هي التي تفعل ما يحب زوجها ،

وتتجنب ما يكره ، ويجب أن تحفظ هذا ولا تحتاج إلى أن يكرر عليها ذلك. فالصبر أيها الأزواج
وعالجوا الجفاف بوابل من أمطار العاطفة ، تعيد إلى بيوتكم الحياة).هـ. وإنني لأجعل من هذه
القصيدة نصيحة شعرية لكل عروسين حديثي عهد بعرس!

من أجل من هذه الدموع أختي؟
الدمع ثبّط همّتي ، فتمهلي
أولى بدمعك أن يكفكف عبرتي
نوراً يُذيبُ قساوة وغشاوة
إنني احتسبُك عند ربي فتنتي
إن المنايا تحتويك ، فحاذري
أنا يا أختية لست أبغي عبّرة
دربُ الجهاد طويّلة ومريّرة
كيما تزكّي رُوح قومٍ نومٍ
إن الجنان ينالها من رامها
لا ليست الجنات تدركُ بالهوى
والخُور إذ يُخفي الجمال ضياؤها
أنا يا عزيزة ما ابتغيت مكانة
إن كنت أدفع في المقابل عودتي
وأنا إذن قد لاصقتُ رُوحى الثرى
قومي اذكري أمسي وليلي والضحي
أنا لا أريد المنّ أو ذكرى بطل
إن الذي فرض الصلاة بشعره
فإذا الصلاة تُريحنا ، بل تنطوي

أجل أني راحلٌ؟ فأنا لها!
وترفقي ، خلّ الدموع لوقتها
فغداً ترين النورَ في سُبحاتها
وكذا يذيب دجى برى قنواتها
فلتصبري ، ولتقشعي أجزائها
أن تُغضبني ربّ السماء لأجلها
في غير موضِعها ، ولا أوقاتها
لا بدّ نزكي يا أختية نارها
زعموا الجنان ينالها نومها
من يحمل الهندي يقتل أبرها
أو بالنعاس أو الكلام نالها
فأقد قصِرنا بسطن خيامها
أو عز نفس عنتري فارها
وعقيدتي ، فرجولتي ودّعتهها
ونذالتي في الناس قد أعلنتها
كم ركعة صليتُ أبغي أجرها!
وفضائل ، بل أعقدُ الذكرى بها
أوصى بأن قوموا اشكروا رحمانها
أتراخنا فيها ، وتذهب بأسها

ونقيمها لنردّ وعياً تائها
حباب - عبر الليل - أرجو أجرها!
فيم امتعاضك؟ يا أختة من لها؟
ة تقتضي محض ابتلاء أولى النهى
سام مضت ، والكُلّ زائل قربها
ني ، لیت شعري ، أين مني أنسها؟
أُضَيِّعُ الأوقات تهدم عمرها؟
ماذا سنأخذ من وشيك فائها؟
من ، فلست منهم ، أنت من إنسانها
أنتسّم الأنسام عبر سكونها!
ثملاً ، حزيناً ، نرجسياً ، تائها؟
والعنبوت تكاثرت ، تعساً لها!
نعها ، ولا قرآن في أركانها
نبّة ، وفي أوكاره شيطاتها
ما عاد يحكم دارنا مناتها!
ك توقعي ، عجباً لأمر كلامها!
كانت كمن نقضت بحمق غزلها
وإذا بهافي الليل تهجر دارها
تركت لذيّجور الهواجس بيتها
يوماً سيسأل ذي الخلائق ربها
أو كانت الأخرى فشرّ مآبها
بغروق أخشاب تُناغي سققها

وإذا الصلاة سبيلنا ، وملاذنا
كم ذا سهرت أسجلّ النفحات لئلا
وأراك تمتعضين ، والليل انقضى
أوما دريت أختي أن الأخو
وأقول: يوماً تذكرين رطيب أي
وإذا التشاكي والتناهي مزقنا
يا لیت شعري كيف تقضي وقتها؟
وتقول: ما أخذ الألى سبقوا شيئاً
هذا كلام العابئين الجاهليين
ولكم ذكرث الليل ليالك في تقى
والبيت كيف البيت بعدي يا ترى
فيه الستار ترهلت وتبعثرت
فيه الأبالس خيمت ، لا ذكر يم
فيها اندحار فضيلة وغلونا
عتبي عليك أختي ، أين الحجاء؟
ما كان ذلك عهدنا ، ما كان ذا
قالت: أصون البيت بعدك صاحبي
قالت غداة الأربعاء أصونه
ما خلث زوجي هكذا أخلاقها
ما خلث أنك تحنثين بعهدنا
إن كان قد وفث فخير ما أتت
ما زلت أذكر من رطوبة دارنا

بأرانب ، والله يعلمُ حالها
بدجاجها ، مَنْ لي بعذب ضجيجها
بكلابها ، من لي بصوت نباحها؟
وحصيرة حضرية ، سُقيا لها؟
بدي ، كيف ساءت ، ثم نام إطارها؟
في غيابي بالتطاول ظهرها؟
يا وَيْحَ داري من غزير شتائها!
والآي أي الـذكر تملاً جَوْها
وتعرفني - كما الخلان - حقاً أيها
أكرم بهم! زادوا السديار تنزهها
أخذت تُعدُّ الشاي ، يبسُّم ثغرُها
ما عاد يدخل دارنا أضيافها
وحياتها ، واهماً لفرط بكائها
ببراعة الأطفال تلعو رأيها
باركُ إله الناس فيها دينها
واحفظ عليها من عبيدك عرضها
وإذا مرضتُ فأنت تشفي ، فاشفها
عتك التي أرجو وفير ظلالها
تهتاجُ نفسي بعد طول عذابها
نفسي ، ومن أتراح ذل شجارها
عهدَ التقى ، والأمسيات ونورها؟

بنوافذٍ طلعتْ كشمسٍ أشرفتْ
بحوائطٍ ، ووسائدٍ ، وساترٍ
بشرايطٍ ، بنقيعٍ أمطار بها
بصغارها ، حيث الدروسُ وبذلها
دراجتي ، كيف اعتلاها الضيمُ بعـ
من يمتطي بعدي بغير الإذن منـ
داري ، وأهلي ، والطفولة والصبا
خبزٌ وملحٌ ، ثم فرضٌ بعده
لكأن سحرَ الآي المسسه
وتكائرُ الضيفان يُتجفُ دارنا
يا ليت شعري ، والكريمة زوجتي
مسكينة زوجي بغير عزيزها
ولئن نسيت فلسفت أنسى زوجتي
أو قد نسيْتُ فلسفتُ أنسى حزمها
سبحان من صاغ الوداد مع التقى!
وأزح سِتارَ الجهل عنها ، واهدأها
وتولها ، أنت القوي ، فقوّها
واغمزُ فؤادَ حليتي في ظل طا
ما كنت أحسبُ يا أخية أنني
حتامَ ترحمني طيوفك من أسى
هل تذكرين بكل صدق عواطفٍ

ويمر طيفك ناسياً أفكارها
ك سرورنا ، بالتضحيات وحلوها
ت حشاشتي ، ويحز في أعطفها
فالنفس مفعمة بحب نضالها
والله قد أوصى بصف رجالها
قم علمت وتفهمت إسلامها
والجاهلية أنشبت أظفارها
وقصور كسرى والقيصر دونها
م زواجنا؟ ما زلت أسمع رجعتها
بدمائه ، دوماً ليشهد نصرها
عبد الذي وهب النفوس حياتها
هي في ضمير الغيب سام عطرها
شوق ، وفي ذكرى شجى ، أكرم بها!
ركها وبارك عهدها ، وإخاءها!
أبغى التمام الشمل في جنباتها!
ما كان يُطربني هزيل كلامها
أتنفس الصعداء حين سمعها
إن كان أعتاب الذي يأتي لها
ح الدرب ، أو حتى يريد بيانها
ب ، ويزدري رغم الأنوف بناءها
أن التنكب فيه كل صلاحها
لو كان قد ترك النياق لربها

وأقول في نفسي ستذكرني إذن
وأظن قلبك ذاكراً بعد المي
ورأيتني والقلب من شوق يف
صبراً أخية في طريق كفاحنا
الله مقصداً ، وأحمد قائد
لكن رجال ربيت في دار أر
ليسوا رجال شواطئ وشوارع
هي صرخة للحق موت بعدها
هل تذكرين أختي ما قلت يو
قلت: اعلمي أن المجاهد يرتوي
أنا لست عبدك يا أخية ، إنما
ولئن نسيت فلست أنسى صحبة
وأراك تشفقين للأخوات في
أكرم بعهد أخوة ، الله با
كم كان يسعدني ذهابي عندهم
والندوة الشمطاء في عصر الدجى
وأظل أنتظر النهاية مجهداً
رباه فاغفر يا مهيمن حوبتي
لكنه رباه لا يبغى وضو
وسمغته يغتال آيات الكتا
متكباً سبل الهدايه زاعماً
متطعاً يهذي بغير هوادة

بل كان يعلو فوق هام ربابها
كيما تُعلم أخته توحيدها
أدوا لرب الكون حقاً جُلهما
ولتابعتك حلياتي آتي بها
النص ديدنها ودينُ جميعها
وكذا الخضوع بكل نبرة صوتها
أبدأ ، ولا شيم الحيا أدركتها
وتفنت في الكشف عن عوراتها
وأرى حديثك في قليل صلاتها
إن النصيحة بُددت من أصلها
دة ، هل يُرجى للفضيلة بعثها؟
والله يُخلف من يقود زمامها!
أترين شيئاً في شكاتي شابها؟
والناس لا تُصغي إلى داع لها!
وصخوره ورماله ، أجمالُ بها!
مزدانة ، والدُرُّ يعلو ساحها
وكما النسيم أشم عطرَ عبيرها
أيامها ، والنورُ يغمُرُ أنسها
يا ويح قلبي ، قد نأت أخبارها!
كيف الطريق إلى نديّ فعالها؟
والأمنيات تعثرت أقدامها

ما كان يسقط قط من أنظارها
ولكان فوق الرأس يسمع يهتدي
أما المناسك فالذين مضوا إذن
لو تطرق التوحيد كنت أخی هدىً
ولقد أتاك نتاج وحل حضارةٍ
والغري والغهر اللذان أراهما
ما هكذا خلق يريد فضيلة
من كان ساقطةً تناست ثوبها
أين ارتداء ثيابها وحياؤها؟
ما ذلك الخبل الذي أودى بنا؟
إذ حمل الجهال مفتاح الريا
مادام لا تدري ولم تقدر فدغ
وأعود أهمس في فؤادك همسة
أم أنه الحق المبين درسته؟
وعلى الخليج أراك في أحجاره
وأراك لؤلؤة على شطآنه
كنضارة الأصداف كانت صورة
هي فتنتي ، وأنا أومل أن أرى
ياليت شعري ، كيف أمري دونها؟
من ذا يُخبرني ، يُطمئنني إذن؟
أضحت أمور حياتنا شعراً يُرى

في آخر ، عيشُ العبيد فَمَن لها؟
ما عاد يُثمرُ في مهَاوي بُعدها
ويقول: دع هذي الكروب لأهلها
قم ، والتمسْ تقوى المليك وخيرها
وأقول في الخلوات: كيف تركتها؟
ويحي ، هناك بأرضهم وطعتها
وأنا الذي بفراقها دمرتها
وظللت تدعو من أتاك متوها
ولنعم زوجٌ هذو لحليلها!
حمن غفران الذنوب ورجسها
مد العصر ، عند الليل في خلواتها
في زحمة الأوهام أو في ليلها
وي في الحضيض ، وفي دجى أدرانها
صنام فيه ، ولم يكن متنزها
وطيوف دعر أستحي من ذكرها
ويقول داعي القوم نبغي درسها
وتشدقوا بالموبقات وفسقها
هذي فنوني ، والتدني زانها
ت القوم ، والأفلام هذا سمتها
بل وانتهاكٌ للحرام بأرضها
قوام ، بل هي فتنة وسرابها
لانزاحت البلوى ، ومُجّ بلاؤها

فالإلفُ في وادٍ ويحيا إلفه
والشعر ويح الشعر شطبه النوى
ومداد أقلامي أراه يمجنني
وامرخ ، ودع عنك التشاكي ، وابتسم
وأعود أبكي في مرارٍ زوجتي
في المهالكات طرحتها ورميتها
يبكي وصوت نحيبها في مسمعي
ما كان ضرك لو رضيت بما أتى
يا عيب إلفٍ أنت من متمردي!
أختاه جدّي واستعدي ، واسألني الر
قومي اقربي الآيات قبل الفجر ، بع
والله مالِك غيرُ ربي ناصرأ
ودعي قلاع الشر للفساق ته
ودعي كذلك كل بيتٍ تعبد الأ
قد صورت فسقاً ، وغهراً يُزدرى
ما بين بانعةٍ لعرض والحيَا
ماتت ضمائرهم ، ومات حياؤهم
واهتاج في وضح النهار خليغهم:
نطقت بذلك في جلاءٍ أغنيا
دُعرٌ هنا ، وهناك سادت ردة
لا عذر يا أختاه عند الله لأ
لو طبقوا هدي المليك بدارهم

ت على حوائط واجهات بيوتها
نمت الفضيلة واحتوت أفرادها
طى والكلاب النهم تأكل صيدها
في كل عيدٍ ثلثة من غيدها
ودعي الديار وأهلها في غيها
أيدي الأبالس من عتي دمارها
فأراك يُمتعك اشتهاء خرابها
وبآيه ، لا يدركون صنيعها
وخليغ أفلام تبدي غريها
وأراك تبكين النفوس وهزلها
وأراك تعطيك القيامة درسها
أم في الكتاب على السرير تركتها؟
كتب وأسفار كذاك وضعتها
والله مالك من أنيس غيرها!
بعد المليك رفيقة ونبيها
ضحوا بما استطاعوا ليعلو دينها
هذي الففار المعدمات وأهلها؟
في واحدة الذكرى وفي تحاناتها
وأبو سنان مقصدي بصريها
بأخوة مُزجت بحب لوانها
نور الهداية ، والتناصح سمتها

ولما وجدت اللافتات العاريا
لو آمنت هذي الديار لكان أن
ولما وجدت المارقات على الشوا
ولما وجدت ذوي الوجاهة كرموا
فدعي أخية كل بيت عابث
مادام قد فرحوا بما نسجت لهم
إن كان يُمتتعهم رقيغ مناظر
وأراك يسعدك الجليل بحبه
إن كان أبكاهم أليم مشاهد
فأراك يبكيك الجحيم بأهله
وأراك تبكيك القيامة حسرة
هذي أحاديث البشير قرأتها؟
وكتاب (عائشة البريئة) دونه
وخرجت تلتمسين أنسا دونها
عودي إليها يا عزيزة إنها
صلى عليه الله والصحب الألى
من ذا يعين النفس بعد الله في
وأعود أذكر للكرام جميلهم
أكرم بخل وشيجة في غربة
من غير ميعاد تقدم خصني
وهنا على أرض الخليج يضمنا

ما أعذب الإخلاص في ألوانها!
هي روح توحيد ، ويكفي ذكرها
من ساعة اللقيا هناك بساحها
فتعود ذكرى في فؤادي وهجها
للحق في ثقةٍ تدك غرورها
عن رحلتي ، وكذلك عن أحوالها
يغتال إخلاصي ، يقول: نسيتها
لا جاهلية ، لا ضلالة ، ليس حباً شأنها
يوم انتقاني زوجةً يسمو بها
قم يا غراب البين ، فارق ساحها
وتدوم عشارتنا ، ويحيا وصفها
وجنان عدن ، والأليف جوارها
للحق ، للتعوى ، لعذب جنانها
وأقبل دعائي وانكساري النابها
من جاهلية عمرنا ، سُحقاً لها
تقوى المليك ، وأي شيء بعدها؟
وقراءة الآيات تتلو بعضها
وصيامنا ، ثم الصلاة لوقتها
حتى يُعين النفس هذي ربها
هادي الخليفة لاسـتقامة دريها
من أهلنا ، ورفاقتنا ، ونجوعها
ويشدها نحو الكتابة شوقها

كلّ يواخي خله في رقةٍ
وأراه يـؤثرني ، ونـؤثر غيرنا
ويظل يرفق بي ، يرحب بي هنا
في الحق أسمع صوته في قوةٍ
يبني النفوس ، يقودها ، ويردها
حان الختام أختي ، وكفـاكِ ذا
إن كان يأتيك الذي يغتابني
قولي: حسنت ، فذاك حبّ صادقٍ
هذا حبيب القلب حكّم ربه
والله بـارك حبنـا في دارنا
وغداً سيجمعنا اللقاء على الوفا
للهم أسالك الهداية والتقى
بارك إله الكون زوجاً رَدّني
واختم إله الخلق بالحسنى له
فعله يُمحي به ما قد مضى
ها قد ختمت رسالتي ، فوصيتي
ثم اعتصاماً بالإله ، وعزه
وكذاك غض الطرف عن كل الأذى
ثم الدعاء لنا بقلب مخلص
ثم الصلاة على النبي المصطفى
ثم السلام على من اتبع الهدى
وجوابكم حتى تطيب نفوسنا

وكمما الزلازل والمنايا وقَعُها
دمرتُ نفسي ، واقتلعتُ حصونها
والنفس غاصت في فيافي طيشها
ورفعتُ رأسي للخبير بحالها
أطفي جوى روعي ، وأمحق نارها
وقرات (طه) ، واهتديت بنورها
ويشد أزر حلياة في كربها

وإذا الردود كما الحصى ، ياسواتي
وأتى الخطاب وشاقتني عنوانه
ومضيت أهذي ، والهمومُ ترجُني
ونظرتُ حولي ، لم أجد إلا أنا
وعمدتُ فوراً للصلاة لعنني
وأخذت قرآني بساحة مسجدٍ
ورجوتُ ربي أن يُعافي زوجتي

لَوْعَةُ الرَّحِيلِ!

(إن هذه القصيدة تعتبر أطول ثاني قصيدة كنتُ كتبتها في حياتي الشعرية كلها. تلك التي امتدت على مدى ثلاثة عشر عاماً حتى تاريخ كتابتها. وطول القصيدة يدل على عظيم قدر من كتبت فيه ، كما يدل على جليل المناسبة التي من أجلها كتبت ، كما هو معلوم بالبديهة. فأما أطول أول قصيدة فهي (من وحي الذكريات). وكنت جعلتها في تأبين من ظلم كثيراً ، ليس من باب كونه مصرياً صعيدياً مثلي فقط ولكن لكثرة ما رأيت وقرأت عن الرجل هنا في أوائل التسعينات. من كتب أهل الأغراض الذين يأكلون لحوم العلماء. وعلمت أنه مظلومٌ برئٌ مُفترى عليه. فهداني ربي بعد دراسة عميقة لأن أنذر قلبي وشعري للدفاع عنه في عالم الخذلان الذي أرى. وكانت القصيدة التي أنشدتها في تأبينه والانتصار له قد بلغت الألف والنصف ميمية القافية من البحر الكامل. وأما (لوعة الرحيل) فأهديها لأم عبد الله ، زوجي التي تزوجتها على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، وقد فاقت الخمسمائة بيت لامية القافية من الكامل كذلك. وكنت قد تناولت فيها جانباً كبيراً من حياتي. وكان الداعي لتأليفها لواعج الفراق وكربات الرحيل. وبذلت فيها أقصى ما يبذل محب لحبيب ، راجياً من الله العليّ القدير أن ينفع بها من أنشدت لها ولهم من أولادنا. وتكون نبزاً لكل من يحب في الله. والحقيقة أنه قد تحتم رحيل أحبائي عني ورغم أنفي ، وعلى غير ميعاد أو ترتيب أو تخطيط لهذا الرحيل. وأني لم أستعد نفسياً لآلام الفراق. وحاولت أن أكتب في هذي المناسبة المرة ، ورحت أستعرض التاريخ كله ، وتذكرت معه سالفات الأيام بما حوت من أفراح وأتراح. وتمشيت على جسر الماضي المختبئ في تلافيف العمر. وكان ميلاد لم يسبق له مثيلٌ لقصيدة من هي أحب الناس إلى قلبي بعد والدي ، وأسماها لوعة الرحيل ، أسلي بها خاطري وأعزي بها حالي ، وأبكي فراق أحبتي الثلاثة – الزوج والوليدين – عبد الله وعبد الرحمن. ألا وإن لكل رحيل لوعةً يدركها كل من عصفت به لواعج الرحيل!)

ما للقريض يئن كالمجنون؟!
 ما للكلام يصولُ صولَ الجفول؟!
 ما للمشاعر بُعثرت مَلَكاتها؟!
 ما للأحاسيس انزوت بتعجل؟!
 يا أم عبد الله إني باخعُ
 نفسي ، ومالي - في الأسي - من مَعْدل
 تبكي عليكِ جِوانحي وسريرتي
 والدمعُ - في عيني - لم يتزلزل
 جُدرانُ بيتكِ لم تزل مُلتاعة
 ورنينُ صوتكِ - في الدنا - لم يرحل
 حتى النسيمُ العذبُ في أرجائها
 إن يذُكر الأيام دوماً يسأل
 والأمسياتُ بغيرِ جمعكُم لظيِّ
 والصُبحُ جاثٍ فوق هامّة مشعلي
 والتلة الصهباءُ في ليلِ الدجى
 لكَز اللهبِ رمالها في مَقْتل
 والبابُ موصدٌ ليلاًه ، ونهاره
 يبكي الفراق بلوعةً ، وتعلل
 والسقفُ قد فطر العويلُ شقوقه
 يشكو الرحيلُ بكل دمع مُثقل

يا ليت شعري إن مَخْدَعَ نَوْمِكُمْ
ونوافذ البيت الكنيب تصايحت
والمطبخ المقهور من فئرانه
والصحن صحن البيت داعبه الهوى
والمجلس المسكين شطبه النوى
يا ليت شعري كيف غاص البيت في
يا دارنا عند (المُرور) اخشوشني
وعمي صباحاً يا عشيقَةَ خاطري
قرآن ربي ملء أذنك ، فاسمعي
صوت الرضيع ، بكائه ، ضحكاته
سُننُ المليك بأن نفارق ساعة
رحل الجميع ، وعششت فيك العنا
يا سعد سعد الشامتين جميعهم
يا أم عبد الله دمعتك فاحذري
عاز عليك الدمع بعد بليّة
إن الحروف على قراطيسي أسى
مزقت في العزم عزم قريحة
وأديم أرضي من دمائي مرتوي
والبؤس دهنه لاهياً خلو المنى
وطعام صبيتنا السراب وظله
وشرايبهم من أمسيات شقائنا
يا أم عبد الله طال فراقنا

ثاو ، وإن يذكركم يتجنّ دل
تهجو المساء بهيبة المتسلل
يا للكسير المُستباح الأعزل!
فاشتاق للخلان شوق العُطل
يرثو الضيوف بأهلة وتبّتل
آلامه ، والشوق لم يترهل؟
إن الفراق ينال منك ، فأجملي
وإليك شوقي رغم أنف الميّل
وحديث (أحمد) - في الورى - لم يعمل
بل حيثما يأت الرحيل يُحوّل
أواه من هذا المتاع المكسل!
كب ، وانزوت بسمات ليل أليل
فرحوا لكرب غائل متعجّل
وتماسكي ، فالحق صعب المحمل
فالدمع يُشمت فيك كل العذل
وأرى القريض يرد كفف المرمل
وبليت بالنجم البليد الأميل
وأنا المعنى في العباب الممحل
والفرح فارقتي بخزن أوتل
لنزيح كذ المس تهين المبطّل
وأرى بكفيه العنا كالمُنصّل
غيبت عنا في الفلاة الهوجّل

إنني أعيشُ - عن الجميع - بمعزل
وعلا الفؤادَ بمخـذمٍ وبمعول
يا أم عبد الله سيـفك ، فاحملي
آه لجمع - في الأذى - كالتـهـشـل
أواه من فعل القبحيح الأهلـزل!
وفسـوقهم ، والعزُّ صعب المنـزل
وأنا أفضـلُ عنه كأس الحنـظـل
ندع التـدني ، رغم من لم يعقل
إن عاش عن درب الإبال لم يعدل
لذرى الكرامة والرشاد الأكمـل
وبها يحقق كل خير مكمـل!
فلزوم دينك فيه عذب المنهل
وخذي الحياة بعفة وتجمـل
فعليك بالكتمان ، لا تنتصـلي
ودعي مقالة مستريب مجهل
وزني فعالك دائماً ، وتمهلي
فضعبيهما في العين كيلا تهـلي
واجفي الفـراش رضية ، وتنفلي
وذري المصاطب ، أنت لم تتقـولي
إن اصطناع القول طبع الأرنـل
وأنا العزيز ، فلسـت بالمـتـفـل

كيف اللقاء؟ تكلمي وترفقي
والوهم خمـش بالأظافر مهجتي
إن غبتِ عنا ، ثم طالـت غـرتي
فالشامتون هناك مـلءـدروينا
هم ينسجون عذابنا بشـماتهم
ويذل أعناق الجميع غـرورهم
والذل كأس مـفجـع ومـروع
وكتابتنا القرآن علمنا بأن
والمسلم المغوار ديدنه المضا
بل هكذا القرآن يرشد أهله
كم في رياض الحق تسطع آية
يا أم عبد الله ، دينك فالزمي
أنت الغريبة في البقاع ، فحاذري
أنت الضحية إن كشفت مسـرة
وعليك بالقرآن ، ليلك والضحي
وتحلمي إن جار كلب أو عوى
ولداك جوهرتان ، ليسا دمية
قومي من الليل المطلسم ركعة
وترفعي عن غيبة عفوية
فلم اصطناع القول منك عزيزتي؟
إنني - على الولدين - أسكب عبرتي

لكنما قدرُ إلهه ، وليس شيء
ولئن تَرَيْ شَيْئاً مِنَ الأوهـ
ذاك الذي يُؤدُّ التصور في صمـ
يا أمَّ عبـدِ اللهِ قد جـار النوى
ولكم ذكـرتُ حـليـتـي في غـربـتي
فـوددتُ تحـريقَ الكلام لأنه
ووددتُ تمزيقَ القـريض لأنه
ووددتُ تحطيم اليـراع لأنه
ووددتُ تذويب الخـروف لأنها
ووددتُ تدمير القـوافي أنها
يا أم عبـدِ اللهِ ، تلك رسـالتي
لكنما وجـمتُ وُجـوم حـجـارةٍ
ولكم ذكـرتـك عـبـرها برويةٍ
فسألـت رب الناس نصـراً عاجلاً
ولكم ذكـرتُ صـلاتنا وسـماعنا
وسـماعَ تـدليل الصّـغار بـرقةٍ
وهناك يُرسل مـوجـه متـأرجحاً
والشـمسُ تـبعـثُ بـسـمةً ذهـبيةً
معنا رضـيغ نـانم وأخـوه يـلـ
ويجمـع الأصداف ينثرها على
يضغ المـخار على الرمال كأنها
ولقد تُحدثه القـواقع خـلسة

غـيـره ، والعبـدُ فـاليتـحمل
ام ملء قصيدتي هو بعض حالي المتكـل
م قريحتي ، ويعوق كل تبسلي
حتى كوى دم عاشق في الأكـحل
عـبـر المساء المسـتـريب الأليـل!
وهـمّ تسـربـل بالريـاب المـثـقل
غمـر المشاعر بالسـراب المـبـطـل
صاغ الخـواطـر بالمـداد المـخـجل
نـفـرت كـمـثـل الأخطـبوط المـقبـل
قـد راوغت كـالأفـعوان الأهـزل
وسـطـورها عانت كـوردٍ مـثـعل
صـمـاء مـثـل الصـمت ، لم تتـحول
وفزعتُ من هول المـصـاب المـعضـل!
يجتـث ما أدماه فـعل الحـيـقل
وقـراءـة حيويةً ، بـتـهاً لـ!
وزيـارة البـحر العجيب المـذـهل
ويؤدّ كـفّ البـناس المـتـسـول
نـلهـو بها مع أغنيـات البـابـل
عـبـ بالهـدير ، بفرحةٍ وتغـزل
وجـه المـياه بـسـمة المـتـغـزل
بيـث العناكب في ثنايا الجـدول
وهو الذي - من لحنها - لم يُذهـل

حتى إذا شعر الصغير بنا نتنا
وأخوه في نومٍ يغطٍ وليس يسـ
درسَ الحياة ، فلم يجد ثمناً لها
لم تلتصقْ هذي الحياة بقلبه
لم يدخل الدينار يوماً قلبه
من أجل ذلك نام عند الشط ، لم
ما ذلك الشرف الرفيع أيا فتى؟
واليوم قد رحل الجميع ، فلا أرى
ما من صديق ، أرتوي بلقائه
ما من خليل يرفع الأحزان عنـ
إلا أخاً في الله قد أحببته
رحل الأجابة عن ديار مشردٍ
تركوه - في نار الخيانة - يكتوي
يا أم عبد الله هذي قصتي
أين الصغار بصنعهم وصنيعهم؟
غابوا عن العين التي دمعت لهم
لكنما عن قلبي المجرّوح لم
إنني - على المأساة - أشرب دمعتي

بعه توقفَ عن حديثِ أشمل
أل في الدنا ، شبلان بين الأشبل
هي قبلة المتبطر المتبذل
ودمائه ، أو عرقه أو مفصل
أنعم بصاحب عزةٍ ونفضل!
يقلق لندياه ، ولم يتعلم
شهماً أراك ، ولسنت بالمتحل
في غربتي غير العميل الأزل
ويحبني ، وأحبه بتفضل
سي ساعة ، واهماً لكربٍ مهول
يبكي على ألمي بكاء الثكل
خنة وه بين المفتري والأبيل
وهو البرئ ، من الصنيع الأسفل
سظرتها بدم المصير الأشهل
ولمن عتابي بعدهم ، وتدلي؟
يا قلب حلق في المصاب ، وحوقل
ترحل حقيقة تهم ، ولم تتحول
أسفي على مسترجع ، ومحمدل

أما القريض ، فهل يُعيدُ نضارتي؟
لكنما هي عاداتي ، وطريقتي
هو ديدني عند المصاب هو الكتا
ثم التصبر ، والصلاة بذلة
ثم القريض أثبه شكوى المصا
وأطيل ذكر الله فيه مُردداً
مُسترجعا ، ومحولقا ، ومحولقا
يا أم عبد الله ألمني الفيرا
كم كنت ألعب بالنعيم وبالثرا
واليوم مقلوب لنا ظهر المجر
زلت بنا أقدامنا لما غفلا
وقد احترقتا عندما عبثت أنا
إننا عرفنا الحق فعلا ، غير أن
واليوم نستجدي الرغيف المر من
وترينهم بخلوا بشيء من قما
بالأمس كانوا يمرحون ببيتنا
يا أم عبد الله عانت أمتي
سُحقت جميع ديارها ، واليوم في
سِيقَت بغير هواده ، وكأنها
أخذت إلى الشيطان يأكلها ويش
وأقام مجد الآل فوق رقابها
ونراه أوصى بالأذى أعوانه

أنا في رياض الشعر لم أتجول
فإذا بليت فلي رسوخ الأجل
ب ، وثم تذكير بمولانا العلي
والقلب فيها كالصفاء الجيهل
ب بلا هوى ، وبدون أي تجعل
سبحان رب مُنعم مُنفضل!
والله ينصر ضعف كل مُبسم
ق ، وهزني طول العنا والذهل
ورأيت لي - في الناس - عذب المنهل!
ن ، كأننا في عزنا لم ندخل
نا ، عن عبادة ربنا بتدلل
مننا بنار نفاقنا المُستأصل
ما قد تبغنا غيره ، بترسل
أعدائنا ، أبئس بذل النهضل!
مئة بيبتهم ، يرمونه بالمزبل
تبأ لهم ، أقبح بشر أرادل!
من قاصمات مرة لم تعدل
ذيل الشعوب ، ورهن أمر الأيالي
إبل تمُر سُدَى ، فلم تتأبل
ربها ، فويل للأكول الأوتل
بالله يوم الفتح لم يتأثل
فلكفر إبليس مضى بتأسل

وقد اقتفى أثر الهوى بتأصل
 وبنوا سقوط ضلالهم بتأفل
 ل ، ومن يعيش يرضي العدا يستأكل
 ويهيج في الدنيا هياج الزعبل
 كيف الطريق إلى التهام الخيعل؟
 ثم مزجراً ، فهتفت: لا تتأمل
 عمل غادة ، أترأه لم يتأهل؟
 متميز ، والجمع لم يستبس
 فالسحق والتشريد للمتبس
 ثمن الشجاعة والكلام الأمثل
 عن دينه ، وترأه لم يتغافل
 فله اصطباز كاصطباز الدعبل
 هو جلمد في الحق مثل الأجدلي
 هو باذل للماء بآن الجدول
 هي صلدة بأناسها كالجرول
 ج ، كالعراق المستمت الأجل
 مخ خيلها قداماً تمر كجفل
 رى ، لا تذل لمجرم أو بهصل
 في القوم - فوق الأرض - لم تتابل
 ن قيم ، جم الشمائل مكم
 هي في الدنا كالمارد المتابل

وأذل شعباً ، واستباح وديعة
 والقوم في ذك الضلالة نافقوا
 وتكسر الشيطان للجمع الذليل
 يمتص من دم قومه ما يشتهي
 مأكوله خرفان جمع معرض
 ولقد نظرت إلى الحمير فما وجد
 إن الحمير تزفت للشيطان أجد
 وإذا تمعر وجهه أي موحداً
 ليحقق حقاً ، أو ليبطل باطلاً
 وإذا به عند الطواغي دافعاً
 هو وحده في النائبات منافحاً
 هو ليس يعبأ بالعذاب وبالأذى
 هو ليس يخشى الموت وثاب الخطا
 هو عطر هاتيك الحياة وروحها
 لكنما هذي القلوب حجارة
 تحيا لتشبع شهوتي بطن وفر
 لو أنها أخذت من الشهوات تل
 بالأمس كانت في الذرى دنيا وأخ
 تحيا لتعبد ربها ، وشؤونها
 بالأمس كانت أمة تحيا لذي
 هي فوق كل الخلق نور يزدهي

وطعامها خبز الطعام والمحما
 أعداؤها في الذيل ليسوا يأكلوا
 ولها المقامات العُلا ، ولغيرها
 من نال منها أدبته ليوثها
 من قال فيها قولة مكنوبة
 لكن يرد الحق ممن قد بغى
 كانت لنا ذخراً ، وكانت معقلاً
 كانت لنا نور الدروب ونجدة
 واليوم في قاع الترددي ترتدي
 السائد المغوار بات مسيداً
 بعث الصائب هشيمه في أرضنا
 يا أم عبد الله ضاعت بيضة
 والجمع لاه في ترددي عهـره
 ورياحنا ذهبث ، وضاع إباؤنا
 فالكون منتظم ، ويعبد ربه
 وإذا بدت في الدار نبتة صحوه
 وتريد خيراً للحمير ومرتعاً
 وتعيد هدي الله في الأرض التي
 دفعت مقابله دينها أجيالها
 وتشربت بالموت أصقاع الحمى
 رب سـيفها ، ويبدأ خلف الجنـدل
 ن سـوى بقايا من نقيع الخنـقل
 من كل شيء بائدات الحسـقل
 إذ كيف تعبت نملة بالمـرمل؟
 في ظهره الجـلاد لم يتغـزل
 والسيف ترياق الـدنى الأزل
 للدين والإيمان خير المعـقل
 أكرم بأيام الجـود العسـقل!
 ثوب الضلالة ثوب كـل مضلل
 أعـداه ، ويـزورهم بتجمـل
 والحق ضاع ، ترينه لم يعمل
 وتقلد الشيطان بأس الصـقل
 والفطـرة انتكست سـدى بتبـذل
 وترين من يقل الهدى يسـتبدل
 والجمع في الغمرات ، لم يتعدل
 تسـموا بقتل النخالة المتعـقل
 وتعيد أمن الواجف المتخلـل
 بالأمس كانت في الجناح الأمثل
 وتجرعت دمها بنصل الصـقل
 اللهم لطفك بالنساء الثكـل!

وأقامت الأوهام عندي مأتماً
والأمنيات تبعثرت عبر الدجى
وتفصدت مني العيون تحجراً
أنى اتجهت أراكم في واقعي
وأظلم أرمقكم بكل طويتي
وتمر أنسام الحياة رهيبة
ويحين وقت رحيلها ، فتشير لي
ويعنّ طيف عيائنا في حجرتي
ويظل ينشر عطره في واحتتي
ويقول شعراً في النسيم ، كأنه
هو راكب متن العبير مغرداً
يا أم عبد الله أين جواركم؟
حتام يرحمني وصال حلياة
هو حافظ حق الوصال ، وعنده
ها ناوليه العزم ، يوماً وانظري
أو صدقيني ، إنه مترفع
هو ليس يحسب للخطوب حسابها
يا أم عبد الله إن العين تد
والقلب عنفه الكرى بسياطه
ولواهنات الدمع طرفاً باسم
أعني دموع طويتي وعواطفي

وتضرمت في القلب نار الدهكل
والخل أمسى كالبعير الأخرزل
تبكي الفراق ، كأنها في مرجل
في فكرتي ، في مشربي ، في مأكلي
وبنور طيف عبقرى أفكل
تحنو على قلبي الذبيح المقفل
فأقول: يا أنسام لا تتعجلي
مابين زاه لونه ، أو كربل
مابين ميمنة ، وأخرى شمال
بالرمز ، لم يقطع ، ولم يفصل
وأحسن وقع مسيره بترجل
كُبلت بعد رحيلكم بالغرزل
واكرب قلبي من حبيب مقول!
لقيام حبيب القلب أغلى مامل
سيكون في الهجاء مثل الففصل
وعلى المهيمن في الأمور توكلي
فسلاخه التوحيد قبل المنصل
مع من أليم فراقكم ، بتهمل
وعتاب طيف ناعس ومجمل
يرنو بشوق ساطع ومذيل
هي في الشجون كما النبات المبقل

أنا لست من يُخفي المشاعر لحظة
والدمع في عيني شديد وخذه
وكتائب الضلال أزيدت العدا
وتقولت ، وتحاللت ، وتكبرت
كتبت إلى الشيطان تشكو ما ترى
كتبت إليه تؤزه ، وكذلك قد
لتدائه فعلاً على جنود الإله
نسي البغاث بأن رب الناس فو
هو بيتالي أحبابه وجنوده
هو كهفهم ، هو نصرهم ، هو قضاؤهم
هو يقصف الفرعون يمحو كفره
يا أم عبد الله أو هامم بدت
ودنا الخيال وقال لي: لا تنفعن
تنهال فوق عظامه بسببها
والحزن سامرني ، وبدد وحشتي
أما الوشاة فبي باعوا واشتروا
أنا في العيون وضعتهم ، وعزلت نف
أنا ما اعتديت على الوشاة لحيلة
أكرمتهم يوماً ، ولم أك حاذراً
أثرتهم عن أهل بيتي بالذي
أعطيتهم كل الأمان ، ولم أخن
صارحتهم ، ودفعت سيري عندهم
أنا لست بالمتراهل
لكنما في الحق مثل النهضل
وتفنتت في ضربة المتقول
وتظاهرت بمحبة ، وتكمل
وتصلت من كل حق مخضل
ذهبت إليه بلوعة المتبتل
وحزبه ، بكلام زيف مبطل
ق رؤوسهم ياللعظيم المتبلي!
قبل اللقاء بساح يوم فيصل
سبحانه من قاهر متفضل!
ويحياه هدرأ وبعض تبكل
في خاطري ، ثم انتهت بتحول
وإذا الهواجس فوق جسم مرطل
وتحطم المسكين دون تولول
من يفعل السواى يهن ويغربل
قتمت بيمين مبدد ومغفل
سي عن دوي مكاند وتزحل
أنا لست للدنيا هنا بالمرول
ليس الكريم على الرفاق بحقول
ملكنت يداي بكل حسب أكمل
أنا لم أعرضهم لصولة غشقل
أنا لم أسلمهم لمخالب غيطل

ومنحتهم وقتي ، ولم أكن نادماً إن الجواد بوقتته لم يبخل
 ودفعت طفلي بين أيديهم ليعرف صوابه ، ويسر بعد تدلل
 وأمنتهم في كل قول قلته من خاف بأس الناس لما يجزل
 ودفعت طعمه أهـل بيتي عندهم وأكلت ما استبقيت لي من حافل
 في يوم عرسك قد عصرت مدامعي وثركت في الميدان ترك المهمل
 فرضت عليّ تنازلات جمّة فزارت: أني لست بالمترهـل
 وتركت مسجدهم ، وسرت بمفردي وسـتار بيتي حوله لم يسـدل
 والمسرحية أحـمست حلقاها والعـذل لاه في خـداع المحـفل
 وصـويحباتك قد ملأناك فرحة بذفوفهن ، ودنـدات البلبـل
 أنشدن رغم صيامهن ، وقد ملأ ن الجـوشـوعراً كالنسيم الشـشـل
 وسـعدت فعلاً بين أنقى صـحبة وبقيت - وحدي - صامتاً كالهيكل
 وأخذت يمني زوجتي بطلاوة ودخلت بيتي ، والهنـالـم يقبل
 فهتفت أن لا يدخلن بعدي الهـوا ء ، ففارقوا ، والعـذر لـم أتقـبل
 صـليت بالزوج العـشاء ببـيتنا وتلوـت أي الذكـر في الركن الخـلي
 ومكثت - دهرأ - في (المخيم) هائناً ورأيت زرعاً يانعاً في المشـتل
 في الصبح أذهب كي أعينك من طوى وكذلك من ثوب رثيت مبذل
 وأعود - بعد الظهر - مرتاحاً ، وطعم مة بيتنا خجلي تضئ تفضلي
 عامان في كنف المـروج ، وحـضن أحـلام الشـتاء قضـيتها ، لـم أحـفل
 يأتني الشـتاء نحـبه ، ويحبنا إن الشـتاء بأرضكم لـم يـختـل
 أما الطيور ، فقد بنت أعشاشها وتجمعت ، مرحى بأندى جـحـفل!
 وكذلك الحـقل الفـخور يـحـبنا لك قد تمطى أمسه ، واليوم لي

والماء مُسَابٌ يَأْتِي قنواته
 ودجاجُ أمكٍ في الروابي باحثة
 وأرانبُ المطر المُسجى ترتوي
 وألبطُ قد عبثَ الغرامُ بريشه
 بل غاص في أعماق نهرٍ باسم
 والزهرُ فوق الزهر ، يُقري ضيفه
 والوردُ تلَوَ الوردُ بأسرُ حبنا
 ونسانمُ الغيمِ المغنّي تنتشي
 ومفاتنُ الفرح المغردِ تنتشي
 بعثتُ رسائلا لنا مربوطة
 والشمسُ تُرسلُ - في الضحى - إشراقها
 والليلُ لمّا حُ السّنا مُتطرزُ
 والأفقُ ماضٍ في مُغازلةِ الربا
 حتى الطريقُ يُحبُّ فينا حُبنا
 هل كُلُّ ذلكَ تذكّرين عزيزتي؟
 هل بعد هذا ينتهي إخلاصنا؟
 أنا لا أصدّق أنّ هذا سَممتنا
 في الله قد أحببتُ حُبكِ وافترش
 وتفياتُ رُوحِي جميّل مودةٍ
 فلم التحرشُ بالمُحِبِّ وحُبّه؟
 قد قال ذلكَ شاعرٌ يُردِي الهوى
 (نقل فؤادك حيثُ شئت من الهوى)
 بالخير جاد ، وبالهناءِ المُجزل
 عن قوته ، إن في الدرى أو معزل
 فعلى مساعيتها العنا لا ينطلي
 فإذا به - في الأرض - لم يتسرّل
 والريشُ ملتفٌ كصوفِ المغزل
 حتى السّحاب ، يُظاننا بتطفّل
 والعطرُ من جوفِ الربا لم ينسل
 طرباً ، وتأتي من أعالي الأجبّل
 تيهياً ، وتصدحُ بالغنا كالبلبل
 بخيوطها ، أعلى جناح الجوزل
 وترينُ شمسك باللقا لم تعدل
 في سرعة ، ما إن يحلّ فيرحل
 ويبيئتُ يُظهرُ نشوةَ الفتّول
 ما إن نسِرُ فوق البطح فيخجل
 حتى تَذودي تارةً ، وتُخذلي
 عجباً لُحِبِّ باهتٍ مُتزلزل!
 يا للأسى! إن شئتِ عني فاسألي
 ثُ قصاندي ، وزرعتُ خير السُنبل
 بعد الزواج المُخبِتِ المُتجمل
 (ما الحبيبُ إلا للحبيبِ الأول!)
 أنا لسنتُ سماعاً لِقيل أهزل
 سيموت قلبي - اليوم - إن يتنقل

وأعود أسأل أم عبد الله سُؤ لَ مَتِيْمٌ مُتَغَوِّدٍ مُتَغَوِّدٍ
هل بعد ذلك تنقضي آمأنا ونعود نضربُ في الرماد المُمحل؟
هيا بنا نبني دعائم مجدنا الفوز للمِقْدَامِ ، لا للمُبْطِلِ
إني على الملهاة أشربُ حُرقتي وأبييتُ يَكُوِينِي أَلِيْمٌ تَعْلَأِي
أتذكر الماضي وخأودُ روبه واليومَ أنظره كـ بعضِ الطيسل
أتذكر الأيامَ ، كيف تناثرتُ وسنط الزُكَامِ بِمِخْدَمٍ وبمعول
أتذكرُ الناسَ الكثيرةَ حوَلْنَا ورغيد عيش في الزمانِ الأرعل
أتذكرُ الأفراحَ ملاءَ عُيُونْنَا كيفَ استكانت للعتاة البُسل؟
أتذكرُ الأمَ الحَنُونِ ، وطفلها والآن تترُكُهُ لِلْعُومِ العُذَلِ
بل كيفَ ذاك الوهمُ أمسى واقِعاً وطُيُوفِ عُمُرِ المَرءِ لم تتجمل؟
حتى الهزارُ العذبُ أضناه الهوى وهُوَ الكَرِيمُ فلم يكن بالحِيقَلِ
وكذا الزهورُ الذابلاتُ بأرضنا عُصفتُ ، وتاهت لانغمار المَوئَلِ
أتذكرُ الأطييارَ صادحة الصدى خلف العَريشِ تعطرتُ بالمَنَدَلِي
أتذكرُ الساعاتِ قد قضيتُها أتلو ، وأكُتِبُ في سُكُونِ مُسبَلِ
أتذكرُ الأغنامَ تُحدث ضَجَّةَ ليست تخألى عن حديثِ مُهتَمَلِ
أتذكرُ الغيثَ المغيثَ بدارنا لو كان يُجمَعُ في عميقِ الموشل
أتذكرُ البَرْدَ الطعينَ ، وقد برا هُ شَتاؤنا ، وعلا الندى بالهَلْهُلِ
أتذكرُ الكتكوَتِ يَنقُرُ بيضةَ ما إن يبر الدُنْيا حلتُ يَتَفخَلِ
ويسير خألفَ الأمِّ تسبُقه الخُطا مُتميِرُ في سيره كَالِقِسمَلِ
أتذكرُ اللَّقييا بهمس حائر والشوقُ يقطعُها كسيفٍ مُقصلِ
ويثيرُ عاطفةَ المُحبِّ تشفياً فيزيدُ في ترنيمَةِ المُتسَطيلِ

أَتَذَكُرُ السَّهْرَ الْمَرِيرَ بِلِيَانِنَا يَكْوِي الْمَشَاعِرَ ، فِي الْمَسَاءِ الْأَيْلِ
أَتَذَكُرُ الْقُرْآنَ فِي خُلُواتِنَا قَدْ كَانَ يَمْحُو ضَيْقَ كُلِّ مُكَدَّلٍ
أَتَذَكُرُ الْفَنَدَ الْكَرِيمَ بِنُورِهِ كَيْفَ (الْكِتَابِ) يَصُوعُ نُورَ الْمَعْقَلِ
أَمَّا (الْفَوَارِقُ) فَهُوَ مَصْبَاحُ السَّجَى يَا لِفَوَارِقٍ مِنْ حُسامٍ فِيصَلِّ!
إِنَّ فِي (الْكِتَابِ) أَوْ (الْفَوَارِقِ) شَيْخُنَا رَجُلٌ الْعَطَاءُ الْعَبْقَرِيُّ الْأَكْتَلِ
إِنَّ فِي (الدَّقَانِقِ) ثُمَّ بَعْدُ (مَقُومًا ثُ دَقَانِقِ) ، الْقَوْلُ لَيْسَ بِرَهَبَلِ
إِنَّ قَدْ كَشَفَ الضَّلَالَةَ بِالْإِيرَا عِ وَبِالْفِعَالِ ، وَرَدَّ كَيْدَ الْخَيْعَلِ
وَالْفَنَدُ أَظْهَرَ دِينَهُ وَسَطَ الْبُعَا ث ، وَلَمْ يَخْفِ بِأَسِّ الْكَفُورِ الْأَرَعَلِ
وَالْفَنَدُ صَاغَ كِتَابَهُ بِدَمِ الشَّهِيدِ د ، وَرُوْحُهُ فِي الْغِيِّ لَمْ تَتَرْتَلِ
وَالْفَنَدُ مَهْمًا أَكْثَرُوا تَجْرِيحَهُ فِي الْحَقِّ لَيْسَ بِخَانِعٍ مُتْرَعِبَلِ
وَالْفَنَدُ لَنْ يَسْتَعْدِيَ الشَّيْطَانَ أَوْ أَدْنَابَهُ ، إِمَّا يُهِنُّ فَيُحْسَبَلِ
إِنَّ التَّحِيماً لَطِّمُوا غِيَّ رَدَّةٍ أَتَخَافُ أَسَدًا مِنْ عُوَاءِ الْخَيْطَلِ؟
لَا يَمْلِكُ الْفِرْعَوْنُ شَيْئاً فِي الدُّنَا فَعَلَامَ نَضْرِبُ فِي الْعَمَى كَالْمَيْلِ؟
وَعَلَامَ نُعْطِيهِ الْأَمَانَ ، وَقَدْ طَغَى؟ وَالظَّلْمُ فِي الْأَفْئاقِ لَمْ يَتَدَلِّ
أَتَذَكُرُ الْأَسْفَارَ فِي أَرْحَابِنَا وَهَضَابِنَا ، وَقَفَارِنَا ، وَالْأَجْبُلِ
بِالْبِرِّ أَوْ بِالْجَوْ كَمَا رَحِيئِنَا أَوْ بِالسَّفَانِ ، عِبْرَ مَاءِ النُّوفَلِ
كَمْ ذَا تَعَبْنَا مِنْ أَلِيمِ رَحِيلِنَا! كَمْ ذَا تَعْنِينَا لِنُبْعِدَ الْمَأْمَلِ!
أَتَذَكُرُ الْأَهْوَالَ كَيْفَ رَكِبْتُهَا وَظَلَلْتُ فِيهَا كَالْجَرَادِ الْمِغْلِ؟
أَتَذَكُرُ الْفَجْرَ الْخَجُولَ هَنِيهَةً لَا يَنْكُرُ الْخِلَانَ غَيْرُ مُغْفَلِ
وَالْأَحْقَ السَّحَرَ الْوَالِيَدَ أَبْثَةً نَجْوَى الْمَشْوِقِ لِنُورِ يَوْمِ مَقْبَلِ
خَاطِبُتُهُ: أَبْشُرْ أَيَّ سَحَرِ الْمُنَى إِنِّي - عَلَى الْأَهْوَاتِ - لَمْ أَتْخَذَلِ
فِي لِحْظَةٍ مُلْتَاعَةٍ أَلْفِيَتُهُ قَدْ ضَاعَ فِي أَرْضِ فِلاَةٍ مِجْهَلِ

أَتَذْكُرُ الحَرْبَ الضَّرُوسَ ببيتنا ضدي ، وإنني لست قط بمجهل
كلُّ يلمع سيفه ، ويحده ليكون أمضى من نصال الفِرزل
عجباً لأمر قرابةٍ ، وأخوةٍ ابنٌ يُقطع بالحسام المُقصل؟
إن الكلام لعاجزٌ عن وصفكم ترمون مُسالمَ بِيَمِّ تكم بالنهش
وطردت طرد مُعربٍ ، ومخربٍ وانفلَ ظهري ، كالبعير الأخرزل
ومكثت أياماً ، أبيت على الطوى وكأنني في القوم (كلبه حومل)!
وهرعت للأصحاب ما رفعوا الأذى فمشيت - بين شوارع - كالدلدل
يهتاج في جوفي اللظى ، وإذا ظمئت فإن رِيَّي من نمير الحومل
يلتاع في قلبي الوفا ، وإذا أردت الأكل يُشبعني رطيب الخنبل
ويئن دمعِي ، والسراب هو الدوا ياليتني من سُمه لم أنهل
ويئن في عقلي صدى ماض ثوى وأنا رثيثت رحيله بتعقالي
والأكل جافٍ قرددٌ ، ولنن أردت ختامةً ، أمسكت بعض الحوصل
أما قرطيسُ القريض فبعثرو هافي المتاهة في صخور الجرول
فاعجب لهذا يازهير ، وغنني شعراً على أنات آهة (دعبل)
فالكل يضرب في ضرب مُجالدٍ وكأنه بالفأس لم يتركزل
حتى الأخيّة ، لم تُراع أخوةً ضربت بشيء من هزيل المرول
حتى الرضيعة كابت في ضربها بهراء لغو صائب ، ومُرهبَل
وسنئ غمري - في اللظى - قضيتها متشئتاً ، كالأفوان المُجفل
إنني - إلى بيت عريق - أنتمي إنني لمن نَسب أصيل مكمَل
أنا جدٌ جدي في الشجاعة ضيغمٌ أنا من عشير ذي مقام مزيل
أنا ليس في قومي رقيق فاسق بل ، ليس فيهم من خليع ممدل

هم في إغاثة مُسْتغِيثٍ صُـبِّرُ وفوارسٍ في الحرب لم تتفتعل
هُم في الصعيد ، وفي التلال أشاوسٌ وعلى الجبالِ ، وفي رمال عتقل
لكنهم ماتوا ، وعاشت حِفْنة منسوبة لثرى الصعيد المُخضَل
ليسوا كمن رحلوا ، ولكن جَوْقة ثركت على جسر الحياة المُهمَل
قد جاوز السنتين كهلاً طاعنٌ في الفن يشقى شِـقوة المُتَبذل
وتراه تُبكيه المَلاهي دائماً عجباً لهاتيك العيون الهُمَّل
كهلاً أضاع العُمَرَ في شتى الفنو ولم يزل ، يا للعجوز الرّهـذل!
راع تسلط بالغرور ، ولم يزل متسلطاً ، يلهو بعيش غيدل
يا أمَّ عبدِ الله أتعبني القريـ ضُ وهزني ، والجهدُ يملأ قِيهاي
وإذا علمت مرارتي ، وحرارتي ومُصـيبي ، إن كُنت في جهل سَلي
يُخبرك كُلُّ الناس أني ثابتٌ رغم الشَّقَا ، بل أمرُ إعيائي جلي
لكنما مُتصـبِرٌ ، فترفقي رِحْمَ أنالك ، فاقطعيني ، أو صلي
بل أنت - بعد الله - عوني في الدنا والعيشُ - بعد الظغن - لم يتحفل
أنا بعدكم نَصَبٌ ، ويعلمُ ربُّنا يالي هنا من ضائعٍ ومُخردل
فلقد رحلتُم ، ثم شَطَّ بي البكا والوهْمُ في كيل الشَّقَا لم يذَل
والله يعلمُ أن عطر شـبيبي ولي ، وضاعت أمنيـات المزيـل
إن قلتُ إنني ضِعْتُ في شطحاتِ در بي ، ما كذبتُ ، وقبلُ لم أستسهل
بأبي على ذنبي أراه مَغلقاً بل حيثما أجد الهوى أتلمل
أيامُ كُنتُم ملء عيني كنتُ في كبد السـما ، أرنو لأرقى منزل
لما تغفني في الحياة كوارثُ وكذلك لم أحفل بأقسي دهـكل
نارُ الحياةِ نجوتُ منها سالماً أمسي وأصبح مثل أي سـمـدل
نارُ الرُّكـام الجاهلي ردمتها ومحوتُ من رأسي رُموزَ سـبـهـل

نارُ النفاق تعقبنتي من جنو
 هي أحرقت بيتي وثوبي والصحا
 نارُ العمالة في الضمير كما اللظى
 وتظن بالأشرف ظناً سيئاً
 كانت لنا يا أم عبد الله دا
 ويلفها سُورُ الحديقة شامخاً
 وجعلتها وطن الجميع ، ولم أشـ
 بالآي آي الذكر قد زينتها
 ووضعت لؤلؤتيك تحت سمانها
 ورأيت فيك الأم تعطي عطفها
 والآن فرقنا (العميل) بفعله
 هو أمر ربك ، لا تخافي قط أو
 كانت لنا بين الأنعام مكانة
 ولك الشهامة والكرامة والغلا
 وإذا مشيت ، فلمسير شروطة
 وأظلل في سري أقول تولها
 إنني ولؤلؤتك نعرف فضل أم
 إي ، أنت أم للحليل وللويلد
 أنت الحنان ، وأنت غيب حياتنا
 بل أنت رزق ساقه المولى لنا
 إي أنت والأولاد بحرُ سفينتي
 د فراعن ، كانت كمثال الدمل
 ب ، وليس تحرق زجرات الففصل
 والنفس أدمعها كمثال الحومل
 جداً ، وتحسن ظنها بالغشقل
 ر ترتدي ثوباً بهيم المفشل
 بيدي مالات رُبوعه بالكربل
 ح بهالنا ، أناست قط بفصل
 حتى غدت بالصدع أطيب منهل
 والروح تزجي السير سير الخيزل
 وحنانها ، عجباً لأم مطفقل
 وكلامه ، عجباً لكيد مختل!
 تتألبي ، عيب عليك ، تحملني
 ونهيم في عيش رطيب غيدل
 يا أم عبد الله زينت الخالي
 ولباسه ، أخفأك كُمل تزيقل
 وأظلل أذكر ربنا بتسبخل
 حبهما أثيرى ربوع المونل
 وإن أبى هذا قطيع القمل
 أنعم بغيب طيب متشلشل!
 في ليل عمر عابس ، ومليل
 والشـرُ في الأولاد لم يتكمهل

أنتم نسيم شيبتي ، وقريحتي وحنان ماء من سحاب هطل
 أنتم دواني إن مرضت ومونلي أنتم حياتي رغم (زيد) أو (علي)
 روحي فداء حياتكم ، هذي وصيـة ديننا ، سُحقت جموع العذل!
 من أجاكم أطأ الحياة بعزمتي وكذا الربا إن كنت لم أتوعل
 أنا ليس تُعجبني الحياة ذلياة وكلياة ، فالجبن طبع الأذل
 كانت لنا دار ، وكنت ضيائها والدين زينها بكل تجمل
 كم أسعدتنا فكرة ورؤى ، وكم أسعدتنا بطعامك المقرنفل!
 كم ذا درسنا العلم في دار الهنا والحق قلناه ، ولم نتعل!
 وإذا كلاب الأرض تهدم دارنا رغم النفاق وأهله في القسطل
 عجباً لأمر كلامهم ، وفعالهم! القرد يصعد فوق هام الشمس!
 والخنفساء تُهدد الأسد الضوا ري بالردى ، أحقر بفعال كبرتل!
 وذبابة تُردى قطيع سلاحف وتقص بالمقراض خفف العذل؟
 وينال هراً من عقاب جارح ويُقيم متراساً بوجهه عقرطل؟
 أتفت في عضد الصقور يمامة؟ وتقال من نسر ربيبة عطل؟
 أينال كلب قد عوى من هيثم؟ وتقال ريح من تلال الأعبل؟
 أتسود الأوهام وفوق هبوبها ومزاجها ظهر الجواد الأرحل؟
 أيخوف الجمال القوي بقضه وقضيضة - بالله - ظل الأرخل؟
 والخوت في جوف البحار ببأسه أيخاف شيئاً من تحدي الغجل؟
 والطيـر في جـو السماء مرفرفاً أيخاف يوماً من تلوي الزعبل؟
 والبحر هل بعض الرماد يريبه؟ أم هل يعكر بانهمار الكندلي؟
 والأرض - قولوا - هل تُبدد نورها وجمالها - يوماً - ظل الكهبـل؟
 إن السفينة في غباب الماء تمـ خزل لا يرى منها شرار الكوثل

رَبَّانَهَا بِالنَّصْرِ قَدْ عَقَدَ اللُّوَا قَدْ بَاتَ - فِي الْأَحْلَامِ - لَمْ يَتَّقَيْلِ
 وَالرَّاكِبُونَ ثَلَاثَةَ: أُمٌّ وَلِوُ لَوْتَانِ ، نُورَهُمَا بَدَا كَالكَرْبِيلِ
 مِنْ حُبِّكَ الْفِيَاضِ يَا مَلَاخُ فَايَ نِذْلَ لِلْجَمِيعِ ، وَكِلَ لُهُم بِالْقَنْقَلِ
 وَإِذَا جَهَلْتَ الدَّرْبَ فِي الْبَطْحَاءِ خِذْ هُمْ صَوَّبَ وَإِ عِنْدَ سَفْحِ الْعَوَكْلِ
 وَأَعِذْهُمْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْهَوَى وَاحْمَدُ ، وَكَبَّرُ وَاصْطَبِرُ ، بَلْ هَلْ
 وَأَقْدُرْ لِمِيعَادِ الصَّلَاةِ ، وَصَلِّهَا مَعَهُمْ ، وَقِلْ لِلطِّفْلِ كَبَّرُ ، حِيَعِلْ
 وَإِذَا بُلِيَّتَ بِنِعْمَةٍ فَاحْمَدُ ، وَلَا تَكُ لَاهِيَا أَبَدًا ، فَلَسْتَ بِمِقْمَلِ
 فِي هَوْدَجِ التَّوْحِيدِ فَاسْثِرْ أَسْرَةً وَاحْذِرْ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعَ الْمِفْثَلِ
 وَاعْمُرْ هَوَاكَ الْخُرْفَ فِي قَارُورَةِ التِّ وَوَحِيدِ ، بَلْ وَأَتِمَّ غَلِقَ السُّوَجْلِ
 يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ خُتِمَ الْقَصِيدُ بِفَرْحَةٍ ، خَلْفَتْ دُعَاءَ الْمُتَكَلِّمِ
 إِنِّي عَلَى الْأَيَّامِ أَشْكُو مِنْ (أَنَا) (لَأَنَا) بِثُوبِ فِي الْمُصِيبَةِ هَدْمِ
 وَعَزَفْتُ عَنْ نَسِجِ الْقَرِيضِ إِلَى هُنَا لِرْتَابَتِي ، مِنْ بَاكِيَاتِ الطَّيْسِ
 عَجَزَ الْيِرَاعُ ، فَلَمْ أَطِقْ تَكَرُّرَهُ لِلْفِظِّ كَالْقَطْرَاتِ لَمْ تَتَفَحَّخْ
 وَطَغَى الْوَدَاعُ عَلَى الْمِدَادِ فَمِصَّةُ عُوْفِيَّتِ يَا قَلَمَ الْمُحِبِّ الْمُتَكَلِّمِ
 وَتَمَزَّقَ الْقَرِطَاسُ مِنْ أَلَمِ الْجَوَى فَاشْتَاطَ كَالرَّجْلِ الْعَضُوبِ الْفَقْحِ
 وَالشُّعْرُ ضَاقَ بِغُصَّةٍ ، عَجِبًا لِأَمِّ رِكِ ، كَيْفَ مُنْذُ الْبَدْءِ لَمْ تُظْهَرْ لِي؟
 فَلَأَشْكُونَ الْحَالَ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْوَرَى وَالْكَوْنَ ، مَوْلَانَا الْعَلِيِّ
 وَأَحْبَسُنْ قَصِيدَتِي فِي سِجْنِهَا إِذْ إِنَّهَا صِيغَتْ بِغَيْرِ تَجْمَلِ
 لَوْ أَنَّهَا - فِي الْجَاهِلِيَّةِ - أَلْفَتْ لَمِشَتْ بِثُوبِ فِي الْحَوَاضِرِ خَلْخَلِ
 إِنْ الْقَرِيضَ قَدْ اشْتَكَى طُولَ الرِّقَا دِ ، بِلَوْعَةِ الْأَمَلِ الضَّعِيفِ الْقَتْلِ
 إِنَّ الْقَرِيضَ صَدِيقُ هَمِّي ، أَكْخَلِي أَيْعِيشُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ الْأَكْخَلِ؟

في الكرب يصحبي ، يُداعب وحدتي وأراه مُنتبهياً ، ولم يتمكح لـ
 وأحبُّ فيه جزالة ، ورسالة كغيون غيد في الشكاية هُمل
 ولقد حَففت قوافي الأشعار حـ سفّ مُجمل ، قد فاق حفاً السوول
 وبكل لفظٍ مات قد حبرتها كجواد عُرب بانيد ، ومسرول
 في طست ديوان اليعارب قلبت فلقد غمست يراعها في السَّيطل
 فتعنترت ، وتزهرت فغدت كما تبدو الحقيقة في نقبي سجنجل
 ولسوف تعضل بالسفيه ، فلا يعي منها ، كشعر شانك ، ومُففل
 ويضج شعري في مدادي باكياً يا ويح شعر في المسير عرنـدل
 والدرهم المنكود ولي هارياً وبليت بالفقر الكظيم الحسفل
 والماء ماء العيش ولي مدبراً سُقيا لماء بالآف سلسل!
 وكذا العقائل أدبرت إلا العقيلة زوجتي ، لم تبق غير حزنبل
 وجميل كل العيش يَم وجهه نحو الجفا ، لم يبق غير الحسفل
 وغضنفر الأصحاب فارق صـحبه عجباً له ، لم يبق غير الحسفل
 يمشي على الأشواك صاحبكم هنا مترحماً ، ذات اليمين وأشـمـل
 والثوب فوق إزاره مُتهتئـك يا عيب ثوب ذابل مُترعبل
 والجسم مزقه الأديم ، وشـجـه كخبـيص قمـح آسـن ، ومُرمـل
 والعقل طارده اللظى بسـلاحه كنسـيم هـجر جـامـح ، ومُرمـل
 والشهم طوقه النفاق بزيفه كإزار سـحر ، بالضلال مُمرجل
 والروح تُوغل في الهروب طليقة كجواد قوم في السباق همرجل
 والقلب يخفق يشـتـكي أهل النفا ق ، وماله عن نقدهم من معدل
 نسب التزيي بالمسـوح مخـيم قوتلت من نسب بئيس مكسل!
 وغلاننا فوق المكائد قد عدا عجباً لأمرك من غلام مكمل

يا أم عبد الله دونك مُلحتي لفح الرحيل الشَّعرَ لم يتكربل
 إني على لحن الرحيل عزفتها فإذا بها كالبابل المُتفخَّل
 إن الرحيل للفظ هـ دراة تشوي النُخاع بذِي العِظام النحل
 في مُستهل قصيديتي بيتان مرتجان أسأل فيهما ما طاب لي
 ما للقرىض يئنُّ كالمجنون؟ هُو من صنيع مُناقق ، ومُبرقِل
 ما للكلام يَخافُ بأَس الجَحْفَل؟ مِن حقهِ ، هُو مُبتلى بالأرذل
 ما للمشاعر قصرتُ خطواتها؟ مَع ذورة ، والويل للمتمخَّل
 ما للأحاسيس انزوت بتضاؤل؟ تبكي الوفاء ، بدمع ليلى أليل
 إياك بعد اليوم تهذي بالسوا ل لمن طغى ، ما أنت بالمترهل
 واصبر لأمر الله ، وارحُ ثوابه سُبحان ربك مِن حَكيم أول!
 وكذلك صلَّ على النبي وآله والتابعين المتقين الكُمَّل
 والى قصيد شائق مُتشوق هُو في ضمير الغيب وحي تأملي
 فالشعر أغنية الحياة وأنسها والشعرُ ينبوع الهوى المُتغزل

**** معانى بعض المفردات حسب ورودها ****

- المتجدل: مأخوذة من الجنادل وهي الصخور ، والمعنى أي المرتطم بالصخور. • الجحفل: أي الجيش العظيم. • حواجلي: الحواجل هي القوارير العظيمة ووحداها حوجلة. • يتجدل: يرتطم بالصخور من لوعة الفراق وأثر الرحيل. • القاحل: اليابس المجدب. • الثامل: مأخوذة من ثمل أي سكر ، والثامل هو المرتجف المرتعش غير الثابت. • أوائل: كثيرة. • الأبيلي: الراهب أو صاحب الناقوس. • تتأبل: تتخذ إبلا. • الأوتل: الشبعان. • يتأفل: يتأفل: يتكبر. • المتبسل: الشجاع. • الأجدلي: الصقر. • الجرول: الأرض ذات الحجارة. • الأحجل: الذي يسير على رجل ويرفع الأخرى. • البهصل: القوى الجسور. • أجادل: جمع أجدل وأجدلي وهو الصقر الجارح المخيف. • الحنفل: بقية الثريد والمرق. • الثافل: الرجيع. • ثامل: بقايا. • ثلاثل: جمع تل. • الضائل: الثائر. • المتعتكل: المعوج الملتف حول نفسه. • الضائل: الثائر.

النساء الثكل: أي اللاني فقدن أولادهن. • الثامل: السيف القديم العتيق. • قطع براعل: البرعل هو ولد الضبع أو ولد الوبر. • برائل: هو ما استدار من ريش الطائر حول عنقه. • يتهيل: يثور ويعترض. • أفكل: ثائر مضطرب مرتجف. • تبكل: غنيمة. • واغل: الواغل هو الطفيلي في شرايه. • مخاتل: مخادع ، وهي من باب ختل أي خدع واحتال. • العظام النحل: أي شديدة الضعف والنحولة والهزال. • الأطحل: أي لونه بين الغبرة والبياض مثل لون الطحال. • يخاتل: يخادع. • الذوايل: جمع ذابل وهو السيف الماضي. • حبانل: فخوخ. • إسحل: عود معطر تتخذ منه المساويك. • قنابل: جمع قنبلة وهي جماعة الخيل. • مفلل: محطم. • جلائل: جمع جبليلة وهي الأمر الجلل العظيم. • جبال: هو اسم علم للضبع. • عيطل: هو طويل العنق من الإبل. • همل: العين الهمل أي المحجورة المهملة. • حلالل: أي الرجل العظيم. • مترعلل: الثوب المرعلل هو الممزق البالي. • نوق بهل: جمع باهلة ، وهي الناقة لا صرار لها. • البازل: البغيض المبتذل. • أماتل: جمع مثيل وهو الشبيه والند. • خواذل: الخاذل هو المنهزم الذي خذله غيره فكانت هزيمته. • العياهل: الشداد. • علاعل: جمع شاذ للعلو ، مثل أعالي. • فداكل: عظام الأمور. • الطيسل: السراب. • الزمان الأرغل: أي الواسع الناعم من أثر الترف فيه. • دغاول: دواهي. • المنذلي: نوع من العود وهو المطري بالمسك والعنبر. • مهتمل: المهتمل أي النمام. • مواشل: مواضع تجمع الماء. • الهلهل: الثلج. • يتفخل: أي يظهر الوقار والرياش. • القسمل: ولد الأسد. • قاصل: السيف القاصل والمقصل أي الماضي القطاع. • يتسيطل: من جاء يتسيطل أي جاء وليس معه أحد أو شيء. • اللائل: الليل المليل واللائل والأليل أي شديد الحلكة والسواد. • مكدل: أي مكدر. • الزاهل: أي المطمئن القلب. • فيصل: ماضي. • الأكتل: الشديد العاتي. • يحادل: يرواغ. • كيد الخابل: أي كيد الشيطان اللعين. • الأرعل: الأحقق. • يترتل: من يترتل في الشيء إذا تمادى فيه وترسل. • يتنذل: يضطرب. • الخيطل: الكلب. • داهل: أي متحير. • يتدلل: أي يتدلى منه الدلدل وهو الجرس. • مداغل: بطون الأودية. • النوفل: البحر. • نواقل: نواقل الدهر أي مصائبه وكورائه وعادياته. • ممغل: أي مولع يأكل التراب. • يدائل: يخادع. • الخافل: الهارب. • يتخذل: من يتخذل عليه أي يشفق ويرق لحاله. • ذاجل: من رجل ذاجل أي ظالم. • فرزل: أي القيد ، والمقراض يقطع به كل حداد حديده. • مقصل: أي السيف يقطع بصورة مذهلة سريعة. • عاصل: العاصل هو السهم الشديد. • أخزل: الأخزل من الإبل هو ما ذهب سنامه. • محائل: المحائل هو المزارع يعمل في الحقل. • كلبة حومل: حومل هو اسم لامرأة كانت تجوع عمدا كلبتها بالنهار ، حتى أكلت ذيلها جوعا ، فصارت مثلا يضرب للتدليل على شدة التجويع ، تقول العرب: أجوع من كلبة حومل. • الحنبل: اللوبياء. • الحيصل: الباذنجان. • الراعل: هو ردئ التمر مثل الدقل. • الحابل: الساحر المخادع. • رابل: جمع ربال وهو الأسد. • يتركل: من يتركل بالفأس إذا ضربه برجله ليدخله في جوف الأرض. • المرول: القطعة من الحبل الضعيف. • مرهبل: الكلام المرهبل أي الكلام من فم لا تفهم ألفاظه ، ولذا فالكلام لا يفهم. • الماخل: الهارب. • عقتل: العقتل هو الوادي المتسع أو الكتيب المتراكم. • كلا كل: أي الجماعات. • يساتل: يتابع. • يتذاعل: أي يتصاغر. • غيدل: الغيدل من العيش أي الواسع الرغيد. • قيهلى: القيهل هو وجه الإنسان. • يتحفل: أي يكثر بأهله. • مخردل: أي مصروع. • يذال: يسرع في خطواته. • المزيل: أي الرجل الكيس اللطيف. • أشاخل: يشاخل الرجل الرجل أي يصافيه. • الشابل: الأسد الذي اشتبكت أنيابه ، والغلام الصبي اليافع. • شواكل: الشواكل هي الطرق المتشعبة من طريق أعظم. • سمندل: السمندل هو

طائر في الهند لا يحترق بالنار. • سبهل: السبهل أي الباطل المرذول. • نواهل: النواهل هي الإبل الجياح. • الففصل: هو الأسد. • العاسل: هو الذئب. • الغشفل: هو الثعلب. • الكاهل: شديد الكاهل ، أي قوي منيع الجانب. • فسائل: جمع فسيلة وهي النخلة الصغيرة. • يزامل: من الأزامل وهي الأصوات. • مظل: الأم المطفل ، أي الأم ذات الطفل. • عاهل: العاهل الملك الأعظم أو رأس القوم ، والمرأة لا زوج لها. • عقائل: جمع عقيلة وهي المرأة الكريمة. • تزايل: أي تباين واحتشام. • متشلشل: متتابع القطر. • يتكهل: يجتمع. • هتل: السحاب الهتل ذوات المطر الضعيف الدائم الذي لا ينقطع. • هزامل: أي الأصوات. • يتوعل: مأخوذة من يتوعل الجبل أي يعلوه. • الأقزل: الذئب. • يتكاول: يتقاصر. • الشمشل: هو الفيل. • كبرتل: ذكر الخنفساء. • الضاعل: الجمل القوى. • عقرطل: أنثى الفيلة. • عنظل: العنظل هو بيت العنكبوت. • الأعبل: الجبل الأبيض من الحجارة. • الجواد الأرحل: أي أبيض الظهر فقط. • الهاقل: ذكر الفأر. • الغنجل: عناق الأرض ، وهي دابة غير معروفة. • الزعبل: الأفعى أو الحرياء. • الكندلي: أي نبات ينبت بماء البحر. • الكهبل: شجر عظيم الفروع. • الكوثل: هو موخر السفينة. • الكريل: نبات له نور أحمر مشرق. • القنقل: المكيال الضخم. • واشل: مأخوذة من الجبل الواشل أي الذي لا يزال يتحلب منه الماء. • مقمل: أي أنه استغنى بعد فقر. • مفشل: المفشل هو ستر الهودج. • السوجل: غلاف القارورة. • هدمل: الهدمل هو الثوب الخلق. • زوائل: الزوائل أي الصيد أو النساء. • يتفحل: المتفحل من الشجر هو الذي لا يحمل ولا يثمر. • الفقل: أي الرجل سريع الغضب. • حوامل: أرجل. • القنصل: القصير. • الأكحل: هو عرق الحياة في اليد. • السودل: الشارب. • كحائل: الأعين الكحائل أي التي عليها الإثم والكحل. • السيطل: الطست. • عرندل: الطويل والصلب الشديد. • ضلاضل: ضلاضل الماء أي بقاءه. • حزنبل: المرأة الحمقاء. • حسفل: الردئ من كل شئ. • الحسقل: الصغير من ولد كل شئ. • ناعل: لابس النعل. • مرمل: خبيص مرمل أي كثر عضده ولته وليه. • ممرجل: ثياب فيها صور المراجل. • همرجل: الجواد السريع. • هلاهل: الثوب السخيف النسج. • مكسل: النسب المكسل أي قليل الآباء في الصلاح والسؤدد. • يتكريل: من الكريل وهو نبات له نور أحمر مشرق. • المتفحل: مأخوذة من يظهر الوقار والرياش معا. • مبرقل: من يبرقل برقلة فهو مبرقل ، أي كثير الكذب. وإنني إذ أكتب هذه القصيدة المعلقة (لوعة الرحيل) فإنني أهديتها للزوج الحبيبة (أم عبد الله) وهي ترجمة صادقة للحب الذي دخل قلبي وجوارحي أول مرة ، في الله وعلى هدى منه ووفق شريعته. وأعقبه زواج على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولو كره الحاقدون! وقد أعقبته هذه الزيجة قلاقل وعراقيل وعقاييل واضطرابات ، بعضها بما كسبت أيدينا ، والبعض الآخر خارج تماماً عن إرادة الزوجين! وما أظن زيجة أخرى كان يمكن لها أن تصمد في وجه شئ من هذه العراقيل أو تلك العقاييل أو هاتيك الاضطرابات! حتى أن بعض السفهاء يستغلون عدم تسمية المهر في مجلس العقد ، فيعتبرونها (زيجة بلاش!) على حد ما يتشددون! والله يشهد إنهم لكاذبون! إذ ظلت أذفع هذه الزيجة حتى كتابة هذه القصيدة! ولنن كان عُرف القوم أن يلقي العريس بمبلغ من المال في ذلك الزمان (1987م) فما كان أيسر ذلك عليّ ، ولو على سبيل الاقتراض من الآخرين. والحقيقة المرة التي يغفل عنها المغرضون هؤلاء أن وكيل النكاح لما سئل عن المهر (الصداق) قال: نحن نأخذ رجلاً معه القرآن! وأمر محرر العقد أمام الشهود والجلوس والحضور يومها: (اكتب الصداق المسمى بيننا!) وهنا اعترضت عليه كعريس وقلت: لا بد وأن يُسمى يا حاج! فقال مقولته التي

أسلفنا: (نحن نأخذ – أي نزوج ابنتنا – رجلاً معه القرآن)! فقلتُ: معي نصف القرآن (من الإسراء إلى الناس) وليس القرآن كله ، فهل تقبل؟ (قلت ذلك جاداً وممازحاً) فقال: أقبل! فقلت: على بركة الله! ولما عازمت على الرحيل ، جاعني وجعلنا لابنته مهر مثلها (5000 جنيه مصري – عام 1989م) ، وبقي ديناً عليّ لها قمتُ بسداده كاملاً! فأين (البلاش) يا كذبة يا مُعرضون يا أفاكون؟ ولقد كانت هذه الزيجة فاتحة خير على العائلتين (عائلة العريس وعائلة العروس) ، اعترفوا بذلك أم لم يعترفوا! أقرّوا بذلك أم لم يقرّوا! قالوا بذلك أم لم يقولوا! إن للتاريخ أنياباً لا ترحم! وإن الحقيقة لها ألسنة من اللهب ودخاناً كشواظ النار اللافحة! (وجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً!) ولولا أنها كانت زيجة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – لما صمدت ولما واجهت ولما انتصرت! والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون!

مرارة الذكرى!

(إن الذكريات التي يصنعها واقعٌ سعيدٌ متفانلٌ ليست أبداً تشبهُ الذكريات التي تنتجُ عن واقع حزين منكوب. وكل إنسان له ولا شك ذكريات من النوعين: ذكريات حلوة وأخرى كئيبة سيئة. وأكثر الناس إحساساً بالذكريات حلوها ومرها هم الشعراء. وهذي قصائدهم في القديم والحديث تصف الذكريات السعيدة كما تصف الذكريات المريرة. فكم من شاعر رفعته الأحاديث عن الذكريات إلى أعلى عليين. وهو يلتزم في الحديث عن ذكرياته أدب العقيدة ويراقب الله تعالى (فكلماته وأشعاره من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها في الجنة في أسمى مقام). وعلى النقيض من ذلك كم من شاعر أطلق لشيطان شعره العنان فلم يلتزم أدب العقيدة وجعل الله أهون الناظرين إليه وانفلت من إसार الدين ورباط الإيمان وحبل الله المتين ، فصاغ الكلمات النابية العارية الخليعة الحقيرة في قالب شعري أوبقه في النار. (فكلماته وأشعاره من سخط الله وغضبه يهوي بها جميعاً في النار سبعين خريفاً) والعياذ بالله تعالى: (ألم الذكريات وذلك في الدنيا وعذاب الله في الآخرة). وإنني هنا أعاني ذكريات فراق أحبائي: زوجي وأولادي وقد رحلوا مضطرين إلى مصر عام 1992م. وذلك على إثر تمثيلية مدبلجة أبطالها من الذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا والله وحده المستعان على هذا الحال. ومن هنا رحلت أعاني مرارة الذكرى. فمن قيام لليل لحد الإنهاك! والقراءة والاطلاع لشغل الوقت والعناء في ذلك! عن أنس بن مالك - رضي الله عنه- قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما أخبروها كأنهم تقالوها! فقالوا: وأين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أنتم الذين قلتم: كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني). وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا نعت أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه). عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - فإذا حبل ممدود بين السارين ، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: لا ، حلوه. ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضع). ما من شاعرٍ على الأرض إلا وقد تعذب في هجير الذكرى ، أو على الأقل ناله غبار ذلك الهجير. ويزيد من ألم الذكرى وعذابها شمت الشامتين ، والليل عندما يأتي فله وحشة. ويتمنى الواحد منا لو لم يبرغ عليه فجر العذاب. ولكن: (ليس كل ما يتمناه المرء يدركه!)

رَحَلَتْ يَشَّعُهَا النَّوَاخُ	وَدَهَبَتْ أَدْرَاجَ الرَّيَّاحِ
حَمَلَتْ حَقَائِبَ زَادَهَا	عَزَمَتْ عَلَى قَطْعِ الْبَطَّاحِ
وَتَرَكْتُ وَحْدِي أَكْتَوِي	بِأَطْطَى الْفُؤَادِ الْمُسْتَبَاحِ
وَسَمِعْتُ زَمَجَ رَةِ الْجَاوِي	فَهَتَّتْ أَسْنَانُ تَارِ الصَّبَّاحِ
وَرَأَيْتُ غَدْرَ الْمُؤْمِيَا	وَشَهِدْتُ تَحْمِيَةَ يَشِّ الْجِرَاحِ

وَالكَرْبُ بَالِغٌ فِي الصَّيَاحِ
 وَالْيَأْسُ شَارِكُنِي الْمَرَاحِ
 فَمَضَى الْبُكَاءَ مَعَ النَّوَاحِ
 يَزْجِي تَغَارِيْدَ الْكِفَاحِ
 يَرُوي أَسَارِيرَ الْمَرَاحِ
 زُرْعَتِ بَوَاحِشَاتِ مِلاَحِ
 إِنَّ فِي الْغُدُوِّ ، أَوِ الْمَرَاحِ
 تَسْتَعْذِبُ الصَّدْقَ الصُّرَاحِ
 وَتَسْرِينُ بِالْأَتْسَاتِ طِلاَحِ
 يَمْخُوشُ وَقَاءَاتِ الطِّلاَحِ
 وَتَطَاوَأَتِ فِيْنَا الرَّمَّاحِ
 تَغْتَالُ مَسْرِي الْأَرْتِيَاَحِ
 وَيَرْغَمُ أَنَّ الْغَمَّ ذَرَّ لَاحِ
 تَأْقِي عَلَى الْوَجْهِ الصَّلاَحِ
 تَسْتَنْطِقُ الصَّامِتَ الْبِوَاحِ
 لُغْزٍ يُعْشِّئُ بِهِ الْوَشَّاحِ
 بِسُهَا بِحُفَّةِ مِمْ السَّماَحِ
 وَيَزِيلُ وَهْمَ الْمُسْتَرَاَحِ
 بَلْ لَأَلْقَاءَ مَعَ الصَّحَاَحِ
 كَالطَّيْرِ مَكْسُورَ الْجَنَّاَحِ
 قَرَأَيْتَهُ الْقَوْلَ الصُّرَاَحِ
 لِكَ مَا عَلَى الْمَرْضَى جُنَّاَحِ

وَعَلِمْتُ أَنَّ لَا مُتَّقَةَ لِي
 وَتَحْتَتُّ كُمُّ لُ الرُّبَا
 وَالصَّابِرُ جَمَلٌ وَاحْتِياي
 ذِكْرَاكِ عَطْرٌ فِي الدُّنَا
 ذِكْرَاكِ عُرْسٌ فِي النُّذْرَا
 ذِكْرَاكِ أَزْهَارُ الْمُنَاي
 ذِكْرَاكِ نَاقُوسُ الصَّافَا
 ذِكْرَاكِ أَنْوَارُ الْهُدَاي
 يَا أَخْبَثَ قَدْ سَخِرَ النَّوَاي
 أَيَّنَ الَّذِي يَحْمِي الْحَمَاي
 إِنَّ السُّدُجَى عَمَّ السُّوْرَا
 وَالْأُمْنِيَّاتُ كَمَا السُّدُمَا
 وَأَرَاكِ صَانَةَ الْوَفَا
 تَبْدُو عَالِيَةً أَمَانَةً
 تَبْكِي عَلَيَّ أَحْوَالِنَا
 وَتَسْتَأْنِلُ الْأَيْسَامَ عَنَّا
 وَمَرَارَةَ الذُّكْرَى سَنَّا
 فَيَضِيقُ قَلْبُكَ بِهَوَاي
 إِنِّي الْمَرِيضُ وَلَا دَوَا
 قَدْ نَاءَ بِالْكَرْبِ النَّهْيَا
 وَاللَّهُ رَبُّكَ قَالٌ فِي
 لِتَجَاهِدُوا ، لَكِن هُنَا

مرحى بغائبتين!

(بناء على طلب ابني يوسف في وصف حاله وحال إخوته في قدوم أمهم وأختهم. حيث أخذوا يعدون أنفسهم لاستقبال أمهم وأختهم فاطمة! فأراد يوسف أن أصف حالنا جميعاً بدونهما! فاعتذرت قائلاً: إن الشعر شعور يا بني! وما لم تأتي عاطفة وشعور يقودان إلى مطلع ثم قصيدة ، فلا أظني سأكتب شيئاً! فقال يوسف: إذن صف بالشعر حالنا جميعاً بمل فينا أنت! عرّف الأستاذ تركي بني خالد الشعر بسؤال وجواب فقال ما نصه: (ما هو الشعر؟ هذا السؤال البسيط والمعقد في الوقت ذاته؟! ما هو الشعر إن لم يكن ضرباً من الجمال؟ ما هو الشعر إن لم يكن رسم بالألفاظ التي يتم اختيارها بعناية لتعبر عن سيل من العواطف الإنسانية؟ ما هو الشعر إن لم يكن كما هو اسمه شعوراً إنسانياً صادقاً؟ ما هو الشعر إن لم يكن محاولة لفهم العالم بوسائل بشرية بالاستعانة باللغة بكامل عناصرها التي تتوفر لذلك الإنسان المحظوظ الذي يمتلك تلك القدرة على حياكة الكلمات لتصنع نسيجاً جميلاً كما الجمال نفسه؟ ما هو الشعر إن لم يكن لإثارة الأحاسيس الناعمة لدى كاتبه أو سامعه أو قارئه على حد سواء؟ ما هو الشعر إن لم يكن ذلك الشعور الفيض الذي يداعب عيون وأذان وعقول ووجدان البشر الذين يملكون حظاً من الحس الموسيقي والحس اللغوي والقلوب التي تتوق لتذوق الجمال في مخلوقات الله؟ ما هو الشعر إن لم يكن مصدره ذلك اللغز العذب الذي يسمونه إلهاماً؟ وما أدراك ما الإلهام؟ وما هو الشعر إن لم يكن فناً كسائر الفنون؟ لا يكون فناً بغير الجمال الذي يجذب حواس الإنسان إن تبقى شيء منها). هـ. واتفقت مع يوسف على مقطوعة!

مرحى بغائبتين في غيابهما	ذقنا الأسى والضنا والبؤس والألما
حبيبتيان ، فذني أم تشرفنا	وتلك أخت هواها يبعث النغما
لم نبتسم قط منذ هاتين سافرتا	والآن كل فتى يختال مُبتسما
وما استكانت - لطعم النوم - أعيننا	وهل ينام الذي بخزنه اصطدما؟
ولم نذق قط من سعدٍ ولا مَرَح	وكيف يسعد من في شوقه انهزما؟
واليوم حُق لنا أن نستطيل على	مُر العذاب ، ونطوى الكرب والسقما
ونتحف الدار زيناتٍ وزخرفة	ونرفع الهام والأشواق والهمما
ونبذل الشعر - في الأركان - مؤثقا	ونسكن الحس والإحساس جو سما
ونسعد اليوم باللقيا خواطرننا	عادت إلينا التي تهدي لنا القِيمَا
وشرفتنا بهذي الدار (فاطمة)	طابت لنا بين من نشقى بهم رحما

مُسْتَهْتِرَةٌ أَنْتِ يَا هِنْدُ!

(زيدٌ وهند ابْتَلِيَا كزوجين بأن قبِلت هند بأن تكون صورها عند الآخرين! الأمر الذي أغضب عليها زوجها الغيور زيد! فذَكَرَهَا بِاللَّهِ وَخَوْفَهَا بِالنَّارِ وَقَدِمَ الدَّلِيلَ تَلُو الدَّلِيلَ عَلَى حُرْمَةِ ذَلِكَ ، فَمَا اسْتَكَانَتْ هِنْدٌ لِرَبِّهَا وَمَا تَضَرَّعَتْ ، بَلْ جَادَلَتْ بِالْبَاطِلِ لَتَدْحُضَ بِهِ الْحَقُّ! فَتَخِيلَتْ زَيْدًا يَعْظُمُهَا بِالْحَقِّ فَكَانَتْ قَصِيدَةً: (مُسْتَهْتِرَةٌ أَنْتِ يَا هِنْدُ) ، وَتَخِيلَتْ هِنْدًا يَرِدُ عَلَيْهِ بِالْبَاطِلِ فَكَانَتْ الْقَصِيدَةَ الَّتِي تَلِيهَا وَهِيَ: (بَلْ أَنْتِ الْمُسْتَهْتِرَةُ يَا زَيْدُ)! وَنَقَدِمَ بَيْنَ يَدَيِ الْقَصِيدَتَيْنِ بَيَانُ حُرْمَةِ الصُّورِ وَالتَّصْوِيرِ إِلَّا مِنْ ضَرُورَةٍ! لَقَدْ كَانَتْ الصُّورُ لِلضَّرُورَةِ فِي الْأَوْرَاقِ الرَّسْمِيَّةِ. وَعِشْنَا وَعَاشَ مَعَنَا الْمُسْلِمُونَ الْآخَرُونَ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ. وَكَانَ الْأَسَاسُ فِي ذَلِكَ حُرْمَةُ التَّصْوِيرِ. وَمَعَ التَّقْنِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ الْإِحْتِيَاظُ وَالْحَذَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي فِخِّ التَّصْوِيرِ. فَكَمْ مِنْ صُورَةٍ خَرِبَتْ بَيْتًا عَامِرًا! وَكَمْ مِنْ صُورَةٍ كَانَتْ طَرِيقًا مَمْهَدًا لِجَرِيمَةٍ قَتْلٍ! وَكَمْ مِنْ صُورَةٍ أَفْسَدَتْ ذَاتَ بَيْنِ قَبِيلَتَيْنِ وَأَكْثَرَ. وَمِنْذُ سَنِينَ عَدَدًا كَتَبْتُ قَصِيدَةً بِعَنْوَانِ: (عَفْوًا أَرْسَلْتُ صُورَتَهَا فَقَطُّ!) تَضْرِبُ عَلَى ذَاتِ الْوَتْرِ. وَالْيَوْمَ أَعِيشُ مَعَ ذَكَرِيَّاتِ (هِند) تِلْكَ الزَّوْجَةِ الْمُسْتَهْتِرَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْجَادَةِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ ، وَكَانَ لَهَا لَوْنُ اجْتِهَادٍ فِي الْإِسْلَامِ. فَإِذَا بِهَا تَنْتَكُسُ وَتَخْرُبُ بَيْتَهَا بِيَدِهَا ، وَتَهْمَلُ شَعَائِرَ دِينِهَا وَطَاعَةَ زَوْجِهَا الَّذِي لَطَالَمَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى أَمْرِهَا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهَا عَنِ الْمُنْكَرِ. وَكَانَ قَدْ حَذَرَهَا مِنَ التَّصْوِيرِ وَبَيَّنَ لَهَا حُرْمَتَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ. وَلِأَنَّهَا أَصْبَحَتْ بَعْدَ التَّرْدِيِ الْخَطِيرِ الَّذِي آلَتْ إِلَيْهِ تَغْلِبُ حُبَّ النَّاسِ عَلَى حُبِّ الْإِسْلَامِ كِتَابًا وَسُنَّةً ، أَقْبَلَتْ بِشِرَاهَةِ عَلَى الصُّورِ وَأَبَاحَتْ لِنَفْسِهَا التَّقَاطُفَ. فَأَخَذَ الْجَمِيعُ يَصُورُونَهَا وَيَحْتَفِظُونَ بِالصُّورِ. وَبَعْدَ حِينَ عَلمَ زَوْجُهَا الَّذِي كَانَ يَعَامِلُهَا بِحَسَنِ النِّيَّةِ بِأَنَّ لَهَا صُورًا هُنَا وَهَنَا. وَلَمْ يَكُنْ مَانِعًا أَنْ تَصِلَ الصُّورُ إِلَى غَرْمَانِهِ الثَّلَاثَةِ عَلَيْهَا. أَوْلَيْكَ الَّذِينَ احْتَالُوا كُلَّ الْحِيلِ لِلزَّوْجِ مِنْهَا. وَمَسْكِينٌ جَدًّا ذَلِكَ الْعَرِيسُ الَّذِي يَكُونُ لَهُ عَلَى عَرُوسِهِ غَرِيمٌ وَغَرِيمَانٌ وَثَلَاثَةٌ. وَأَخَذَ الزَّوْجُ الْبَانِسُ يَرْسِلُ إِلَى الْكُلِّ بِالْبِرَاءَةِ مِنَ الصُّورِ وَلِزَمَ الدَّعَاءَ عَلَيْهِمْ وَأَعْلَنَ ذَلِكَ لَهُمْ وَأَشْهَرَهُ سِيفًا فِي وَجُوهِهِمْ. وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى ، كَانَ الصُّورُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُ. وَوَقَفَ الزَّوْجُ الْمَسْكِينُ حَائِرًا فِي الْأَمْرِ: مَا هَلْ عَسَاهُ يَفْعَلُ؟ أَيُطَلِّقُهَا بَعْدَ أَنْ اشْتَهَرَتْ الصُّورُ عِنْدَ الْقَاصِيِ وَالِدَانِي مِنَ الْمَحَارِمِ وَمِنْ غَيْرِ الْمَحَارِمِ؟ أَيَبْقِي عَلَيْهَا وَيَتَزَوَّجُ أُخْرَى لِيَبْدَأَ مِنْ جَدِيدٍ بِزَوْجَةٍ جَدِيدَةٍ وَغُرْسٍ جَدِيدَةٍ؟ وَلَا تَزَالُ الْكُرَّةُ فِي أَرْجُلِ الْأَعْيُنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالنَّاتِجَةِ! وَقَدْ جَاءَ فِي حُكْمِ اقْتِنَاءِ الصُّورِ لِلذَّكْرَى فِي فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ 456/1-457 مَا نَصَهُ: (الْأَصْلُ فِي تَصْوِيرِ كُلِّ مَا فِيهِ رُوحٌ مِنَ الْإِنْسَانِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ، أَنَّهُ حَرَامٌ ، سِوَاكَ كَانَتْ الصُّورُ مُجَسِّمَةً أَمْ مَرَسُومًا عَلَى وَرْقَةٍ أَوْ قَمَاشٍ أَوْ جِدْرَانٍ وَنَحْوِهَا ، أَمْ كَانَتْ صُورًا شَمْسِيَّةً (مَلْتَقِطَةً بِالْكَامِيرَا) ، لَمَّا ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مِنَ النَّهْيِ عَنِ ذَلِكَ ، وَتَوَعَّدَ فَاعِلَهُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ ، وَلِأَنَّهَا عَهْدَ جَنْسِهَا ، أَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى الشَّرِكِ بِاللَّهِ بِالْمُتَّوَلِّئِ أَمَامِهَا ، وَالْخُضُوعِ لَهَا ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا وَإِعْظَامِهَا إِعْظَامًا لَا يَلِيْقُ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَلَمَّا فِيهِ مِنْ مِضَاهَاةِ خَلْقِ اللَّهِ ، وَلَمَّا فِي بَعْضِهَا مِنَ الْفِتَنِ ، كَصُورِ الْمُمَثَّلَاتِ وَالنِّسَاءِ الْعَارِيَّاتِ ، وَمَنْ يُسَمِّيَنَّ مَلَكَاتٍ جَمَالَ. وَمِنْ الْأَحَادِيثِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي تَحْرِيمِهَا وَذَلِكَ أَنَّهَا مِنَ الْكِبَائِرِ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا ، كَلَّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَحَدِيثُهُ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: (كُلُّ مُصَوَّرٍ فِي النَّارِ ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذَّبُ فِي جَهَنَّمَ). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "فَإِنْ

كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له". رواه البخاري ومسلم. فدللت عموم الأحاديث على تحريم تصوير كل ما فيه روح مطلقاً). هـ. قال ابن عثيمين لما سُئِلَ عن الصُّور: النَّصُور لهذا الغرض مُحَرَّم ولا يجوز ، وذلك لِأَنَّ اقْتِنَاءَ الصُّور لِلذَّكْرِ حَرَامٌ ، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (لا تَدْخُلُ الملائكة بَيْتاً فِيهِ صُورَةٌ). رواه البخاري ، وما لا تدخله الملائكة لا خير فيه. وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْنَا أَنَّ المَحْرَمَ مِنَ الصُّورِ هُوَ المَجْسَمُ ، وَأَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ غَيْرُ حَرَامٍ ؛ فَقَدْ كَذَبَ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ نَرَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِبَسِّ مَا فِيهِ صُورَةٌ ، سِوَاءَ كَانَ مِنَ لِبَاسِ الصِّغَارِ أَوْ مِنَ لِبَاسِ الكِبَارِ ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ اقْتِنَاءُ الصُّورِ لِلذَّكْرِ أَوْ غَيْرِهَا ، إِلَّا مَا دَعَتِ الضَّرُورَةُ أَوْ الحَاجَةُ إِلَيْهِ ، مِثْلَ التَّابِعِيَّةِ وَالرَّخْصَةِ. وَاللهُ المَوْفِقُ " هـ. ثم أضاف الشيخ في فتوى أخرى لصحفي: "ولكن ينبغي أن يقال: ما هو الغرض من هذا العمل؟ إذا كان الغرض شيئاً مباحاً ؛ صار هذا العمل مباحاً بإباحة الغرض المقصود منه ، وإذا كان الغرض غير مباح ؛ صار هذا العمل حراماً ، لا لأنه من التصوير ، ولكن لأنه قُصِدَ بِهِ شَيْءٌ حَرَامٌ. وتصوير النساء على صفحات الجرائد والمجلات ، ولم أستطرد بذكر الأمثلة اكتفاءً بالقاعدة الآتفة الذكر ، وهي أنه متى كان الغرض مباحاً كان هذا العمل مباحاً ، ومتى كان الغرض غير مباح كان هذا العمل حراماً. وأذكر الآن من الأمثلة المباحة: أن يقصد بهذا التصوير ما تدعو الحاجة إلى إثباته كإثبات الشخصية ، والحادثة المرورية والجناية ، والتنفيذية ، مثل أن يطلب منه تنفيذ شيء فيقوم بهذا التصوير لإثباته. ومن الأمثلة المحرمة: - التصوير للذكرى ، كتصوير الأصدقاء ، وحفلات الزواج ونحوها ؛ لأن ذلك يستلزم اقتناء الصور بلا حاجة وهو حرام ؛ لأنه ثبت عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة. ومن ذلك أن يحتفظ بصورة ميت حبيب إليه كأبيه وأمه وأخيه يطالعهما بين الحين والآخر ؛ لأن ذلك يجدد الأحران عليه ، ويوجب تعلق قلبه بالميت. 2- التصوير للتمتع النفسي أو التلذذ الجنسي بروية الصورة ؛ لأن ذلك يجر إلى السوء الفاحشة. والواجب على من عنده شيء من هذه الصور لهذه الأغراض ، أن يقوم بإتلافها لنلا يلحقه الإثم باقتنائها. ومن أعطاه الله فهماً فسوف يتمكن من تطبيق بقية الصور على هذه القاعدة". هـ. وسئل رَحِمَهُ اللهُ عن حكم لبس الثياب التي فيها صورة حيوان أو إنسان؟ فأجاب بقوله: لا يجوز للإنسان أن يلبس ثياباً فيها صورة حيوان أو إنسان ، ولا يجوز أيضاً أن يلبس غترة أو شماغاً أو ما أشبه ذلك وفيه صورة إنسان أو حيوان ، وذلك لأن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثبت عنه أنه قال: «إِنَّ المَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ صُورَةٌ». ولهذا لا نرى لأحد أن يقتني الصور للذكرى كما يقولون ، وأن من عنده صور للذكرى فإن الواجب عليه أن يتلفها ؛ سواء كان قد وضعها على الجدار ، أو وضعها في ألوم ، أو في غير ذلك ؛ لأن بقاءها يقتضي حرمان أهل البيت من دخول الملائكة ببيتهم. وهذا الحديث الذي أشرت إليه قد صح عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " هـ. وسئل رَحِمَهُ اللهُ عن نشر صور المشوهين؟ فأجاب رَحِمَهُ اللهُ بقوله: نشر صور المشوهين المسلمين مصلحة في الحقيقة ، وهي أنها توجب اندفاع الناس بالتبرع لهم ، لكن أقول: إن هذا قد يحصل بدون نشر هذه الأشياء ، أو ربما يمكن أن نضع شيئاً على الوجه بحيث لا يتبين الرأس ؛ لأن الرأس إذا قطع لا تبقى صورة ، كما جاء في الحديث «أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةَ إِلَّا طَمَسْتَهَا وَلَا قَبْرًا [مُشْرِفًا] إِلَّا سَوَّيْتَهُ» ، وهذا ظاهره أن المراد بالصورة حتى صورة التلوين وإن لم يكن لها ظل ؛ لأنه لم يقل: إلا كسرتها! والطمس إنما يكون لما كان ملوناً. وكذلك أيضاً حديث عائشة - رضي الله عنها - في البخاري حينما دخل - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فوجد نمرقة فيها صورة ، فوقف على الباب ، وعرفت في وجهه الكراهية ، وقال -

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «إِنَّ أَصْحَابَ هَوْلَاءِ الصُّورِ يُعَذِّبُونَ» ، فهذا دليل على أنه يشمل الصورة التي لها ظل والتي ليس لها ظل ، وهذا هو الصحيح".هـ. وأضاف في الرد على الإثم الذي يلحق المرء إذا فعل ذلك أهله: ولا إثم على السائل في حال احتفاظ أخواته وعماته بهذه الصور ، والواجب عليه بيان الحكم الشرعي لهم ، ونصحهم بالتخلص منها ، وطلب الصور التي تخصك منهم ، فإن أبوا فلا شيء عليك. وأما الصور التي على الجوال وفي أجهزة الحاسب ، وما يصور بالفيديو ، لا تأخذ حكم الصور الفوتوغرافية ، لعدم ثباتها ، وبقائها ، إلا أن تُخرج وتطبع ، وعليه فلا حرج في الاحتفاظ بها على الجوال ، ما لم تكن مشتملة على شيء محرّم ، كما لو كانت صوراً لنساء. والحقيقة أن شيوع صور زوجة ما بين المحارم وغير المحارم يعد نوعاً من أنواع الخيانة الزوجية! ومن تتصور اليوم أن الخيانة فقط تكون في العِرض فلا شك أنها جاهلة ، وإن كانت الصور لون من ألوان خيانة العِرض! في صفحة (نحن العرب) جاء بشأن أنواع الخيانة الزوجية ما نصه بتصريف: (الخيانة قد تكون في إفشاء السر وقد تكون في المال ، وقد تكون في الأولاد ، وقد تكون خيانة في الجسد. أما خيانة إفشاء السر: فقد حذر منه رسول الله بقوله: [إن من شر الناس الرجل يُفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها]. فقالت إحدى النساء: يا رسول الله بعضهن تفعل! "أي تفشي سر زوجها لصديقتها" ، فقال: [إنما مثلها كمثل رجل واقع امرأته على قارعة الطريق وجعل الناس ينظرون إليهما] ، وأقل خيانة في هذا النوع: أن تتحدث المرأة (أو الرجل) عن زوجها في غيبته بسخرية أو تسبه أو تسكت عن ذمّه ولا ترد غيبته. وأما خيانة المال: فقد حذر منه النبي أيضاً فلا يجوز للمرأة أن تعطي لأهلها من مال زوجها أو تتصدق منه إلا بإذنه. وأما الخيانة في الأولاد: ونقصد به إهمال تربيتهم أو السكوت والتستر على أخطائهم. وقد تكون الخيانة قُبلات أو لقاءات ، وقد تكون خيانة الزنا كما في الحديث: [كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبِهِ مِنَ الزَّانِ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنُ تَزْنِي وَزَنَاهَا النَّظْرُ ، وَالْأَذُنُ تَزْنِي وَزَنَاهَا السَّمْعُ ، وَالْيَدُ تَزْنِي وَزَنَاهَا الْبَطْشُ ، وَالْقَلْبُ يَشْتَهِي وَيَتَمَنَّى ، وَالْفَرْجُ يَصْدُقُ هَذَا أَوْ يَكْذِبُهُ]. رواه أصحاب السنن. وعموماً فالمرأة أشد مادة امتحانية في دنيا الرجل ، وكم أهلكت الشهوة الجنسية أمماً سابقة وممالك كانت زاهرة ، وأسقطت ملوكاً وأباطرة ، وفيها قال رسول الله في الحديث المتفق عليه: [ما تركت فتنة بعدي أضّر على الرجال من النساء].هـ. والذي أراه بعد هذه الاستشهادات أن صورها عند الآخرين بعلمها يعد هذا من قبيل خيانتها وعدم حفظها لنفسها عندما غاب عنها زوجها (وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله)! إذ لو كان حاضراً ما كان ذلك! تخيلت ذلك الزوج يُعاتب هنذاً زوجته ويوبخها على ما أتت فأنتدثت من شعري هذه القصيدة).

وأوقدتِ ناراً هاجَ من جوفها الصهدُ	هدمتِ الذي بيني وبينك يا (هندُ)
وقد كان مأموناً ، يُخبئه الغمد	وأشهرتِ سيفاً ، ليس يُدفعُ ضربهُ
ووادِ شموخي بعد أن نجح الكيد	وراهنتِ أعدائي على قتل عزتي
وكان على حسّادنا الكيِّ والفصد	وأسرفتِ في كيل الأذى دون رحمةٍ
إلى أن دهى النفسَ المُجدلة الوجد	وأمعنتِ - في الإذلال - دون هوادهٍ

وأدخلتني حرباً ثمزق مُهجتي
وأغرقتني في بحر تيهٍ وخيرةٍ
وألقيتني والبيتَ والطفلَ من عل
غريمي عليك اليومَ يخلو بصورةٍ
ويطربُ أن جاءتَه أُنْدَى غنيمَةٍ
يُكحلُّ عيني جاعٍ ، ليس يستحي
ويوسعُ أنفَ الوغدِ شماً يشوقه
ويسعدُ بالحُسنِ اشتهاه فناله
ويفرحُ أن صارت أمانيه واقعاً
ويدعو رفاقَ الدربِ كي يتفرجوا
يقول: هلموا شرفتنا صبية
وقد يرسلُ الألبومَ دون تورعٍ
إذا لم يصنُ حرّاً من الوحل - عرضه
وكم قلتُ: يا هندُ استفيقي وحاذري
ولا أنصتتِ للوعظ ، يحمي صيانتها
ولا أذعنثُ للحق ، يصلحُ شأنها
فيا ليتها إذ أبدتِ الوجهَ للورى
وهل هان وجهَ زينِ السترِ حسنه
ألا إن بطنَ الأرضِ أولى بزوجهما
فليس بديوثٍ ، وليس بهازل
وليس الذي تُغريه ساقطة النساءِ

تطولُ وتستشري ، فليس لها حد
وبات عُبابُ الماء - من فوقنا - يعدو
ومن بعدها - من فوره - انهدمَ الطود
وتشجيه فحواها ، وفي حُسنها يشدو
على طبقِ التسريبِ هينة تبدو
بعرضِ تملئِ الشيبُ سلواه والمُرد!
لرَبَّةِ حُسن ، لم يزرُ عقلها الرشد!
رخيصاً بلا جهدٍ ، وأنى - له - الجهد
وللهاتفِ المستملحِ الشكرُ والحمد!
على غادةِ ريانةٍ ، وجهها يشدو
علينا صباها كم يروحُ ، وكم يغدو!
لمن يشتهي ، أو للذي - عنده - نقد
تُدنسه فوضى ، العزيزُ - بها - عبد
فما استمعتُ للنصحِ بُحثُ به (هند)!
ولا زابلتُ مكرراً يَموجُ ، ويمتد
ولا سربلتُها في النزالِ القنا المُلد!
قد اعتبرتُ بالضنك ، يُورثه العُند
لتكشفه هندُ ، فيُبصره الوغدُ؟!
من الظهر ، إن ظلتُ بذلك تعتد!
وليس الذي تُقصيه عن شرعه (دعد)
وليس الذي يفري مشاعره قد!

ولا تجتني أنثى حياه بميسها
وليس الذي تُغويه حسنا تغجبت
ألم نتفق يا هند أن ننصر الهدى
ألم نلتزم بالحق والعدل جُهدنا
وكننا - لأهلينا - مثالاً وقُدوة
ألم ندرس الدين الحنيف محبة
ألم نقرأ القرآن غضاً مُرتلاً
ألم نفتخر رِداً بسُنة (أحمد)
ألم نغترِب عن دارنا وديارنا
وعشنا بلاعاتٍ ، وخضنا غمارها
وكانت لنا - في المُدهمات - عِزة
لماذا التدني بالتصاوير ، لم تكن
تقولين: للذكرى! فقلت: سفاهة
وما الذكريات الهُوج إن أشهر الخطا
وهل ذكريات تسهينُ بديننا؟
وكم صورةٍ أودت ببيتِ أشاوس
وللذكريات الغرّ أنواعٌ جَمّة
فمنها كُليماتٌ تُصححُ دربننا!
ومنها تجاريبٌ تُنقي مسارنا
ومنها دُروسٌ - في الحياة - كريمة
ومنها يواقيتُ المَواعظ تحتوي
ومن بينها أندى المواقف كالسنا

وليس الذي يكبو ، فيصرعه نهد!
وجملها الوجه الصَّبُوح ، أو الزند
ليُسعفنا - بالرُّشد - خالقتا الفرد؟
ووقرنا (عمرؤ) ، وشاد بنا (زيد)؟
وكان - لنا - عَزْمٌ يؤيده عهد؟!
وقرّبي إلى المولى ، وكان لنا جُهد؟
فأشرفتِ التقوى ، وداعبنا السعد؟
وكانت لنا رِداً ، ونحن لها جند؟
فقد عمّت البلوى ، وضافت بنا البُلد؟
فما دمعت عَينٌ ، ولا خيمَ الوجد؟
وتلك مساعينا تسنمها المجد؟
لقانون أقوام هي الشرط والقيّد؟
ومُفلسة تهذي ، وماذا هو القصد؟!
حُساماً على وحي السما سَله الغمد؟
وهل مُخلصٌ - نحو الترهّل - يرتد؟
ليغدو بيتاً - للعباقرة - اللحد!
تجاوزت التصويرَ يَغبطها المجد
تخللها النسرينُ والفُلُّ والورد
ونحيا كرامَ الشان ، تشهدنا الأسد
كبحر يُداوي سُقمه الجَزُرُ والمد
معيناً يُزكّي ، ليس - عن طرّقه - بُد
تعلمنا أن البلاء - له - حَد

وَمِنْ بَيْنَهَا بَعْضُ الْكُتَابَاتِ سَطَرَتْ
وَمِنْ بَيْنَهَا بَعْضُ الرِّسَائِلِ بَيَّنَّتْ
وَمِنْهَا عِبَاءَاتٌ لِكُلِّ حَشِيمَةٍ
وَمِنْهَا فَسَاتِيْنَ عَلَى شَرْطِ دِينِنَا
فَهَلْ عَوِضْتُ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ صُورَةٌ؟
أَتُغْنِي عَيْوناً صُورَةً إِذْ تُشَوِّفُهَا
وَلَكِنَّهَا تُشْجِي قُلُوباً تُرِيدُهَا
وَيَشْوِي سَعِيرَ الْعِشْقِ سِرّاً وَجُودَهَا
وَهَلْ تُشْبِعُ النَفْسَ الدُّنْيَا صُورَةً
جَحِيمٌ هُوَ الْعِشْقُ الْمَتِيمُ عِنْدَمَا
وَيَبْقَى مَدَى الْأَيَّامِ عَبْدًا لِمَنْ هُوَ
وَيَجْتَرُّ ذَلَّ الْخُبِّ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ
وَيَقْتَاتُ أَلَمَ الْهَيْبَامِ مَرِيرَةً
وَإِنْ كَانَ - لِلْمُلْتَمَاعِ - زَوْجٌ وَضُرَّةٌ
تَعَمَّدَ أَنْ لَا يَطْرَحَ الْعِشْقَ جَانِبًا
وَإِنْ كَانَ - لِلْهَيْبَانِ - بَيْتٌ وَأُسْرَةٌ
فَلَيْسَ بِنَاسِ رِبَّةِ الْحُسْنِ وَالصِّبَا!
وَيَرْمَقُهَا بِالْعَيْنِ ، يَتَّبِعُ ظِلَّهَا
وَيَأْسَى إِذَا غَابَتْ ، وَيَرِثِي لِفَقْدِهَا
فَلَمَّا أَتَتْ لِلنَّذْلِ صُورَتَهَا سَبَبَتْ
وَلَسَتْ أَلُومُ الْكَلْبِ يَلْهَثُ سَالِيًا

بِهَا الشُّبَّةُ الرَّعْنَاءُ يَدْمَغُهَا الرَّدْ
مَعَالِمَ دَرْبِ فَوْقِ رَبُّوتِهِ الْبِنْدِ
تَدَثَّرَ فِيهَا الْجِسْمُ ، وَالرَّسْمُ ، وَالْقَدْ!
قِمَاشًا وَتَفْصِيلاً ، وَقَدْ سُوِّرَ الْجِلْدُ!
أَجِيبُوا عَلَى سُؤْلِي ، وَفِي صِدْقِكُمْ فِيدُ
لِتُشْبِعَ أَلْبَابًا يُشْتَتُّهَا الْمِيدُ؟
وَتَعْشِقُهَا عِشْقًا يُصَاحِبُهُ الْوَقْدُ
كِنَارِ تَلْظِي - فِي سُرَادِقِهَا - الصَّهْدُ
بِهَازِكَةِ الْأَلْوَانِ ، وَانْبَجَسَ الشَّهْدُ؟
يُصِيبُ فِؤَادًا بِالتَّوَالِهِ كَمْ يَحْدُو!
يُطِيعُ بِلَا رَأْيٍ ، فَالْخَنُوعُ لَهُ بُرْدُ!
وَالصَّبُّ وَجَّةٌ - مِنْ مَسَاوِيهِ - مُسْوَدُ!
وَيَشْقَى بِهِ الْإِحْسَاسُ وَالْقَلْبُ وَالْكَبِدُ
فَقَبْلَتَهُ الْأُولَى - لَهَا - الْمَيْلُ يَشْتَدُ
وَكَمْ يَقْتُلُ الْوَلَهَانَ - إِذَا غَلَا - الْعَمْدُ
وَإِنْ مَلَأَتْ أَرْحَابَ مَنْزِلِهِ الْوَالِدُ!
فَيَسْتَرِقُّ الْأَنْظَارَ ، إِنَّ ظَهْرَتْ (هَنْدُ)!
وَيَبْكِي بِدَمْعٍ لَيْسَ يُنْكِرُهُ الْخَدُ
كَأَنَّ عِشْقًا هَدَّهَ الْخُبُّ وَالْفَقْدُ
صَوَابًا وَعَقْلًا مِنْهُ ، جُنَّ بِهَا الْقَرْدُ!
وَيَخْلُو بِحَمَقَا مَا لَهَا - فِي الْغَيْبِ - نَدُ!

وتجعلهُ يقلو الوداد ، ويحتد
وتقبل بالتصوير ، مارسه وفد
وتفتخ باباً للمرا ، ليس ينسد!
وتهدم صرحاً ، لم يكن قبل ينهد
وتأتي خطايا كالغثا ، مالها عد
وتمزح - في أمر - يُعضّده الجد
ألا خيب الميثاقُ ، واندر الوعد!
لها بين أيدي الناس بالطوع من بعد
وقد جمع الألبوم ، وانتصر الحقد؟
إلى أن أتت قوماً يُدميهم الخرد!
على راقع ، فيم التلاوم والنقد؟!
جناها غريم - في خصومته - جلد
فإن الذي أحيا لمستبشع إد!
له الشكر مني ، والثناءات والحمد

ولكن أوم الزوج تُزري ببعلها
وتهدر حق الزوج في عُقداره!
وتركل - بالنعلين - صوناً وغيرة
وتغرس سكيناً بأعلى مروءة
وتشهر سيفاً يستبيح شهامة
تقول: تصاوير - لذكرى - التقطها
وتلقي بوعد - في النقاش - وموثق
بأن لا تكون - الدهر - أية صورة
فقلت: وهل - بعد التداول - مصرف
تصاوير أهداها الجناة لبعضهم
قد اتسع الخرق الممزق ثوبنا
أمور تعدت كل باع وقدرة
ليأطف بي الرحمن فيما أصابني
ليرزقني الوهاب خير تصبير

بل أنت المستهتر يا زيد!

(هناك ارتباط وثيق بين هذه القصيدة ، والقصيدة السابقة لها مباشرة: (مستهتر أنت يا هند)! ففيها ردّ هند على زوجها بالباطل! وكنت قد جعلت القصيدتين على ذات البحر الطويل وذات القافية الدالية للإمتاع بالشعر وللفادة منه! إنه لمن المتصور أنّ الذي يوعظ وتأتيه موعظة ونصيحة على طبق من ذهب ، أن يستجيب ويذعن لأمر الله ورسوله. أما العناد والجدال بالباطل والمكابرة ، فليست لمن ينصح ولا لمن يعظ ، إنما هذا كله سببه الجهل بأمر الله وحكمه. وكان زيد (زوج هند) قد وعظها في القصيدة السابقة والتي عنونا لها بـ: (مستهتر أنت يا هند!) ، وساق الرجل من أدلة الكتاب العزيز والسنة المطهرة ما يجعل هنداً بمنأى عن المؤاخظة واللوم ، حرصاً عليها وعلى أبنائها وبيتها. ولكنها عرضت ونأت بجانبها. وساق الرجل الحل الوحيد من الإقرار بالذنب أمام الله وعدم العودة إليه والندم على الإفراط والتفريط الذين في ظلهما كان التصوير ، ومحو الصور وإزالتها من هواتف الناس وحواسيبهم وإشهاد الله وملائكته أنها بريئة من كل من يشاهد صورها ، أو يحتفظ بها بأي وسيلة كانت ، أو يروج لها هنا وهناك. ولكن لأن الأهل أعلى عند هند من الله ورسوله والإسلام ، راحت تعاند وتردّ في عجرفة وعُجبية قائلة: بل أنت المستهتر يا زيد! فواعباً من منهما المستهتر؟ الرجل يحافظ على أهل بيته ويصون عرضه من أن تلوكه الألسنة الحداد ، بعد تداول التصاوير في كل صقع وأمام كل عين. أم المرأة المفرطة التي سمحت بتصويرها دون إكراه ودون ضرورة لتداول الصور والفيديوهات بعد ذلك؟ سبحانك ربي هذا بهتان عظيم؟ وهل من أدب الخلاف والاختلاف أن تغرق هند بيتها وتشغل القوم حولها بالجدل المقيت الذي يرد الحق كتاباً وسنة؟ تحت عنوان: (كفوا عن الجدل) يقسم الأستاذ محمد سلامة الغنيمي الجدل إلى محبوب ومذموم ، فأما المحبوب فسنزرب عنه الذكر صفحاً ، ونقتبس منه الجدل المذموم ، يقول ما نصه: (الجدل المذموم يغلب على أصحابه حب النفس واتباع الهوى من أجل إشباع غريزة الحاجة الى الظهور والتميز عن الآخرين ، فيغلب عليهم التعصب الأعمى ويسيطر عليهم الغضب ، مما يفضي في النهاية إلى المنازعة والمخاصمة ، وربما أدى إلى أسوأ من ذلك. ويشيع هذا النوع بين عامة الناس وبسطانهم الذين لم يحصلوا قدرًا كافيًا من العلم والثقافة ، فما أن يطرح أحدهم موضوعاً ما ، إلا ويُسارع المحيطين بإدلاء آرائهم وطرح أفكارهم ، وبنفس السرعة يتحول الحضور إلى فريقين مؤيد ومعارض ، ويسير الجدل في مثل هذه الظروف في عدة مراحل من السيئ إلى الأسوأ: * يحاول كل طرف أن يثبت تفوقه وأن رأيه صواب لا يحتمل الخطأ وأن رأى الطرف الآخر خطأ لا يحتمل الصواب. * إن كان في الجلسة أكثر من اثنين تحول الأمر إلى فوضى ، كما لو كانت سوقاً مملوءة بالصخب والضجيج ، حيث يتسابق الجميع إلى الكلام ومن ثم تلو الأصوات وتتداخل. * إن لاح لأحد الطرفين أن نظيره أقوى حجة منه وأبين دليلاً منه سارع بالنيل من الآخر والتجريح في شخصه والتقليل من شأنه بسخرية واستهزاء ، محاولاً صرف الأنظار بعيداً عن الموضوع حتى يتسنى له الظهور عليه. * أما الطرف المستهان به فلن يرضخ لمثل ذلك ، فتراه تارة يدفع عن نفسه وأخرى يهاجم الآخر بمثل صنيعه. وقد ذكر الإمام النووي بعض صور الجدل المذموم التي ربما تغيب عن أذهان البعض ، حيث قال: فإن قلت: لا بد للإنسان من الخصومة لاستبقاء حقوقه. فالجواب ما أجاب به الإمام الغزالي: أن الذم المتأكد إنما هو لمن خصم بالباطل أو بغير علم ، كوكيل القاضي ، فإنه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب هو فيخاصم بغير علم. ويدخل في

الذم أيضاً من يطلب حقه ، لكنه لا يقتصر على قدر الحاجة ، بل يظهر اللدد والكذب للإيذاء والتسليط على خصمه ، وكذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي ، وليس له إليها حاجة في تحصيل حقه ، وكذلك من يحملة على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره فهذا هو المذموم ، وأما المظلوم الذي ينصر حجتة بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا إيذاء ، ففعله هذا ليس حراماً ، ولكن الأولى له تركه ما وجد إليه سبيلاً ، لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر ، والخصومة توغر الصدور ، وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما ، حتى يفرح كل واحد بمساءة الآخر ، ويحزن بمسرته ، ويطلق اللسان في عرضه ، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل ما فيه اشتغال القلب حتى إنه يكون في صلاته وخاطره معلق بالمحاجة والخصومة فلا يبقى حاله على الاستقامة. ومن ثم فإن الجدل على النحو مجلبة للعداوة وذريعة للكذب وباباً من أبواب الفتنة واتباع الهوى وسبباً من اسباب التفكك الاجتماعي من جراء التعصب الذي يؤول إلى التنابز والتنافر وتنامي الحقد والكراهية. ومن آثاره أيضاً تغليف القلب بالقسوة ونزوع الخشية وكراهية الحق في جانب المغلوب ، وتنامي الغرور والكبر في جانب الغالب ، فضلاً عما يجلبه للنفس من هم وغم ، من حيث أنه شهوة للنفس إذا ثارت لا بد من إشباعها ، وإلا أصابت صاحبها بالتوتر والقلق اللذان يؤولان إلى الكدر والحزن. قال الإمام النووي - رحمه الله -: قال بعضهم: ما رأيت شيئاً أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ، ولا أضيع للذة ، ولا أثقل للقلب من الخصومة. وقال عبد الله بن حسين بن علي - رضي الله عنهم -: (المراء راند الغضب ، فأخزى الله عقلاً يأتيك بالغضب). وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجدل علامة الضلال بعد الهداية ، ومؤشر الانحراف عن الجادة ، لما يترتب عليه من آثار موبقة ونتائج مهلكة ، فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجِدْلَ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: "مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جِدْلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ". وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن ذلك الرجل الذي لا تهدأ عنده غريزة الجدل ، بل تظل نائرة لأتفه الأمور ويشدد في خصومته ، ويجادل حتى يهزم خصمه ويقهره بأنه والعياذ بالله الأبعض إلى الله ، فعن عائشة رضي الله عنها: عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ أَبْعَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُ الْخِصَمَ». وقد توعد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الصنف - الذي يصر على الجدل في الباطل رغم علمه به - بقوله: "ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع" ، ويدخل في الوعيد المحامي الذي ينوب عن المبطل وهو يعلم أنه مبطل. وإن المراء من دواعي الفطرة ، إذ يثقل على النفس تركه ، كذلك جاء الترغيب في تركه من باب أن درء المفسد مقدم على جلب المصالح ، ولأنه يعلم أنه صنو الضلال والانحراف ، قال صلى الله عليه وسلم: "أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً" ، قدم النبي صلى الله عليه وسلم الوقاية على العلاج ، واستأصل الداء قبل نشوئه ، وحل المشكلة قبل وقوعها). هـ. وأسلافنا الكرام ما كانوا يحبون الجدل بالباطل مطلقاً! وقرأت أنهم كانوا يكرهون المراء والجدل في الحق! * فعن سفيان الثوري عن مغيرة عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد قال: سمعت عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول: 'إياكم وما يحدث الناس من البدع فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة ، ولكن الشيطان يحدث له بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه ، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة ، والصيام ، والحلال والحرام ، ويتكلمون في ربهم عز وجل ، فمن أدرك ذلك الزمان

فليهرب. قيل: يا أبا عبد الرحمن فإلى أين؟ قال: يهرب بقلبه ودينه ولا يجالس أحداً من أهل البدع! * وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: (كفى بك ظمناً أن لا تزال مخاصماً ، وكفى بك إثماً أن لا تزال مमारياً). * وقال ابن عباس لمعاوية - رضي الله عنهما -: (هل لك في المناظرة فيما زعمت أنك خاصمت فيه أصحابي؟ قال: وما تصنع بذلك؟ أشعّب بك وتشغب بي ، فيبقى في قلبك ما لا ينفعك ، ويبقى في قلبي ما يضرّك). * وقال الحسن - إذ سمع قوماً يتجادلون - (هؤلاء ملوا العبادة! وخف عليهم القول ، وقل ورعهم فتكلموا). * وقال ابن أبي الزناد: (ما أقام الجدل شيئاً إلا كسره جدلٌ مثله). * وقال الأوزاعي: (إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدل ، ومنعهم العمل). * وقال الأصمعي: (سمعت أعرابياً يقول: من لاهى الرجال وماراهم قلّت كرامته ، ومن أكثر من شيء عُرف به). * وأخرج الأجرى بسنده عن مسلم بن يسار - رحمه الله - أنه قال: (إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم ، وبها يبتغي الشيطان زلته). * وأخرج الأجرى أن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - قال: (من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل). * كان أبو قلابة يقول: (لا تجالسوا أهل الأهواء ، ولا تجادلوهم ؟ فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة ، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم). * وقال ابن تيمية: ومن تبين له الحق ثم عندّ عنه فهو ظالم معاند يستحق العقوبة! وقال شيخ الإسلام في قوله تعالى: وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ، (فإن الظالم باغ معتد مستحق للعقوبة ، فيجوز أن يقابل بما يستحقه من العقوبة ، لا يجب الاقتصار معه على التي هي أحسن ، بخلاف من لم يظلم ، فإنه لا يجادل إلا بالتي هي أحسن... ، والظالم يكون ظالماً بترك ما تبين له من الحق واتباع ما تبين له أنه باطل ، والكلام بلا علم فإذا ظهر له الحق فعندّ عنه كان ظالماً). * وجاء رجل إلى الحسن فقال: يا أبا سعيد ، تعال حتى أخاصمك في الدين ، فقال الحسن: (أما أنا فقد أبصرت ديني ، فإن كنت أضللت دينك فالتمسه). * وقال عمران القصير: (إياكم والمنازعة والخصومة ، وإياكم وهؤلاء الذين يقولون: رأيت رأيت). * ودخل رجلان من أهل الأهواء على محمد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر ، نحدثك بحديث؟ قال: لا ، قال: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل؟ قال: لا ، لتقومن عني أو لأقومنه! * وعن عمر بن الأشج أن عمر - رضي الله عنه - قال: 'سيأتي أناس سيجادلونكم بشبهات القرآن خذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل'. * وقال علي - رضي الله عنه -: 'سيأتي قوم يجادلونكم فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله'. * وعن مسلم بن يسار أنه كان يقول: إياكم والمراء ، فإنها ساعة جهل العالم ، وبها يبتغي الشيطان زلته. والمهم هنا أنني تخيلت هنداً ترد على زوجها وتجادله بالباطل ، محاولة طمس الحقائق! وعلى هذا تكون القصيدتان: هذه والسابقة ، من النقائض الشعرية! فأنشدت من شعري حكاية عنها أقول:

أتوسّعني نصحاً ، وفي القول تحتدّ؟
وتجرّح إحساسي - بشعرك - يا زيّد؟
وتكوي بألفاظٍ تُعذبُ مُهجتي
كأن بها ناراً يوجّجها الوقد؟
وتشعل حريباً لا يكفّ أوارها
ضحايا بها: الخيلُ المُغيراتُ ، والجند؟
أتجعل - من كيل الوعيد - تشفياً
وسيلةً ضغطٍ بعدها الشرط والقيّد؟
أتضرب - بالسيف المبير - تعففي
وقد عاش عن عينيك يستره الغمد؟

لتأكل ما في القلب خلفه الوجد؟!
وتفتح باباً للجوى ، ليس ينسد؟
حياتك بحر سَمته الجَزُر والمد
تُداهمني منك العذابات والكيد؟
لبعض تصاوير؟ فأين مضى الرشد؟
بُعوض انتباهٍ ، ثم ألمني العمد
فرفقاً ، ألم يجرح مشاعرك النقد؟
تُعاني ، أما أزرى بك القصُّ والسرد؟
فما أجرموا - فيما أتوه - ولا ارتدوا!
وأشمت في الحاقدين ، فما القصد؟
لماذا تُغالي في الأمور ، وتحتد؟
وتبني جسوراً - بالمودة - تمتد!
بها كل مُشتاق بمحبوبه يشدو
على من قضوا واستأسرَ خاطرَ الفقد
وقد غيبوا قسراً ، وأخفاهم اللحد
عن البعد عنهم ، قوتل النفي والبعد!
فيما ليتهم وفوا لينتصر العهد!
ويرعوا شرافاتي ، فما حُقق الوعد!
على أجنبي ، أين - يا عترتي - العقد؟
فصيدت ، ألا خاب الدهاقين والصيد!
أهجو قراباتي؟ وماذا هو الفيد؟

أتصطنع الأوهام ، نحن رصيذها
أتكسر قلبي في البرايا ، وخاطري
يميناً تجرعتُ الأسى منك عاتياً!
أفي صَوْرٍ شاعت ، وراج حديثها
وهل عاقلٌ يُودي ببيتٍ وزوجةٍ
عمدتُ إلى إقناع من لا يعيرني
ألا إنني لم أقترف أي مائثم
حنائك ، لا تسردُ حكاية زوجةٍ
وهب أن قومي صَوْروني توذداً
تريث ، فإن الشعرَ جرى فضيحتي
ألسنتُ ترى التصويرَ في الناس شائعاً؟
تعلق في جُلّ البيوت ، تزينها
وتبعثُ ذكرى لا يغيّبُ حنينها
يرجع ذكرى ليس يخبو نحيبها
يعيشُ مع السلوى ، وينعي صاحبها
تصوّرتُ أرجو أن أعوض عترتي
وعاهدتهم أن لا يكون تداولٌ
وأعطوا وعوداً أن يصونوا كرامتي
وأبرم عقدٌ أن تحرم صورتي
فخانوا ، ولاك الكلُّ عرضَ شريفةٍ
فماذا عليّ اليوم؟ قلها صراحة

لكي يُشهدوا الدنيا ، لقد ذهبت (هند)؟
وأوهن إلاماً ، وليس كما يبدو
وأخذ خلافاتٍ يسعُرُها العند
ولا يعتريك الوهم يوماً ولا الحقد
تأمل تراهم ، جوقة رأسهم وغد!
وكن لينا أرجى بضاعته الود
ويذمي ضمير الوصل في قلبك الخرد؟
لبعض تصاوير يعطرها الند؟
وملحمة فيها المضا والقنا الملد؟
ويلفح أهلي - من حرائقك - الصهد
وتُمسي قريراً البال ، ديدنك السعد
وفي دربه الإرمال - يحدوك - والوخد
ومثلك أحرى أن بأمجادهم يحدو!
وكان عليك الشكر والمدح والحمد؟
رَبِيبَةٌ حُسن عطره العود والرند
وسيماء يهاها الرجالات والمُرد
وأوهى حيائي الطول والعرض والقُد!
فلا عبلة حازته - كلا - ولا دعد!
ولا الهند تأوي مثل هذي ، ولا السند!
فما العين والرمش والأهداب والخد؟!
سائلة أحساب ، وأنت لها عبد!
فأخفض جواراً دونه البرق والرعد

أهجر أهلي في تصاوير عندهم
فهون عليك ، الأمر أهون رتبة
ودع صوري عند الأقارب ، وانسها
وصن بيتاً يا صاح عن كل فتنة
وكن خذراً من كل نذل وشامت
فلا تُعطيهم سيفاً به يقتلوننا
لماذا تُهيج النفس والروح غيرة
لماذا تُضحّي بالديار وأهلها
لماذا تُوافيني بأنك نبرة
تغار على زوج ، فتحرق أنسها
وترمي بالاستخفاف بعض تصرفي
وأنت - بالاستهتار - أولى سجية
أتأخذ من أهلي المغاوير موقفاً؟
ألم تذكر في صنعم وجميلهم
تزوجت منهم يا مغالط عادة
قوامٍ وسمت واحتشامٍ وعفة
ولولا حيائي - من إلهي - وصفتها
مليكة حُسن لا يُبارى جمالها
وما بلغت (جوليت) خصلة شعرها
ولا ضاهات (ليلى) طلاوة وجهها
وأنت - من الحسناء - أدنى مكانة
ألا إن أهلي ليس يُنكر فضلهم!

وهل حَلَبٌ - يوماً إلى الضرع - يرتد؟
تروح تصاويري على الأهل أو تغدو
وجسرُ تلاقينا بما جئت ينهد
فبُشراك يا قلبي ، قد انكسرَ القيد
لماذا كما تهوى البعولة والولد؟!
كما العُربُ والأعجامُ والتركُ والكُرد!
وأحيا تُدميني العذاباتُ والسهد
وبعدُ جَدتَ الفضلَ ، لا حبذا الجحد!
بلاءً ، وهان الكي بالنار والفصد
شقاء وأهوالاً ، وأن لي الحصد
عسى الزوجة الأخرى يكون لها وُجد
وفي حِضن كلِّ تعمُرُ المنزلَ الأسد
وبيني وبين المُفتري يحكمُ الفرد

ولا تفتكرُ حيناً بإرجاع صورةٍ
وما لك من شأن بشيءٍ يَخِصُّني
ألا واقض ما تقضي ، فليست تُخيفني
مللتُ من العيش القيودُ تحوطه
حياتي كما أهوى ، وعيشي كما أرى
كمثل جميع الناس أحيا طليقة
يعيشون في نعمى ويُسِرُ وغِبطة
ألا ارحلْ ودعني ، أنتَ دمرتَ مَطحي
تشددتَ في كل الأمور ، فزدتني
زرعتَ الرزايا في طريقي ، فأثمرتَ
تزوج ، ولن آسى عليك لحبِطة
تُطِغُك في كل الأمور ، فتهنتني
وأختمُ - بالتسليم - يُطري رسالتي

نبال المنية!

(عندما وقع الحادث ، وحملت إلى المستشفى ، بعد ما يقارب خمسًا وثلاثين دقيقة تقريبًا ، لم أكن أفكر في نفسي بقدر ما فكرت في زوجي وولدي. أما عبد الله وعبد الرحمن ولداي فهما صغيران وقليلًا ما ينتبه الصغير لمثل ما أنا فيه ولو كنت أباه. فتركز تفكيري على أم الأولاد ، كيف أخبرها وأنا في هذا الحال؟ كيف أزعجها وهي التي تنتظرني ككل ليلة؟ وهل إذا علمت من غيري يكون أفضل؟ كل هذه الأسئلة دارت بخُلدي وأنا على سرير العلاج ، وقد دارت رحي الهواجس بي يمنةً ويسرةً ، ورأيت أن أوصي الشرطي في قسم الحوادث بالمستشفى الكويتي بالشارقة ، أن يدخلها إذا هي جاءت مع أخيها لأنها بالطبع ستعرف من غيري ، وآثرت أن تعلم هي كيف شاءت ولا أخبرها بنفسي. وهذا الذي حدث بالفعل! والحقيقة أنني استرسلت مع خيالي ، وتذكرتُ يوم كان جدر بن ربيعة بطلاً مغوارًا وشجاعًا مقدمًا جسورًا وكان قد حارب جنودَ الحجاج بن يوسف الثقفي في اليمامة ، وكان فعلاً قد انتصر عليهم ، فكتب الحجاجُ إلى عامله يطلب منه القبض على جدر بن ربيعة والإتيان به. واستطاع عامل الحجاج هذا أن يوقع به بالمكر والحيلة ، واقتيد أسيرًا إلى الحجاج ، فقال له: أنت جدر بن ربيعة؟ قال: نعم ، أصلح الله الأمير. فقال الحجاج: ما الذي جعلك تتجرأ علينا يا جدر؟ فقال جدر: أصلح الله الأمير ، تكالبُ الزمان وجفوةُ السلطان وجرأةُ الجبان. وظل الحجاج يسأل ، وجدر يجيب ، فأعجب الحجاج برجاحة عقله ، بل بقوة حجته ، وقال: يا جدر ، سأرميك إلى أسد عظيم ، فإن قتلك كفاتنا مشقة قتلك ، وإن أنت قتلته عفونا عنك. قال جدر: قربُ الفرج إن شاء الله تعالى. ولما حان الوقت جيء بجدر ، وتقدم نحو الأسد الذي خرج من قفصه وقد عضه الجوع ، فلما أن رأى جدرًا يتقدم إليه حاملاً سيفه زار زئيرًا مخيفًا ثم انقضَّ عليه ، فما كان من جدر إلا أن اقترب منه وداوره ثم ضربه ضربة قوية بسيفه فقتله في الحال فكبر الناس ، وأعجب الحجاج بهذا البطل الصنديد وقال له: لله درك ما أنجبتك! ثم قربه إلى جواره وولاه على اليمامة. وفي ضوء هذا الموقف أقول: هكذا نرى صنيع الكوارث عندما تتوالى على المرء فتحيله مصارعًا للأسد. لا أنسى يوم الحادث عندما عاد أحدهم بجهاز «النداء» الإلكتروني ، والساعة الفضية إلى زوجي في بيتها وقد تضمخا بالدم من أثر الحادث فعزيتها. وكانت ليلة حزينه كنيبة مزعجة! وقد شددت الأحداث المتلاحقة من أزري ، واستيقنت أنه ابتلاء من الله لمحو السينات ورفع الدرجات ، فاحتسبتُ المصاب عند الله ، وتجلدتُ وتعزيتُ وتصبرتُ وتسليتُ! وأنشدتُ على البحر البسيط هذه القصيدة الخدانية في تعزية زوجي وموازرتها وتسليتها! وآثرتُ أن أضمن القصيدة شيئاً من حالها! على أنها قصيدة حزينه دامية تُثير الشجن والكره!

والقلبُ في حسرةٍ يشقى ويضطرُّ
وتلك يعجزُ عن تصويرها القلم
وكثرةُ الحزن يُردِّي بأسها الألم
والوحي مُنسكها ، والخُبُّ والسلم
يشكو الخطوب ، وملءُ الجيبِ منه دمٌ
فما بدا عبرها رمزٌ ولا رَقَم
يفوح منه الجوى والحزنُ والنعَم
والدمعُ تشربُه الأفياءُ والأكم
لولا القضاء أتى ما زلتِ القدم

تُكأى يُعربدُ في إحساسها الألمُ
نارُ الفجيعه أفنت كل أمنيّة
والحزنُ يجعلُ قلب المرء ملتهبًا
كانت تُرتبُ بيت الزوج باسمه
حتى أتاهما «النداء» بغير موعده
وحمرةُ الجرح تُخفي ضوءَ شاشته
والصوتُ يبعثُ في الأفاق صولته
يبكي الأليفَ على الأكام منظرًا
يا «أم عبد» سُيوفُ الكرب مشهرة!

فاستمسيكي بالتقى ، لا تحزني أبداً
 تجلدي ، واذكري الرحمن ، واصطبري
 قلبي لدمعك ملتاع ومنقطر
 تهفو إليك الروى في كل خاطرة
 اني أتوق إلى رؤياك في وبع
 أقود قلبك نحو الصبر محتسباً
 وأطرب الأمل المحموم في غدنا
 أطمئن الأهل والأولاد أن لنا
 إن نحن مثلاً على هدي النبي ولم
 لكنما صدقي ، هو المصاب طغى
 بعد المهيم أنت اليوم منقذتي
 روحي لكربك غاصت في كوارثها
 لما اتصلت بهم ، زادوك ملهبة
 وما حزنت على جرح يخمشني
 ولا حزنت على عين بليت بها
 واحترت كيف بما قد حل أخبرها؟
 أنكسر القلب بالأخبار مفاجئة؟
 أنطعن الروح؟ ما هذي بمكرمة
 حتى أتاك بما قد حل بي خبر
 اني أقدم يا أختاه تعزيتي
 وأطرح الكرب أرضاً عن عزائنا
 وأكسب القيد والأغلال مقتفياً
 فالحزن كالصخر جاث فوق مطمحنا
 سحاب الوهم تغشى كل مصطبر
 وينجح اليوم في بلواه محتسب
 لا يهزم اليأس معتزاً بخالقه
 وبهجة العفر بالآلام نلصها
 لن يبالغ المجد شعب في نعمته
 لولا العقيدة في الديان ترفغنا
 أختاه كفي الأسى والدمع ، واحتسبي

على الذي قد مضى لا ينفخ الندم
 فالمرء حتماً يرى ما خطت القسمة
 يبكي عليه الأسى والوجد والعدم
 وحبيل ودك باق ، ليس ينصرم
 لأجعل خاطر المخزون يبتسم
 وأسعد الروح بالأفراح ترتسم
 حتى يعالج ، لا حمى ولا سقم
 عند المليك جنان الخلد ، فاغتموا
 نسألك ركب الشقا ، أو الذين عموا
 حتى بكتني على ما حل بي القيم
 وأنت أصدق من أهوى وأحترم
 حار الفؤاد ، وأردى عزمتي البكم
 فأخبروك بمأساتي ، وفي حموا
 حزني على دمعك الهتان ينسجم
 حزني على بسمة فيك تنثلم
 وحرار - مثلي - الورى والخل والرحم
 أبحرق السمع فيها الحزن والجحم؟
 بل فعللة مرة ، وما بها حكيم
 فانساب دمعك فوق الخد يرتطم
 عسى الجراح بها يا «عز» تلتئم
 وأذكر الله حتى يرذل السام
 خطى الرشاد ؛ لكي يستأصل الصنم
 ومشفر الكرب من بات يتقم
 وموقد اليأس في أكبادنا حمم
 يخشى الحساب ، وبالرحمن يغتصم
 والمشرك الغر بالأحزان ينهزم
 وبالمعاناة ترجى في الدنا القمم
 ولن ترى النور في إعرابها الأمم
 لضاع منا اللوا ، وانفلت الذمم
 اني بذلك يا أختاه أختتم

همسة عتاب باكية!

(صدق علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عندما قال: عاتب أخاك بالإحسان إليه ،
واردد شره بالإنعام عليه). ودائماً يتعزى المعاتب الذي لا يجد من ينصت له بقول ابن الوردي:

وليس عتابُ الناس للمرء نافعاً **** إذا لم يكن - للمرء - لبُّ يعاتبُ

وصدق الشاعر ابن هانيء الأندلسي في بيته المشهور الذي هو في أغلب التصانيف الشعرية:-

أقلل عتاب من استربت بوده **** ليست ثنأل مودة بعتاب

وإنني في هذه القصيدة أعزي رجلاً كان إذا عاتب لا يُسمع له قط. وذلك عندما اجتمعت الآراء من حوله على تطليق زوجته وخراب بيته وإغراق سفينته ، فاستشار واستخار ، وهده الله ربه إلى الإقلاع عن فكرة الطلاق. وكان لزاماً عليه أن يدفع الثمن من دمه ودموعه وعزته ، حتى يحافظ على نفسه وزوجه وولده. ووصل الحال إلى تقبيل قدم زوجه بدون إكراه إبقاءً للمودة والعشرة وترغيماً للشيطان واحتساباً للأجر عند الله الذي لا يضيع أجر كل محسن مؤحد مؤمن. ونكاية في المخبيين ومحبي الفتنة من الذين يُفرقون بين المرء وزوجه. فاحترمت ذلك الزوج المخلص القانت وأنشدت فيه هذي القصيدة المعلقة. ووجهت العتاب في جُل أبياتها للدار بأطلالها. إذ قلوب من نتكلم عنهم ولهم قد أعماها الهوى عن الحق فأمست لا ترى ولا تسمع ولا تعي قط. وأخذت أحكي على لسان هذا الزوج الضحية تلك الخواطر التي قد يتطرق إليها خياله. وكنت في كل مرة أضرب على أوتار الذكريات الحانية الوادعة التي كانت تربط ذلك الزوج بتلك الزوجة التي تلعب اليوم بالنار ، والله أعلم هل ستحترق أم لا؟ وعلى كل حال إن هو العتاب الطويل العريض الذي قد لا يثمر شيئاً. المهم أنني في هذه المرة وأنا أتكلم عن هذا الزوج أقدم بالشعر أنموذجاً حياً للعتاب بين المحبين الذين يمكن أن يكون بينهم سبيل لمراجعة النفس والعودة إلى حظيرة الانضباط وأداء الحقوق إلى أصحابها دون جور ولا حيف وظلم. وكمن عتاب أثمر عندما وجد الأذان الصاغية والعقول التي تعي حجم المسؤولية وتدرك دورها في الحياة. وطوبى لعباد من خلق الله جعلهم الله مفاتيح للخير مغاليق للشر. وإن نصيحتي لكل زوجين متحابين في الله أن لا يُغلبا جانب السماع والإنصات للمعرضين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، كما أهيب وأحذر من الانفراد بالرأي دون مشورة أهل الحب في الله والموالاة على دينه وأهل العلم ، الذين هم خلاء الناس وصفوتهم. إن الحياة لا يصلحها أبداً حفنة المُخبئين المفرقين بين كل زوجين نشب بينهما خلاف. إن أي خلاف مهما عظم له في ديننا حلٌّ وثانٍ وثالثٌ ورابع. ومن هنا فلننق جميعاً لنذكر مسؤولياتنا ودورنا في الحياة. وأكتفي بهذا التقديم الطويل الذي قد يكون مملأً في نظر البعض!)

واسْتبْعدي غرقَ السفينة ، واسألني

يا دارَ (البنى) بالمُخيمِ سألني

و(الألف) تسطعُ في بريق الأنجم

وتذكري (شربين) أيام الهنا

وخواطرٌ بالحب كانت تسلمي

و(بكفر سعد) ذكرياتٌ تشتهي

وخبورنا - فوق المزارع - يرتمي

وعلى ضفاف النيل كم سرنا معاً!

والماء فياضٌ على شطآنه
والطيرُ تشدو في الفضاء مشوقة
وجداولُ الماء الضحوك عطيرة
وحمائمُ الدوح المنعمة الصدى
أما السواقي والفحولُ تديرها
تروي الحقولَ بعيدها وقريبها
والنحلُ يمتصُّ الرحيقَ مُسبِحاً
وشذى الورود بكل أنفٍ فاتحٍ
يا دارَ (لبنى) إن حكمتِ فاسجحي
فقد خطتِ شروطه وبنوده
لم تغدِرين؟ وأنتِ أجدرُ بالوفا
لم تخلفين الوعدَ أنتِ قطعتِه؟
لم تكذبين ، وكنيتِ أول صادق؟
ولم الخصامُ يُزيلَ صفو وداننا
ولم الخيانة للأمانة بيننا؟
يا دارُ ما قصرتُ في حق الورى
يا دارُ أكبرتُ الجميع ، فلامني
وبذلتُ خيراً لا حدودَ لوصفه
وتحمَّلَ القلبُ الكثيرَ من الأسى
وظفقتُ أجتُرُ المَرارَ تكلفاً
وأرَجَّعَ التفعيلَ مَكروبَ الروى

والخضرة النشوى تثيرُ تبسّمي
وتطيلُ شقشقة المُحبِ المُغرم
وحلاوة القطرات منه كزمزم
أمستُ تُغني مثل كل مُتَمِّم
فرجيعُ صوت غنائها كالملمهم
وتعمّها بالماء خير المغنم
ومعظماً وممجداً للمُنعم
يُزجي الشِفا ، ويفوقُ أنفعَ بلسم
وتذكّري العهدَ الذي لكِ ينتمي
حباً ، وما أهملتِ من مُتردِّم
صديقاً أقول ، ولسنتُ بالمتوهم
أم تجهلين بما له من مآثم؟
والصدقُ يُزكي عِزة المتكلم
ويحيلُ طعامَ العيش مثلَ العلقم؟
والظلمُ يُزري بالتقيّ المسلم
فلم التذرعُ بالنفاق المُبرم؟
رَهْط عن الأخلاق والتقوى عمي
وندمتُ ، هل تجدي سُويعة مندم؟
والعيشُ أضحى مثل لغز مُبهم
وألوكُ كيد الشامتين اللوم
ومن الذي يُصغي لدمع تحمّمي

وسلي إذا شئت انكسارَ مشاعري
وسلي الأحاسيسَ التي قد جددت
وسلي ضميرَ الحبِ خَمَّشه الجوى
وسلي دروبَ الحبِ تعتَبُ في شجى
يا دارَ (لبنى) واسالي مَن أحرقوا
مَن حطموا حباً تعاضمَ شأنه
مَن أوجدوا شبحَ الطلاق ليغنموا
مَن أفسدوا بين الحليل وزوجه
مَن أوقدوا ناراً لبيت وادع
مَن أيقظوا ظلماً دواعي فتنة
مَن جرَّعوا الأبرارَ سُمَّ نفاقهم
مَن خالفوا ديناً إليه تحاكموا
مَن عندما قد جودلوا طرحوا الحيا
مَن يحملون لكل شهم حربة
مَن يجعلون جزا الجميل تنكراً
مَن ظنهم بالخلق ظنَّ سَييء
مَن سعيهم مَن أجل دنيا زينت
مَن غدرهم فوق الرؤوس إشارة
مَن قد سبرت غرورهم وزيوفهم
مَن ينصبون لي الشباك تشفياً
مَن أشمتوا في الأعداء غيلة
بينني وبينهم المليء محاسيباً

وعواطفاً في وخزها لم ترحم
حزناً على هذا المصاب المؤلم
فشكا الحبيب بلوعة وتلوم
وتعففي في الموقف المتأزم
قلبين بالذسّ البغيض المجرم
وله بدنيا الناس لم يك من سمي!
ولكي يعيش الزوج عيش المغمم
والأمر أدركه الذي لم يفهم
حتى غدا كالمنزل المتفحم
طعنوا بها أرج الوداد بمخنم
مَن شوَّهوا بالجور أجمل برعم
وتكَبَّروا أي الكتاب المحكم
واستسخرُوا بتخرص وتهكم
وإذا استطاعوا جاهروا بالصمم
مَن دورهم في الناس كابن العلقمي
شنتان بين تحقق وتوهم!
مَن كدُّهم مَن أجل نيل الدرهم
والغدر أقبح ما يرى مَن ديلم
مَن بَغْضُهم مَلء السرائر والدم
مَن كَمَمُوا بلظى تعنتهم فمي
حتى غدوت فريسة للوم
كُلاً ، وفي يوم عسير أيوم

يا دار (لبنى) قد عتبت ، فأنصتي
أنا ثابت رغم الخطوب ومن طغى
والخير أبقى عند ربك دائماً
لم أنسحب من حريمهم متملماً
بل قد جهرت بحجتي وقضيتي
دافعت عن نفسي ، ولم أكن كاذباً
ولفظت من قلبي الجريح أدلة
وحدي انطلقت ، ولم أكن متخوفاً
وحدي تحديث الألى لم يُذعنوا
وحدي فجرت دغاولاً كم أزمنت!
سرطانها أضحي يُكدر صفونا
وحدي تحملت العذاب منافحاً
لم أرض في ديني الدنية لحظة
وحدي قهرت جموعهم وفلولهم
هي صورة للختل لم أر مثلها
رجل أحب ، فعف لم يك هازلاً
خبر الحياة ، وكان من صناعتها
شهد الجميع بعدله وجهاده
بل ينصر الدين الحنيف بخطبة
والضاد مركبة تبلغه المنى
فإذا به يصلى بلغة جهلكم

وعن البريء فدافعي ، وتكلمي
والى الرحيم شكوت مر تألمي
شтан بين مؤخر خيراً وبين مقدم!
أنا لست بالمتحرج المتلثم
واجتزت بحراً من جحيم مضم
وبرغم كل مخادع متجهم
لتكون في ساح القضاء كالمعلم
وبرغم ليل في الكريهة خلكم
للحق ، والإقناع لم أتوسم
والأمر أكبر من مجرد مرهم
وبقاؤها يفضي لجسر جهنم
عما أدين به كمثل الضيغم
وبرغم لسع الأرقم
وبرغم غل مكفهر معتم
وإن ارتقيت إلى السماء بسلم
يوماً ، ولم يعمد لأي محرم
ولله اجتهاد بالكتاب القيم
وبأنه في الحق ليس بأبكم
شرعية تلقى بلهجة خثعم
ولله لسان فوق ذلك أعجمي
هذا ابتلاء فوق طاقة مرقمي

والشعرُ يَعجزُ أن يَصورَ كيدكم
فلقد سخرتُم من قريضي سخطة
هو عُديتي في حربكم ونزالكم
هو سيفٌ عبدٌ ليس يملكُ غيره
وعلى مرور الدهرِ شعري شاهدي
هو داحضُ الشبهات قد علقَتْ بنا
هو غيظُ أعداءِ علينا كم بغوا!
هو من سيروي قصة مكلومة
هو من سيصفحُ عن رموز أشكلتْ
هو من سيعطي للعتاب طيوفه
يا دار (البنى) بَحثٌ بالسرِّ الذي
والله أسألُ أن يُقيِلَ عَثارنا

لولا مصارعة الأسى لم أنظم
والشعرُ يا جهالٍ ليس بطلسم
مهما تعاظدتُم بكل تشردم
بعبد الدعاءِ عليكم بتحلم
بلسان (عدنان) ولهجة (جرهم)
من حَفنة المُتزيِّدين الهُوم
والنارُ صُبتْ فوق حقد السُوم
لولا مواجهة العدا لم تُكلم
هو من سيكشفُ كل لغز مُعجم
كي لا يراه القومُ غير ملوم
منذ افترقنا لم أقله لتعلمي
فمن الذي أدعوه غير المنعم؟!

لا تنبشي يا أختاه دموعي!

(تزوجا على حُب في الله كبير. وكانا سبباً في إسعاد العائلتين. وكان جزاء معروفهما الإساءة من كلا الطرفين. فطالبتها بأن لا تبالي بهم ، إذ إنها وزوجها قد قدما الخير للكل ابتغاء وجه الله - تعالى - . فإذا كان الأهلون ليسوا بأهل للمعروف والخير ، فإن الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة. وإذا لم يشكر الناس معروف زيد فإن الله يجزي على الإحسان إحساناً ، ويشكر لمن فعل الخير ابتغاء مرضاته. فطفقت هذه الزوجة المسكينة تسأل زوجها وتجادله وتشتكي إلى الله - عز وجل - وتقول: لماذا هذه الروح المنكرة للمعروف؟ ولماذا هذه الطبيعة التنكرية للإحسان؟ فقلت: المرء يعمل مع الله ويبتغي ما عنده ، فلا ينبغي له أبداً أن يحزن أو يقول: لم يعترف الناس بجميلي عليهم وإحساني إليهم. أقول: إن هم أخطأوا بعدم اعترافهم بالجميل ، فإن هذا لا يعني إحباط العمل عند الله بالمن على الناس! يقول الأستاذ بسّام عودة عن نكران الجميل والمعروف ما نصه بتصريف: (إن الإنسان سيؤدي إلى الآخرين بعض ما يحتاجون إليه ، كما إنه سيأخذ منهم بعض ما يحتاج إليه. وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى الاعتراف بالجميل ، وعدم نكرانه. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أُعطيَ عطاءً فوجد فليجز به ، ومن لم يجد فليئن ، فإن من أتى فقد شكر ، ومن كتم فقد كفر ، ومن تحلى بما لم يُعطه كان كلابس ثوبي زور". أما أن يحسن الآخرون إلى أحدنا فلا يجدون إلا نكراناً ، فهذا دليل على خسة النفس وحقارتها. إذ النفوس الكريمة لا تعرف الجحود ولا النكران! بل إنها على الدوام وفيّة معترفة لذوي الفضل بالفضل. فحين لا يقر الإنسان بلسانه بما يقر به قلبه من المعروف والصنائع الجميلة التي أسديت إليه ، سواء من الله أو من المخلوقين فهو منكر للجميل جاحد للنعمة. عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك). [رواه الترمذي]. ومن ثمرات صناعة المعروف: 1- صرف البلاء وسوء القضاء في الدنيا والآخرة. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يسر على مُعسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة). [رواه ابن ماجه]. وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو أمامة: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب). [رواه الطبراني]. 2- دخول الجنة. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أول أهل الجنة دخولاً أهل المعروف). [رواه الطبراني] 3- مغفرة الذنوب والنجاة من عذاب وأهوال الآخرة. عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: لا. قالوا: تذكر ، قال: كنت أداين الناس فأمر فتياي أن ينظروا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر ، قال: قال الله: عز وجل تجاوزوا عنه). وفي رواية عند مسلم (فقال الله أنا أحق بذا منك ، تجاوزوا عن عبدي). هذا ، ومن ثمرات نكران المعروف: 1- نكران الجميل سببٌ لدخول النار. - فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أريت النارَ فإذا أكثر أهلها النساء ، يكفرن". قيل: أيكفرن بالله؟ قال: "يكفرن العشير ويكفرن الإحسان! لو أحسنتُ إلى إحداهنَّ الدهر ، ثم رأيتُ منك شيئاً قالت: ما رأيتُ منك خيراً قط". 2- نكران الجميل سبب العقوبة وزوال النعم. قال الأصمعي رحمه الله: سمعت أعرابياً يقول: أسرع الذنوب عقوبة كفر المعروف. 3- نكران الجميل سبب لهجر أحبائك لك بل والناس تنفر منك. 4- نكران الجميل سبب لمرض القلب الحسي والمعنوي . ومن آداب صناعة المعروف: 1- شكر الله عز وجل أولاً ، إذ هو المنعم الحقيقي. قال الله تعالى: {يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون}. 2- شكر صاحب المعروف. فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله). [رواه الترمذي] 2- أن يقبل المعروف الذي

أسدي إليه. فعن خالد بن عدي الجهني قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من بلغه معروف عن أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده ، فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه) هـ . ثم إنني أزيد الأمر وضوحاً فأقول: (إذا كان هذا سمت كثير من الناس مع ربهم تبارك وتعالى ، فلم التعجب من حاله مع بعضهم البعض؟) ألم نطالع: (كلا إن الإنسان ليغطي أن رآه استغني) ، (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه) (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون)؟ وإذن فلا عجب ولا غرابة!

وَيَسْتَجِيشُ الَّذِي فِي الرُّوحِ مِنْ مِحْنِ	الدمع يحكي الذي في القلب من شجن
وَأَزْلَفِخَ الجوى فِي السر والعلن	لا تنبشي الدمع ، هزّ الدمع عاطفتي
حتى نواجه ما نلقاه من فتن	كفي بكاءً على الأطلال ، واصطبري
فما لأيهما - والله - من منن	دعي الفريقين كلاً في مزاعمه
وقشقتشي ما افتري اللوام من دخن	وفندي للورى ما حيك من شبيه
واليأس يُزكي الذي في النفس من إحن	لا تجعل اليأس يسري في عزائمنا
وليس أسرع من تعاقب الزمن	لنبداً اليوم ، فالتسويف قاتلنا
وعللونا بقيل طيب مرن	هم أحدثوا فجوة كبرى تهددنا
حتى غدونا بثوب منه مُمتهن؟	فهل نفيق من التضيق جنودنا
فكل حزب له باع من الغبن	إن الفريقين كلاً صاغ مازقتنا
بنيّة خبثت ومقصود عفن	تقاسموا الدور كلُّ شدة مزره
وكل ريح تخط السير للسفن	كنا ضحية ما شادوه من نقم
خضنا الغمار بلا مال ولا وطن	حتى غدونا لكل الناس موعظة
ولا نكوص عن الإحفاف والوهن	ولا اعتذار يُواري قبح من خذلوا
شمس ، وشقتشق عصفور على فنن!	فحسبنا الله يا أختاه ما طلعت

هكذا يكون العتاب!

(الخلاف بين الزوجين سنة ماضية إلى يوم البعث. لا يبدلها تعاقب الأيام ، ولا يغيرها كر الدهور ، ولا يزاحمها مرور الأعوام ولا يزيلها مَرَّ العصور. وأبيات نبي الله محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - لم تخل من الاختلاف والخلاف. والنص في سورة الأحزاب حي نابض لم ينسخ: (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً). وشقيق هذا النص هناك في سورة التحريم: (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ، وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير ، عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تاتبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً). وإنني لأحتقر من قلبي قوماً كانوا قد زوجوا ابنتهم من رجل ثم يسعون جاهدين ، بالمناسبة وبدون المناسبة ، للسبب ولغير السبب ، لأن يطلقوها منه. ولسان حال هؤلاء أنهم إما استكثروا ابنتهم عليه ، أو يرونها أفضل منه! وكذلك أهله يعملون على طلاق هذه المرأة من زوجها الذي هو ولداهم. وتدور رحى المعارك بين العائلتين غير الكريمتين. وليس أحد منهم ضحية أو قرباناً لهذه المناورات. بل الضحية هما الزوجان فلماذا لا يعلمان ذلك؟ ولماذا لا يفتنان إليه؟ والعتاب بين المحبين لا يزيد الحب إلا شوقاً واشتياقاً. وأنا أهدي هذه القصيدة لمن أحب بشيراً ونذيراً! ولنعرف أن الحياة الأسرية ، كما بدأت بمعروف يمكن أن تنتهي كذلك بمعروف ، والله قال في القرآن: (وعاشروهن بالمعروف) ، أي لتكن المعاشرة بالمعروف بالمعروف ، ثم قال تعالى: (وفارقوهن بالمعروف) ، أي وإذا كان الفراق فليكن بالمعروف! تلك المعاني التي غابت اليوم عن حس كثير مما ينتسبون إلى الإسلام. حتى وإن كان الطلاق هو النهاية ، فإنه حل ناجع في بعض الأحيان ، عندما يصل الزوجان إلى طريق مسدود ، تستحيل معه استمرارية العشرة الزوجية. عند ذلك وعند ذلك فقط ، يأتي قول الله عز وجل: (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) ، يأتي ذلك القول الفصل المبين ليقدم الحل ، وليلقي بطوق النجاة للزوجين ، من خضم الخلافات الذي يبتلع كل معروف ، ويتنكر لكل خير ويزرد كل جميل! روى أبو يعلى في المسند من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه! فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ فقال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة تبارك وتعالى ، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظمتي من أخي... قال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته. قال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء! قال - يعني الطالب -: رب فليحمل عني من أوزاري! قال: ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال: إن ذلك ليوم عظيم ، يحتاج الناس إلى من يحمل عنهم أوزارهم! فقال الله للطالب: ارفع بصرك ، وانظر في الجنان ، فرفع رأسه. فقال: يا رب! أرى مدائن من فضة ، وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ ؛ لأي نبي هذا؟ لأي صديق هذا؟ لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى ثمنه. قال: يا رب ومن يملك ثمنه؟ قال: تعفو عن أخيك. قال: يا رب فإني عفوت عنه! قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فادخلا الجنة. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) ؛ فإن الله يصلح بين المؤمنين. وفي مقدمة خطبة له بعنوان (إصلاح ذات البين) يقول الأستاذ خالد بابطين ما نصه: (إن هذه الأمة المباركة - أمة الإسلام - تقوم في بنائها بعد الإيمان بالله ؛ على عواطف الحب المشترك ، والود الصافي ، والبعد عن الأحقاد والضغائن. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مثل

المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). متفق عليه من حديث النعمان. إن أمة الإسلام موصوفة في كتاب ربها من بعد سلفها الأخيار من المهاجرين والأنصار ، في قوله تعالى: {والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ، وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم}. وهذان الأمران العظيمان (إصلاح ذات البين ، وسلامة الصدر) جاءت الشريعة المطهرة بالأمر بهما ، والحث عليهما ؛ أن يكون صدرك على أخيك سليماً ، ليس فيه غلٌ ، ولا حقد ، ولا حسد... قلب مخموم كما جاء في بعض الأحاديث. لقد أتى الله بسبب سلامة الصدور على أهل المدينة الأنصار ، ومجدهم لاتصافهم به ، في قرآنٍ يُتلى إلى يوم القيامة ، يقول سبحانه: {والذين تبوأوا الدارَ والإيمانَ من قبلهم يُحِبُّونَ من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةً ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون}. هـ. ولنتذكر أن سورة في القرآن تسمى بسورة: (الطلاق) ، على حين لا توجد سورة باسم: (الزواج)! وقد رخص النبي – صلى الله عليه وسلم – في الكذب من أجل الإصلاح! عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس ، فيُنمي خيراً أو يقول خيراً) متفق عليه. وفي رواية مسلمٍ زادت: (ولم أسمع رخصاً في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: تعني الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها). هذا ، ولا بد من تبييت حسن النية في الحكم على الأمور والتصرفات. ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: (كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردٌ نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي ، فجبذه بردانه جبذةً شديدةً ، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال: يا محمد! مُر لي من مال الله الذي عندك! فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ضحك ، ثم أمر له بعتاء). وأخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بال أعرابي في المسجد ، فقام إليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه لا تزرموه ، وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء - أي دلواً من ماء - فإتما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ، واسكنوا ولا تنفروا. وزاد الترمذي: (ثم قال الأعرابي: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً). فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد حجلت واسعاً. هذا هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، عنوان الرحمة والشفقة ، والقُدوة في الصّح والمغفرة. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته ماءً من وضوئه معلق نعليه في يده الشمال... فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فطلع ذلك الرجل على مرتبته الأولى... فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فطلع ذلك الرجل على مرتبته الأولى! فلما قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم - اتبعه عبد الله بن عمرو بن العاصي فقال: إني لآحيث أبي ، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليالٍ فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تحلّ يميني فعلت. فقال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله بن عمرو بن العاصي يُحدّث أنه بات معه ليلةً أو ثلاث ليالٍ ، فلم يره يقوم من الليل بشيء ، غير أنه إذا انقلب على فراشه ، ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر فيسبغ الوضوء. قال عبد الله: غير أنني لا أسمع يقول إلا خيراً ، فلما مضت الثلاث ليالٍ كدتُ أحتقر عمله ، قلت:

يا عبد الله ، إنه لم يكن بيني وبين والدي غضبٌ هَجْرَةٌ ، ولكني سمعت رسول الله يقول لك ثلاث مرات في ثلاث مجالس: (يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فلم أرك تعمل كبير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله؟ قال: ما هو إلا ما رأيت ، فانصرفت عنه ، فلما وليت دعاني فقال: (ما هو إلا ما رأيت ، غير أنني لا أجد في نفسي غلاً لأحد من المسلمين ، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه!). قال عبد الله بن عمرو: (هذه التي بلغت بك ، وهي التي لا نطق). وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الشيطان قد ينس أن يعبدَه المصلون في جزيرة العرب ؛ ولكن في التحريش بينهم). رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً). خرَّجه مسلم. وعن أبي خراش السلمي عند أحمد وأبي داود والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ؛ يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (من هجر أخاه سنةً كان كسفك دمه). وأعود للعتاب بين الزوجين وأقول: ليكن العتاب الصافي طريقاً إلى المصافاة والمصارحة والشفافية ، في محاولة لأن يُخرج كل طرف ما في جعبته حيال الطرف الآخر. ويأتي الحكم من الحكيم بعد المداولة والمشاورة. وليعلم جيداً أنه ليس هناك مشكلة ليس لها حل في كتاب الله وفي سنة رسوله. بل أقطع وأجزم أن كتاب الله – عز وجل – وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – قد احتويا على الحلول الناجعة الفاصلة لجميع المشكلات التي كانت وتكون وستكون إلى قيام الساعة!

مالي أراها لا تُصِيخ لصرختي؟ أم أنني أصلى بنار محبتي؟
هي لا تُبالي إن صرختُ وإن علثتُ قلبني الهموُمُ ، وثم كل قريحتي
هي لا تُجيبُ الحقَ دوماً والهُدى إلا بكل تناقل ، وتعلت
هي لا تذكرُ بالإله وشعره بل لا تُعين على أدى وتشتت
يا قلبُ فابك على الحبيب وعهده وابك الخديعة في مهاوي غربتي
قلبي المعذب ، إن من أحببتها قتلتُك ، لم تصقل شِفَارَ القتلة
فاكظم على الأيام غيظك ، لا تقلن أحببتها ، يا قلبُ ، واحقن دمعتي
فالصدقُ في أيامنا أسطورة! مقهورة نفسي لبعد أحبتي
ألأنني أحببتُ ، لم أك غادراً أجد المحبة بركة من شقوة؟!
أهوي إليها ، ثم أشرب نارها في القلب تكوي ، ثم تحرق عزتي
مالي جزعتُ فضاقَ قلبي والنهي ياليت شعري ، ثم تاهت فرحتي!
مالي ظلمتُ فهزني حيفُ الوري ومضيتُ لا آسي على محبوتي!

تعسَ الرحيل! وأين تمضي رحلتي؟
وعلمتُ أن الصبر يُزكي عزمتي
إني الضعيفُ على الأذى ، ما حيلتي؟
وكم اكتوى قلبي بنار الحسرة!
ماذا جنيتُ سوى الشقا في عيشتي؟
ألقى العذاب ، وثم تعلو صرختي؟
ألقي جزائي الغبنَ يُزكي حُرقتي؟
يُردي حياة الحق سم الغفلة؟
يُقلبي الهُدى ، وتموتُ وأدأ همتي؟
عند المحب ، وعند كل الأسرة؟
وصفاء قلب مُستجيب مُخبِت
وسعادة تأوي إليها مُهجتني
وظليعة للملتقى لم تصمت
وقراءة القرآن ، ثم السنة
وتعلم التوحيد باب الجنة
وتمسكاً بالحق ، رغم القلّة
تأسّي على ما فات منك وتقنتي
ولعبت - بين الخلق - أسوأ لعبة
ع - فليتني أبصرتُ طعم السكرة
وقالت زوجك بالخداع المُلفت
كنت الظهير من الخصوم حيلتي
ونسيت كل عهدنا ، يا فتنتي

ونظرتُ للطفلين نظرة راحل
فذكرتُ آلام الفراق بلوعة
حتام أصبر ، لا وسيلة غيره
كم ذا بكيت ، ولم أجد غير الأسى!
وكم اصطليتُ بنار وجدي والظي!
ألأنني رُميت الحياة عزيزة؟
ألأنني أعطيت ، لم أك باخلاً
ألأنني واجهتُ لم أك حاذراً
ألأنني ناصحت ، لم أكنم هوى
أم أن قول الحق عارٍ ياترى
قد كنتُ أنشدُ في محبتك التقى
ونقاء روح تمنح النفس الهُدى
وهدوء بيتٍ شامخ بين الورى
وصلاة ليل مشرق ، عبر الدجى
ودراسة الإسلام عبر حياتنا
وترفعاً عن كل عيب يُزدري
فجعلت ذلك كله حُلماً ، ولم
وجعلت نفسك في الورى العوبة
وجعلت زوجك بينهم كبشَ الفدا
وقالت بالهذيان نفسك في الدنا
وقالت أهلك ، لم تكوني فخرهم
بل كنتِ عونَ عدونا ، وسلاحه

ورفعت كفك للحليل ، نهرته
وشكوت زوجك للعميل ، وحزبه
عذراً ، إذا صارحت ، تلك طبيعتي
إني رأيتك تبصقن على العهو
أسفي على ساعات أول حبنا
هي محنتي وحدي ، وإني صامد
أنافي الشقا وحدي ولست بيانس
لا تنفري مني ، فإني صادق
أنا قد رأيتك لم تراعي حرمة
بل كنت فوق الجرح ناراً تكتوي
خمشت كل قصاندي ، وفرائدي
المرأة الفضلى تعين على الهدى
ليست تُصاحب غير فضلى مثلها
هي لا تُضَيِّع عمرها في الموقعا
هي ترقب الفجر الوليد لدينها
هي مصنع الأفذاذ ، تبني دولة
فالطفل في يدها تراه وداعة
وترى التبعل للحليل رسالة
يا فتنتي عودي إلي ، وأجملي
ياربة الحب الكبير ، تذكرني
عودي ، أمامك فرصة ذهبية

وهجرت بيتك ، يا لأسوأ هجرة!
ورفعت صوتك في الدنا ، لم تصمتي
روحي فدا ديني ، وتلك جبلتي
د ، كأنما ما قلتها في حضرتي
عارٍ عليّ النوح ، لكن محنتي
والله حسبي في العدا ومصيبتي
من أن نصر الله مُؤنس وحشتي
وكذا فوادي الحي ، ليس بميت
وعلى جراح بليتي لم تربتي
روحي بها أبداً ، وتلفح نظرتي
وبلا هوادة أخذ ، أرحمة
وإذا رأته من هنة لم تسكت
وتعيش للإسلام كل دقيقة
ت وفي الهوى ، وكذلك لا ، في نزوة
وتعد أقوى ثلثة وشببية
وتعد للميدان أشجع زمرة
ماذا فعلت حيلتي بوديعتي؟
وترى لباس الحق أجمل خلة
قاربت أختم بالوداد قصيدي
عهد الإله ، وقد جهرت بحجتي
والعمر ولي ، بادري بالعودة

إني لعَودِكِ شَانِقٌ مَترقِبٌ
لولا أَحِبُّكَ فِي الإِلهِ لَمَّا بِكِي
ولَكانَ بَيتَ أبايِكَ مَأواكَ الَّذِي
لِلهَمِّ فَاشْهَدِ أَنَّني أَشْكو إِلَيهِ
أَدعُو المَليكَ ، بِدَمعَتِي وَبلفِظَتِي
تَكِ فِي الدَجى ، وَلَمَّا أَبحَثُ بِلِوَعَتِي
تَأوي إِلَيهِ ، وَلستِ لِي بِالنِزِجَةِ
كَ ، وَقَدِ بذَلْتُ قَريحَتِي وَنِصِيحَتِي

أشواق لها إيقاع!

(لما كان زوجها بين يديها ، وفي بيتها وبين أولادها كانت تحبه وتحرصُ على رضاه. وعندما سافر عنها اشتاقت إليه. وكان لأشواقها العاتية إيقاع تُستلهم معه الذكريات وتُتذكر المناسبات. فأخذت تستعرض هذا كله. وأنشدت من شعري حكايةً عنها ، متخيلاً إياها تحتفل بالأشواق والآمال والأحلام معاً! إذ الحكمة تقول: (اضحك تضحك الدنيا معك!) وأخرى تقول: (كنّ جميلاً تر الوجود جميلاً). وهذه حقيقة يُصدّقها الواقع ، فكلما رضي المرء رضي الواقع! وأوصى حكيم عبداً تقياً اعتزله الناس لدينه فقال: (لو شعرت ببعد الناس عنك أو بوحشة أو بهجر إذن فاستعن بالله فالأمر يسير. وقال بولرمان: (التفاؤل غربة ، وتذكر قربك من الله يمنحك هدوء الأعصاب في أخرج الأوقات). ويقول البير كاميه: (إذا شعرت بالتشاؤم ، تأمل الوردية). ويقول بيرون: (المتشاؤم أحق يرى الضوء أمام عينيه ، لكنه لا يصدق). والمثل الغربي يقول: (إنما المستقبل لأولئك الذين يؤمنون بالجمال). والمشهد الشعري العربي يشهد شعراء قليلين يعكسون واقعهم في أشعارهم ولا يهربون منه! وتحت عنوان: (الشعر في الأردن: مسارات ورؤى ومشارب) يقول الأستاذ جعفر العقيلي ما نصه: (المتأمل في المشهد الشعري العربي في شكل يجده واحداً في واقعه ، وفي التحديات التي يواجهها ، وفي الأسئلة الأكثر إلحاحاً المطروحة على الشاعر ، وكذلك في المآزق الكبير الذي يعيشه الشعر العربي اليوم. لكن الأمر لا يخلو من فروقات وتباينات في التفاصيل بين بلدٍ وآخر ، تبعاً لطبيعة التجربة في كل بلد ، وامتداداتها التاريخية والمعاصرة ، والسياق العام الذي يتحرك الشعراء - وبقية الأدباء المبدعين - في إطاره ، وبخاصة في ظل التحولات الكبرى التي شهدتها السنوات الأخيرة ، على الصعد كافة. وفيما يتعلق بخصوصية التجربة الأردنية ، شهد العقد الأول من الألفية الثالثة فورةً شعرية نوعية في الأردن ب بروز ثلّةٍ من الشعراء الشباب من الجنسين أكثرهم من طلبة الجامعات ، غير أن تلك الفورة أخذت تخفت بحسب الشاعر والناقد والأكاديمي خالد الجبر ، في ظل التغيرات الهائلة في الحياة الاجتماعية ، وتراجع الاهتمام بقطاع الشباب ، وانحسار الاهتمام المجتمعي بالشعر نتيجةً لتركيز النقاد والمؤسسات الثقافية على الرواية ، وذبول الوجدان الجمعي حيال القضايا الكبرى). هـ. ويقول الأستاذ خالد الجبر: (إنّ عددًا من كتاب الشعر تمكّن من تحقيق منزلةٍ كبيرةٍ واضحةٍ في العالم العربيّ ؛ ومنهم بحسب الجبر: نبيلة الخطيب ، ومها العتوم ، وراشد عيسى ، وناصر شبانة ، وسعيد يعقوب ، وعماد نصّار ، ومحمد مقدادي. ويرى الجبر أن شعراء القصيدة الكلاسيكية وشعراء التفعيلة تمكّنوا من تجاوز العقبات التي فرضتها مصادرات الوسط الثقافي المنحاز إلى قصيدة النثر منذ أواخر ثمانينيات القرن العشرين ، ممتدّين بالقصيدة تشكيلاً وبنيةً وصورةً ولغةً إلى آفاقٍ بدت ذات حينٍ في العصي البعيد. وهو ما يجعله يؤكد أن بإمكاننا النظر اليوم إلى التنوع البادي في الحالة الشعرية في الأردنّ بكثيرٍ من التفاؤل ، مطمئنين إلى استعادة الشعر مكانته اللانقة في الحياة الأدبية على مستوى الأمة). هـ. وأراني بشهادة من نقدوا شعري ، من قبيل الشعراء الذين يعالجون الواقع بالشعر! وعموماً الشعر شعور وإحساس صب في قالب وفق ضوابط وقواعد معينة! وتحت عنوان: (الشاعر والشعور) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (ألا نسمع معاً ذلك الأنين وتلك الشكوى ينبعثان من الشعر الحديث ، وكأني بهما يعبران عن الضياع والتخبط اللذين نعيشهما هذه الأيام؟ ثمّ ألا نلمح سويةً ذلك الهروب أو عدم القدرة على طرح الحلول للمشاكل وللصعوبات التي يعاني منها الشاعر والمجتمع؟ إن واقعنا صعب ، والعالم يمرُّ بفترة

من أحلك الفترات التي مرّت على كرتنا الأرضية ؛ وفي حين تتفاقم المشكلات الفردية والجماعية للإنسان ، تتضح حقيقة ترابطها وتداخلها ، وتنبثق من ذلك الصعوبة المشتركة التي يعاني منها كلُّ إنسان بطريقة مختلفة عن الآخرين. أمن الممكن أن ما كان ينبغي أن يجعل الشعرَ الصادقَ الحيَّ يتدفّق من أعماق "الإنسان-الشاعر" لا ينفكّ يشوّش عليه ويؤنّيه ، حتى ينفثه دخاناً تركّ في الداخل ، هناك في الأعماق البعيدة للكائن الإنساني ، سموماً لم نجد ترياقاً لها بعد؟ لا. إن ما يمكن أن يعمل في قلب الإنسان لهُو غير ما يتبطّن عليه الإنسان في الحقيقة. ويجب علينا إن نحن أردنا أن يتجلّى الباطنُ فينا ، أن ننقّي مشاعرنا وأفكارنا وعواطفنا. عندما قلت إننا لا نعرف ما نريد عنيت أننا لا نزال نتخبّط في البحث عن حلول لا تتبع من داخلنا ، فتكون بالتالي غير قادرة على الثبات أمام تقلّبات الخارج وعواصفه). هـ. حاولتُ جاهداً وصف شعور المرأة التي غاب عنها زوجها الذي تحبه وتجلّه فقلت على البسيط

ويَسْرِقُ النومَ من عيني ، وينبهزُ
والحزنُ في القلب مثل النار تستعر
ومَن هو السمعُ لي ، والقلبُ والبصر
وبعضُ أقلامه والكُتُبُ والصُّور
قبل الرحيل عليها الدمعُ ينهمر
كأنها تسألُ الأبناء: ما الخبر؟
لكن فراقُ أبيهم ليس ينجبر
إلي المليك عذباتي ، وأنتظر
يا ليتني لم أكن للذنب أفتكر
وبعدُ إنني إلي زوجي لأعتذر
فالحوب عند كرام الناس يُغتفر
خاب الفراقُ ، وخاب البعدُ والسفر!
لما استطلت على أناتي السُّعر
كأنه الشوكُ في الأحداق والإبر
ولم يزرني الجوى - كلا - ولا السهر
حتى غدت من مَرار الكرب تنفطر
متى سيطلعُ في ظلماتنا القمر؟
وكنت يوماً أرى غيرَ الذي ذكروا
فيجعلُ الدمعُ في عينيَّ ينحدر
فأزجرُ الطفلَ ، علَّ الطفلَ ينزجر
والدمعُ يغلبني ، كأنه المطر

الشوق يُلهبُ أحلامي ويزدهرُ
أبيتُ في غربة ، والهَمُّ يقتلني
وذاك بيتي خلا ممَّن يُنوره
وتستجيشُ أحاسيسي ملابسُه
وبعضُ أشرطةٍ قد كان رتبها
والدارُ فيها له سيارة وجمتُ
والناسُ حولي وأبنائي وطعمتُنا
مضى ، وخلفني في الكرب شاكية
وكم تذكرتُ ما قارفتُ من محن!
اليوم تبتُّ عن العصيان ضقتُ به
عساه يرضي ، وعن عمدٍ يسامحني
وقد كفاني من الأشواق لوعتها
لولا مكابدةً في الحب لاجعة
وما جرى الدمعُ مهتاجاً يُعذبني
وما استكانت لفرط الوجد عاطفتي
وما استجابتُ أساريري لكربتها
وكل شبل من الأشبال يسألني
يرون فيك أباً قد كان يسعدهم
يقول أصغرهم: متى يجيئُ أبي؟
حتى أشيخ بوجهي ، ثم يسألني
يُهيجون أحاسيسي صباحاً مسا

والطيف في غرفتي يختال مُزدهياً
فأسْتَفِيقُ على طيفٍ يُسامرني
فأجتني من زهور الخُب ما ينعث
فأذكر الخُبَّ والمحبوبَ في فرح
وأذكرُ الغيرة الشهباء من رجل
وأذكرُ الغضبة النجلاء يَغضبها
وأذكرُ الخيرَ ، كان الزوج يجلبه
وأذكرُ النصحَ لم يبخل به أبداً!
وأذكرُ الحكمة العصماء جاد بها
وأذكرُ الجودَ بالأموال يهلكها
وأذكرُ الرفضَ للتفاز في وَضَح
وأذكرُ السُّنة المثلَى تقلدَها
وأذكرُ الجارة الشماء أكرمها
أمسى يَشِيدُ بأخلاق لها عظمتُ
عُضِيضَةُ الطرفِ عن سوءٍ ومنقصةٍ
وكان يَذكرُ في فجر مناقبها
وكان يفرحُ إن زارتُ مضاربنا
ولم يُزكِّ على الرحمن من أحدٍ
لكنه أنزل الفضلى بمنزلةٍ
تبارك الله يا أختاً بغربتنا
ولم تُفرقْ كأهل الحي قاطبة
و(يوسفُ) عندنا غال كـ (فاطمة)
و(راشدُ) سيفه في بيتنا ألقُ
ذي جيرة طهُرتُ مما يُدنسها
وأذكرُ الزوجَ كم كان الحياة لنا!
واليومَ يمضى فلا سَعْدٌ ولا فرحٌ
أعاده الله نوراً في ديارنا!

يُعيدُ ذكرى لها في خاطري بُشر
كأنه العطرُ في الأركان ينتشر
ألوانه ، وزكاً أريجُه العطر
وأذكرُ الشرعَ ، فيه الخيرُ والنذر
بحبه بين أهل الخير أفتخر
لله ليس له من بذلها وطر
لبيت أسرته الجهابذُ الغرر
كانت نصائحه كأنها الدرر
إذ كان يعلمُ ما يأتي وما يذر
يرجو الثوابَ ، وهذا الأمرُ مُشتهر
وإن رأى حله في دارنا البشُرُ
فيما استطاعَ ، ففيها العزُّ والظفر
فما استوتتُ عنده في الوزن والأخر
جداً ، وكان لها في شرعنا نظر
دوماً ، وتُدمعُها إن رُدَّتْ سَقر
كدوحةٍ في جواها الظلُّ والثمر
ففي زيارتها الهناءُ والسَّمر
لأنه لرضاء الله مُفتقِر
فنعم صاحبةً ، ونعمتِ السَّير!
حلا لنا في عطاها الورْدُ والصَّدر
فَعندها (ماجدُ) أولى به (عمر)
هما هما الذخرُ إمَّا هاجتِ الغير
والسهمُ عند (صلاح الدين) والوتر
ففي تأملها العظمتُ والعَبر
بلي هو الخيرُ والأهلون والسَّمر
وما لصاحبنا في دارنا أثر
إن المليكَ على ما قلتُ مُقدِّر!

مزايدة!

(الأصل في الأسرية والعائلية الناجحة أن يعمل الزوجان في بناء الأسرة ، ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاً! بدون كل ولا ملل ، وبدون تعارض في الاختصاصات ، وبدون تزامم في المهمات. ولكن عندما تتبنى الزوجة مبدأ النيل من الزوج أمام الأبناء ، وجعله مدعاة للسخرية ومجلبة للاستهزاء وهدفاً للتنقص والتندر ، وعندما تنازع الزوجة زوجها مهامه ووظائفه ، وتزايد على دوره ، وتتقصص شخصيته ، وتقفز على مساره ، وتصدق في الوشاة المغرضين ، وتتصيد مزالقه وهناته وعثراته ، وتضخم أخطاه ، وتكثر اللوم والشكوى ، متجاهلة مشوار الحياة الذي قطعاه معاً ، ومتناسية عثرة كانت لبناتها المودة والرحمة وأساسها الحب الوثيق والميثاق الغليظ ، ومتغافلة عن الأبناء الأعمى الذين هم ثمرة هذا الزواج وأيقونة هذه الزيجة المباركة ، فإنها بذلك تدق مئات المسامير في نعش تدمير نفسها وزوجها وأبنائها وبيتها! وكبر على الأسرة أربع تكبيرات ، وصل عليها وعلى القائمين عليها صلاة لا سجود ولا ركوع لها! فليسعد الوشاة والمخبون ، وليفرح شياطين الإنس والجن ، فقد تم لهم المراد! إن الزوجة الواعية التي تعيش على منهاج ربها وسنة نبيها - صلى الله عليه وسلم - لا تسمح لنفسها طرفة عين ولا أقل من ذلك ، أن تقع في شئ من الذي ذكرت. في رسالته الرائعة: (تعلمي فن الإتيكيت مع زوجك) للأستاذ رمضان حافظ قال ما نصه: (ما أجمل النظام وما أروع في داخل الأسرة ، والمدرسة والمصنع ، والمسجد والشارع! وما أقبح الفوضى وما أفظعها في البيت والمدرسة والنادي والميادين! ومن مهام الأنبياء العظيمة التي خصهم الله تعالى بها: تعليم الناس مكارم الأخلاق. ويطلق بعض الناس على الفضائل ومحاسن الأخلاق لفظ الإتيكيت. ومن يطبق هذه القواعد فإنه رجل عالم بالإتيكيت وأصوله. ومن يخالف هذه اللوائح يسمى رجلاً جاهلاً بالإتيكيت وفنونه. وكثيراً ما يراعي كل إنسان مشاعر الطرف الآخر الغريب عنه ، حتى يكتسب ثقته واحترامه وتقديره. ونحن غالباً لا نلقي بالألطف طريقة تعاملنا مع إنسان عزيز علينا ، يعيش بيننا - مثل شريك الحياة - وقد نجرح مشاعره دون قصد غالباً (أو بقصد أحياناً) لأننا نعتقد أن أصول الإتيكيت تطبق فقط حين نتعامل مع الغرباء. أما الجفاء والغلظة وقلة الذوق تستعمل مع الأقرباء. ومن هنا يجب على كل عروسين جديدين أن يتفقا سوياً على قواعد ، تكتب في شكل وثيقة أو اتفاق ، تشمل كل ما تثرى به الحياة ، ويوفر المتعة فيها من أنشطة وهوايات مختلفة وقراءات وزيارات وتأملات ورحلات. إلخ. وذلك ليحترم كل شريك شريكه ويشعره بقيمته ويقلل مخالفاته وسوء معاملاته. وليكن هناك نوع من الجزاء أو التأديب المناسب للمخالفة مثل خصام يوم أو يومين فقط ، والاعتذار لمن أخطأنا في حقه ، أو دفع مبلغ من المال للإرضاء ، أو شراء هدية معقولة. إلخ. ليظل النظام قائماً والاحترام متواصلاً.) وقد أورد الأستاذ رمضان حافظ في رسالته 27 فناً إتيكيتياً نعتذر عن إيرادها هنا. ومن هذا المنطلق أشدت من شعري هذي القصيدة من الطويل لتكون ناقوساً يدق في عالم النسيان والغفلة الذي نعيش ، لتنبه كل زوج ينزلق أو تنزلق إلى هذه الوهدة السحيقة. وليتذكر الجميع أن هذه الدنيا دار ممر وليست دار مقر! وأنها لعب ولهو وزينة وتفاخر بين الناس وتكاثر في الأموال والأولاد ، وأنها متاع الغرور ، وأنها دار ابتلاء واختبار ، وأنها هينة على من خلقها - تبارك وتعالى - فهي لا تساوي عنده جناح بعوضة! ولو كانت تساوي عنده جناح بعوضة ما سقى كافراً به منها شربة ماء! والعمر فيها محدود ، والرزق فيها مفصل على قدر

العمر ، فهو محدود أيضا. وكلما ناقشنا هذه القضية التي هي تنازع حدود التربية بين الأم والأب ، قيل لنا العرف والتقليد والعادة! والأصل أن العرف الذي يجعل القوامة في يد الزوجة عرفاً ملعوناً لا قيمة له! وتحت عنوان: (طاغوت العرف) يقول الأستاذ عبد الرحيم الطحان في محاضرة طويلة عريضة ما نصه: (إن أصناف المعارضين لدعوة الأنبياء والرسل وقد عارضها أربعة أصناف من الخلق حالوا بينها وبين وصولها إلى المخلوقين ، من العلماء الفاجرين ، والحكام الظالمين الجائرين ، والعُباد الجاهلين ، والمتفلسفة المخرفين ، لقد وقف كل واحد من هؤلاء حجر عثرة في طريق هذه النعمة ، ووصولها إلى العباد الذين أرسل الله إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ليهتدوا بهذه النعمة فوقف هؤلاء الأصناف أمام هذه النعمة ، وحالوا بينهم وبين هذه النعمة الجليلة الكريمة. نتج عن هؤلاء الأصناف الأربعة بعد ذلك شريعة بين الناس تسمى بالعرف والعادة ، فعكف الناس عليها من دون شريعة رب العالمين ، واحتكموا إليها في جميع شؤون حياتهم. شريعة العرف والعادة: أن يسيروا على ما سلكه آباؤهم وأجدادهم وما عليه أعراف قومهم ، نتج عن هؤلاء الأصناف الأربعة هذا العرف العام ، وهذه العادة التي يسير الناس عليها. والعرف يصيغه ويصنعه ويحدده ويوجده عليه القوم وخاصتهم ، وهم هؤلاء الأصناف الأربعة ، ففي كل يوم يحدث الناس شيئا من الأهواء والعادات والضلالات والبدع ، فيأخذ الناس بها ويهملون شيئا من الهدى والسنن. ثبت في معجم الطبراني الكبير بسند رجاله موثقون - كما قال الإمام الهيثمي في المجمع - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما أتى على الناس عام إلا وأحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة ، حتى تحيا البدع وتموت السنن. فنور الله جل وعلا يصبح غير ظاهر بين الناس ، والبدع هي الشريعة التي يحتكم إليها الناس ، حتى تحيا البدع وتموت السنن وهذه البدع يعكف الناس عليها على أنها أعراف عامة وتقاليدها لازمة لا يجوز الخروج عنها ، فإذا تعارف الناس على هذه البدع وتتابعوا عليها لا ينكر بعضهم على بعض إذا فعلوا شيئا منكراً خلاف شريعة الله المطهرة. روى الإمام أحمد في المسند ، وابن ماجه في السنن ، وأبو يعلى في مسنده ، عن أنس رضي الله عنه: أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام: متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أي: في أي حالة من الانحطاط نصل إليها ، فإذا وصلنا إليها فإننا قد تركنا قطب الإسلام وأعظم دعامة فيه ، ألا وهو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال عليه الصلاة والسلام: (إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم ، إذا كان العلم في ردالتكم - في الفساق - والملك في صغاركم ، والفاحشة في كباركم) ، أي: إذا وجد هذا فيكم فإنكم تتركون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والحديث صحيح ، ورواه الطبراني أيضاً في الأوسط من رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عن الصحابة الكرام أجمعين. فنتج عن الأصناف الأربعة عرفاً جاهلياً احتكم الناس إليه دون شرع الله المحكم ، دون شرع الله العلي ، فاحتكموا إلى هذا العرف ، فإذا تعارفوا على المنكرات لن ينكر بعضهم على بعض ، بل يصبح الأمر مستساغاً بينهم كأنه مباح! وشيخ الإسلام الشيخ: مصطفى صبري عندما كان ينشد قول الشاعر:

(وتعارف القوم الذين عرفتهم بالمنكرات ففعل الإنكار) أي: عطل الإنكار على من يفعلون المنكر! وذلك لتعارف الناس على فعل المنكر ، فصار المنكر معروفاً ، ولو أدرك الشيخ مصطفى صبري عليه رحمة الله زماننا - الذي قل خيرُه وكثرَ بلاؤه وشره المستطير - لقال: (وتعارف القوم الذين عرفتهم بالمنكرات فأنكر الإنكار) ليس عطل ، إنما إذا أنكرت في زماننا هذا على من يفعل المنكر فإنه ينكر عليك ، كأن المنكر صار شريعة محكمة يتعامل الناس على

حسبها فلا يجوز الإنكار عليها. إن هذا العرف الجاهلي الذي وجد هو من أثر هؤلاء الأصناف الأربعة ، هذا العرف الجاهلي هو أول طاغوت عودي به رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام وهو أعظم شيء يرد به هدى الله ويدفع به نوره ، هذا هو طاغوت العرف والعادة ، وهذا الطاغوت هو العصا الذي كان يلوح بها الجاهليون في وجوه رسل الحي القيوم عليهم صلوات الله وسلامه ، ويلوح بها كل جاهلي في كل عصر في دفع نور الله وهداه. وكانت حجة فرعون - وهي الحجة الفرعونية - وهي قوله: (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى) ، والحجة القرشية هي قولهم: (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ). إن طاغوت العرف والعادة ضل الضالون بسببه ، وقد أخبرنا الله جل وعلا عن ضلال الأمم وضلال المشركين في كل وقت بتقليدهم لآبائهم واتباعهم لأعراف قومهم ، يقول الله جل وعلا: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) ، سبحان الله! فهذا رب ، وهذه عادات وأعراف وتقاليد ، اتبعوا ما أنزل الله ربكم وسيدكم ومولاكم فإنه يعلم ما ينفعكم مما يضركم ، وهداكم للتي هي أقوم ؛ لتسعدوا في هذه الحياة وبعد الممات: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) ، فما لهم حجة في دفع هذا الهدى ، إلا أن قالوا: (بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَانِ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ * وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) ، أي: حالنا مع الكفار عندما ندعوهم إلى دين العزيز الغفار سبحانه وتعالى كحال من يدعو بهيمة ويناديها ، فالبهيمة لا تسمع من نداءه إلا أصواتاً وصياحاً ، لكن لا تفقه ما يريد بتلك الأصوات ، وماذا يعني بها: (وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ) ، أي: يصيح ويصرخ: (كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً) ، فلو صحت ببهيمة أو ناديت حيواناً ممن يمشي على أربع فماذا يسمع منك؟ يسمع الصراخ والصياح وهكذا حالهم ، لا يسمعون من نوره وهداه عندما يعرض عليهم إلا ألفاظاً لا تؤثر معانيها في قلوبهم. إذًا: هذه حجة المشركين: (بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا). وهكذا ذكر الله هذا المعنى في سورة لقمان ، يقول الله جل وعلا: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا).هـ. واعتذر عن هذه المقدمة ولكن كان لا بد من بيان شناعة العرف الجاهلي! وطول المقدمة وقصرها لا يكون إلا بضوابط وموازين!

←	إلام التعدي والتغوُّل والصدِّ	وتغليب أهواءٍ يُزاحمها العناد؟
	إلام التجنبي دون أدنى مُبرر	وطرخ نقاش يستطيل ، ويمتد؟
	إلام التشفي ، والجميغ ضحية:	حليل ، ودار ، والحليّة ، والولد؟!
	علام الجفا والنيل مني صراحة	ومن كل ما ألقاه يا ناس ما القصد؟!
	لماذا زكت نار الخلافات بيننا	ويصلي فوادي من ضراوتها الوقد؟
	ويشوى بلا ذنب جنى أو جريرة	ويغدو كمثل الفحم يحرقه الصهد!
	لماذا تخذت الهزء نهجاً ومذهباً؟	ألسنت ترين العيش بالمقت يسود؟!

إلى أن مضى الإيناسُ والقربُ والود؟
فلا حبذا المنهاجُ ، والسْمُتُ ، والصيد!
وأين الهنا في البيت؟ أودى به الصد!
ببيتٍ تداعى إذ تعقبَه المييد؟
ويُصبحُ سِراً بيننا اللومُ والنقد؟
لتندحرَ الأحقادَ والعذلَ والكييد؟
مضتْ كالنسيم العذب أنى لها العود؟
بدنيا كبحر ، طبعه الجَزْرُ والمد؟
لأهواءَ ما انفكتْ تُغالي وتشتد!
بها - بين أهلينا - نتيهٌ ونعتد!
وإن يكُ في أفلاكه الضنك والسُّهد
ولا من على أنات من عشقوا يشدو!
يميناً رأيتُ الخُب من خلفه يعدو!
مُحبٌ كريمٌ ماله - في الورى - ند
من الناس غطريفٌ يجودُ ولا فرد!
ودارٌ تربى - في مراتبها - الأسد
وأخلصتُ في حبي ، ولم أكُ أحتد
على من يُعاديني يعودُ ويرتد؟
وبالغ عن قصدٍ ، فسربني الرد
وأنتِ الحمى والنفسُ والعرضُ والمجد
وإن يكُ تفريقٌ يسرِّك أو بُعد
وهل ألفة المولى يُفرِّقها (زيد)؟

لماذا ذرفنا آهة تلو آهة
لماذا تصيَّدتِ المزالقُ والخطا؟
فأين هو الحبُّ الذي صاغ أنسنا؟
وأين رغيْدُ العيشِ دَفَتْ طيوفه
ألم نتفقُ أن نطرحَ الخُلفَ جانباً
ألم نقهر العُدالَ بالصبرِ دائماً
أما أثمرتْ فينا عُقودٌ ثلاثة
أما اشتقتِ للأفراحِ تغمُرُ دارنا
ثمانية الأولد هانوا جميعهم
وهانت بما تأتين أندى علاقةٍ
هو الحبُّ يُشجي كل من يحتفي به
وليس يُحبُّ الحبَّ من لا يرومه
ومن يجعلُ الحبَّ العفيفَ رسوله
وما الخُب إلا تضحياتٌ يسوقها
يسوقُ من الأفضال ما لا يُطيقه
وبالحب يُبنى كل بيتٍ وأسرةٍ
وإنى وإن بادلتُك الحب صافياً
فما ضجري أنى أعاني تغتأ
ألا إنما البادي تجاوز ، واعتدى
ألا أنتِ منى الروحِ والصوتِ والصدى
أرى فيك ذاتي واعتزازي وسؤددي
متى كانت الزلاتُ تطوي وداونا؟

يكونُ بكلِّ للذي غالنا حد؟!
عذاباتِ عيشٍ ليس من طرحها بُد
وهل ضدُّ ما ألقى يُعالجُه الضد؟!
فقد شق عنه اللحم ، وامتشق الجلد!
تبارك ربي الخالق البارئ الفرد
وأخرُ في أفعاله أبق عبدا!
لديك ، فجدي سوف ينفعك الجد
ليرحل دمعٌ ليس يعشقه الخد
لقد توجع النفس الهواجس والحقد
أراك على خير إذا قادك الرشد
لماذا بلا نفع يُرى أخلف الوعد؟!
وأعطيت عهداً ، فأين هو العهد؟
لنا صدرُ العيش المظفر والورد
ونسفرُ ، علَّ الشعرَ في ساحنا يحدو
وبالبشر والخيرات - في دارنا - تغدو
وزينك الإخلاصُ ، والجلمُ ، والزهد
وأسكنك الجناتِ يعمرها السعد

ألا ليت شعري ، أين رُشدٌ وحكمة
أعيدي من الماضي التجارب تجتني
ولا تنكبي جرحاً يُعكّرُ صفونا
وما استويا جرحٌ تسيلُ دماؤه
وجرحٌ شفاه الله مما أصابه!
وما استويا الخُر المعظم قدره
حنائك هذا الحب أمسى أمانة
وصوني ببذل الوصل حُبي وعشرتي
وخلي عن النفس الضغينة والهوى
ولا تنصتي للشك ، أنت رزينة
ألم تعدي بالأمس أن تحفظي الإخا؟
هداديك هل أنسيت ميثاق صلحنا؟
وقاوك بالميثاق يصفو بنوره
فهيا معي نبني ونرعى دمارنا
تروح بنا الأشعارُ مشرقة السنا
سَلمت لنا ذخراً ، وعوناً ، ونجدة
ولقاك ربُّ الناس أحلى مسرة

العاصفة

(تزوجها يحسبها سالحة ، فإذا بها غير ذلك. فكانت حياته معها كالبحر مَدًّا وجزراً ، في أول الطريق. ثم تحولت إلى عاصفة لا تهدأ ، ومدًّا لا يتحول. والله درّ من وصف الدنيا قائلاً: (الدنيا دار ابتلاء ، فهي بمثابة المكان الذي يجري فيه الاختبار ، وهي أيضاً الزمن المقرر لهذا الاختبار! أما مجالات هذا الاختبار ، ومواد ذلك الامتحان ، فتتلخص فيما على هذه الأرض من ثروات ومنتجات وزينة وما يجري فوقها من عمران ، يقول تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}. والابتلاء يكون أيضاً في الأنفس من نحو الصحة والسقم ، والقوة والضعف ، والسعادة والشقاوة ، كما يكون في الأموال من نحو الفقر والغنى ، والعوز والرفاهية). فتخيلت نفسي أحكي عن ذلك الزوج هذه القصة على الخفيف.)

لست أدري كيف ابتداء الحكاية
وحياتي كالبحر مَدًّا وجزراً
إي وربي ، كان ابتلاءً شديداً
غرّني ما قد أظهرت من سجايا
والحجاب إذ أسدلته يغطي
وقياماً ليل دون انقطاع
واستماع لكل درس تحلى
غرّني النصيح دون خوف البرايا
ما ظننت أني خدعت ، وربي
حيث بات العيش المير عقابي
ما لزوجي بالدين أدنى انتساب
بالخير إن شئت طلقته زهداً
كم شكوت منها إليها راضياً
كيف يحيا على العواصف زوج

كم دهنتي - والله - تلك البداية!
ثم نقت من الزواج النكاية
لا يُبارى - صدقاً - بأعتى جنائية
والتلاوات آية تلو آية
كل حُسن ، إنَّ الحجاب وقاية
زانه البعد عن ذروب الغواية
بالبيان في عرضه والهداية
باجتهاد يهدي الوري ، وعناية
ثم كان الزواج أشقى نهاية
ثم هذي من مفردات الرواية
ما لديها بالشرع أي دراية
أو تحمّلت كربتي والإذاية
بالقرار تقضيه بعد الشكاية!
زوجّه لا تؤليه بعض الرعاية؟

على اختلاف!

(كانت تظن أن إدخال أهلها - غير الحكماء بينها وبين زوجها ، لإزالة خلاف بينهما ، هم الذين أوجدوه ومهدوا له - أنها بذلك ستجد الحل ، فإذا بالمشاكل تزداد هونها وتتسع للحد الذي يستحيل معه إيجاد حل. لتودي بها إلى الهاوية بعد ذلك. وليصبح أهلها أثراً بعد عين ، يتندر عنهم التاريخ وثأك عنهم القصص! والأصل الحكمة والرشد في حل المشكلات. أما التهور والتشفي والعنجهية ، فكلها أدوات تسرع في الإجهاز على البيوت العامرة ، لتدمرها وتقضي على أهلها لا لشيء إلا للأهواء والعجرفة. وعموماً كرام الناس يتنازلون كثيراً لضمان استمرار الحياة الزوجية. وأيما حل نأى عن كتاب الله وسنة رسوله فتق أنه لا رشد فيه ولا حكمة ، وليست هناك ثمرة ترجى من ورائه أبداً. وعلى كل زوجة أن تحاول حل المشكلات في بيتها ابتداءً ، فإن هي عجزت فلتعود الكرة لعلها تفلح. ذلك أن زوجها على أي حال بشر مخلوق من طين مثلها ، وله أحاسيس ومشاعر وعواطف وخواطر وقلب وروح. فلتحاول معه مرات ومرات. فإن هي عجزت ، ووصلت معه إلى طريق مسدود ، فلتعتمد إلى حكماء الناس من أهله وأهلها ، أو من الأصدقاء أو الجيران أو الرفقاء.)

كانت تعيش رضى مسـتـيقنة	غفر الإله لزوجته متدينة
ولكل - أمر للمهيمن - مذعنة	وتقيم دين الله في دار لها
ولكل - حكم في الشريعة - بينة	وتعلم الأبناء شريعة ربهم
بطريقة تسبى الخواطر لينة	وتحضهم دوماً على حُب الهدى
وتحت ثائرة ، وحيناً هينة	وتناصح الجارات دون تمئع
كالموج ، تغتال الخرود الدينة	حتى أتت ريح الخلاف عتية
وتسير ميسرة ، وحيناً ميمنة	فترنحت تحت المطارق تشتيكي
فلهم - على هذي الضحية - هيمنة	وتمثلت ما أهلها قد شرعوا
والكل مارس - في الخلاف - الفرعنة	وإذا بنيـران الخلاف توقدت
وإذا الشعارات الخفية معاننة	وكان هذا الزوج ليس بمسلم
بل أقتوا كيداً فنون الشيطنة	وعلى اختلاف بينهم لم يصبوا!
ويجيد - في التدمير - أعتى القرصنة	والكل يُغرق - بالخلاف - سفينة
إذ كل يوم نسـتـظل بعينة	فازدادت البلوى بفتنة أهلها
لحلول مشكلة ، وإن تك مزمنة	والحكمة العصماء مفتاح الورى

صدقته يا أبتاه

(أقدم على الزواج من امرأة. وكان أبوه قد حذره منها ومن أهلها ، ونصحه بالبُعد عنها وعنهم ، فلم ينتصَح ولم يتبين له صدقُ أبيه إلا بعد الزواج فندم ، إذ غلب هواه! والله در من قال: (الهُوى وما أدراك ما الهوى ، المفسد العظيم من مفسدات القلوب ، هو عن الخير صاد ، وللعقل مضاد ؛ لأنه يُنتج من الأخلاق قبائحها ، ويُظهر من الأفعال فضائحها ، ويجعل ستر المروعة مدلوكةً ، ومدخل الشر مسلوكةً ، والهوى مطية الفتنة ، والدنيا دار المحنة ، فانزل عن الهوى تسلماً ، وأعرض عن الدنيا تغنمً ، ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي ، ولا تفسدك دنياك بحسن العوافي ، فمدة اللهُو تنقطع ، وعارية الله ترتجع ، ويبقى عليك ما ترتكبه من المحارم وتكتسبه من الجرائم).هـ. فتخيلته يعتذر لأبيه في خجل فأنشدتُ هذه القصيدة.)

بصُرتُ بنصحك لَمَّا اکتوى
فوادي بمُرّ الأسى والجوى
فيا ليتني كنتُ مسترشداً
بنصح جميع الرشاد احتوى
أسأتُ الظنون ، فلم أكترتُ
وصرتُ ضحية هذا الهوى
وغببتُ رأبي بلا حجةٍ
فتاهتُ معالم أهدي صوى
وذقتُ الهوانَ بلا رحمةٍ
وواجهتُ في الدرب أعتى القوى
فما الظن بالعبدي أبى الهدى
وينصاع طوعاً لِمَا قد غوى؟
صدقتُ أبى في الذي قاتته
ويا ليت قلبي إليه أوى!
لقد جرعتني العروس الأذى
وقلبي - من العائدات - ارتوى
وكنتُ أوملُ فيها الهنا
وأرفع طاعة ربي لىوا
وعشتُ أطببُ أمراضها
وكانت دمائي ودمعي الدوا
وجئتُ لها بالذي تشتهي
وكننا على الخير - حقاً - سوا
وغيّر أخلاقها أهلها
فباتت تبالغ في الالتوا
وأضحوا جميعاً شقائي الذي
طلاق الحيلة كان انتوى
لى الله مما ألقى هنا
فيا ربنا الطف بعبدي هوى

سأعلمها وأرببها!

(إنها لإحدى الكبر أن يفترض عريس في عروسه ما ليس فيها ، اعتماداً على أوهام خادعة وآمال كاذبة وأمان جوفاءً وافتراضات لا تُمْتُّ للواقع بصلة! وذلك بقوله عنها: فيها خيرٌ كبير ، وعندها استعداداً أمثل! والأصل أنها إن لم تكن ذات دين وخُلق فلا يقربها ولا يفكر في الزواج منها! ولا يحلم كثيراً ولا يؤهم نفسه طويلاً! إنه والحال هكذا ليُجرم في حق نفسه وأولاده كل من يتزوج امرأة ليست ذات دين وخُلق وأدب رفيع! ذلك أنها نبتت في بيت جاهلي وإن ادعى الإسلام والسنة ، فلم تترب على العقيدة والتوحيد ، ولم تستق شريعته وشعائرها حية من الكتاب والسنة! وتبدأ الجريمة النكراء من يوم أن قال قيس الهوى (العريس) عن ليلي الغرام (العروس) فلانة بنت فلان بأن فيها خيراً كثيراً ، وبأن عندها استعداداً لتقبل أوامر الشريعة وفرائضها بدون جدال ولا نكوص ولا عدول ولا مجافاة! إن الآية واضحة النص والشرط والدلالة: (ولأمة مؤمنة خيرٌ من مشركة ولو أعجبتكم) ، والحديث كذلك واضح النص والشرط والدلالة: (فاظفر بذات الدين تربت يداك!) وإذن فالآية لم تقل: (ولأمة فيها خيرٌ وعندها استعداداً خيرٌ من مشركة) ، وكذلك الحديث لم يقل: (فاظفر بمن فيها خيرٌ وعندها استعداد!) ولا يمكن افتراض شيءٍ مفقودٍ بأنه موجود! وأخطر منه قول أحدهم: سأعلمها وأرببها وأعجنها بيدي وأصنعها على عيني! تُعلم من يا واهم؟! وتربي من يا مخدوع؟! وتصنع من يا جاهل؟! وتعجن من يا فران؟! ويتم الزواج المزعوم ، فبدلاً من أن يُعلمها الإسلام ويربيها على الأخلاق ويعجنها بيده ويصنعها على عينه كما توهم ، ذلك الواهم المخدوع الجاهل السفیه ، تُعلمه هي الجاهلية والسقوط! يا قوم ، ذات الدين وصاحبة الإيمان ورببة الخلق في ديار قومها كانت هكذا ، وقبل الاقتران بها هي كذلك! وإلا تكن كذلك فلا يتزوج منها صاحب خلق ودين! فإنها لن تعدم جاهلياً مثلها! لا تعش يا عبد الله على الوهم!

يُودِي افْتِرَاضُ الوَهِمِ بِالْإِنْسَانِ	وَيُحِيلُهُ مِنْ دَانٍ لِمُدَانٍ
وَتَهْدُ عَزَمَتَهُ الظَّنُونُ ، فَلَا يَعِي	مَنْ أَمْرَهُ مَا يَرْتَقِي بِالشَّانِ
وَيَصِدُّهُ التَّخْيِيلُ عَنِ دَرَكِ الْعُلا	فِي عَيْشِ بَيْنِ النَّاسِ كَالسُّكْرَانِ
وَيَظَلُّ مَرهُوناً بِمَا نَسَجَتْ لَهُ	أَيْدِي الحَوَادِثِ دُونَ مَا أَطْمَنَّانِ
أرَأَيْتَ ظالمٌ نَفْسَهُ مَتَبَلِّغاً	أَوْجَ الفَخَارِ بِنَصْرِهِ المُزْدَانِ؟!
كَذِبَ الكُذِيبَةِ ، ثُمَّ صَدَّقَ مَا حَوَتْ	مَنْ كَذَبَ الأَقْوَالِ وَالبُهْتَانِ
خَدَعَ الجَمِيعَ ، وَقَبِلَ خَادِعَ نَفْسِهِ	وَأَتَى الَّذِي مَا كَانَ فِي الحُسْبَانِ
هُوَ قَدَّرَ الأَشْيَاءَ دُونَ تَبصُّرِ	مُسْتَسْلِماً لَوْ سَاوَسَ الشَّيْطَانِ
فَكَمْ اسْتَكَانَ لِمَا يُوَاجِهُ مِنْ هَوَى!	وَحَبَاهُ الاستِسْلَامُ كُلَّ هَوَانِ
هُوَ قَدْ رَأَى (لِيْلَاه) أَعْقَلَ عَادَةً	عَنْتَ لَهُ فِي عَالَمِ النِّسْوَانِ

وجمالها لَمَّا تَخُزُه غَوَانِي
وعلى الكلام أَمَارَة البرهان
مِن حَبْهَا لَتَلَاوَة الْقِرَان!
قَد دُونَتْ فِي سُنَّة (العَدْنَان)!
والدمعُ قَد جَادَتْ بِهِ الْعَيْنَان
لَمْ تُبَدِلْ لِي شَيْئاً مِنَ الْعِصْيَان
أَزْجِيهِ مِنْ نَصْحِ بَكْلِ تَفَان
يَدْعُو الْوَرَى لِلْعِلْمِ وَالْإِيمَان
أَوْتَهَبُ الْأَخْبَارُ بِالْأَذْهَان؟
أَوَلَمْ تَكُنْ مِنْ عَالَمِ الْإِنْسَان؟!
وَتَمَرَّغَتْ فِي الْمَكْرِ وَالْخُدْلَان!
تُزْرِي بِكُلِّ عَفِيفَةٍ وَحَصَان!
وَالكَيْدُ فِي سِرِّهِ وَفِي إِعْلَان
حَتَّى بِيَّتْ مُشْتَتِ الْوَجْدَان
صَفْوَةَ الْحَيَاةِ وَخَفَقَةَ التَّحْنَان
حَتَّى تُوَجِّجَ جَذْوَةَ الْعُدْوَان
عَبْداً طَوْثَةً لَوَاعِجِ الْخَسْرَان
حَتَّى اصْطَلَى الْمَظْلُومُ بِالنَّيْرَان
بِتَطَاوُلِ أَفْضَى إِلَيَّ الْهَجْرَان
أَوَلَيْسَ مِنْ رُشْدٍ وَلَا رُجْحَان؟!
وَالْيَوْمَ أَنْتِ وَذَا الْفَتَى خَصْمَان

فِيهَا خُيُورٌ لَيْسَ يُحْصَى عَدُّهَا
وَيَقُولُ: الْإِسْتِعْدَادُ أَعْظَمُ طَبْعِهَا
وَيَقُولُ: تَبْكِي إِنْ صَدَعْتُ بِأَيَّةٍ
وَيَقُولُ: تُشْجِيهَا الْأَحَادِيثُ الَّتِي
وَيَقُولُ: تُدَمِّعُهَا الْمَغَازِي سَرْدُهَا
وَيَقُولُ: أَمْرُهَا فَتُبْدِي طَاعَةَ
وَيَقُولُ: أَنْصَحُهَا ، فَتُنْصِتُ لِلَّذِي
وَيَقُولُ: تَأْسِرُهَا الْمَوَاعِظُ نَصَهَا
وَيَقُولُ: تَسَلِّبُهَا التَّرَاجِمُ عَقْلَهَا
وَتَزُوجُتْ (لَيْلَى) ، وَبَانَ عَوَارُهَا
غَدَرْتُ بِقَيْسٍ دُونَ حَقِّ ، وَاعْتَدْتُ
وَالْجَاهِلِيَّةَ نَاوَلْتَهَا حِصَّةً
كَذِبٌ ، وَغِشٌّ ، وَامْتَهَانُ كِرَامَةٍ
وَالْمَكْرُ بِالزَّوْجِ الْمَهِيضِ جَنَاحُهُ
وَتَأْمُرُ يَزْكَو ، وَآخِرُ يَجْتَنِي
وَخَدِيعَةَ رَحْلَتِ ، وَأَخْرَى أَقْبَلْتُ
وَمَقَالِبٌ تَلُو الْمَقَالِبَ تَبْتَلِي
وَدَغَاوِلٌ أَضْحَى يُكَابِدُ نَارَهَا
وَتَلْدَنْتْ (لَيْلَى) بِحَرِّ خَلِيَاهَا
وَإِشَاعَةَ الْفَوْضَى بِدُونِ مُبَرَّرٍ
مَاذَا دَهَاكَ لِتَفْضِي مَسْتَوْرَهُ؟

أمسث جزاء الفضل والإحسان؟
فهل العداء مقابل الشكران؟!
لَمَّا يَضَعُ (ليلاه) في الميزان!
والوزن لا يخفى على الوزن
إذ لم تكوني في النسا برزان!
عهداً أرببها بدون تـوان
وأعيذها بالواحد الـديان
للحق رغم حداثة الأسنان
ويسرُّ مَهْجَتَهَا سَمَاعَ أَغْثَانِي
وثقابلُ التشريع بالانكران؟!
ومن الحلياة بُوت باستهجان
والدمع قاسى شدة الهميان
كلا ، ولن تحيا بعدب أماني
أو أن تُربى ربة الأحنان
شتان بين الرشد والهذيان!
حتى تُحْغَم شريعة الرحمن
أردى بضربته فتى الفتيان!

ماذا جنى لئبال منك مساءة
أولم يُعزك يا عدوة نفسها
والعيبُ في (قيس) وفي تقديره
كي يستبين لجاهل ما وزنها؟
أفكـ جـاهـلـة ، فأحسن ظنه
وهذى: عليّ إذا انتوت تعليمها
لتكون نبراساً يُضيء حنادساً
فإذا بها مجهالة لا ترعوي
تهوى التبرج من صميم فؤادها
هل ذات دين تستطيل على الهدى
يا قيس بُوت بخيبة وندامة
ووجدت نفسك في الحضيض مجدلاً
لا الدمع يرجع ما خسرت من المنى
ما دمت تأمل أن تعلم من أبت
ضدان ما اجتماعاً: هوى وهداية
وعساك لقتك التهورُ درسه
وعساك تُبت من الصباية سيفها

الخدیعة الكبرى!

(أصعبُ شيءٍ على النفس أن تُخدعَ في زيدٍ أو عمرٍ من الناس ، ممن كانت النفسُ تظنُّ بهم خيراً ، وثُبِّتت حُسنَ النيةِ في التعاملِ معهم! ويكون الأمرُ أشدَّ وأشقَّ وأحزى عندما يحدثُ مع زوجةٍ ، أحبها زوجها في الله تعالى ، وعلى هدى منه ، وبينه من دينه سبحانه! وتبدأ هذه الخديعة الكبرى عندما تزوج زيدٌ من زبيدة ، على كتاب الله – سبحانه وتعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -! وكان ذلك منه على رغبةٍ منه أضمرها في نفسه إلى حين ، وتزامنتُ مع طلب أبيها ذات الطلب من زيد! فلقد كان زيدٌ يُدرّسها مع إختها وصويحباتها في دارها! ولم يشترط زيدٌ عليها كزوجة ، سوى الحجاب الشرعي ولزوم بيتها والاكْتفاء بالعلم الشرعي (الكتاب والسنة واللغة العربية) بدلاً عن علم المدارس والجامعات! فأظهرتُ (زبيدة) القبولَ ظاهرياً لكل ما طلب (زيد)! وأراد الرجلُ استتجارَ بيتٍ في قريةٍ مجاورةٍ ويأتي فيه بما يستطيعه من جهاز البيت ، ولا يُلزم أهلها بمِلعقة شاي ، وذلك لسببين: الأول موافقة الشريعة ، والثاني علمه بحاله الذي لا يختلف كثيراً عن حال أهلها! فقال أهلها: ولكننا نريدُ إهداءً ابنتنا صالوناً وستائرَ ومراتبَ وطاقماً صينياً (أطباق وصحون وفناجين) فهل عندك مانع؟! فقال زيدٌ لهم: لا مانع عندي إن كان على سبيل الهدية لا الإلزام! ونقفل هذه الصفحة (صفحة الاتفاق المبدئي) لنفتح صفحة العقد الشرعي! ففي مجلس العقد عليها جيءَ بما يُسمى بالمأذون الذي اشترط رؤيتها (رؤية العروس)! وكانت هذه أولى المفارقات العجيبة التي يواجهها زيد! ولأن زيداً كان قد درس فقه الزواج على الشريعة الإسلامية من ألفه لِيانه ، وكذلك درس فقه الزواج على الشريعة الجاهلية في الشرق والغرب ، فلم يكن من السهل إقناعه بشيءٍ لا دليل عليه ولا ثبوت له! فقال زيد للمأذون المماحك: يا هذا ما دليلك على ما تطلبه من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقال الرجل: لا دليل عندي على ذلك! وإذا كنت تريد إكمال العقد بدون رؤية العروس ، فلندفع (عشرة جنيهاً) زيادة على ما اتفقتنا عليه وهو (أربعون جنيهاً)! فوافق زيد ، وأعطاها للمأذون والناس ينظرون ويشهدون ، بأنه اشترى نظرتة إليها بعشرة جنيهاً! فقام أحد أخوالها من مكانه ، وهاج وماج ، وأرغى وأزبد ، كأنما لسعته حية من الحيايا الجبلية المؤذية ، أو عضته أفعى من الأفاعي السامة! وقال الخال الثائر: أجمل من من هذه العروس؟ لو طلب المأذون رؤية زوجتي ما امتنعت! فقال له العريس وقد غضب هو الآخر غضباً شديداً من هذا التصرف وتلك الكلمات والحماقات من الخال الجاهلي الديوث: وهل أنا جعلتك وكليلاً لنكاحها ، فأنت ولي أمرها المتصرف الأمر الناهي؟ قال الخال: لا! فقال العريس: إذن اجلس مكانك وأد واجبك واشرب شايبك وشرباتك ، واذهب إلى حال سبيلك ، ولا شأن لك بالعريس ولا العروس ولا العقد! فجلس غير راض ولا مُقتنع! وعندما جاء أبوها بصينية الشربات للضيوف ، سأله الخال مستنكراً: هل يُرضيك أن يقول زيدٌ لي كذا وكذا؟ فقال الرجل: لقد أصاب زيد! ولقد زوجت ثلاث بناتٍ على يد المأذون ذاته ، فليخبرنا من رأى منهن؟! وهدأت الأمور ، وجاء المأذون بالمنديل ، وفرغه ورماه بعيداً ، وقال: بدعة هذا يا زيد ، أليس كذلك؟ فقال زيد: بلى! وبدأ المأذون يقول ترويضته بمقدمتها الشرعية ، إلى أن وصل قوله: (وعلى مذهب أبي حنيفة النعمان) ، فاستوقفه زيد وقال: وعلى مذهب من تزوج أبو حنيفة النعمان يا هذا؟ فقال المأذون: على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -! فقال زيد: وأنا أتزوج اليوم ، كما تزوج أبو حنيفة بالأمس ، على كتاب الله وسنة رسوله! لماذا نذكر هذه التفاصيل الشرعية؟ والجواب: لنثبت أن زيداً لم يكن يسمح بأي بدعة في مشوار زواجه من

(زبيدة) ابتداءً من الاتفاق المبدئي السابق ذكره ، ومروراً بالعقد الشرعي ومراسيم الزواج وبروتوكولاته ، وانتهاءً بمشوار الحياة الزوجية بعد ذلك! لا بد من هيمنة المنهج الرباني على كل كبيرةٍ وصغيرةٍ في حياتنا! وجاء المأذون إلى (تسمية المهر) ، وسأل أبا العروس عن قيمة الصداق! فأجاب الرجل: نحن نزوج ابنتنا لرجل معه القرآن ، وهذا يكفي! وزاد قوله: اكتب يا أستاذ (المسمى بيننا)! فقال العريس: سمّ المهر يا عمي ، ولو كان قليلاً ، فهو رمز ، ولو خمسة جنيهات! فقال: لا. مكرراً ذات الكلمات! فقال العريس: ليس معي القرآن كله! معي نصف القرآن ، وأحتاج فيه إلى مراجعةٍ شديدةٍ ليعاد استظهاره من الذاكرة ، فهل توافق على هذا؟ فقال الرجل: أوافق! وهنا احتج بعض الضيوف ، فبين لهم العريس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - زوج أحد أصحابه بما معه من القرآن ، وكان الذي مع ذلك الصحابي من القرآن المعوذات الثلاثة! فلم ترتكب جرماً ، اذهبوا واقرأوا السنة ، وتعلموا دينكم يا قوم! فقال العريس للمأذون: تمت تسمية المهر (نصف القرآن)! استمر في عقدك يا أستاذ! وتم العقد ، والله الحمد ومنه التوفيق والسداد! واقترح الصهر أن يتم الزواج في بيته الواسع! فقال العريس: كلا ، لن يكون ذلك أبداً! فعاد فاقترح أن يبني العريس بيتاً في أرضه! فأبى زيد ، وقال: كيف أبني في أرض لست أملكها؟ إن شئت بعثها لي ، وأدفعُ ثمنها على الأيام! فقال الصهر المراءوغ: هذه القطعة من الأرض هدية لابنتي! فقال زيد: إن كان الأمر كذلك نبني بيتاً صغيراً مؤلفاً من: (غرفتين وصالة ومطبخاً وحماماً)! وتورط العريس فيما يقارب الآلاف الثلاثة من الجنيهات ليقيم بيتاً متواضعاً ، فافترض من رفاقه وأحابيه ، وأكمل بما كان يملكه من المال! وتكر له معظم من كان يعرف ، ولليوم ليس يعرف السبب! واكتفى قومٌ بالنصيحة عن العدول عن هذا الزواج ، وساقوا المُبررات والأسباب! ولكن لنفاذ مشيئة الله تم الأمر! وجاء يوم العرس المشؤوم! أقصد يوم البناء! وذهب زيدٌ إلى صُويحبات (زبيدة) وجيء بهن صانمات ، ومعهن دفوفهن لينشدن للعروس! بينما ذهب العريس للرجال في المسجد ، واتفق مع القائمين على الحفل الذي جمع بين عقيقةٍ وبناء ، أن يذهب إلى عروسه قبيل صلاة العشاء ليُصلى معها صلاة العشاء ، تيمناً ببركة بداية مشوار الحياة الزوجية! فإذا به يجد عنتاً من القائمين ، فدكرهم بوعدده ووعدهم! فلما لم يجد استجابةً ، خرج ليُحقق مراده من صلاة العشاء في جماعة مع عروسه! وتبعه صديقٌ يحاولُ أثناءه عن قراره فلم يُفلح! والصهر العجيب بدلاً من أن يدين القائمين على الحفل ويُحقق مراد زوج ابنته ، جاملهم على حسابه وساعد الشيطان على أخيه العريس! ومضى العريس وحده إلى بيت العروس! وأسأل: فيم اجتماعكم يا قوم حول العريس والعروس في يوم عُرسهما؟ ما مشروعية ذلك في الإسلام أيها الجهلاء؟ إنها باختصار إدخال السرور والبهجة عليهما ، وإشهار الأمر ليعلم الناسُ جميعاً أن زيداً بن فلان تزوج من زبيدة بنت علان! وتم ذلك للزوجة ، لكن الزوج ابتلي ابتلاءً شديداً بحفنة من السفهاء المجادلين! والله لقد جاءه شيطانه على حد علمي ، وقال له: أعطهم جميعاً مقلباً لا ينسونه في حياتهم! ما المقلب يا إبليس؟ قال: خذ القطار ، واذهب إلى ديار شاطنة لا يعلم بك أحد أين ذهبت! فقال العريس في نفسه: وما ذنبُ زبيدة التي أحببتها في الله ورسوله والإسلام؟! وذهب إلى دار العروس ، وما يكون له أن يقتحم على النساء مجلسن بحجة أن يأخذ عروسه ، إنما نادى على العروس من بعد قائلأ يا أم عبد الرحمن يُكنيها ، قالت النسوة له: لا بد من تقبيل يد أمها! فقال العريس: لا أفعل ، وليس لي أم في الأرض إلا التي حملت وولدت ورضعت ، وربتُ إنها فلانة بنت فلان ، وذكر اسم أمه وكانت حاضرة! وسأل أمه بينهن إن

كانت ترغب في أن يقبل يدها فأبت! وهذا والله موقف تتحدث عنه كتب الأدب والشعر ، موقف يثمن بالإبريز والعقيق! ولكن للأسف لم يثمن لا عند هذه العائلة ولا تلك! لماذا؟ والجواب: لأن قاسماً مشتركاً بين العائلتين هو التنكر المطلق لإيجابيات زيد! وأضاف الرجل لاسترضاء حماته فلقد كان يحبها ويقدرها ويحترمها: أما حماتي فخالتي فقط ، وما ناديئها بغير (خاله) في حياتي: سواء قبل زواجي من ابنتها أم بعده! وإذا بالصهر قد جاء مع رفقة له بعد أن صلوا العشاء ، وبدا له أن يقهر العريس قهراً ثالثاً ، وذلك بوجوب تقبيل يده واسترضائه هو الآخر! فقال العريس: لا أفعل إن شاء الله! لقد قهرت الليلة أربع مرات: الأولى: عندما قال عم المولودة التي أقيمت عقيقتها ، والتحقنا بهم في المسجد ببناننا: (إن زيدا يُقيم فرحه سفلة!) عانياً بذلك أن زيدا يتطفل على عقيقة ابنت أخيه! وهي كلمة تعكر ماء المحيط! والله لم تكن عند زيد أدنى رغبة في ذلك ، وإنما إلى جوار مجلس العروس يكون مجلس العريس ، كما جرت العادة! بشرط أن يكونا مجلسين منفصلين تماماً! والثانية: عندما خرجت وحيداً ولم يتبعني أحد إلا الشيطان ، قاطعاً المشوار الطويل من المسجد إلى بيت العروس! والثالثة: عندما قيل لي قبل يد أمك (حماتك)! وإنما هي خالة ، وإن كانت الشريعة تجعلها بمثابة الأم ، ولكن الأم تظل أمّاً والخالة تظل خالة! والرابعة أن تطلبوا مني أن أقبل يد رجل قهرني قهراً وأسترضيه! بل أنا الذي ينبغي استرضائي يا قوم ، أفلا تزنون الأمور؟! أليس منكم رجل رشيد؟! وأخذ زيد بيد زبيدة ، وأدخلها الدار التي بناها ، وقد ملئت بالضيوف الذين كان ينبغي عليهم أن يكونوا في المسجد! وقضى زيد مع عروسه ليلة من أشد الليالي في حياتهما ، تلك التي لم يكن من حسنة أحلى ولا أجمل من صلاة العشاء في جماعة! وبدأت الأمور تتكشف ، وظهر الحق من أن الصهر يريد لها بجوار أمها لتخدم إخوتها! والدليل أنه وفي اليوم الرابع من الزواج دُعيا (العريس وعروسه) إلى شرب الشاي في بيت أبيها! وهناك طلب أبوها منها أن تعد الشاي كالعادة! فاعترض العريس ، وقال: نحن ضيوف ، ينبغي أن يأتي شاينا جاهزاً لا نعدّه! فقال الصهر متعجباً: هل تعصي ابنتي أمري؟ فقال العريس: ليس ذلك! وإنما إن أردت منها طلباً فليمر بي ، فإن أذنت وإلا فلا! يا هذا طاعتي الآن واجبة ، وطاعتك انتقلت من واجبة لما كانت في دارك ، إلى مستحبة لما أصبحت في داري! نعم يمكن لها أن تعصيك إن أنت أمرتها ولا تأثم عند الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –! فقال وقد وعى مراد العريس: إذن اطلب منها أن تعد لنا الشاي يا سي فلان ، قالها متهكماً كعادته! حيث إن ثلاثة أرباع حديثه مزيجٌ من السخرية والاستهزاء وتنقص الآخرين! فقال العريس لعروسه: لا تعدي الشاي! فقامت حماته – وكانت امرأة لمحة حساسة – وأعدت الشاي بنفسها! فاسترضاها العريس قائلاً لها وحدها على هامش اللقاء المزري هذا: تعلمين يا خالتي محبتك واحترامك وقدرك عندي ، ولكنني أردت وضع حد لهذا المحو لشخصيتي كزوج ، أردت التأصيل لمنهج تبدلت مساراته! وموقف آخر عندما طرقت الصهر الباب في اليوم الخامس من الزواج بابنته ، وكان طرقتاً غاية في الإزعاج والضجر! فما يكون لرجل لا يحسن الكلام أن يحسن طرقت الأبواب! فجّل كلامه أشبه بالصخور والأحجار! فقال العريس: من الباب؟! فذكر الرجل اسمه واسم أبيه! فقال العريس: (وإن قيل لكم ارجعوا) أكمل يا هذا! فقال الصهر الجلف: (فارجعوا هو أركى لكم)! وعاد ، ثم اشتكى العريس للناس بعد ذلك ، وراح الناس يلومونه ، فقاطعهم قائلاً: يا قوم ، لقد فعلت الذي لم يستطع أن يفعله حبر الأمة وترجمانها عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – عندما قال: ما من آية في كتاب الله إن كانت أمراً إلا ائتمرت بما أمرت ، أو كانت نهياً إلا انتهيت عما نهت ،

إلا آية! قيل: ما هي؟ قال: قول الله تعالى: (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ، ما أتاني آتٍ وقلتُ له: (ارجعوا)! وجاء الصهرُ بعد شهرٍ ليطلب إلى ابنته بأن تعد الطعام مع أمها لأنفار الأرض الذين يشبهون إلى حدٍ بعيدٍ (مقاطيع الحسين أو السيدة)! فقالت: اتفقتُ مع زوجي على أن أستشيرهُ ، فأعطني الفرصة لأسأله! فوافقَ على مَضٍّ! لماذا؟ والجواب: لأنه لا يعترف بخصوصيات الآخرين! لا يريد بأن يُسلم بأن لها زوجاً ينبغي عليها الانتمار بأمره والانتهاه بنهيهِ إلا في معصية الله (إنما الطاعة في المعروف)! ولست أدري لماذا لا يفهم هذا الأب الجاهل هذا الفهم؟ أليست هذه هي السنة؟! ولما جاء زوجها في المساء ، وطلبتُ إليه ذلك قال غاضباً: لا وربِّي! لا يكون له ذلك ، ولا تُبتذلُ امرأتي كما كانت من قبل! وعنده بنتان أخريان في نفس المكان ، فليذهب إليهما إن شاء! وبعد أسبوع الزواج قرَّرَ العريس أن يأخذ عروسه في أول خروجه لهما ، إلى دار أبيه لشرب الشاي فقط! ففوجيء بالصهر والحماة معاً يقولان له: لا! لن تذهب ابنتنا إلى دار أبيك! اذهب وحدك! فقال العريس: كنا ننوي شرب الشاي ، والله لنبيتن هناك ، وليكن ما يكون! هل زوجي من ابنتكم يعني طلاق أهلي؟ ونفذ العريس ما يريد! وإذن فكانت كل الدلائل والإشارات تقول بأن هذا العريس سوف يُعطي كل ذي حق حقه بما استطاع ، وبما يغلب عليه الظن ، حسب الاجتهاد أنه يرضي الله سبحانه وتعالى! ومرة الأيام كالحق مع قوم كلما واجهناهم بسنة من سننه صلى الله عليه وسلم استهجنوها! وثافية الأثافي أن ملأ الصهر الأحمق الأخرق الدنيا بالإفك والبهتان من أنه زوج فلاناً ومنَّ عليه ، برغم أنه لم يتكلف له شيئاً يُذكر ، كما جرت العادة والعرف والتقليد والنظام الاجتماعي المتبع! فهل كان التماسه زوجاً صالحاً لابنته منة عليه أو عليها؟! أم أنه واجب شرعي أمرت به الشريعة؟ وكان الزوج قد حمل على عاتقه كل ما يستطيعه وزيادة في هذا الزواج الذي لم يُرد به وجه الله تعالى إلا من طرفٍ واحدٍ هو الزوج المبتلى! هل نسي هذا الصهر المعتوه والنسيبُ الأبله أن (زوج ابنته) أخ له في الله والإسلام ، حرَّم ماله وعرضه بنص الحديث: (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)؟ ومادام لم يتكلف ولم يغرَم ، فلماذا الكذب والمبالغة في البهتان والإسراف في الإفك؟ فيقال: ولماذا يتكلف؟ هل صار زوج ابنته بمثابة الابن؟ والجواب: لا يجب عليه ذلك ، بل يُستحب فإنه من فضائل الأعمال على أي حال! وإذن فلماذا الادعاء الكاذبُ الأجوف من أنه زوج فلاناً؟! إنه لا منة له مطلقاً لا على زوج ابنته ولا على ابنته! إنه واجبٌ شرعيٌّ تكليفيٌّ محض! وقد عرض شعيب ابنته على موسى - صلى الله عليه وسلم - ، وعرض عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ابنته حفصة على أبي بكر - رضي الله عنه - ثم على عثمان - رضي الله عنه - ، ثم تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم -! وعرض سعيد بن المسيب ابنته على عبد الله بن أبي وداعة ، وزوجه إياها لما ماتت زوجته ، وأعطاه عشرين ألف دينار أو أربعين على رواية أخرى! فهل من ابن المسيب يوماً على ابن أبي وداعة البنت والمال؟! بالطبع لا! إن الذي يعطي الله ينتظر الأجر منه وحده ، لا من سواه! هل من شعيب على موسى عليه السلام يوماً؟! هل من ابن الخطاب - رضي الله عنه - على رسول الله صلى الله عليه وسلم تزويجه ابنته حفصة - رضي الله عنها - يوماً؟! والمثل المصري الجميل يقول: (اخطب لابنتك ، ولا تخطب لابنك!) ، ونحن نوافقهُ في نصفه الأول: (اخطب لابنتك) ، والمعنى: (انتق زوجاً صالحاً لابنتك!) وفي هذا الانتقاء بالطبع عرضُ البنت على الصالحين ، وهو باب من أبواب الفقه الإسلامي في القديم والحديث! (باب: عرض الرجل موليته على الصالحين)! وكان هذا دأب الصحابة والتابعين وتابعيهم ، يعرض الرجل ابنته أو أخته أو أمه أو ابنت أخيه

أو ابنة أخته على الصالحين! لقد شَهَرَ الصهر الكذاب المراءوغ بزواج ابنته في كل مكان! وملاً كل ناس الدنيا ممن يعلم ، بما في الناس أسرته المغالطة التي لم يوجد فيها رجلٌ يقول له: الزم حدك ، وكُف عن المغالطة والبهتان والكذب! لقد نسي هذا الصهرُ المعتوه والنسيبُ الأبله المغرضُ المغالط أن زوج ابنته أخوه في الإسلام قد حرم الله تعالى دمه فلا يُراق ، وماله فلا يؤخذ ، وعرضه فلا ينتهك إلا بالحق! فأين الحق فيما فعل؟! وسوف نثبت أنه مارس اثنتين من المحذورات بموجب هذا الحديث مع زوج ابنته: (المال والعرض)! ناهيك عن النتائج الوخيمة التي أعقبت اعتقاد العائلة المنحطة الوضيعة ، من أن لأبيهم الفضل والمنة على زيد (زوج ابنتهم)! حيث تبجح الواحد منهم غير مرة تستدعيه فيها دواعي الخلاف بين زيد وزبيدة للإصلاح بينهما ، فبدلاً من أن يُصلح يقول: (لقد تزوجها ببلاش ، لو كان دفع فيها ، لو كان وقع على شيكٍ مؤجل الصداق ، لما أغضبها)! وقبل أن نتجاوز هذه النقطة المغالطة ، نقول بأن العريس عندما قرّر السفر لبناء مستقبل أفضل ، جاءه الصهرُ المغالط يقول: نريد تأمين مستقبل ابنتنا ، حيث إن بنات الخارج حلوات ، ويمكن أن تتزوج على ابنتنا! فقال العريس: أولاً أنت سميت مهرها أمام الناس (نصف القرآن) ، فلا حق لك في هذا الكلام! وثانياً زواجي من غيرها بشروط الشريعة من العدل والقدرة مكفولٌ ومتوقّع ، فلقد أحل الله لي أن أجمع في عصمة ابنتكم الزوجة بثلاث زوجاتٍ أخريات! وهذا ليس تفكيري لا بالأمس ولا اليوم ولقد يكون غداً! وأنت يا صهري وكذلك أبي تزوج كل منكما اثنتين ، وكان له من كل زوجة أولاد! فما زال الصهرُ بمغالطته وعجرفته وعنجهيته وجعظريته ، حتى أنزله زوج ابنته على مذهب مالك: (والمرأة يُدخل بها ولم يُسم مهرها فلها مهر المثل)! فوجدها الصهرُ الأفاك فرصة سانحة ، واحتج بمهر ابنة أخيه سلوى (12000 جنيه) ، فقال العريس: إن سلوى هذه التي استشهدت بها أتاني أبوها الذي هو عم زبيدة ، وطلب إلي أن أعدل عن زواجي من ابنتك لأتزوج من ابنته ، رغم أن البنيتين كلٌ منهما ابنة عم الأخرى! والله إن زيدا ابنتي بأب غريب الأطوار ، وأنساب أغرب منه أطواراً! وراحت زبيدة إلى أخت لها في الإسلام بناء عن طلب زوجها ، وسألته عن مهرها فقالت: مهري (5000 جنيه)! فنزل الرجل على ما أتت به زبيدة من الخبر ، وكانت المسألة مسألة كيف لا كم! على أنه لم يكن مبلغاً يسيراً في ذلك الزمان الذي يقارب قبل ثلاثة عقود ونصف قبل اليوم! وإيم الله لو جاءت زبيدة بعشرين ألف لما غير الرجل النسبة مطلقاً! وأصبح لهذه الزوجة مهران وصدائق: إسلامي (نصف القرآن) ، وجاهلي (5000 جنيه) كتب زيد هذه الورقة مزيدة على السنة! ولكنه فقط أراد الخروج من الموقف ولو على حسابه في أن يكون غارماً لرفيقين وخال وزوجة قبل سفره! وعندما سافر الرجل ، وألحقها به في غربته ، واشترى لها ذهباً بقيمة (5125 جنيه) ، وأعطاه إياها في صورة مشغولاتٍ ذهبية ، وأعلمها أن صدائك الثاني وصلك ، ويلزمك تقطيع الورقة المحررة عند أبيك! فقالت: كل زوج يُهادي زوجته! فقال زوجها: ولكنني مدين لك ، والدين يا زوجته مُقدم على الهدية! وقام النسيب المغرض وعائلته باستحلال بيت زيد ، ذلك البيت الذي لا يحل دخوله والاطلاع على خصوصياته إلا بإذن صاحبه! أصبح مستباحاً ، واستغلت العائلة عدم رضا أهل العريس عن هذه الزيجة ولا هذا النسب لابنهم! ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تحول البيت بيت الزوجية إلى حظيرة للدواجن ، ثم تم هدمه ليعود أرضاً زراعية ، رغم تبرئتها بالقانون بحكم محكمة ، دفع العريس رسوم القضية وأتعاب المحاماة! واعتادت زبيدة على تعظيم جانب أهلها وتحقير جانب أهل زوجها! وكأني بها تعتبر أهلها صحابة النبي محمد – صلى الله عليه

وسلم - ، وفي الوقت ذاته تعتبر أهل زوجها شياطين الجن! وتمت إهانة زوجها مرات ومرات ، وبددت أمواله ، وانتهكت حرمة بيته ، على عيناها! ولكن لأن الذين فعلوا ذلك كله من أهلها فلا حرج! واعتادت زبيدة أن تُمارس دورَ أهلها في التصرف في أموال الرجل العينية والنقدية بدون مراعاة المصلحة! إنما كانت تراعي الحق الشخصي فقط! وتضم أمواله إلى أموالها بغير الحق! وبعد أن بذل زيدٌ أضعافَ ما يستطيعه لخدمة عائلته وعائلة زبيدة الوضيعتين الظالمتين إذا بالكل يتخذون زيداً عدواً! لكن الطامة الكبرى أننا أمام شخصيتين الأولى (زيد) رجلٌ يزن الأمور بميزان الشريعة ، ومن هنا كانت التصرفات معتدلة لا يلحقها تناقض ولا مزايدة! وأما (زبيدة) فلا تفعل الشيء ذاته ، ومن هنا جاءت التناقضات والمغالطات والمزايدات! رغم ظلم أبيها وحرمانها وأختها الشقيقة وباقي إختها من الأب من إرثهم جميعاً في بيت المدينة ، وإنما خصّ به أولاداً دون أولاد! تتبجحت زبيدة وهي تصف أباهما قائلة: (أقام أبي العدل بين أولاده ولذلك يحبونه جميعاً!) ووالله إنها لمقولة ظالمة ، لا يشهد لها الواقع بمثقال حبة خردل من الحق! والدليل أنه عندما سؤل من أعدق عليه الأب أنه أعدل العادلين! وعند سؤال من حرمهم من الأبناء أنه أظلم الظالمين! لقد أمرنا الله ببر الوالدين والإحسان إليهما ، لا بعبادتهما معه أو من دونه ، لأن هذا الأخير شرك بالله رب العالمين! وكان أبوها يقول عن نفسه يخادع نفسه ومن يسمع بالطبع: كلما ذكرت سيرة عمر بن الخطاب دمعت عيناها! ونرد عليه بقولنا: إن المطلوب أن تقيم العدل بين أبنائك وبناتك والناس من حولك فيما لك بإقامته قدرة ، لا أن تدمع عيناك وأنت ظالم تاكل الحقوق وتحرم أبناء لك وبنات من إرثهم! إن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمرنا بقوله: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ!) ولم يقل: (ابكوا عليها بالنواجذ!) كان ينبغي على زبيدة أن تشهد شهادة الحق على أهلها ، لا أن تتابعهم في ظلمهم وتجاوزهم واعتدائهم وإهدارهم حقوق زوجها المادية والمعنوية! وكان زيدٌ يحسن الظن بها ، فإذا بها مع أهلها قلباً وقالباً للأسف الشديد! ولما أخذت زيداً الحمية ، وصرح لزبيدة بأنه لا يقبل هذه التجاوزات من أهلها ، وعلى رأسها (تبيد المال على يد أبيها وانتهاك حرمة البيت بما حوى من متاع وأثاث وكتب ومقتنيات وعدد ، وإهانة الرجل على يد أبيها وعلى أيدي إختها غير مرة بدون وجه حق ، واعتقاد كل كبير وصغير في عائلتها بأن زوجها لاجئ كان أبوها قد لّمه من الشوارع ، وأقام له شأن حياته ، مع أن الثابت عكس ذلك! وهذه نقطة عجيبة في أبي زيد وصهره! كل منهما يتهمه بالفشل في تخطيط مستقبل أولاده! مع أن ذلك تم له على يدي كل منهما وعلى أيدي أبناء كل منهما! حيث ابتلى كل منهما بكثرة الأبناء مع كفاف العيش لا نريد أن نقول مع الفقر لأنها كلمة ترعجهم! فلما سخر الله زيداً لهما وأقام الله تعالى على يديه شأن كل ابن من أبنائهما ، لم يشكروا نعمة الله عليهم في أن سخر لهم رجلاً نفعهما الله به! وجعلوا مقابل الإحسان الإساءة! الإساءة والتشهير والتعيير لمن؟ لرجل كان سبباً والله مباشراً في سعادتهما وسعادة أولادهما ، على حين كانوا وأولادهم سبباً مباشراً والله العظيم في شقائه! والله لقد ابتلى زيدٌ بهذين الشيبيتين: (الأب والصهر) الأول خذله وتركه لصهره ، والثاني وجدها فرصة فتشفي كيف شاء! ومن عقد قرر زيدٌ طلاق زبيدة والخلاص من هذا القهر والتعيير! والزواج من أخرى تكون على المنهج الرباني! ولئن كانت خبرته مع الناس يوم تزوج زبيدة قليلة ومزجاة ، فلقد خير الناس والنساء اليوم ، وهو اليوم أقدر على ألا يقع وقوعه الأول ، ويخيب خيبته الأولى تلك! فنصح عقلاء الناس وحكماءؤهم بأن يستعين بالله ولا يعجز ، وأن يعدل تماماً عن فكرة الطلاق ، وأن يعدل

تماماً عن فكرة الزواج الآن على الأقل! حتى أن أحد موجهي اللغة العربية قالها له بالرمز بعد أن سأله: كم لك منها من الولد؟ فقال زيد: سبعة أولاد! فقال الموجه: (يا بني إذا استبعت امرأتك فاستنوق لها!) ، فراجع زيد صديقه فقال مستدركاً على عبارته الأولى الرامزة: (يا بني لأجل عين (أبناؤك السبعة) تُكرم ألف عين (زوجتك)! ، فقال زيد له: أظنك تُبالغ يا أستاذي ، فقاطع الموجه قائلاً: (يا بني حياة مُهرجلة خيرٌ من طلاق وفشل ، ولا أزيد)! وبعدها حاول زيد مجادلته بعد قوله (ولا أزيد) ، فقال الموجه مغلقاً الموقف التعليمي التربوي ، وقافلاً المشهد: (قضي الأمر الذي فيه تستفتان)! والعجيب في أمر (زبيدة) الماكرة المخادعة أنها مارست خديعة كبرى مع زوجها (زيد) المسكين الطيب ، استمرت ثلاثة عقود! وفي كل مرة يصبر زيد نفسه بأن يصلح الله الأحوال! ولكن للأسف كانت الأحوال تزداد سوءاً! فهل كان طبعاً فيها غلب تطبعها يوم جاء يخطبها؟! الله أعلى وأعلم! ووصل بزبيدة الحد لأن تعابير زيداً بالأحوال المادية السيئة التي مهدت لها بالاشتراك مع أهلها مستغلة ظروف الرجل وثقته الزائدة عن الحد فيها! وزادت حبات الطين بلة أنها عيرته بأمراضه التي صحبت شبيهه! ويصدق فيها قول الشاعر:

فإن تسألوني بالنساء ، فإنني بصيرٌ بأدواء النساء طبيبٌ
إذا شاب رأسُ المرء أو قل ماله فليس له من ودهن نصيب
يُردن ثراء المال حيثُ علمناه وشرخ الشباب عندهن عجيب

لقد أهدرت ما لزوجها من بقايا تعبير واحترام! حيث أدركته شبيبة ، ضعفت قواه وقل ماله! إلا من دار تحت الإنشاء بهزلها وغباء أبيها يأتيه منها إيجارات يتقوت منها وعياله! فأصبحت تخرج من البيت بلا استئذان! وتأذن في بيتها لمن تريد من أهلها ومن سواهم ، ولو كان زوجها لا يرغب في دخولهم بيته ، وراحت من جرأتها في الباطل تتصرف في المال وتُعطي الرجل مصروفه من ماله! وباتت تترهل في حجابها الذي لم يكن يُظهر منها سوى عيني ترى بهما الطريق إلى كشف الكفين ، والقدمين ، ومحاجر العينين ، والحاجبين ، ولبس العبايات المزركشة التي تستلفت نظر الرجال! الأمر الذي لم تكن عليه في سنيها الأولى من الزواج ، فبعد أن كانت تُحسب على المحجبات الحشيمات ، أصبحت تُحسب على المتبرجات المترهلات المتساهلات الخارجات على نصوص الكتاب والسنة في باب الحجاب والاحتشام! وانتهت تماماً من انتقاص الجاهلية وأهلها ، ورأت كل الناس خيراً وبركة! وامتد الأمر إلى كبريات مسائل الاعتقاد التي كانت في مستهل زواجها إذا بها اليوم تتنازل عنها ، فتشهد للطواغيت بالإسلام ، وتعذر المجاهرين بالمعاصي والمستحلين لها بالجهل ، مع قدرتهم على إزالة جهلهم! ولم تعد تدرك من شروط (لا إله إلا الله) شرطاً واحداً ، فضلاً عن أن تُدلل عليه من الكتاب والسنة! وراحت تتهم زوجها بالتشدد والتعصب! زوجها زيد الذي هو مثالٌ للوسطية بعينها ، أصبحت تراه متعصباً متشدداً! نسأل الله ألا يُزيغ قلوبنا عن الحق حتى نلقاه! وكان ينبغي عليها أن تدعو أهلاً بعيدين عن الكتاب والسنة إلى الحق والخير ، فإن استجابوا فهي منهم وهم منها ، وإن أعرضوا فلتفصلهم على العقيدة والتوحيد! الأمر الذي كانت تصنعه من ثلاثة عقود! وإلا فهو الانتكاس في التصرف والسلوك والفهم والتصور! لقد أصبحت أذن شر لأهلها ، وكان ينبغي عليها أن تكون أذن خير لهم! صارت أذن شر لهم ، حيث يُملون عليها ما يرون من الخطط لإفساد حياتها التي بدأت على الكتاب والسنة! وحاول زيد إقناعها ، لكن الموجه كان أكبر منه

وأعتى! وراحت – بعد أن زين لها سوء عملها فرأته حسناً – تسخر من زوجها وتستتهزئ به في كل كبيرة وصغيرة! وما لبثت كما قلنا من قبل أن غيرت هوية البيت المسلم الذي كان يوماً على الكتاب والسنة ، بات اليوم تُذاع فيه المسلسلات الساقطة وغير الساقطة وتبث فيه الأفلام! وبعد أن لم يكن فيه التلفاز ثم جاءه التلفاز بثلاثين قناة لا تزيد ، أصبح في بيئتها تلفازان ، وكل منهما مزود بألف قناة مما لذ وطاب من مواد السقوط والانحطاط والإباحية والجاهلية! مما دعا زيداً إلى أخذ موقفٍ في الله ، يُشهده سبحانه ويشهد ملائكته ، أنه لم يعد منها في شيء ، وأنها لم تعد منه في شيء ، حتى تنتهي عن كل هذه الممارسات الجاهلية جميعاً بدون استثناء! وراح زيدٌ يحذر أولاده منها مبيناً عيوب زوجته وزوجته معاً ، ويقول لهم: (أي أبنائي الأحبة ، لا يتزوجن أحدكم امرأة فيها هذه الصفات أو إحداها: 1 – أن يكون لها عليه غرماء ، لأن كل غريم سيكيد له ، ولن تسلم حياته من كيدهم! 2 – أن يوجد خلافاً بين العائلتين عائلته وعائلتها ، فليرسه إن كان معتبراً أو غير معتبر! ذلك أنه سوف يتفاقم على الأيام! 3 – أن تكون العروس وأهلها جاهليين لا يرفعون رؤوسهم بالالتزام الحقيقي بالقرآن والسنة! لأن علمها وعلمهم بالكتاب والسنة سينفعه في مشوار حياته ، حيث تكون هناك مرجعية للاتفاق والخلاف! 4 – أن يراها أهلها في نظرهم أفضل منه! ذلك أن هذه النظرة في التمييز تكبر على الأيام وتبيت معول هدم للحياة الزوجية!) والله إنني لأتعجب من أهل زيدٍ وأصهاره! أما الأهل فخذلانهم غير مُبرر بالمرّة ، فلقد أعطاهم الرجل وأغدق عليهم بغير حساب! ولو كانوا ناصحين لأنفسهم ولابنهم ، لما خذلوه وأسلوه لأصهار يستنزفونه للحد الذي يتكفّف فيه اللقمة بعد ثلاثين سفر غربية ، وأين؟ في أغنى دولةٍ في العالم! كما أتعجب من أصهار زيدٍ الذين رشحوا ابنتهم عروساً له ، كما رشحوا زيداً عريساً لها! فلما نزل الرجل على ترشيحهم واختيارهم مثنياً إياه ، وحافظ عليها وعليهم وبذل الغالي والنفيس من أجل الجميع ، فإذا بهم بعد أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه ، يتكبرون لزيدٍ ويخفرون جواره ويهدرون معروفه ويخذلونه خذلاناً لا مثيل له! والله إن دورهم ليشبه دور الشيطان كما تصفه الآية: (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين)! وكان على زبيدة أن تكتشف ذلك وحدها ، لأنه واضحٌ كل الوضوح ، ولا سبيل إلى إنكاره طرفة عين ولا أقل من ذلك! أما وقد استمرت في خديعتها الكبرى ، وظهرت حقيقتها بعد ثلاثة عقود ، فلتتحمل النتائج الوخيمة للعبها بالنار! وقد تجاوزت الخمسين ، فلا يليقُ بها إلا إكمال مسيرتها حتى تلقى الله سبحانه! والآن فلندع زيداً يحكي لنا خديعة زبيدة الكبرى في معلقةٍ طويلة من البحر الطويل على قافية السين!)

ألا يا ديا جيري ، لقد طلعت شمسي وأوغل نور الشمس في دلجة الطنس!
ولمّا أهدأهفو لماضي سذاجتي وهل عاقلٌ يهفو لداعية البؤس؟!
خللت ديار القوم ضيفاً وصاحباً ودرست أقواماً ، ولمّا يفد درسي
وعلمت جُهالاً تأصل جهاهم كأن عقول القوم صيغت من الجبس
وزللت الغزازاً عليهم تعسّرت وسطرت توضيح المسائل في الطرس

وكنت اصطفيت الشرح سهلاً مفصلاً وأسديته همساً ، ولم أغل من حسي
 وكنت صديق الكل ، نفع صداقتي وكلت لصحبي ما تطيب به نفسي
 وناولت ترحيبي لكل من ادعى ودادي ، وإن عاينته أبغض الإنس
 وأجهدت نفسي كي أريح جموعهم وجئت ديار القوم حتى اشتكى جوسي
 وناصحت لم أبخل بنصح وغيثه بقول ندي الوقع أحلى من الدبس
 وجاهدت أهواء مريراً جهادها لأن قلوب البعض عانت من الرجس
 ومررت سني العمر تلهو بتائه فأهدته من زلاتها محنة التعس
 ولمّا عدت الأهل أحيا بأنسهم توهمت أن ألقى لدى صحتي أنسي
 فخابت ظنوني ، وانتهى بي توهمي إلى ضيعة التصميم والعزم والبأس
 فألفيتني خلف السراب محطماً أعاني من التشريد والفقد والعمس
 فقرررت أن أنأى لحفظ عقيدتي فإن مصاب الدين من أشرس النكس!
 ففاجأني بالعزف عن ذا كبيرهم فقلت: يا عمي لقد شط بي ياسي!
 ألا إنني آثرت داراً بعيدة كما خزرج تحيا القبيلة والأوس!
 فدعني وشائي ، فالخطوب عسيرة وقلبي يقاسي من مداهمة الوجس
 أخاف من الإفشال يجتاح همتي وما كنت ذا سيف يدافع أو ثرس
 وأحيا غريباً بين أهل تنكروا وأب وأم ، بل وإخوتي الخمس
 قلوني جميعاً ، واستباحوا كرامتي ولمّا أغد منهم ، ويصدقني حدسي
 يقيناً تباعدنا ، وصرت لديهم كفوراً كما الكذاب والأسود العنسي
 فقاطعني بالأمر كنت انتويته وكم يشتهي الإنسان عن رغبة النفس!
 فقال: ابنتي أهديك يا خيل زوجة وقال: استخر ، أرجي القرار من الرأس
 فقلت: اصطبر ، وامنح صديقك فرصة فأمر كهذا لا يكون بلا درس!
 وعدت لنفسي مرة بعد مرة فقلت: لقد كان الذي قال في النفس!

وُعِدْتُ بِذِي الدَعْوَى لِبِنْتِ وَأَمَهَا وقلْتُ: أنا أنهى الذي قيلَ بالأمس
 إذا لم يكن أرجى قبول وراحه فلا خيرَ في أمر يُنفذ بالبدس
 ألا صارحيني ، بل وكوني شجاعة ألا إن صدقَ القولِ من أقوم الأس
 فقالت: أريدُ الأمرَ ، هذي قناعتي بصَدعِ جَلِي الصوتِ ليس بالهمس!
 فقلتُ: اذْكَري كلَ الشرُوطِ بلا حيا بكل وضوح ، لا أميلُ إلى اللبس
 فسأقتُ شروطاً ما أبيتُ أداءها! وتحققها بالجهد والبذل والبس
 وأعلمتها شرطِي بدون تحفظٍ فأبدتُ قبولاً ما احتوى غامضَ الحيس
 وتم زواجٌ تمقتُ النفسُ ذكوره أقيمُ على الشجوى ، وأفضى إلى البكس
 وسادتُ بلاعاتٌ طوئتي غومها ولم تكن الرعناء طيبة الغرس
 قاتنتي عروسٌ غلبتُ طيشَ أهلها وباعتُ ودادَ الزوجِ بالثمنِ البخس
 وأبدتُ من العندِ الموشحِ بالغبا نصيباً يصيبُ القلبَ بالكرب والركس
 ولم تستقم يوماً لثُدركَ خيرها ودكَّتْ عمودَ البيتِ بالمكر والدهس
 وأفشتُ من الأسرارِ ما يسعدُ العدا إلى أن تساوى العيشُ في البيتِ بالحبس
 وآلمني جداً تدخلُ قومها وداري بهم أمسَتْ تُشَبِّهُ بالرَّمس
 خُدتُ وربِّي في الحليلة ما ارتقتُ بدينِ نبيِ جِاءَ للجِنِّ والإنس
 تبيتُ وتُمسي في دُجى جاهليةٍ بألفِ قناةٍ في مضاربها تُمسي
 هوية بيتِ تلكِ بالكادِ غيَّرتُ وإلفُ المعاصي كلَّ منقبةٍ يُنسي
 ثلاثين عاماً ما تدنتُ هويتي وقد عشتُ دهرأ أسَّ بيضتها أرسى
 وأمسى جِبابُ السنتِ أخزى تبرُّج فهل تفتدي في السترِ بالرومان والفرس
 فكفان مكشوفان عمداً لناظر فهل أمة ذى أصبحتُ من بني (عبس)؟!
 وزادتُ على الكفنين رجالي أئيمةٍ وقد زينتا للأعين الجردِ بالورس!

وبات نقاب الوجه أعظم فتنة كأي بها (ليلى) تهادت لدي (قيس)!
وزينت عباءات ثخاتل من رأى وسيت الهوى والحسن تختال في الميس
وتخرج من بيت بلا إذن زوجها فهل عقلها هذا أصيب بالهوس
أم الجن أعطاها من المس جرعة فباتت ثقاسي شدة الصرع والمس؟!
ألا إنني فيها خدعت ، ولم أكن أبيت سوء الظن ، ذا ليس من حسي
خدعت بأقوال تسامت حروفها يردد لها عبداً بسهوكه القيس!
وبالغت في التجميل أرضي به العدا وسويت بين الطهر في الوزن والرجس
وأسرفت في الإطراء ، لم أك حاذراً وما صح مما قلت جزء من السدس
وغالطت إذ خلعت الخثالة صفة وهل يشترى أهل النجاسة بالفلس؟!
ويوماً نلاقي في القيامة ربنا ويقتص ربي من دهاقته الإنس!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

دياجيري: ظلماتي. دلجة: ظلمة. الطنس: شدة الظلام. أهفو: أميل. سذاجتي: طيبي الزائدة عن الحد.
البؤس: شدة الحزن. زلت: سهلت. تعسرت: صارت صعبة. الطرس: الصحيفة. اصطفيت: اخترت.
حسي: صوتي. حسي: إحساسي. الجوس: التجوال. وعيته: عرفته. الدبس: عسل التمر. سني العمر:
سنواته. زلاتها: هفواتها وسقطاتها. التعس: التعاسة. العمس: الاضطراب واختلاط الأمور. أنأى:
أبتعد. النكس: هو الانتكاس. العزف: الانتهاء. شط: ازداد. الخطوب: المحن والشدائد. عسيرة: صعبة
وعاتية. الوجس: الحذر والخوف والتوجس. ثرس: درع. حدسي: تخميني وظني. الكذاب: مسيلمة
الكذاب. الأسود العنسي: مدعي النبوة الكفور. الدس: الإخفاء. الأس: الأساس. اللبس: الغموض.
البس: شدة المجهود والعناء. الحيس: الارتباك عند اختلاط الأمور. تمقت: تكره بشدة. الشجوى: شدة
الحزن. البكس: القهر. الرعناء: قليلة الحكمة والرشد. الثمن البخس: أي المزهود فيه. الركس: قلب
الأمر أو الشيء رأساً على عقب. الدهس: هرس الشيء ليختلط بعضه ببعض. الرمس: القبر. الحليلة:
الزوجة. ألف قناة: قنوات التلفاز. أرسى: أوسس وأقيم. بني عبس: قبيلة في الجاهلية اعتادت الإماء
فيها كغيرها من قبائل الجاهلية على كشف الوجوه والكفوف والأقدام! الأعين الجرد: أي المجردة التي
تبصر الأشياء بشدة! الورس: نبات شديد الحمرة للطلاب به. قيس وليلى: عشيق وعشيقته من بني
عامر. الميس: التبخر والخيلاء. الهوس: الجنون. المس: مس الجن وصرعه. سهوكه: عامية دخيلة
معناها التزلف الرخيص. القس: القسيس. يقتص: يعيد الحقوق من غاصبها. دهاقته: عتاة الظالمين.

ذهب النشوز بالحب!

(الحب يُعمي ويصم كما يقولون! وهذا الزوج العاشق كان قد غرق في الحب والعشق والهيام! الأمر الذي أعماه عن غيوب عشيقته! ثم أتم الله تعالى عليه النعمة فتزوجها! ولم يكن المسكين يعرف عن رعونتها ونشوزها وسوء خلقها لا الشيء الكثير ولا القليل! وصبر وصابر على عيشته معها رجاء أن يصلحها الله ، وحاول الإصلاح! ولكن في نهاية المطاف ، ذهب النشوز المزمّن بالحب! وإن بقيت العيشة شكلاً لا حقيقة! فأنشدت حكاية عنه هذه القصيدة!)

الْحُبُّ يُخْفِي كُلَّ عَيْبٍ يُزْدَرَى وَيُزِيغُ عَيْنًا تَشْتَهِي أَنْ تَنْظُرَا!
وَيُصِمُّ أُذُنًا عَنْ سَمَاعٍ مَعَايِبًا فَتَرَى سَمَاعَ الْعَيْبِ شَيْئًا مُنْكَرًا
وَيُصُدُّ عَقْلًا عَنْ تَفْهَمٍ بَاطِلًا حَتَّى يَرَى فَهْمَ الْأُمُورِ مِنَ الْمِرَا
وَيَسُدُّ أَنْفًا كَمَا يُعْطَلُ شَمَمَهَا نَتْنًا كَرِيهًا فِي زَوَايَاهَا سَرَى
وَيُسَكِّرُ الْفَمَ عَنْ حَدِيثِ مُفْصِحِ سَرَدِ الْحَقَائِقِ ، لَمْ تُخَالِطْهَا الْفِرَى
الْحُبُّ يُزْرِي بِالْمُحِبِّ وَعَزَمَهُ وَيَعُودُ بِالْبَطْلِ الْهُمَامِ الْقَهْقَرَى
وَيُنْزِلُهُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ عَامِدًا وَيَوُزُّ جَوْهَرَهُ ، وَبَعْدُ الْمَظْهَرَا
وَيَقْضُ مَضْجَعَهُ ، وَيُذْهِبُ نَوْمَهُ كَمَا لَا يَذُوقُ الْغَمَضَ يَوْمًا وَالْكَرَى
وَيُنَالُ مِنْهُ كَرَامَةً وَشَرِيفَةً وَنَجَابَةً بِالْأَمْسِ كَانَتْ فِي الذَّرَى
وَيُحِيلُهُ عَبْدًا تَعَشَّقَ مَا اشْتَهَى وَأَطَاعَ نَفْسًا لَا تُحِسُّ وَلَا تَرَى
الْحُبُّ يَجْعَلُهُ بَلِيًّا مُعْجَبًا! وَيَبِيدُ إِعْجَابَ الْعَشِيقِ مُؤْشِرَا
(ليلي) هِيَ الدُّنْيَا وَجَنَّةٌ عَذْبَاهَا وَهِيَ الْمَدَائِنُ وَالْحَوَاضِرُ وَالْقَرَى
(ليلي) هِيَ الْوَطَنُ الْمَفْضَلُ وَالْجَمَى وَهِيَ الْوَشَائِخُ وَالْعَوَاصِمُ وَالْعُرَى
(ليلي) هِيَ الْأُنْثَى الْوَحِيدَةُ فِي الدُّنَا وَكَأَنَّهَا الْمَوْلَى سِوَاهَا مَا بَرَا
(ليلي) هِيَ الْخُبُّ الْمُضْمَخُ بِالْهُوَى وَفَوَادُهَا بِالْحُبِّ أَصْبَحَ خَيْرَا
(ليلي) إِذَا ابْتَسَمْتَ تَبَخْتَرَ قَيْسُهَا صَافًا ، وَوَصَّفَ الْابْتِسَامَ ، وَثَرَا
(ليلي) لَهَا أَسْمَى الْمَكَانَةَ عِنْدَهُ وَالْقَدْرُ مُذْ يَفْعَتُ ، وَشَبَبْتُ مُعْصِرَا!
(ليلي) إِذَا قَالَتْ ، فَقَوْلٌ صَادِقٌ فَلِسَانُهَا مَا قَالَ إِفْكَاً مُفْتَرَا!

وصِـمَاتُهَا يُغْرِـيـه أن يـسـتـبـشـرا
وتسـيـلُ أدمـعـه السـخـيـنـة أنـهـرا
وشـكـا لـعـوـادٍ أتـوؤه ، وبـرـرا!
كأساً مـن الشـجـوى أـمـرٌ وأكـدرا
وتـرأه أبـدى سـعدـه ، وتـنـدرا
ولـننُ تـعـفـرَ وجـهـه ماشٍ فـي الثـرى
قـيـسٌ يـحـقُّ لـه بـهـم أن يـفـخـرا
وبـجـرـها المسـكـينُ غـاصَ وأـجـرا!
والـخـب جـرَّعـه العـذـابُ مـقـنـطـرا
عـبـداً لـها أـمـسى ، وبـاتت قـيـصـرا!
وجـبـلة تُـرـدـي كـأسـاد الشـرى
والـخـب عـن أنـيـاب كـيـدٍ كـشـرا
والعـشـقُ والأـمـلُ الكـنـيـبُ تـبـعـثـرا
مـا ظـن فـي قـدـمـيـه أن تـتـعـثـرا!
وعـلى يـدـيـها ذاقَ مـا قـد قـدرا
وكأنـه مـكـرٌ بـليـل دُـبـرا
والزـوجُ بـالتـرـويـض لا لـن يـشـعـرا!
قـسـراً ، ويـمـسى الكـيـدُ سـيـفاً مُـشـهـرا
وعـلى الأذى لـم يـسـتـطـع أن يـصـبـرا
فـلـعـل حـرـصاً أن يُعـيـدَ الجـوهرـا
فـلـعـل نـصـحاً أن يُفـيـدَ ويُثـمـرا

(ليلى) إذا صـمـتت ، فـذاك لـحـكـمـة
(ليلى) إذا التـاعـتت تـألمَ واشـتـكى
(ليلى) إذا مـرـضت دـهـاهُ سـيـقـامـها
(ليلى) إذا حـزنت سـقـتـه حـزـونـه
(ليلى) إذا فـرحـت لـداعـبـه الهـنا
(ليلى) إذا رـحـلت يـتـابـعُ خـطـوـها
(ليلى) هـي الأهلـون والصـحـبُ الألى
فـي حُبـها الولـهانُ أدلى ذلـوه
وغـدا أسـيراً فـي الغـرام ، ولم يـزن
وطغـت عـلـيـه ، وعـنـفـتـه بـحـسـنـها
وتزـوجـت ، فـإذا النـشـوز طـبـيـعة
وغـدت بـها أحـوال (قـيـس) صـعـبة
ظـهـراً عـلى عـقـب بـدت أحـوالـه
وتعـثـرت قـدـمـاه لـمـا تـثـبـتـا
وتـمـردت (ليلى) ، ونـاولت الأذى
هـمٌ وغـمٌ واخـتـلالٌ مـعـيشـة
ومكـانٌ تـهـدي اضـطـرابَ مـشـاعـر
وإذا الرـعـونـة تجـتـنـي أـرجَ الهـنا
واستأسـدت (ليلى) ، وعـافـت (قـيـسـها)
فرمى بـمـوعـظـة ، وأظـهـر حـرـصـه
واحتـال فـي طـرح النـصـوص تكـلفاً

يا ليلَ أينَ الحُبُّ يُدرِكُ حالنا
يا ليلَ أينَ مودةُ ذهبَتِ سُدىً؟!
الحُبُّ ولى ، وانقضتْ أيامُه
أشمتُ فيَّ من استهانَ بحُبنا
يا ليلَ غودي ، واستقيمي حِسبة
إنِّي أعيدُكَ بالمليكَ ، فأسجحي!
كانت أمامي الغيدُ ، فاخترتُ التي
ما بالها اليوم استكانتُ للشقا
يا ليلَ دمدمتِ الخطوبُ ، وزمجرتُ
والبيتُ أضحي كالسفينَةَ أبحرتُ
فتحمّلي مُؤنَ المعيشة ، واعتلي
لكِ قد بذلتُ الخيرَ رَغَمَ حَصاصَةٍ
فجعلتِ آمالي لنييلٍ سعادةٍ
وهدى نشوؤك مُعلنًا إفلاسنا
ذهبَ النشوؤُ بحُبنا وحياتنا
لكنها لم تنتبه لوعيدِه
للهُم أبداً لني بِزوجِ برةٍ
فارحمه مِن (ليلي) وقسوة قلبها

ويُقيمُ وداً بالرعونَةَ دُمّرا؟!
تعا لَمَن هذي المكائدَ فَجْرا!
وأتى الذي كم عشتُ منه مُحذرا!
وترين لي ولكِ السفية تنكرا
إن النشووز بلا دواع يُزدرى!
وكفى الذي جرّعتيه وما جرى!
كانت أبرّ من الجميع وأخيرا
وفؤادها بالششائعات تئاترا
والقهرُ ويح القهر ، هاج وزمجرا!
لكن ثواجه ريح كيدٍ صرصرا
فرسَ الجلال مجاهداً ومظفرا
وبك ارتقبتُ الفجرَ بدرًا نيرا
خلماً تآبى لحظة أن يخطرا!
والعيشُ من هذا النشووز تضررا
والعشقُ لم يألُ الحبيبة مُذرا
وعليه دَمعي في البلاد تحدرا
قلبي إليك بما يُعاني أعذرا
وأنله من تقواك يا رب الورى!

إدانة وإهانة وإبانة!

(تأصلت عادة ذميمة في هذه الزوجة - موضوع قصيدتنا - حتى أدمنتها ، ألا وهي إدانة زوجها في كل قول أو فعل أو عمل! وتطور الأمر ، فتحوّلت الإدانة إلى إهانة ، وساعدها على ذلك جلم زوجها ومعاملتها بالمعروف والصبر عليها! وزادت المبلّة طيناً بإدخال أهلها الذين ليس عند أحدهم حكمة ولا رُشد! وفي نهاية المطاف كانت ثافية الأثافي ألا وهي الإبانة عن زوجة ناشز لا حل لنشوزها ولا علاج له ولا حيلة تُجدي معها! فكتبتُ عنها هذه القصيدة مندداً بأخلاقها المنحطة السافلة ، وداعياً الله العليّ القدير أن يهديها ، وطلبْتُ من الزوج المسكين المبتلى أن يصبر ويحتسب ، لعل الله يهديها ويصلحها! ولا يطلقها لئلا يُبتلى بها أخ مسلم! تقول معلمتنا الفاضلة والمستشارة التربوية الشرعية أم عبد الرحمن محمد يوسف تحت عنوان: (العناد في الحياة الزوجية) ما نصه بتصرف يسير: (إن الخلافات والفشل في المواجهة ووجود بعض الصراعات أمر لا مفر منه في الحياة الزوجية ، فكلنا يميل لأن يرى الأمور بصورة مختلفة نوعاً ما ، على الأقل بعض الوقت. ونحن شديدو الافتناع بأننا على حق ، وهذا مردّه في المقام الأول إلى أننا مقتنعون بأننا ننظر بصورة صحيحة للأمور ، وحتى عندما لا نكون على حق "فمن السهل أن باللائمة على شريك حياتنا ، أو على موضوع ما ، أو نقاش ما ، أو خلاف ما أو حتى عدم اتفاق كمبرر لعدم سعادتنا ، إلا أن الواقع يشهد أن الجاني الحقيقي في أغلب الأوقات هو عنادنا الشخصي ، وعدم رغبتنا في التنازل عن حاجتنا أن نكون على صواب دائماً. ولو استطعنا أن نتخلى عن دافعنا الذاتي ونروض غرورنا وأن نتخلى عن ضرورة أن نكون شديدي العناد ، فمن المدهش تلك السرعة التي تحل بها المشاكل بدون إحداث أي ألم" (لا تهتم بصغائر الأمور في العلاقات الزوجية - د.ريتشارد كارلسون ، وكريستين كارلسون - 368 ، 369 بتصرف). إن السر يكمن في الإيمان الراسخ بأن النجاح لا يعني أن نظل دائماً على صواب ، وأن النجاح يتحقق بالتواضع ، وأن عدونا هو العناد وليس شريك حياتنا. في حديقة الحيوان: في حديقة الحيوان ، نظر الزوج إلى طائر صغير ، وأخذ يتأمله مع زوجته مع زوجته ثم قال: "ما أجمل هذا العصفور". فأجابت الزوجة: "عفواً إنها عصفورة". فقال الزوج: "عصفور". فقالت الزوجة: "عصفورة". وتشبّت كل منهما برأيه ، واحتدم الجدل ، وتحول إلى مناقشة ، فمشاجرة لم تهدأ نارها إلا بعد وقت طويل. وبعد مضي سنة تذكر الزوج هذه الحادثة ، فقال لزوجته ضاحكاً: "أتذكرين تلك المشاجرة البلهاء بخصوص العصفور؟". فقالت: "نعم أذكر ، كادت أن تحدث بيننا أزمة كبيرة بسبب عصفورة". فقال الزوج: "عصفورة! ولكنها لم تكن عصفورة بل عصفور". قالت: "كلا ، بل عصفورة". واحتدم القتال من جديد. هذه قصة رمزية ، فكم هناك من عصفور وعصفورة وراء المشاجرات بين الأزواج؟ مشكلة العناد: إن من أكبر المشاكل التي تعترض الحياة الزوجية مشكلة العناد ، فالعناد والتصلب في الرأي والجمود وعدم المرونة تضيء على الأسرة جواً خانقاً ، وتنتشر في البيت ظلالاً قاتمة ، وتهيبُ المناخ لنفثات الشيطان وهمزاته ، مما ينذر بالاقتراب من الخطر ، ولذلك فإن مراعاة كلا الزوجين لطباع الآخر ، ومحاولة التكيف والتفاعل مع ما يصعب تغييره أمرٌ يحتمه الوعي والذكاء الزوجي. إن الزوج الذي يتفرد برأيه مخطئ ، والذي يتخذ القرار غير الصائب لمجرد مخالفة رأي زوجته ، وقد تبين له صوابها ، هو رجل لا يقدر المصلحة ، ويضع كبريائه في موضعه ، ويحقق انتصارات زائفة لا مكان لها إلا في عقله هو دون أحد سواه ، كما أنه يفقد مكانته لدى زوجته. من يبدأ أولاً: إن من الملاحظ دائماً أن عناد الزوج يسبق عناد الزوجة! فالأخير يأتي غالباً كرد فعل لعناد الزوج ، وتعليل ذلك أمر سهل ، فالزوج يبذل ما يستطيع من جهد لإثبات سيطرته وهيمنته ، بالغاء ومحو أي رأي خلاف رأيه ، وهو حين يفعل ذلك يضع

الزوجة في موقف يحتم عليها أن تتخذ لنفسها موقفًا من ثلاث: - إما التصادم معه - أو مهادنة هذا الموقف المستفز والسكوت والهدوء. - أو دفع الزوج لفتح باب الحوار معها. فتأخذ شكل العناد السلبي ؛ لكسر صراحة رأي الزوج وتمييع قراراته ، كي تفتح ثغرة للحوار والمناقشة بأقل قدر ممكن من الخسائر. موقف عناد: وقف أحد الأزواج يرن جرس الباب وزوجته بالداخل نائمة لا تفتح وحجتها في ذلك أن معه مفتاحًا للباب ، فلماذا يرن الجرس ويزعجها بالنهوض لفتح الباب له واستقباله؟ وتعتبر ذلك نوعًا من الاستعباد لمجرد السيد الرجل وسيطرته ، وظلت تهذي بهذه الأفكار المنكرة على الرغم من أنها رأتها حاملة في كلتا يديه بعض طلبات البيت من خبز وفاكهة وخلافه ، وأنه كان يستعين ببعض ما تبقى له من أجزاء يده في رن الجرس ، وظلت تبادله الحجة بالحجة وتجادله وترد عليه كلمة بكلمة ، وأنه كان بإمكانه وضع ما معه على الأرض ، حتى يفتح الباب بالمفتاح ثم يحمل هذه الأشياء مرة أخرى ، فهل هذه الزوجة تنشد الاستمرار والنجاح مهما كان زوجها صبورًا واسع الصدر؟ إن عناد الزوجة تدفع الزواج على طريق شائك. من أسباب العناد: - قد يكون السبب في عناد الزوجة راجع الى الزوج ، فإن تسلط الزوج وعدم استشارته للزوجة وتحقير رأها والاستهزاء به يدفع الزوجة الى العناد. - عدم تكيف الزوجة مع الزوج والشعور باختلاف الطباع ، فيكون العناد هو صورة التعبير عن رفض الزوجة سلوك زوجها. - عدم الانسجام بين الزوجين في حياتهما الزوجية. - قد ترجع أسبابه الى أسباب في النشئة والتربية. - للعناد أسباب نفسية وتربوية مختلفة، تختلف باختلاف التربية الأسرية ، والعلاقات الودية ، وأسلوب الثواب والعقاب ، ومستوى الوعي الثقافي والفكري ، ودرجة النضج والإدراك ، إلى غير ذلك من أسباب. والعناد نوعان: إيجابي وسلبي. العناد الإيجابي ويتمثل في عناد الإرادة والتصميم! وهو إذا أصر الطفل على محاولة إصلاح لعبة أو غيرها محاولات عديدة حتى يصل إلى إصلاحها تمامًا ، وهذا النوع من العناد نشجعه وندعمه حتى تقوى إرادة الإنسان في الوصول للنجاح. أما العناد السلبي فيأخذ صورًا مختلفة نتيجة أسلوب وطريقة التربية الأسرية ، فهناك عناد مفتقد للوعي والإدراك والنضج ، مثال إذا أصرت الزوجة على شراء أشياء كمالية لا داعي لها ، وظروف زوجها المالية لا تسمح ويحاول إقناعها بشتى الطرق ولكنها تصر على طلباتها دون وعي وإدراك بظروف زوجها ، فتتسبب له في مشكلات عديدة ، ويحدث بينهما فجوة. كما أن هناك من الزوجات من تعتقد أن إصرارها على مواقفها يدل على قوة شخصيتها ويزيد من قيمتها ومكانتها عند زوجها فيحقق لها ما تريد. علاج العناد بين الأزواج: - معرفة أسباب العناد. - معرفة ما يغضب كل طرف لمراعاة مشاعر الطرف الآخر وفي حالة الخطأ يعترف بالخطأ ويعتذر. - قليلًا من العناد وكثيرًا من الحب والود واللين والمرونة. - تجنب موطن النزاع والبحث عن النقاط المشتركة ، فمن المعروف أن العلاقة الزوجية القائمة على التفاهم والوضوح والتوضيح والتسامح والتجاوز عن الهفوات ، والتغاضي عن الزلات تساهم في استمرار الحياة الزوجية وقوتها بحب ومودة واحترام ، أما إن قامت العلاقة بين الزوجين على الأنانية والعناد وتصيد الأخطاء والمشاجرات المستمرة على كل صغيرة وكبيرة ، فإن ذلك يسرع بتصاعد الأسرة وتنكسها ، ويشتت شمل أفرادها ، وقد يقضي على كيانها. - المرأة المسلمة تراعى زوجها لأنه أمانة في يدها ، فهي منبع الإحساس والرحمة والمشاعر وتدقق الحنان ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك: «ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة: الودود الولود الغيور على زوجها التي إذا أدت أو أوديت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول: "والله لا أدوق غمضًا حتى ترضى عني" هي في الجنة هي في الجنة» (رواه الطبراني). - دخول طرف ثالث: من أحد الأسرتين أو كليهما ، استشارة زواجية ثم علاج زواجي أو عائلي. ودخول الطرف الثالث يصبح ضروريًا في حالة إصرار أو عناد أحد الطرفين أو كليهما ، وفي حالة تفاقم المشكلة بما يستدعي جهودًا خارجية لاستعادة التناغم في

الحياة الزوجية بعد إحداث تغييرات في مواقف الطرفين من خلال إقناع أو ضغط أو ضمانات خارجية تضمن عدم انتهاك طرف لحقوق الآخر). هـ. ألا إن انتقاد الزوج في كل أمر سواً كان على حق أم كان على غير الحق ، أمرٌ يزهقُ رُوحَ العشرة الزوجية! وزوج قصيدتنا صبراً طويلاً ، ودعا الله تعالى وألح في دعائه أن يهدي الله تعالى هذه الزوجة ، وانتظر أن تُقلع عن هذه العادة السيئة المسيئة التي تحرقُ الأعصاب وتوترُ النفس وتُحزنُ القلب وتقلقُ الوجدان وتُعذبُ الروح وتكسرُ الخاطر! كما اعتاد الزوج أن يُبرر ويُبين وجهة نظره ويسوق دليل براءته ، ولمّا لم يجد تحسناً أو تغييراً اكتفى بالصمت والتجاهل والتغافل! فاتخذتِ الزوجةِ الراحنة من سلوكه هذا ذريعةً للنيل منه وسلماً لإهانته في المنشط والمكروه ، في السر والعلن! وتدخلُ أهلها الحمقى بناءً عن طلبها ، وأفشّت أسرار زوجها لهم ، فوسّعتِ الهوة ، وبين الإدانة والإهانة كانت هناك حياة زوجية مُرة وبات العدمُ خيرٌ منها! وازدادت رُعونتها للحد الذي جعلها تتأففُ من كل شيءٍ يتعلّقُ بزوجها: كلامه وسلامه ، لباسه ومشيته ، مظهره ومخبره ، سره وظاهره ، رانحته وتسريحة شعره ، قراراته وآراؤه وأفكاره! وراحت تُفشي من أسرار الرجل ما يُشينه أمام أولاده وأمام أهلها وأمام الضيوف والجيران! واستغلتُ شيخوخة الرجل وضعفه وهوانه وقلة حيلته وفقره الذي كان سبباً مباشراً فيها نظامها المالي وتدخلُ أهلها وإعطائها الضوء الأخضرَ لهم ليتصرفوا في ماله كيف شاؤوا إلى أن أصبح فقيراً بينه وبين مدّ كفه للناس ليأكل قليلٌ مسافةً ، لولا سترُ الله تعالى! فبانتُ حقيقتها أن بها رعونة تتوزعُ على قارة أفريقيا! فلم يعد لها في قلبه مكان ، ولم يعد لها في نفسه احترام ، فكرها بقدر ما كان يحبها وربما أكثر! وكانت قد رحبتُ ببُعده عنها وافتراقه ، ورأت في ذلك فرحةً تُسليها ، وكنْتُ قريباً منهما ، وأعرف كثيراً عن حياتهما ، فكتبتُ هذه القصيدة بهذا العنوان القاسي نذيراً لها ، ولكل زوجة راحنة ناشرة! عسى الله أن يأتي بالفتح أو بأمر من عنده!

غَمَزْتُ لِحَبْكَةِ الشُّعْرِ الِيرَاعَا	فَنَاوَلْنِي - مِنَ التَّبِيَانِ - بَاعَا
وَلَقَنْتَنِي مِنَ التَّحْذِيرِ دَرَسَا	يُجَنَّبُنِي الْمَذَلَّةَ وَالضَّيَاعَا
وَنَاصَرَخَنِي بِأَنْ أَحْيَا طَلِيقَا	وَإِنْ عَانَيْتُ فِي الْعَيْشِ الصَّرَاعَا
يَمِينُ اللَّهِ لَا يَرْضَى بِذَلِ	أَبِي نَفْسَهُ لِهَ اللَّهِ بَاعَا!
وَكَيْفَ يَعِيشُ مَبْتَنَسَا حَزِينَا	يُكَابِدُ الْإِنْكَسَارَ وَالِاخْتِضَاعَا؟!
وَهَذَا الْعَيْشُ مَدَّ بَعْدَ جَزَرِ	كَمَثَلِ الْبَحْرِ يَمْتَحِنُ الشَّرَاعَا
وَكُلُّ النَّاسِ يَلْحَقُهُمْ بِلَاءُ	تُقَسِّمُ بَيْنَهُمْ صَاعَا فَصَاعَا
فَعَبِدْ صَاعُهُ فِي كَسْبِ قَوْتِ	فَمَدَّ الْكَفَّ يَخْتَرِمُ الذَّرَاعَا
وَعَبِدْ صَاعُهُ فِي ابْنِ غُضُوبِ	يُنَاوِلُهُ التَّمْذِيرُ الْإِنْدِفَاعَا
وَيَسْقِيهِ الْعَقُوقُ كَوُوسَ قَهْرِ	وَيُفْلِحُ لَوْ تَعَقَّلَ أَوْ أَطَاعَا
وَعَبِدْ صَاعُهُ فِي الْبَنْتِ تَعْصِي	وَتَكَرَّرَهُ الْاجْتِهَادَ وَالِاطْلَاعَا

كَانَ السُّتْرَ مَا اشْتَرَعَ اشْتَرَا
وَخَطَبُ عُقُوقِهَا الْعَاتِي تَدَاعَى
فَأَصْهَارٌ عَلَيْهِ غَدَا سِبَاعَا
وَيُزَكِّي الشُّكْرُ بَدَلًا وَانْتِفَاعَا!
غَدَا فِي سُوءِ جِيرَتِهِمْ ضِبَاعَا
عَلَى كَيْلِ الْأَذَى اجْتَمَعُوا اجْتِمَاعَا
وَإِنْ أَمَرُوا غَدَا أَمْرًا مَطَاعَا
يُطِيعُهُمْ ، وَيُبِيدِي الْاِقْتِنَاعَا
عَلَيْهِ ، وَصَمْتُهُ أَمْسَى دِفَاعَا
وَبَاتَتْ فِي النَّسَا الْأَخْزَى طِبَاعَا
وَتَخْتَرَعُ الْفِرَى عَنْهُ اخْتِرَاعَا؟!
وَتَلْقَى مِنْ أَقْرَبِهَا اسْتِمَاعَا؟!
وَمِنْ أَلْفَاظِهَا التَّعَا التِّيَاعَا؟!
فَأَيْنَ الرُّشْدُ إِمَّا السَّرُّ ذَاعَا؟!
وَيُمْسِي الْكَلُّ إِنْ كَادَتْ جِيَاعَا
غَرَامًا ، وَاسْأَلُوا عَنْهُ الْيِرَاعَا!
وَدِيَوَانًا لَهَا مُلْكًا مُشَاعَا!
وَأَحْرَى أَنْ يُسَمِّيَهَا لِكَاعَا!
قَصَائِدُهَا تَجَاوَزَتْ الرِّبَاعَا!
قَرِيضًا شَمْسُهُ تُرْجِي الشَّعَاعَا
وَشِعْرُ (الْقَيْسِ) عَنْ (لَيْلَاهُ) شَاعَا!

وَتَتَّخِذُ السُّفُورَ لَهَا سَبِيلًا
وَلَا تَرَعَى أَوْامِرَ مَنْ يُرَبِّي
وَعَبْدٌ صَاعُهُ نَسَبٌ وَضِيْعٌ
بِهِ انْتَفَعُوا ، وَمَا شَكُرُوا جَمِيلًا
وَعَبْدٌ صَاعُهُ جِيرَانُ سُوءٍ
فَمَا حَفِظُوا الْجَوَارِ وَلَا التَّآخِي!
وَعَبْدٌ صَاعُهُ مُدْرَأٌ كَادُوا
كَأَنَّ مَوْظِفًا وَرَثَوَهُ عِبْدًا
وَعَبْدٌ صَاعُهُ زَوْجٌ تَأَبَّتْ
تَعِيبٌ عَلَيْهِ فِي سِرِّ وَجْهِهِ
وَكَيْفَ تَعِيبُ زَوْجًا دُونَ حَقِّ
وَكَيْفَ تُدِينُهُ فِي كُلِّ شَأْنٍ
وَكَيْفَ تَنَالُ مِنْهُ وَتَزْدْرِيهِ
وَكَيْفَ تُذِيعُ أَسْرَارًا وَتُفْشِي؟
وَإِنْ يَغْضَبُ فَنَقِمْتُهُمَا عِلَاجُ
وَكَيْفَ تُهَيِّنُ زَوْجًا ذَابَ فِيهَا
لَهُ فِيهَا الْقَصَائِدُ لَا تُبَارَى
تَسْمَى بِاسْمِهَا حَبَابًا وَوَدَاً
وَأَدْخَلَهَا بِهِ التَّارِيخُ فَضَلَى
يُغْنِيهَا الْأَنْبَاءُ بِكُلِّ صُقْعٍ
يُحَاكِي شِعْرَهُ مَا صَاغَ (قَيْسٌ)!

بـ (عبلة) ، والقريضُ غزا السماعا
بتعيينر قد اجتلب الوجاعا؟!
فإن يك مولد حمل القصاعا!
وهم قومٌ يجيدون الخداعا
بكل يدٍ تُوجج الاضطراعا!
وأسقط بالمواجهة القناعا
يزيدُ السترُ من هبطوا ارتفاعا!
مقالاً بُعدُه اتسع اتساعا
يُناولُه إذا قرأ الصُّداعا
فصاغ المكَرَ كال له صُواعا!
بسوءٍ مَجَّ صاحبه النزاعا
ليجهرَ ناشراً بالصاع صاعا
قد احتاجت مكاندُهم شجاعا
سُفوحُ البند جاز أم الطلاعا!
فإن الحق يُنتزعُ انتزاعا!
فما الأمرُ استوى كالأمر ماعا!
قد اتبع الهدى فيها اتباعا
لعل الهُزء يُقتلُ اقتلاعا
غدا حلاً جميلاً مستطاعا
يُعيدُ الحق مُذ ولى وضاعا!

يُحاكي (عنتراً) ، والشعر يسمو
فكيف تُحوّل المدح انتقاصاً
وتجعلُ منه (بهاولاً) تدنى
غدا أضحوكة بجمي ذويهها
إدانتُها له أمست سلاحاً
فما احترموه ، بل عابوه جهراً!
فعرى الكل ، لم يستر عليهم
ولم يك ظالماً إذ قال فيهم
فخصَّ بكل مُجترم قصيداً
وردَّ على إهانتها بعدل
فليس يُحبُّ ربُّ الناس جهراً
فإن ظلمَ البريء ، وضاع حق
وأسفرت الإبانة عن لئام
يردُّ على الأراذل ، لا يُيالي
وينتزعُ الحقوق من الخزايا
ولا يحتاج أمرهم التروى
له حيلٌ ثلاثٌ في التلاحي
فأولاهما القريضُ له شواظ
وثانيها الدعاء على غلاظ
وثالثها انتظار لقضاء ربِّ

المرأة العنيدة شووم!

(أيها الجادون المقبلون على الزواج ، إياكم والمرأة العنيدة ، فإنها شوومٌ محققٌ ، ولا تبني بيتاً ولا تربي ولداً ، ولا تسعد زوجاً! النساء العنيدات يا قومنا هن الفاشلات في الزواج وفي علاقتهن حتى مع الأقارب! لماذا يا ثرى؟! والجواب: لأنها ستدخل في شدٍ وجذب . وتتبع صوت أنانيتها لتغلبه ، وفي الحقيقة هي تفشل أمام عناد زوجها ، وعناد من حولها فالرجال يشهدون عناداً أمام الزوجة العنيدة ، ويلينون أمام المرأة الخاضعة! باختصار المرأة العنيدة غبية جداً ، فهي تظن أنها حينما تتشبث برأيها وتقف أمام العاصفة ستفوز ، وتنسى أنها إن فازت رأياً وموقفاً ، فهي تظن كذلك أنها انتصرت بحمقها ، إلا أنها خسرت قلباً ربما كان يحبها. وتدمر أسرة وتتسبب في يتم أطفال ، ولن تدرك معنى الخراب إلا مؤخراً! المرأة التي تحنني لتمر العاصفة ؛ هي المرأة الحكيمة العاقلة التي تعمر بيتاً للأبد ، والمرأة التي تقف كالعود اليابس هي من تنكسر وقد لا يجبر كسرهما! والمرأة العنيدة المتشبثة برأيها ، والتي تؤمن بمبدأ أنا أغلب وأنت تخسر ؛ إنما تدمر نفسها قبل أن تدمر الآخر. وتعيش حياة كلها حسرات تتجرع مرارتها في الدنيا والأخرة! إن النساء العنيدات ينتهي بهن الحال إلى الطلاق وفشل حياتهن الأسرية والاجتماعية! والأعرابية أمامة بنت الحارث توصي ابنتها ليلة زفافها بحكمة رائعة ومجربة ، ووصية أكدت عليها زوجات ناجحات وهي: (كوني له أمةً يكن لكي عبداً!) إن أغلب الرجال طيبون وكرماء وحليمون جداً ، إلا أن الزوجات العنيدات يُحوّلنهم إلى أعداء! ومن ظنت أنها بعنادها وكرامتها التي لا تريد أن تخفضها لزوجها وقد اطلع على كل شئ في جسدها ، وليس كرامتها فقط سوف لن يطلقها زوجها خوفاً على أولاده ، فهي مخطئة فلصبره حدود قد يفيض الكأس يوماً ، ويستريح منها ، ومن عنجهيتها ، حتى لو أنجبت له موسى وعيسى!)

لا شئ يُفسد ذات البين كالعندِ وهل لبعل تعيش الزوج كالنَدِّ؟!
كم يُخربُ العندَ بيتاً عامراً أبدأ! ما كان يُخربُ لولا العندُ ، ذا قصدي
كم زوجةٍ حصدتُ بالعندِ شِقوتَها! ونارُ فتنتها تأوي إلى الخمد!
شوومٌ هو العندُ إن طمّنت كوامنهُ وما لنكبتَه النكراءِ من حد
تأبى العنيدة أن تحيا مسالمة تريدُ بالسَّلم عيشاً وافراً السعد
وللعنيدة منهاجٌ به عُرفت لا تستريحُ سوى في المكر والكيد
وتنقذُ الزوج في سر وفي علن بأفحش القول والتهويل والسرد
مزاجها كخضمٍ كم تجندلُها ريحٌ تُعاود بين الجزر والمد!
إرضأوها مستحيلٌ ليس يبلغه زوجٌ تميّز بالإقتناع والرشد
ولا ترى غيرَ ما رأَتْ بصيرتها وما يرى الغيرُ لا تراه عن عمد

ولا تميّل إلى الحُسنى ولا اللمد
لكن تلوذ بما يُغري من العند
من بعد أن قطعت أوامر الود
ولا تشيدُ به في زحمة الحشد
ذرعاً ، وكابدَ بين الأخذ والرد!
ولو تُراجِعْ تُبدي وازع الحقد
بُغض الحليل لعمر دونما زيد!
في الساقطات بلا حصر ولا عد
من ساقطي الصين أو من هازلي الهند
خضوعَ جارية في الأسر والقيد
شنتان شنتان بين الحرِّ والعبد!
إن الزواج بها يُذني من اللحد!
تنل جمال التقى في رقة الخود!
وذكرها في النساء أذكى من الورد
وتشفع الطاعة العصماء بالتيّد
صدقٌ تُعوهد في وعدٍ وفي عهد!
من حرمة البيت والأموال والولد
في السر يعلمه المهيمن المبيدي
ما أجمل العيشَ في منظومة الزهد!

تُزري بمن حولها ، فالكبر طابعها
لا تستشير إذا الشورى لها عرضت
تسيرُ والعُجبُ لا تقوى تُبدده
ولا تُوقرُ زوجاً في مجالسها
ولا تُطيع له أمراً ، فضاقَ بها
وتهجرُ البيت لا إذن ولا طلب!
وتُدخلُ البيت من تهوى ، وقد علمت
وتلبسُ الثوبَ وفق العادة اشتهرت
واستسلمت لسراب الزيف سيق لها
وبعدُ قلدتِ الموضوعات خاضعة
فهل رأيتُ زوجها عبداً لتحقّره؟!
ما في العنيدة خيرٌ يرتجى أبداً
تزوج الخود يا ابن الناس طيبة
تسرُّ إن نظرتُ عيناك هينتها
وإن أمرتُ أطاعت دون حدقّة
وإن حلفت عليها صدقتُ ، ولها
وإن تغبُ حفظت ما قد تركت لها
تخافُ ربَّ الورى في الزوج آمنها
وترتضي العيشَ بالقليل قد قنعت



فَبُوتُ مِنْ زَلَّتِي بِالْعِيشَةِ الدُونِ!
 وَانصَعْتُ لِلهَاجِسِ الْمُخْتَجِّ بِالدِينِ
 وَكَمْ يُغَرِّقُنِي بِقَوْلِ مَلْسُونِ!
 لَخَادِعِينَ ذَوِي خُتْلٍ دَهَاقِينَ
 لَمَّا اسْتَعَارُوا لَهُ أَحْلَى الْمُضَامِينِ
 فِي عَالَمِ سَيِّئِ الْأَوْصَافِ مَدْجُونِ
 وَكُنْتُ عَامِلْتُ كُلَّ النَّاسِ بِاللِّينِ
 وَمَا مَنَنْتُ ، وَمَا سَاعَتُ أَظَانِينِي

أبنائي الغرَّ خاتنتني أظانيني
 أخذتُ بالمنطق المدهون فلسفة
 وغرني قول (زيد) قبل فعلته
 ومِلْتُ مَيْلاً عَظِيماً لَا حُدُودَ لَهُ
 ثُمَّ اتَّبَعْتُ الَّذِي صَاغُوهُ مِنْ دَجَلِ
 وَكُنْتُ بَيْتُ حُسْنِ الظَّنِّ تَكْرِمَةَ
 وَكُنْتُ أَخْلَصْتُ فِي سِرِّ وَفِي عِلْنِ
 عَدَيْتُ خَيْرِي لِغَيْرِي ، وَالْجَمِيعُ رَأُوا

أبنائي الأعماء هذي تماياكو!

(لا بد من أن يكون لأبناء الشاعر وبُنياته نصيبٌ من شعره!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

الإهداء

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وبعد. فإن فكرة: (القصائد المنتقاة) يعمد إليها الشعراء بعد باع طويل وأمد عميق من الكتابة والتأليف والنظم والتنقيح تلي المعاناة والتجربة أو مصاحبة لها ، ولقد يعمد إليها المخلصون للشاعر ، بعد رحيله أو دار النشر والطباعة التي يتعامل معها أو التي تبنت شعره من البداية ، أو يعمد إلى ذلك ورثة الشاعر من الأولاد الطيبين الصالحين البارين بأبيهم الشاعر ، والذي لم تجمع كل أعماله الشعرية أو النثرية أو العلمية أو الأدبية بصفة عامة في حياته ولم تتألف آثاره وأعماله في عمل واحد يجمع شتاتها كما أن الأقدار ربما لم تمهله ليقوم بذلك بنفسه على خير وجه ، وكذا ربما عاجلته منيته وأتاه الكأس الذي لا بد من أن يشرب منه البشر كلهم ، فلم ير أعماله كلها أو بعضها ينتظمها عقدٌ واحدٌ بخيطٍ واحدٍ في مسبحةٍ واحدة. من أجل ذلك وخوفاً على ضياع الأعمال الأدبية والشعرية التي قمتُ بكتابتها في مشوار حياتي في شتى المناسبات والأحوال والظروف ، قمت بذلك بنفسي فنقحتُ وزدتُ وحذفتُ وقررتُ وعدلتُ وأضفتُ ، ولا أزال على نفس الوتيرة ونفس الأسلوبية من التنقيح والاستبدال والإضافة والحذف والتزويد والإقرار ، ريثما أرى أن هذه الأعمال قد وصلت إلى درجة من الإبداع والجمالية في مرحلة أَرْضَى عنها - وما هي ببالغة هذه الدرجة - لأنها سُنَّة الله في كل كاتب: شاعرا كان أو ناثرا ، أديبا كان أو عالما أو كاتباً ، لا يزال يرى الواحد منهم من أن أعماله مفتقرة إلى مزيد من الإبداع ومزيد من الجمالية ومزيد من الإضافة ومزيد من الحذف ومزيد من الاستبدال. وصدق العماد الأصفهاني عندما قال: (اني رأيتُ أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه ، إلا وقال في غده: لو غير هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، ولو قدّم هذا على ذاك لكان يُستحسن ، ولو زيد هذا لكان أليق ، وهذا من أعظم العبر). وفكرة: (الأعمال الكاملة) تجمع أعمال الأديب كلها جنباً إلى جنب حتى إذا كان فيها إمتاع وفائدة استطاع الباحث والأديب الانتفاع بها وإجراء الدراسة عليها والبحث في أسلوبيتها مجتمعة. ولقد تعرض غير واحد للذي كتبتَه بالنقد والتمحيص ، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر والنوايا ، فكانت لهم بعض المآخذ على شعرنا ، ومنها مآخذ فنية وأخرى أسلوبية وثمة بعض المآخذ الواقعية المعرفية ، وأخرى تعبيرية. واحترتُ بين هذا السيل من المآخذ وهذه القلوب ماذا تنوى ، أهي هممٌ جادة واعية ونفوس صافية؟ أم أنها أقوام وشرانم كان الدافع من نقد الواحد منهم لشعري هو الحقد والحسد؟ أم أنها نظرات كانت المرجعية لنقدها لشعري هي الأهواء والشهوات وما يكون بين خصم وخصم؟ قلت: ولا أزال أقول سوف أظل أقول ما حييت: إن لنا من الناس ظاهر أمرهم ، والله يتولى سرانهم وخفاياهم نعم رب الناس تعبدنا بظاهر الناس وما كلفنا قط بأن نفتش في عُيوبهم ونطعن نواياهم ونتهم مقاصدهم من كلامهم وأفعالهم ، بل وما كلف أنبياءه بشيء من ذلك. ومن هنا رحّت أنظر إلى الانتقادات التي وجهت لشعري نظرة المتجرد المحايد الذي يريد الوصول إلى الحق بكل جدية ، والذي ينشد الكمال والموضوعية في البحث والقول والفعل ، وشكرتُ كل من تصدق علي وأهدى إليّ عيوب شعري ورحتُ أعدل من أخطائي وعيوبي وأقوم من زللي واعوجاجي ، ذلك أنني ابتداء لا أنظر إلى شعري نظرة الكمال والجمالية والإبداعية المطلقة ، بل أراه لازال يفتقر إلى الكثير منها. ولقد قام بنقد معظم دواويني الأستاذ الشاعر / سالم محمد سالم النوبي - (مصر - الدقهلية - أجا) - موجه اللغة العربية بمكتب عجمان التعليمي ، وكم انتفعتُ بكل الذي وجهه لي من النقد ، وكم كان الناصح الأمين والمربي الفاضل ، فقلد وجهني وأرشدني ،

ونصحتني ، وكنت منه بمنزلة الابن من الوالد. وكان قد اعتاد على عقد الندوات في بيته بعجمان داعياً إليها الأدباء والشعراء والكتاب ، أصحاب الفن والتجربة من النحارير أصحاب الباع في لغة الضاد نثرها وشعرها وأدبها! فجزاه الله عني وعن شعري خيراً! كما نقد ديواني الأول الشاعر الكبير / الدكتور السيد سلامة السقا ، وأرسل إلي عبر رسول يعرفه ويعرفني وانتصحت بالذي قال! فجزاه الله عني خيراً. أما الرسول بيني وبين الشاعر الدكتور السقا فكان الدكتور صلاح الدين الأجاوي! وجزى الله شاعرنا الكبير / السيد سلامة السقا خيراً كثيراً على الذي بذله لي من النصح والتوجيه والإرشادات والتوعية! وأذكر جيداً أنه كان من بين المآخذ المتكررة من أكثر من واحد ما بين شاعر ودارس للغة العربية ومحِب عاشق للغة الضاد وباحث للعربية أنني في معظم شعري أعمد إلى التسكين: أي أعمد إلى ما يعرف بـ: (القافية الساكنة) ، مما يدل على ضعف الملكة الشعرية واضمحلال الصياغة التركيبية ، ومما يشي بالضعف والقصور عن الأداء الصياغي والإعرابي. أقول: إنما غالى الأقبام وبالغوا ، إذ إنهم نظروا جميعاً فقط إلى ديوان (نهاية الطريق) وحده ، ولم ينظروا إلى غيره من الدواوين الأخرى مثل (عزيز النفس) والذي احتوى بين طياته عدداً من القصائد المُشكلة على اختلاف تراكيبها وبحورها وأوزانها وقوافيها وإيقاعاتها وأسلوبيتها وصياغة أبياتها ، ولقد كتب الشاعر الموحد / عمر بن الوردى وصيته الشعرية لولده (اللامية) ساكنة اللام وما عاب أحد عليه ذلك ولا نزال نطالع القصائد الساكنة القوافي لمختلف الشعراء عبر كل عصر ومصر ، بل نراها تملأ حتى دواوين شعر الفحول من شعراء الجاهلية والإسلام والعصر الحديث ، ولم ينكر عليهم أحد وهم الأقبام الجهابذة العباقر: في الشعر والقوافي. إذا كان الشيء ذاته من شويعر مثلي لا يزال يخطو أولى خطواته في الشعر ، فليس يقبل منه ، ويتهم بالضعف والركاكة والتكرار للمعاني والقوافي؟ كما أنه قد أخذ - فيما أخذ - عليّ تفكك الأبيات وافتقار شعري إلى ما يعرف في الشعر بالوحدة العضوية في القصيدة ، والحقيقة أن العيب في هذه ليس عيبي بل هو عيب القارئ الذي يجهل قواعد كتابة الشعر العربي ولم يُحظ علماً بطريقة الصياغة لهذا الشعر ، ولم يكلف نفسه عنت شراء كتاب يعرفه الشعر والشعراء ، أقول: إن شعراء المدرسة الكلاسيكية (التقليدية) يعتبرون البيت الواحد قائماً مقام القصيدة ، فهو يؤدي فكرة قائمة بذاتها ومن هنا فإن وحدة البيت من وحدة القصيدة ، وأنا من شعراء هذه المدرسة في جُل شعري ، إن لم يكن كله. كما أخذت عليّ تلك النبرة الحزينة المكروبة واستعمال ألفاظ مثل: (الجوى - الحزن - الكرب - الوجد - الأسف - الحسرة - الآهة - العذاب - الألم - المرار - الهم - الغم - الضنك - التوجع) في كثير من القصائد! أقول: سبقني إلى ذلك شعراء كثيرون لم ينكر عليهم أحد ، والملاحظ أنني بعدما عدت للذي كتبت فما وجدت نبرة الاسترسال في العذاب ولا الاستمرار في البلاء والكرب ، كلا إنما وجدت المقدمة الحزينة الطلية الباكية على الأطلال ، بل على الإيمان وما يتصل به من قضايا ومن رجال ومن معتقدات ، فهو البكاء على هم الحنيفة السمحة ، وليس على فراق المحبوبة. ولا أكثر الحديث لأنه لا خير في حشو حديث ليس يفيد وإنما العبرة بالإشارة. وعموماً تناولت عدداً من هذه القضايا! وقمتُ بالرد عليها في مقدمات القصائد وفي مقدمة (من وحي الذكريات) فيما يزيد على مائة صفحة! أما مجموعتي الشعرية هذي: (أبنائي الأعمام هذي تحاياكم!) فهي مجموعة من القصائد التي توضح للقراء الأعمام أن الوفاء والإخلاص في الأبوة لا يضيع أجره عند الله تعالى! وأن مسؤولية الوالد في الإسلام كبيرة! إن كل شاعر لا يجعل لأبنائه ولزوجته ولأسرته من شعره نصيباً لمقصرٍ تقصيراً كبيراً!

المقدمة

الحمد لله العظيم الجليل القدر ، المنفرد سبحانه بالبقاء والقهر ، الإله الواحد الأحد ذي العزة والستر ، لا ند له في السماوات ولا في الأرض فيبارى ، ولا شريك له في السماوات والأرض فيدارى ، كتب الفناء والزوال على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا ، وعقبى الكافرين النار ، قدر مقادير الخلائق وأقسامها ، وبعث أمراضها وأسقامها ، وخلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ، جعل للمحسنين الدرجات ، وللمسيئين الدرجات. فحمداً لك اللهم مفرج الهموم ومنفس الكروب ومبدد الأشجان والأحزان والغموم ، جعل بعد الشدة فرجاً ، وبعد الضر والضيق سعة ومخرجاً ، لم يُخل محنة من منحة ، ولا نقمة من نعمة ولا نكبة ورزية من هبة وعطية ، نحمده على خلو القضاء ومُره ، ونعوذ به من سطواته ومكره ، ونشكره على ما أنفذ من أمره ، وعلى كل حال نحمده سبحانه. هذه السماء أيها الناس رفعت هكذا بغير عمد ترونها ، أسألكم: من رفعها؟ وبالكواكب من زيتها؟ والجبال من نصبها؟ وهذه الأرض من سطحها وذللها وقال في شأنها: (فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا)! وهذا الطبيب الذي يصف الدواء لمرضاه ، من أسقمه وأمراضه وأرداه ، وقد كان يرجى بإذن ربه شفاه؟ وهذا المريض وقد يُئس من علاجه ، من عافاه؟ وهذا الصحيح من بالمنايا رماه؟ وهذا البصير في الحفرة من أهواه؟ وهذا الأعمى في الزحام من يقود خُطاه؟ وذلكم الجنين في ظلمات ثلاث من يرعاه؟ وهذا الوليد من أبكاه؟ وهذا الثعبان من أحياه ، والسَّم يملأ فاه؟! وهذا الشَّهد من حلَّاه؟ وهذا اللبن من بين فرث ودم من صفَّاه؟ وهذا الهواء تحسُّه الأيدي ولا تراه من أخفَّاه؟ وهذا النَّبت في الصحراء من أربَّاه؟ وذلكم البدر من أتمَّه وأسراه؟ وهذا النخل من شقَّ نواه؟ وهذا الجبل من أرساه؟ وهذا الصخر من فَجَّر منه المياه؟ وهذا النهر من أجراه؟ وهذا البحر من أطغاه؟ وهذا الليل من حاك نُجَاه؟ وهذا الصُّبح من أسفره وصاغ ضحاه؟ وهذا النوم من جعله وفاة؟ ومن جعل تلك اليقظة منه بعثاً وحياة؟! وهذا العقل من منحه وأعطاه؟ وهذا النحل من هداه؟ وهذا الطير في جو السماء من أمسكه ورعاه؟ ومن في أوكاره غَدَّاه ونمَّاه؟ إنه الله الرب القدير والخالق الكبير! أستحلفكم بالله تعالى سؤلاً دوماً يجول في خاطري: الطاغوت الجبار الظالم في دنيانا هذي من يقصمه؟ والمظلوم الذي ضاقت به السبل من ينصره؟ والمضطر الذي عدم من يعينه من البشر من يجيبه؟ والملهوف من يغيثه؟ والضال من يهديه؟ والحيران من يرشده؟ والعارى من يكسوه؟ والجائع من يشبعه؟ والكسير من يجبره؟ والفقير من يغيثه؟ أنت أيها الإنسان ، أنت مَنْ خلقتك؟ من صورك؟ من شق سمعك وبصرك؟ من سواك فعذلك؟ من رزقك؟ من أطعمك؟ من آواك ونصرك؟ من جعل ملايين الكائنات ترتادُ وأنت لا تشعر فمك؟ ولو اختلفت لاختلفت وظائف فمك. من هداك؟ إنه الله الذي أحسن كل شيء خلقه. لا إله إلا هو. أنت من آياته ، والكون من آياته ، والآفاق من آياته ، تشهد بوحدانيته. إن تأملت ذلك عرفت حقاً كونه موحدًا خالقًا؟ وكونك عبدًا مخلوقًا ، الكون كتاب مسطور ينطق تسبيحًا وتوحيدًا ، وذراته تهتف تمجيدًا: (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ). ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عدة الصابرين وسلوان المصابين ، الكريم الشكور ، الرحيم الغفور ، المنزه عن أن يظلم أو يجور ، الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون. ونشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه ، وأمينه على وحيه ، أعرف الخلق به ، وأقومهم بخشيته ، وأنصحهم لأمته ، وأصبرهم

لحكمه ، وأشكرهم على نعمه ، أعلاهم عند الله منزلة وأعظمهم عند الله جاهاً ، بعثه للإيمان منادياً وفي مرضاته ساعياً ، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً ، بلغ رسالة ربه وصدع بأمره ، وتحمل ما لك يتحمله بشر سواه ، وقام لله بالصبر حتى بلغه رضاه ، دعانا إلى الجنة وأرشدنا إلى إتباع السنة ، وأخبر أن إعلاننا منزلة أعظمتنا صبراً ، من استرجع واحتسب مصيبته كانت له ذخراً ومنزلة عالية وقدرأ ، وكان مقتفياً هدياً ومتبعاً أثراً. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأزواجه وذرياته الأخيار وسلم تسليماً كثيراً متصلاً مستمراً ما تعاقب الليل والنهار. وبعد فإن لنا الفخر ونحن نفتتح مع قرآنا الأحبة مجموعتنا الشعرية الغالية: (أبنائي الأعزاء هذي تحاياكم!) تلك الباقية الوقورة المحترمة من الأشعار الهادفة البناءة! والتي كان من المتوقع أن تظهر متأخرة عن هذا التوقيت ، ولكنني عجلتُ بها لأخفف عن الأحباب القراء مؤنة الانتظار للقوائد الأسرية التي تصور معاني الأبوة الحانية ودفء العائلية!

الإفتتاحية

الحمد لله تسبحة البحار الطوافح ، والسحب السوافح ، والأبصار اللوامح ، والأفكار والقرائح ، العزيز القوي في سلطانه ، الكريم في امتنانه ، ساتر المذنب في عصيانه ، رازق الصالح والطالح! تقدس عن مثل ونديد وشبيهه ، وتنزه عن نقص يعتريه ، يعلم خافية الصدر وما فيه ، من سر أضرته الجوانح ، لا يشغله شاغل ، ولا يبرمه سائل ، ولا ينقصه نائل ، تعالى عن الند المماثل ، والصد المكادح ، يسمع تغريد الورقاء على الغصن ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ويتكلم فكلامه مكتوب في اللوح مسموع بالأذن ، بغير آلات ولا أدوات ولا جوارح ، أنزل القطر سبحانه بقدرته ، وصبغ لون النبات بحكمته ، وخالف بين الطعوم بمشيتته ، وأرسل الرياح لواقح ، موصوف بالسمع والبصر ، يرى في الجنة كما يرى القمر ، من شبهه أو كيفه فقد تزندق وكفر ، هذا مذهب أهل السنة والأثر ، ودليلهم جلي واضح ، ينجي من شاء كما شاء ، ويهلك فهو المسلم للمسلم والمسلم للمهلك ، لم ينتفع يام أو كنعان بالنسب يوم الغرق لأنه مشرك ، قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، أحمده على تسهيل المصالح ، وأشكره على ستر القبائح ، وأصلى على رسوله محمد أفضل غاد وخير رائج ، وعلى صاحبه أبي بكر ذي الفضل الراجح ، وعلى عمر العادل فلم يراقب ولم يسامح ، وعلى عثمان الذي بايع عنه الرسول فيا لها صفقة رابح ، وعلى علي البحر الخضم الطافح ، وعلى عمه العباس الذي أخذ البيعة له ليلة العقبة وكل أهل نازح ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وهب طالحنا لصالحنا وسامحنا ، فأنت الحليم المسامح ، واغفر لنا ذنوبنا قبل أن تشهد علينا الجوارح ، ونبهنا من رققات الغفلات قبل أن يصيح الصائح ، وانفعي بما أقول والقارئ لشعري هذا بمنك ، فمك الفضل والمنائح! سبحان من أظهر العجائب في مصنوعاته ، ودل على عظمته بمبتدعاته ، وحث على تصفيح عبره وآياته ، وأظهر قدرته في البناء والنقض ، والهشيم والغض (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) ، وهلك كل الهالك وأدبر ، من نسي سعد من تدبر ، وسلم من تفكر ، وفاز من نظر واستعبر ، ونجا من بحر الهوى من تصبر ، الموت مع الشعر المبيض (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) ، يا أرباب الغفلة اذكروا ، يا أهل الإعراض احضروا ، يا غافلين عن المنعم اشكروا ، يا أهل الهوى خلوا الهوى واصبروا ، فالنديا قنطرة لكم فجوزوا واعبروا ، وتأملوا هلال الهدى فإن غم عليكم فاقدروا ، فقد نادى منادي الصلاح حي على الفلاح فأسمع أهل الطول والعرض! (قل انظروا ماذا في السموات والأرض)! (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) إنه ليس المراد بالنظر إلى ما في السموات والأرض ملاحظته بالبصر. يا من يرجو الثواب بغير عمل ، ويرجئ التوبة بطول الأمل ، أتقول في الدنيا قول الزاهدين ، وتعمل فيها عمل الراغبين ، لا بقليل منها تقنع ، ولا بكثير منها تشبع! تكره الموت لأجل ذنوبك ، وتقيم على ما تكره الموت له تغلبك نفسك ، على ما تظن ولا تغلبها على ما تستيقن ، لا تثق من الرزق بما ضمن لك ، ولا تعمل من العمل ما فرض عليك ، تستكثر من معصية غيرك ما تحقره من نفسك ، أما تعلم أن الدنيا كالحية ، لين لمسها والسم الناقع في جوفها ، يهوى إليها الصبي الجاهل ، ويحذرها ذو اللب العاقل ، كيف تقر بالدنيا عين من عرفها؟ وما أبعد أن يفظم عنها من ألفها! يا مبارزا بالذنوب خذ حذرک وتوق عقابه بالتقى! فقد أندرك وخل الهوى ، فإنه كما ترى صيرك قبل أن يغضب الإله ويضيق حبسه (ويحذرکم الله نفسه) اجتهد في تقوية يقينك ، قبل خسر موازينك ، وقم بتضرعك وخيفتك ، قبل نشر دواوينك وابدل قواك في ضعفك ولينك ، قبل أن يدنو العذاب فتجد مسه (ويحذرکم الله نفسه)! لما سمع

المتيقظون هذا التحذير ، فتحوا أبواب القلوب لنزول الخوف ، فأحزن الأبدان ، وقلقل الأرواح فعاشت اليقظة بموت الهوى ، وارتفعت الغفلة بحلول الهيبة ، وانهمز الكسل بجيش الحذر فتهذبت الجوارح من الزلل ، والعزائم من الخلل ، فلا سكون للخائف ، ولا قرار للعارف ، كلما ذكر العارف تفصيله ندم على مصابه ، وإذا تصور مصيره حذر مما في كتابه ، وإذا خطر العتاب بفنائه فالموت من عتابه ، فهو رهين الفلق بمجموع أسبابه. أسفا لمن ضيع الأوقات وقد عرفها ، وسلك بنفسه طريق الهوى فأتلفها ، أنس بالدنيا فكأنه خلق لها وأمله لا ينتهي. وأجله قد انتهى ، سلمت إليه بضائع العمر فلعب بها ، لقد ركن إلى ركن ما لبث أن ، وهي عجبي لعين أمست بالليل هاجعة ، ونسيت أهوال يوم الواقعة ، ولأذن تقر عنها المواعظ فتضحى لها سامعة ، ثم تعود الزواجر عندها ضائعة. ولنفس أضحت في كرم الكريم طامعة وليست له في حال من الأحوال طائعة ، ولأقدام سعت بالهوى في طرق شاسعة. بعد أن وضحت لها سبل فسيحة واسعة ، ولهمم أسرع في شوارع اللهو شارعة ، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة ، ولقلوب تضمر التوبة عند الزواجر الرائعة ، ثم يختل العزم بفعل ما لا يحل مراراً متتابعة ثلاثة بعد ثمانية وخامسة بعد رابعة ، كم يوم غابت شمس ، وقلبك غائب ، وكم ظلام أسبل ستره ، وأنت في عجائب ، وكم أسبغت عليك نعمه وأنت للمعاصي توائب ، وكم صحيفة قد ملأها بالذنوب الكاتب ، وكم يندرك سلب رفيقك وأنت لاعب ، يا من يأمن الإقامة قد زمت الركائب ، أفق من سكرتك ، قبل حسرتك على المعاييب ، وتذكر نزول حفرتك وهجران الأقارب ، وانهض على بساط الرقاد ، وقل أنا تائب وبادر تحصيل الفضائل ، قبل فوت المطالب ، فالسائق حثيث والحادي مجد والموت طالب. أسفا لغافل لا يفيق بالتعريض ، حتى يرى التصريح ولا تبين له جلية الحال إلا في الضريح ، كأنه وقد ذكره الموت فأفاق فانتبه لنفسه وهو في السباق! واشتد به الكرب والتفت الساق بالساق ، وتحير في أمره وضاق الخناق ، وصار أكبر شهواته توبة من شقاق ، هيهات مضى بأوزاره الثقيلة ، وخلا بأعماله واستودع مقيله ، وغيب في الثرى وقيل لا حيلة ، وبات الندم يلزمه وبنس اللاحي له ، فتفكروا أيها الناس في ذلك الغريب وتصوروا أسف النادم وقلق المريب ، فمثل حاله فليحذر اللبيب ، وهذا أمر تبعده الآمال وهو والله قريب. يا من صبح شبيهه بعد ليل شبابه قد تبلج ، ونذيره قد حام حول حماه وعرج ، كأنك بالموت قد أتى سريعاً وأزعج ، ونقلك عن دار أمنت مكرها وأخرج وحملك على خشونة النعش بعد لين اليهودج ، وأفصح بهلاكك وقد طال ما مجمج ، وأفقرك إلى قليل من الزاد وأحوج ، يا لاهياً في دار البلاء ما أقبح فعلك وما أسمع ، ويا عالماً نظر الناقد وبضاعته كلها بهرج ، ويا غافلاً عن رحيله سلب الأقران أنموذج. متى تترك ما يفنى رغبة فيما لا ينفد متى تهب بك ريح الخوف كأنك غصن يتأود ، البدار البدار إلى الفضائل والحذار الحذار من الرذائل فإنما هي أيام قلانل! أما بعد ، فها نحن أولاء بفضل الله وتوفيقه ومعونته قد فرغنا من صف وإخراج وإعداد مجموعتي الشعرية هذي: (أبنائي الأعراء هذي تحاياكم!) ونحمد الله تعالى أن أعاننا على إخراجها وصفها وتدقيقها وتحقيقتها وتصحيحها لغوياً وفنياً! وإنها لمجموعة شعرية توقفت عند مروءة صاحبها طويلاً! ولقد أكبرته على ما كان منه من الإخلاص! ولولا أنني أمقت العجب والزهو ومدح النفس لقلت بأن هذه المجموعة بعض عمري أضعها بين أيدي القراء على طبق المودة! إنها باقة من قصاندي ، قمت بكتابتها على مدى عقدين من الزمان ، وكانت لها مناسبات خاصة ، حيث اعتدت أن أهدي كل ابن لي - يولد - قصيدة مناسبتها ولادته! فيسمى ويُعق عنه ويُصدق بوزن شعره ورقاً أو ذهباً ، ويُهدى قصيدته ليوم سابعه! ثم كانت قصائد أخرى في مناسبات متفرقة!

ولدي عبد الله!

(إن الأولاد نعمة لا يدرك قيمتها إلا من حُرّمها (فلم يوت أولاداً) ، أو فقدها. وكم طال اشتياقي للولد ، وصبرْتُ ولم يصبر غيري ، وكذا حلمتُ ولم يحلم غيري ، واستيقنتُ ولم يستيقن غيري. وعندما رزقني الله الولد وأسميته عبد الله ، حاولت إهداء قصيدة له لكنني لم أستطع في حينها. ثم ألقى الله في روعي خيط الفكرة ، وكتبتُ مسترجعاً مع ولدي شريط الذكريات التي عشتها على مدى سبع وعشرين سنة مرت مرّ السحاب ، والتي احتوت من الأحداث ما الله به عليم ومن الكوارث والبلايا ما ينوء بحمله عشرة جمال ومائة ظهر من الإبل الخراسانية. إلا أن الله سلم ، وذهب كل شيء ، ويبقى الإيمان والتوحيد لأنهما هبة الله تبارك وتعالى. يشير صاحب (الحقوق الإسلامية - حق الأولاد) إلى أن دور البيت أن يبين ويربي وينشئ ، فإذا انحرف الأبناء بعد ذلك ، فلا مسؤولية ولا مواخظة على أهل البيت! فيقول ما نصه: (ففي بيت من البيوت القائم فيه على التربية نبي ، ومع ذلك خرج من هذا البيت ابن كافر حتى لا يبأس والد من الأباء الفضلاء ، أنت بذلت واستعنت بالله وقدمت لولدك ما استطعت ثم خرج الولد منحرفاً ، أنت أعذرت إلى الله عز وجل! وأمر الهدى والتقى ليس بيدك: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}. نبي الله نوح عجز عن أن يهدي ولده: {يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ} * قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِقِينَ}. ولما تضرع نوح لربه: {وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}. وفي قراءة: إنه عمل غير صالح ، انقطعت الأصرة بالكفر. وبيت آخر يتولى فيه التوجيه والتربية أخطب رجل على وجه الأرض إنه فرعون الذي قال لقومه: أنا ربكم الأعلى ، والذي قال لقومه: ما علمت لكم من إله غيري ، ومع ذلك يتربى في هذا البيت نبي الله موسى ، ففي بيت نبي يكفر ابن لنبي ، وفي بيت شقي يخرج نبي بأمر الرب العلي. فقر عيناً ما عليك إلا أن تبدل قدر استطاعتك ، ودع النتائج إلى الله فكل شيء بقضاء وكل شيء بقدر). هـ. وإذن فهل يعيد لنا أبنائنا ذكريات الأبناء الذين تربوا على العقيدة والتوحيد؟ نسأل الله ذلك! في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال: بينما أنا واقف في الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وشمالي فتیان حديثا السن. يقول عبد الرحمن بن عوف: فرجوت أن أكون بين رجلين غيرهما خشية أن يكون بين هذين الغلامين في الصف ما سرني أن أكون بينهما. يقول عبد الرحمن بن عوف: وبينما أنا كذلك إذ بأحدهما يغمزني سراً من صاحبه لا يريد أن يسمع الآخر فيقول له: يا عم يا عم هل تعرف أبا جهل؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: نعم وماذا تصنع بأبي جهل يا ابن أخي؟ قال: لقد سمعت أنه يسب رسول الله ، ولقد عاهدت الله - عز وجل - إن رأيت أبا جهل أن أقتله أو أن أموت دونه وفي لفظ: (أن لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا)! يقول عبد الرحمن بن عوف: وإذا بالغلام الآخر يغمزني سراً من صاحبه: يا عم يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قال الأول: لقد سمعت أنه يسب رسول الله ولقد عاهدت إن رأيت أنه أقتله أو أموت دونه وأن لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا! يقول عبد الرحمن بن عوف: فوالله ما سرني أن أكون بين رجلين مكانهما ، فرأيت أبا جهل يذود في الناس أي يأتي ويروح فقلت لهما: انظرا هل تريان هذا؟ قالوا: نعم. قال: هذا صاحبكما الذي تسألان عنه. قال:

فانقضا عليه كالصقرين فقتلاه! فابتدراه بسيفيهما فقتلاه وانطلق الغلامان إلى النبي! كلٌّ منهما يقول: قتلْتُ أبا جهل يا رسول الله! والآخر يقول: لا أنا الذي قتلته. فقال لهما النبي: هل مسحتما سيفيكما؟ قالوا: لا فأخذ النبي السيفين ونظر إلى الدماء عليهما وقال لهما: "كلاكما قتله! ولقد مر عمر بن الخطاب يوماً على مجموعة من الأولاد الصغار وهم يلعبون في إحدى طرقات المدينة فلما رأى الأولاد عمر بن الخطاب - وكان عمر صاحب هيبة وجلال - جروا وهربوا إلا واحداً ، إنه عبد الله بن الزبير- رضوان الله عليهما - فسعد عمر بهذا الغلام وأقبل إليه وقال له: لم لم تهرب مع الأولاد؟ قال: ما كنت مذنباً لأهرب منك يا أمير المؤمنين ، وليس الطريق ضيقاً لأوسع لك! وهذا عبد الله بن عمر- رضوان الله عليهما- يمر يوماً على راع صغير يرعى الأغنام فأراد عبد الله بن عمر أن يختبره وأن يذكره فقال له: يا غلام بع لي واحدة من هذه الأغنام فقال: إنها ليست لي يا سيدي إنما أنا راع فقط ، وإنما هي ملك لسيدي. فقال له ابن عمر- رضوان الله عليهما: قل لصاحب الغنم لقد أخذ الذنب واحدة وهو لا يراك! فالتفت إليه الغلام وهو يقول: فإذا كان صاحب الغنم لا يراني فأين الله؟! فبكى ابن عمر وانطلق وهو يردد قولة الغلام: فأين الله فأين الله ، فأين الله؟! هل يعيد أبنائنا موقف ألب أرسلان مع رومانوس الروماني حيث أقبل رومانوس إمبراطور الدولة البيزنطية ، بجيش يضم مائتي ألف مقاتل ، وقيل ستمائة ألف مقاتل ، يقوده بنفسه ، ومعه البطارقة ، يريد أن يقضي على المسلمين - بزعمه - ويزيل ملكهم وينفي جمعهم ويدوس رأيهم ، وسرعان ما علم «ألب أرسلان» قائد المسلمين بالخطر الزاحف ، وأدرك أنه لا مفر من الجهاد ، فجمع أهل مشورته وقال لهم: تعلمون من أنباء زحف رومانوس وجيشه اللجب ، وسأخرج لتوي بكفني وحنوطي ، فمن رغب عن الجهاد فدونه المسالك فليسلك أيها أقرب إلى نجاته ، ومن رغب في لقاء الله عز وجل فليتحنط وليلبس كفته وليلحق بي لملاقاة رومانوس. وما هي إلا ساعة حتى كان ألب أرسلان يمتطي جواده ووراءه خمسة عشر ألف جندي ، قد تكفنا جميعاً بقماش أبيض ، وقد فاحت منهم رائحة الحنوط ، ينتظرون وصول جيش رومانوس أرض المعركة ، وتمر سويغات ثقيلة متباطئة لم يلبث أن يتطاير عن بعد غبار ينبئ بوصول رومانوس ، فتتعالى أصوات المسلمين: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، صدق وعده ونصره عبده وهزم الأحزاب وحده ، ويفاجأ رومانوس وقادة جيشه بالذي رأوه وسمعوه ، ويلقي الله الرعب في قلوبهم ؛ إذ لا يرون أمامهم إلا كتلة واحدة بيضاء ، يتعالى تكبيرها إلى عنان السماء. وتحتدم المعركة بين الجيش المكفن المؤمن ، وبين الجيش البيزنطي اللجب الجرار. ويتدافع المسلمون بأكفانهم يترقون أبواب الجنة بجمام الكافرين من جنود بيزنطة وسالت الدماء أنهاراً ، وتطايرت الرؤوس بلا حساب ، وشرعت أبواب الجنة تستقبل المؤمنين ، وشرعت أبواب جهنم تستقبل الكافرين ، وتطلب المزيد. وما كاد النهار أن يستكمل دورته حتى هدا ضجيج المعركة ، وارتفع في الأجواء صوت المنادي ينادي: أبشروا يا جند الإسلام لقد أسر رومانوس. فتعالت إذ ذاك أصوات المسلمين: الله أكبر الله أكبر ، وإذ فرغ ألب أرسلان وجنده من أداء ركعات شكر لله عز وجل ، على نصره وتأييده ، التفت إلى بعض جنده ، وقال لهم: إلي برومانوس ، وجيء برومانوس مشدود الوثاق مكبلاً بالأصفاد ، فقال له ألب أرسلان: يا رومانوس ألم أعرض عليك المال والأرض والممتلكات والدور لتكف عن أذى الإسلام وحرمان المسلمين؟ قال رومانوس: بلى. قال القائد المؤمن: فلم لم تقبل؟ قال رومانوس: ظننت أنني سأقضي على جيشك ، وأسحق دولتك. قال القائد المؤمن: أما وقد أخزك الله يا رومانوس ، ما تظن أنني فاعلٌ بك؟ قال رومانوس: إن شئت فاقتلني ، وإن شئت جرنى بالسلاسل ، وإن شئت تقبل فديتي وتعفو عني. وأطرق القائد المسلم قليلاً ثم قال: يا رومانوس ، أتعاهدني إن عفوت عنك ألا تقاتل بعد اليوم مسلماً أبداً؟ قال رومانوس وقد دمعت عيناه بعد أن أدرك أنه نجا من موت محقق: لك عهدي يا قائد المسلمين. وقام ألب أرسلان ففك

قيود أسيره بيديه ، وقال له: ستوصلك جنودي إلى مأمك يا رومانوس ، ولقد أمرت لك بخمسة عشر ألف دينار تستعين بها على وصولك ، وحقق الله عز شأنه للمجاهدين المخلصين. هذا ، وتعتبر لاميتي هذه قصة شعرية مع كونها تطرقت لأحوال وأحداث ربما لا علاقة لها بالوليد. ولكنها طبيعة الشاعر الصادق – أسأل الله أن أكون صادقاً – يخاطب من أحب في الذي يحب وبالطريقة التي يحب وفي الوقت الذي يحب.)

أهدي إليك تحية يا ذا البطل
أخذتك للتطعيم أمك يا فتى
ورأيت كل مطيرة مزدانة
(ديوث) لست مغالياً إن قلتها!
(ديوث) لا يعنيه عزي حريمه
أنثاه يزريها تلون وجهها
أما الرقيع فبات يضحك معجباً
والنذل إذ ينزو على أنثاه نذل
والتيس ينطخ كل شيء حوله
وسرى خيالي في دجى أيامنا
تدعو تقول: ارزق إله الكون مو
وتسائل المولى بكل ضراعة
وذكرت مزر الذكريات وعذبتها
وذكرت ما كسبت يداي بحرقاة
مُتَنَقِّلَ بين الوهاد مزجراً
وذكرت جدك كيف حارب فرحتي
وهتفت في نفسي: ألا لا تتكس
ما شاء ربك أن يكون فكانت
وتعود تسألني: لماذا يا أبي

أهدي إليك تحية يا ذا البطل
وجلست يكويني هجير المنفعل
وعلى اليمين يسير ديوث أشل
ديوث ، بل وعلى الدياثة قد جُبل!
مطعون في أفكاره ، يا للخبيل!
والخصر شدَّ بقيده ، وعلاه غل
بصنيعها ، ويراه إغراء أقل
ل في الملا فإذا به فرح ثمل
لو أن أنثاه استكانت للوعل
فذكرت أمك يوم كانت تبتهل
لوداً تقرُّ به الحياة ، وتكمل
لسنا على غير المهيمن نتكل
وذكرت أوضاعاً تُخَيِّر مَنْ عقل
وأنا أفرُّ بدين ربي من هبل
لا تبتئس ، فأبوك أعيته الحيل
وأزاد في قلبي هموماً تشتعل
فالله - في عليائه - ضمن الأجل
فعلام تذبذب شغلة الإخلاص ، قل؟
تمضي رجولتنا ، وينفجر الأمل؟

مادام نركضُ يا فتى الفتيان خلد
 مادام نرتعُ في رَغيد أطايب
 ابني الحبيب أتيتنا والشوقُ مـ
 وبفضل ربي سَرَّنا أن قد خلد
 والكل سُـر بطلعةٍ لك يا فتى
 وأبوك سُـر ، وأم عبد الله سُـر
 فد (عزيجة) تهفو إليك بلوعةٍ
 (نورا) تُؤمِّل أن تحوزك في مقـا
 (عزان) يدخل بيتنا متجاهلاً
 فنهزئُ به ، وزجرئُ به ، وشـرطُ أن
 وتقولُ صاحبة لأَمِّك أنها
 وأعودُ أنظرُ في صباحةٍ من أتى
 وأعودُ أنظرُ في حقيقةٍ واقع
 آسى ، وأغضي ثم أبكي أسفاً
 أن سوف تحيا في غياب حنيفةٍ
 كم كنت أرجو أن تعيشَ ظلالها
 ستذاكرُ التوحيدَ أوراقاً محقـ
 إلا تسلُ ستعيشُ ترتعُ في المـرا
 ولنن سألُ فسوف تدفعُ من حيا
 ما عاد يُرجى في دنا الطاغوت من
 قد سممَ الشيطانُ هـدي القوم عيـ

ف دراهم حَتَّام يطوينا الفشل
 ما بين لحم أو دجاج أو عسل
 لء عيوننا ، والنورُ يَجتاحُ المُقل
 ت ببيتنا ، وأزلت كايوسَ الغيل
 باركُ إله الكون شـبلاً قد أهل
 ت ، والصحابُ يُباركون على عجل
 فكأنما أنت الحياة لها أجل!
 بل (سلوة) ، هذا كلامٌ من اختبل!
 هذا الذي بالباب ينتظرُ القبل
 لا يدخلنُ حتى يُسلمَ في غزل
 تفديك يا غال عليها في جزل
 فأراك مقروراً بنظرةٍ مُحتمل
 أبكي عليك ، وليس يُجدي ذا الوهل
 ودموعُ قلبي فوق صدري تنهطل
 ويطولُ وجدكُ يا فتى ، خطبٌ جـل
 وربيعها ، لكنه حقاً أمل!
 قة منقحة ، وبعدُ فلا تسل
 عي والروابي كالبهيمة والجمل
 تك حق سؤلك ، فاتبعني وارتحل
 خير ، فبادرُ قبل أن يغشى الأجل
 شَ القوم ، دنيا القوم ، في كل الدول

موا ، أن يُزَكِّوا ، أن يَحْجُّوا في وجل
أو دون أسلمة الحياة بما أحل
أما ضياء الهدي ولي ، قد أفل
دُ بنوره ، ما عاد عيشٌ يُحتمل
إذ ليس يأسى مَنْ على الله اتكل
ماذا يُرَجَى مِنْ قَطِيعٍ يُسْتَذل
(فرعون موسى) مات إي منذ الأزل
ذا الجدِّ والأحفادِ والأجنادِ قل
والحاضرين ، ويلعنُ الملاً الأول
هم فوق أرض العير تلعبُ بالسفل
قل: كم من الإنسان ذبَّح؟ كم قتل؟
ة على دروب سبيلها مشيُّ الجُعل
لا يرعوي ، يَحْتالُ يَخْتَرعُ السبيل
السحقُّ والتشريدُ للرهط الأذل
مُ ، وثم تمزيقٌ بجوف المعتقل
فالنارُ تحرقُ ليس تُبقي مِنْ طلل
قع ، ثم ترتع ، ثم تهجعُ في المحل
طعمَ الحياة وهدي ربي منفصل
ن على خُتالة قومنا بالمبتذل
مِنْ لبسهم ورياشهم ، يا للخبل!
لفُ شرعنا ، أواه من أهل الإبل!
تون ودجَّال وملعون ثمل

زعمَ العبادة أن يُصَلُّوا ، أن يَصُـو
دون التحاكم للمليك وشـرعه
عاشوا كما الجعلان تمرخُ في الثرى
غابت هداية ربنا غاب الجهـا
فأطع أباك ، تعال نرحلْ عاجلاً
فرعونُ دنس في الديار حياتها
إياك تزعمُ أن فرعون انتهى!
أحفاده أحياءُ يلعن ربنا
قل: يلعنُ الجبارُ سالفَ جنده
فرعون فينال لم تمتْ أذنا به
فرعون حيٌّ بيننا بفعاله
فرعون موسى سنها ، ومشى الغتا
لا يـرحمُ الفرعونُ يوماً قومـه
فهناك ألفٌ وسبيلةٌ وسبيلة
القطعُ والتصليبُ والموتُ الزوا
والنارُ أهونُ من صنيع جنوده
والناسُ في منظاره حُمُرٌ تقعد
ابنـى الحبيب ، وربنا لَمَّا أدقُ
فصلوه عنا ، ثم راحوا يضحكو
مِنْ هزلهم ، مِنْ أكلهم مِنْ شربهم
والقومُ ما قالوا لهم: هذا يخـا
أما نساءُ القوم فأنصاعتْ لمفـ

تِ البائعاتِ الدينَ في سوقِ السفلى
ر وقلن: هذا الشرعُ معراجُ الخلل
نذة وضاعوا في الضلالة والخطل
بعد الذي فعلوا استبانوا ما حصل
فرقان للأغنام ، والتبيان مَل
هات الدروب ، وتهت ، والمجهود كل
م نفرٌ من تلك الديار ، ولا نكل
ت حدوده لَحَقرتَ بِذلك يا رجل
ت على الطريق ، وقد تنكبت السبل
لِ أو يقولوا أو فعلنا أو فعل
والوحي وحي الحق في جوف السجل
ن قصدتُ رُشدي ، ما استقمت بلا زلل
فلنكم أضعتُ الدرب مني بالجهل!
والسرُّ تضييعي لمنهاج الرسل
بي عابراً ، يدعو المليك على عجل
ف ، وأنت تعلم يا إلهي ما بذل
فتولني ، فلأنت أكرم من سئل!
عظمت ذنوبي ، واحتوى قلبي الخجل
دك يا إلهي ، واعتري نفسي الوجل
أعطيك كل تجاربي ، وبلا خجل
حل من هنا؟ وإلى متى الدمع الهطل؟

وجرين خلف الساقطات الهازلا
وتركن هدي محمد خلف الظهو
أما التيوسُ فسلموا للزور أفـ
وتعجلوا أمرَ المليك ، فليتهم
حسبي كذا أني أبين حجة الـ
مولاي خانتني التجاربُ في متا
قم يا صغيري نحمِلُ الفرقان ثـ
إني أو من فيك عوناً لو عرفـ
لو تعرفُ المظلوبَ يا ابني لاستقمـ
ولما أضعت الوقت في قيلٍ وقا
ولما ابتسمت إلى الحياة لحيطرة
والله إنني مشفقٌ أن لا أكو
إنني حريصٌ أن أثبك ذربتني
وأخافُ أن لا نلتقي في جنة
من أجل هذا يا بني يئن قلـ
ويقول: ربي فانصر العبد الضعيف
جهد المقل ، وليس عندي غيره
ولأنت تعلم ما كسبتُ بشِقوتي
وأخافُ أن لا تقبلني في عبا
ابني الحبيب أيا(عبيدة) إنني
عيناك تسألني لماذا سوف نر

نك عن ديار وَسَعَت فلم الكسل؟
يطان في أحواله؟ ماذا العلل؟
أواه من مُر الإجابة والثقل!
في الله أحلى من كثير من شغل
في هجعة وبعيض قطرات الوشل
عم الوفيرة حيثُ تخدمنا الندل
رأ في شبابي ، بل كذا والمستهل
يطان فيه أباك ذا الثوب السمل
للهدى في دار المهانة من ظلل
دث منذ غاب الهدى عنهم ، وانفصل
هذي الخراف تقول: دينُ الله غل
بالمن والسلوى رؤوساً من بصل!
لكنها مأساة جيل مستغل
هو أن ترى أصل المصاب المندمل
مُتقرخ خلف الستار المنسدل
والجاهلية إنها شبح متئل
حيث انتهوا ، والدهر - في رأيي - دول
لغياب وحي الحق ذا سبب الشلل
ون من الدعاية تلة من بعد تل
هم يزرعون الموت من خلف الجبل
فرعونهم كم قد أنل! وكم سحل!
شيطانهم كم قد أباد! وكم قتل!

وأقول: أخشى أن سيسألنا الملا
لم لم نهاجر في الإله ونترك الش
ماذا أقول لهم أيا ولدي إذن؟
والله ييا ولدي الحبيب لهجرة
ولكسرة ولتمرة في خلوة
خير لنا من عيشة الطاغوت في الند
وافقتني ، نافتني ، جربث عص
ما طاب لي العيش الذي قد ألبس الش
ولسوف تخرج للحياة فماترى
لا تبك ساعاتها! فهذي الحال سا
أسطورة هذا الكلام بزعمهم!
أواه من هذي الخراف استبدلت
أنا لست أقتل في الطفولة فتنتي
بل جُل ما أصبو إليه حقيقة
هو في الحقيقة مكتو متقيح
قد قرحته يدُ الفساد مع الهوى
أما الضحية فالجميع ضحية
شلل أصاب القوم ما أسبابه
ويموهون على القطيع ، وينشئو
إنني لأعرفهم ، وتلك فعالمهم
من رأسهم لذيولهم همج الورى
أما الهوام تغوص في بحر الخنا

هيا بنا نرحلُ فما أحلى النقل!
ل ، وتستجيبُ بلا هوى ، وبلا جدل
دُ ، وإن رددت خذلتني فيمن خذل
ل ، وتستفيد بما ذكرتُ بذِي الجُمَل
ك تفرز به في يوم تندلقُ الوسل
ما زلَ سيرك ، جاد لو أمر عضل
ل ، فإنهم ذرُّ يُغلفه السَّبل
فَ في الحياة ، فكنْ غريباً واستدل
فة ، ليس يتركها لدعوى من يقل
ل موحدٍ ، فامهدُ لنفسك لا تمل
هذي الدنا ، إنا هنا فيها نزل
ره ، سوف يأتي أمرُ ربك بالأمل
دة في الصمود ، وليس في الدمع الهمل
كانسر في طلب الفريسة والحجل
متفیهقاً ، فإذا تفیهق قد جفل
جك ، والبنين مع البنات ولا تسل
واعتز بالإسلام ، واهجر من هزل
تأ في رحاب فضيلة تنل الظل
ه ، بأي شيء بعد ذلك تستظل؟
ي الله ، فاعلم يا فتى فهو الأمل
ترقى بها ، لا تبغ عن هذي حوَل

من أجل ذلك يا بني اسمع وقم
أوصيك تسمع يا بني لما أقو
فلئن سمعت فأنت أنت المستفي
والله أسأل أن تُصيح لما أقو
أوصيك أن تبقى على دين المليم
صاحبُ لَذاك الهدي من يغنيك في
واقراً لَذاك الهدي في كتب العدو
واجعل لَذاك الهدي عمرَك ، أنت ضي
وأحب من قبل التحاكم للحني
واعلم بأنك سوف تُفتنُ شأن ك
واصبرُ إذا نزل القضاء عليك في
واحمد إلهك في المناشط والمكا
واصمد لكل مصيبة تجد السعا
وترقُ في طلب العلوم ، وكن لها
واجعل فؤادك عامراً بالدين لا
وانذر لَذاك الهدي نفسك ثم زو
وعن الجهالة فابتعد ، لا تقترب
ومن الفضيلة فاقترِب ، وتمنَّ مو
واسعد بما يُرضي المليك تنل رضا
والله مالِك في زمانك غير هد
وتزوَج العصماء ذات الدين كي

في المصطفى ، واهتمّ لا ترو العِلل
قم لا تسوف ، لا يغرك من مطل
قبيح ذميم مستكين مفتعل
واعمل به ، فهو النجاة من الزلزل
رم) في زمان ضيّعوا فيه المثل
مستعصماً ، مسترشداً ، ودع الوجل
فالعصبة العرجاء تحيا في خبل
ليلاً وتهويلاً ، وفارق من هزل
ث نبينا ، واطلب من المولى تنل
فهما السبيل إذا تعددت الملل
في يوم أن تطوى السما طي السجل
علماً من السفهاء أرباب الزجل
فالحى لا ندري أيثبت أم يزل؟
للهم فارض عن الألى كانوا المثل
ل جميع أهل الأرض من هذي النحل
كلّ بهدي رسول ربي يستظل
هم صابروا ، هم خير قرن معتدل
هم خير من عبد المايك بلا دغل
ل بكل إخلاص ، فيا نعم العمل!
وحيد ، بارك يا إلهي من حمل!
نور الـدياجي ، واليواقيت الأول
نوراً ، وأسكنهم بفضلك في الظل

وتحرّ في قول الحديث عن النبي
واجعل برائك معناً ممن طغى
واحذر مدهنه الطواغي ، إنها
وكتاب ربك يا صغيري فارعه
وكفاه ما يلقاه من أبناء (دا
إني نذرتك للجيل ، فكن به
دع عنك أيام الطفولة ، يافتى
دع عنك أفلاماً وتدجياً وتض
دع عنك ثدي الأم ، واشرب من حدي
اطلب من المولى الهداية والتقى
وهما الطريق إلى حدائق ربنا
وتأن في طلب العلوم ، ولا ترم
وتأس بالأموات ، والزم نهجهم
والعلم في سلف الحنيفة وإفر
هيهات أن يرقى إلى سلف الرسو
سلف الرسول ، وأي ناس بعدهم؟
هم آمنوا ، هم أخلصوا ، هم جاهدوا ،
هم قاتلوا أعداء (أحمد) جهرة
هم خير من عملوا لمرضاة الجلي
حملوا إلينا العلم والإيمان والت
والتابعين فليس يخفى دورهم
فأرحمهم يا ربنا ، واجعل لهم

نَ مَنْ اسْتِضَاءَ بَنُورِهِمْ وَمَنْ اسْتَدَلَّ
سُدَّ دَلَالَةً! وَلَنْ نَعْمَ ذَاكَ الْمُسْتَدَلُّ!
فَبِهِ تَبَدَّدَ كُلُّ ضَيْقٍ أَوْ كَأَلِّ
مَنْ يُحْرِمُ الطَّاعَاتِ حَقًّا قَدْ بَخِلَ
وَاجْعَلْ رَصِيدَهُمَا الْهَشِيمَ الْمُنْتَعِلَ
لَنْ يَنْفَعُوكَ ، فَكَيْفَ تَصْحُبُ مَنْ عَفَلَ؟
ذَرِكِ الْفَجُورَ ، وَيَهْدِيَانِ إِلَى النَّزْلِ
لِغَةِ الْكِتَابِ ، وَمَنْ يُجَاوِزُهَا تُكَلِّ
رَأً ، إِنَّهَا أَدَوَاتٌ مَنِ ذَا يَرْتَجِلُ
إِنْ تَعَدَلْنَ بِالضَّادِ مِنْ لُغَةِ تَضِلُّ
إِنَّ الْخِيَانَةَ لَيْسَ يَقْرُبُهَا فَضْلُ
هُ مَحَبَّةُ الرَّجُلِ الْكَرِيمِ وَذِي النَّبْلِ
خَيْرُ الْجَالِسِ إِذَا تَعَدَدْتَ الْمَلْنَ
تَتَدُّ الرَّجُولَةَ فِي طَوِيَّةٍ مَنِ نُبْلِ
جُدْ لَا تَرَاوِغْ ، إِنْ مَنِ يَمِطُّ خَتْلُ
إِعْدَلْ أَخِي ، فَاللَّهُ يَرْحَمُ مَنْ عَدَلَ
رَّةً مُؤْمِنًا ، مَنْ يَكْشِفُ الْأَسْرَارَ ضَلَّ
كَ سَاعَةً ، لَا خَيْرَ فِي زَهْرٍ ذُبُلِ
وَمِنْ الْبَلِيَّةِ فَالْتَهَمُ حَلْوِ الْأَكْلِ
كَمَا يَكُونُ الْبَيْتُ مِرْحَاضَ الْجَعْلِ!
أَمْرَ الْمَلِيكِ ، وَغَاصَ فِي قَعْرِ الْوَحْلِ

بَارِكْ إِلَهَ الْكُونِ فِي هَذَا الزَّمَا
فَلَنْ نَعْمَ نَوْرٌ هُوَ لَمْ يَرِي
وَاحْرَصْ عَلَى طَهْرِ السَّرِيرَةِ دَائِمًا
وَاحْذَرْ مَخَالَفَةَ الَّذِي رَفَعَ السَّمَا
وَاحْذَرْ مُشَاهَدَةَ الْخُلَاعَةِ وَالْخِنَا
وَاحْذَرْ مَصَاحِبَةَ النَّوَامِ ، فَإِنَّهُمْ
وَتَجَنَّبِ الْكُذْبَ الَّذِي يَهْدِي إِلَى
وَانْطِقْ بِضَادِ الْعُرْبِ ، يَكْفِي أَنْهَا
وَادْرُسْ لَهَا نَحْوًا وَصِرْفًا ، ثُمَّ شَعْرَ
وَاحْفَظْ لَهَا بَيْنَ اللُّغَاتِ حَقُوقَهَا
وَارْعَ الْأَمَانَةَ وَالْعَهْودَ ، وَلَا تَخُنْ
وَكُنِ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يَحْبِبْكَ فِي الْإِلْمِ
وَكُنِ الْجَالِسَ لِأَيِّ رَبِّكَ ، إِنَّهَا
وَكُنِ الْعَفِيفَ عَنِ الدُّنْيَا ، إِنَّهَا
وَكُنِ الْكَرِيمَ إِذَا قَصَدْتَ لُغَايَةَ
وَكُنِ الرَّحِيمَ إِذَا مَلَكَتْ وَدِيْعَةَ
وَكُنِ الْمُسِيرَ إِذَا انْتَمَنْتَ عَلَى مَسْـ
وَكُنِ الْعَطُوفَ إِذَا خَلَوْتَ بِدِينِ رَبِّكَ
وَكُنِ الْعَزِيمَ إِذَا دَهَشَتْكَ بَلِيَّةٌ
لَا تُدْخِلِ الْأَصْنَامَ بَيْتَكَ يَا فَتَى
إِنِّي بِرَاءٍ مِنْ أَبْوَةِ مَنْ جَفَا

أضلك ، أتحفني بردك ، يا رجل!
كُتِبَ الثقات ، وللجهالة فاعتزل
أوصيتني ، وإنني صدقاً وجل
ونظمتها شعراً فصنها ، واستدل
ذا الدين يوماً ، نعم هذا من عمل!
وعليك سوف يسح دمع من مقل
حبل النجاة ، لكل إنسان أجل
حملوا المشاعل دائماً منذ الأزل
مد مليكهم ، مستبشرين بمن حأل
نجم - بأنوار الهداية - قد أطل
طول القراءة والدراسة ، ما العمل؟
ض على قراطيسي مبعثرة النحل
صاعت لأقلامي كليمات التجل
طرها ، فعذراً حيث أفكاري تُكل
لكنني المسكين خائتي (لعل)
أبتاه لم أفقه كثيراً من جمل
لو كان يدري الحق حقاً لم يضل
كم جد في طلب العلوم ، وما كسل!
وادع الكريم بكل ذل وابتهل
ماً ، وافتكر عذب الوصايا والمثل
نعم الغلام ، عن الدعا لا يشتغل!
ن يذوب حزناً في دياجير العال

بيئت حكم الشرع في الأصنام ، لم
وأقرأ كثيراً ، ليس يعقل من قلى
لا لا تقل لي: ضقت ذرعاً بالذي
أبني تلك وصيتي ، سطرثها
إنني ادخرتك كي تكون شهيد هـ
ستموت ، فاعمل للقيامة يا فتى
ستموت ، فانصب للشهادة ، إنها
فاقرأ عن الشهداء يوماً ، إنهم
أقرأ لتعلم أنهم أحياء عنـ
واقراً لأستاذ الظلال ، فإنه
إياك يوماً أن تقول: تعبت من
ابني الحبيب كما ترى لغة القريـ
ولقد كتبت قصائدي من قبل فانهـ
أما قصيدتك التي في التوأسـ
ولكم تمنيث النهوض برسمها!
فأقبل كليماتي بنبي ، ولا تقل
وأعذر أباك أيا غبيدة ، إنه
واذكر أباك بكل خير ، إنه
واطلب من الرحمن مغفرة له
واذهب إليه بقبره ، أنسه دو
واستمطر الرحمات يوماً ، ولتكن
هذا أبوك لكل أه منك كا

والآن محتاج إلى دعواتك الـ
واخفض لأمك من جناح الذل أكـ
ورأيتهما ، ورأيت منها ما يشـ
حيرتها ، وأضعت من أجفانها
لم تستقر أقيمة في بطنها
إلا وفي غمض العيون تمجها
عانت لكي ترتاح في أحشائها
فالأم فاعلم يا بُنيَ جَميأها
هذا القصيدُ هدية من والدٍ
ولكم لنور الشرع تاق بذئ الدنا!
ما قيمة الإنسان في هذي الدنا
لو كان يدري ما النجاة لما انزوى
هذا أبوك تراه في صمت يسيـ
كم كان يرجو أن يعيشَ العمرَ في
والله يا ولدي تعقبني الأسى
وأبوك أعطى قلبه من شجّة
فانسقت طوعاً في مهبّ الريح كالـ
وتجمعت أسواء ماضي خيبي
وعلمت أن لا نور يأتي من هنا
وتعلم التوحيد والإيمان لا
قم وادرس الإسلام تفلح ، تنتصر

غراء في جوف الليالي والظّل
بررحمة ، كم فيك ذاقث من عل!
ق على يراعي وصفه ، وكذا الحبل
نوم الليالي ، حيث صارت كالظّل
أو شربة ، شيء يبكي من عقل
يا أم عبد الله أضناك البطل
كم حملت أعتى الفطاع في وجل!
كم دلتك بكل ألوان الغزل!
لك في جناح الغيب يرتقب الأجل
ولكم لنصر الحق أعياء الزغل!
إن لم يجاهد في المليك بلا خذل؟
دهراً ، وهذا القلب في وهم زغل
ر ، وكل جارحة تئن بلا دخل
دين المليك ، ولو يعيش على الدقل!
وكذا هنا ، ماراقتي العيش الرفل
ياسواتي ، لو كنت كالرجل المحل!
غرجون يسعى في أسى الجيل الدحل
وكسا فوادي بعدها اللون الطحل
وهمست في قلبي: ألا للحق صل
تركب إلى هذي المناسك ، فامتثل
وتلقن الأركان ، وانشط قم وجل

لو شاء ربك حصرها لما تطل
ألا أبثك قول فحشٍ مختبئ
سطرثها شعراً إليك به طأل
أحيا إلى يوم أراك به الرُّجل
ليلاً نهاراً في خيالي ترتحن
أحيا فصاماً بين ديني والهمل
مستنقع ، ويظنُّ أن الخير حل
هيا بنا نحيما ، ونقلو ذي المأل
في والبيادي والغياهب والجبل؟
حت الجبال وراءه ، لا تنذهل
والطيرو أوب في جلال ، وامتل
كفار أعطاه الجليل بما بذل
(يعقوب) نافلة ، فيا نعم النقل!
من ذكرتهم ، للجاهلية فاعتزل
عوث الهداية فارعها ، وكمن المثل
فلكم سهرت الليل أصبغ في الجمال!
من أجل أن تلتى وتلقى في السجل؟
أصبو إليه بكل شوق ، أبتهل
قد خضت فيه من الضلالة والخبل
من هزلنا ، فلأنت أكرم من سئل
والتابعين له وللزمم الأول

أواه من طول المقالة يا فتى!
لكنه قدر المليك ، وقد قضى
خلجات صدري ، والأنين رفيقها
طلل المحبة في الكريم ، وليتني
ذي غاية الغايات ، داعبها الرجا
وأنا المعذب في تأرجح غايتي
همل يعيش بغير هدي الله في
للمرة العشرين جد أقولها:
أتخاف من مر المعيشة في الفيا
(داوود) لما فارق الكفار سباً
فأله أمرها بذلك ، أوبي
وأبوك (إبراهيم) لما فاصل الـ
(إسحق) في القرآن خلد ذكره
وختام قولي أن تأسى بالذي
وقصيدي بعد الكتاب وقول مبـ
أنا يا حبيبي لم أطرزها سدي
من أجل ماذا كان ذلك كله؟
سطرثها لتكون واقعك الذي
يارب هذا فارعه ، جنبه ما
وتولني ، واغفر إلهي ما مضى
ثم الصلاة على الحبيب نبينا

القصيدة الدالية (مولد النور)

(إن الأولاد نعمة كبرى ، لا يدرك قيمتها إلا من فقدها. إذ الولد كنز أبيه ، كما كان الأوائل يرون. وعندما يكون الولد أو الفتاة على دين وتقوى ، يكون كل منهما ذخراً في الدنيا والآخرة: (أو لد صالح يدعو له). والحقيقة أن الله قد رزقني بالولد الأول فسميته: عبد الله ، فلما كان الثاني حملاً تمنيت أن يكون ولداً حتى يكتمل حديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - لأسميه: (عبد الرحمن). كما صح عند الإمام مسلم في الصحيح ، حديث النبي - عليه صلوات الله وتسليمه - : (أحب الأسماء إلى الله ، عبد الله وعبد الرحمن). ولقد استجاب الرحمن الدعوة ، وحقق الأمل المأمول المنشود والأمنية المرتقبة ، وكان عبد الرحمن ، وأتم الله النعمة وجعلهما صالحين مؤمنين قانتين. آمين. قال الله تعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ، أَوْ يَزُوجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنَاثًا ، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا). وإذن فالولد نعمة وهبة وعطاء وفضل رباني خالص. هو الذي يخلق سبحانه ، وهو الذي يرزق ، وهو الذي يوجد ، وهو الذي يمد. (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) ، ذكر الإمام الطبري في تفسيره (جامع البيان في تفسير القرآن) ، والحافظ ابن كثير: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى مَا عَمِلَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وَحَمَدَ نَفْسَهُ ، قَلَّ شُكْرُهُ وَحَبِطَ عَمَلُهُ. وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْعِبَادِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ لِقَوْلِهِ: "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ". يقول الأستاذ أحمد الفراك في وصف نعمة الأبناء ما نصه بتصريف: (يأتي الطفل إلى الدنيا حاملاً "هدية" ربانية إلى أسرته ، تسعد بابتسامته المغردة لقلوب الأهل والأحباب ، يحمل للمستقبل بشري الخير ، يرطب بلمسته الناعمة على آلام والديه ، يملأ الدنيا مرحاً بحركاته العفوية وضحكاته البرينة. ويجعل "العضو الأسري الجديد" أبويه يصدقان على قول الوهاب سبحانه وتعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ، ويأملان بأن يكون وليدهما غرساً مثمراً لحصاد الآخرة! عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له". وكتبت داليتي الشهيرة الجهيرة ، والتي عنوانها: (مولد النور)! وأسأل الله أن يكون مولد نور بحق على أبيه وأمه. وأن يكون ذخراً للإسلام والمسلمين. ألا وإن ظروف تأليف هذه القصيدة صعبة للغاية ، ولربما لم تمر عليّ في حياتي كلها إلى الآن ظروف مثلها. ومن هنا فسوف ينعكس هذا عليها بالطبع. وكنت أنوي تأجيلها إلى حين. ولكنني خشيت أن تدبّل العاطفة. فاهتديت إلى كتابتها اليوم. وأعد عبد الرحمن بكتابة أخرى في المستقبل ، عندما يشب ويحمل الحق ، ويتبع الإسلام منهجاً في الحياة. وساعتئذ ستكون القصيدة الموعودة أحلى وأجمل!)

يا عابدَ الرحمنِ أخلص واصمِدِ	وبهـذِي ربك والرشادِ استرشِدِ
إن المنايا شـاهراتٌ سـيفها	ليست تحب سماع رأي مُحصِدِ
من يزرع الخيراتِ يجن رطيبها!	من يبذل الطاعاتِ دوماً يحمد
أمسك لسانك عن وشاية عابثٍ	يلقي الوشاية كالبعير الجرهُدِ

لمُرِيدِهِ ، عَارٌّ عَلَى الْمُسْتَرَشِدِ
وَأَعْنِ عِبَادَ اللَّهِ ، لَا تَسْتَعْبِدْ
عُونًا وَرَدْعًا ، يَا لَهُ مِنْ سُؤْدَدِ!
كَ قَدْ أَتَى ، وَأَرَاكَ فَنذِ الْمَحْتَدِ
أَوْ تَسْتَسْبِغِ الْوَهْمَ مِنْ مَتَهْوَدِ
سَهْ تَعِشْ بِهِ ، وَدَعْ سَقِيمَ الْحَرَمَدِ
كَ فَسِيحَةً ، فِيهَا رَطِيبُ الْخُرْدِ
كَ مَذْمُومَةً ، أَجْمَلُ بِطِفْلِ أَمْجَدِ!
كَ مَسْلَمًا ، أَنْعَمَ بِشُهُمِ أُرْشَدِ!
لِدْ جَهْبَذٍ فِي الْحَقِّ صَالِبِ سَمَهَدِ
فَوْقَ احْتِمَالِ ، مِنْ هُنَا فَلْيُحْمَدِ
فِيهِ الْخِيَانَةَ ، دَيْدُنُ الْمُتْرَصَدِ
دَوْمًا تَذُوذُ عَنِ الْهُدَى بِتَجَادِ
وَكِتَابِ رَبِّي مِنْ أَذَاهُ مُنْجَدِي
كُرْهًا يُرَى - بَيْنَ الْوَرَى - كَالصَّيْحَدِ
سُقِ بِخَشْيَةِ الْمُتَوَضِّيءِ الْمَتَهَجَدِ
فِي ذَاتِ رَبِّكَ - صَاحِ - فَلْتَسْتَشْهَدِ
وَاحْذَرِ مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ الْأَغْيَدِ
بِكَ يَا فَتَى ، فَاصْبِرْ لِأَمْرِ السَّيِّدِ
فَلَأَنْتَ - بَعْدَ اللَّهِ - نَخْرٌ لِلْغَدِ
عَبْدَانِ صِدْقًا لِلْمَلِيكِ الْأَوْحَدِ
وَيَكْبِدَانِ الْخِصْمَ كُلَّ تَفْوُدِ

إِيَّاكَ أَنْ تَمْنُنَ بِخَيْرِ سُؤْفَتِهِ
وَكُنِ الْمَغِيثَ لِمَنْ أَرَادَ إِغَاثَةَ
وَأَحِبْ كُلَّ الْمُسْلِمِينَ ، وَكُنْ لَهُمْ
عِذْرًا بُنْيَ ، فَمَنْ أَتَيْتَ وَأَمْرُ رَبِّ
لَمَّا تَكُنْ تَعْنَى بِخِذْلِ مَعْرَبِدِ
يَا عَابِدَ الرَّحْمَنِ دِينِكَ فَالْتَمَسْ
يَا عَابِدَ الرَّحْمَنِ جِنَاثَ الْمَلِيكِ
فَاعْمَلْ لِمَرْضَاةِ الرَّحِيمِ وَلَا عَلِيهِ
نَعْمَ الْغَلَامُ أَرَاكَ إِنْ وَحَدتَ رَبِّي
شَاءَ الْمَلِيكِ لَنَا امْتِحَانًا يَوْمَ مَوْ
وَاللَّهِ رَبِّي لَا يَكْلِفُ أَنْفُسًا
وَالْعَصْرَ عَصْرَكَ يَا بُنْيَ تَعَدَدتْ
ابْنِي الْكَرِيمِ أَرَاكَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
أَنَا أَكْرَهُ الشَّيْطَانَ عَمْرِي كُلَّهُ
وَكِذَلِكَ أَكْرَهُ فِي الْوَرَى أَعْوَانَهُ
فَاكْرَهُهُ ، إِنْ اللَّهُ مَوْلَانَا أَحَدُ
وَاجْهَرُ بِكْرَهُكَ نَزْغَةً وَجَنُودَهُ
إِيَّاكَ أَنْ تَأْسَى عَلَى شَيْءٍ مَضَى
إِذْ لَيْسَ أَخْطَاكَ الَّذِي هُوَ قَدْ أَصَا
يَا عَابِدَ الرَّحْمَنِ أَمَّاكَ فَارْعَهَا
وَأَخْوِكَ صُنَّةً ، وَلَا تَخْنَهُ لِحَيْظَةَ
قَلْبَانِ فِي جَسَدٍ يَعَانِي مَحْنَةَ

ذل قلبه ، من زمرة المستأسد
عوا ضعفه ، فغدا كمثل العرْجُد
بل كان سِلماً وسنط شتى الأفْهُد
ولأمرهم أغضى ، ولم يتفقد
كانوا له نوراً يُرى كالفرقد
وصغيرهم في الغدر مثل الفرهد
أشئم برهط واجف كالصِّفرد!
أبئس بجمع جعظري عنْكَد!
جرحت ، ومن يُجرح يُعْث ويضمَد
أيامهم ، زينت بسُنة (أحمد)
زمن تولى ، مثل وادٍ مُرصد
أصف الطريق بها لماء المدد
وبقيت أبكي ما جرى للأكْبُد
كلا ، وما بارزته بالمصْيد
إن التخاذل في الورى كالأسعد
ك أحبكم ، والشوق لم يتفصد
وشربتم دم عبقري أمجد
متفحماً في النار غير مُقدد
ويح الفؤاد الواجم المتفصد
ه ، ولا تسن في أي رأي أرمد
واعمل به ، والزم رياض المسجد

وأبوكم قد أحرقت نارُ التخا
خذلوه في كل المواقف لم يرا
هو لم يعارضهم بُني دقيقة
هو كان سالمهم على طول المدى
هو كان خادهم ، ولما يعصهم
واليوم خانوا الدرب قد غدروا به
لم يذكروا إخلاصه يوماً لهم
لم يرحموا طفلين لَمَّا يكبرا
لم يرحموا زوجاً تراهم قدوة
لم يذكروا حلو الليالي في دجى
ثاوا أنا أبكي سـوالف أنسنا!
قد كنت في أفيانها متحفزاً
ذهب الجمال بفرحه وبترحه
أنا ما جرحتُ أخاً بأي تنقص
أنا ما دفعتُ أخاً لأي كرية
أنا قد بذلتُ النفس في ذات المليد
فشـويتموني في جحيم رياتكم
وأكلتم لحمي بكل شرارة
وتفطر القلب الجموخ عليكم
يا عابد الرحمن: دينك فانتهدج
وتعلم القرآن تنج من الهوى

لا تمش في وادي الهوى المغنّد
تودي بعقل المرء مثل الصرّخ
ت بمحدثٍ فيها خروقا ، فاهتد
ب الصلد - هذا اليوم - طول الخنجد
ني ، إنها بلوى الفؤاد المهتدي
حبي إليك أيا فتى لم ينفد
هذي النصيحة - يافتى - لم تعهد
قد عاش يشكو من جفاء سَرمَد
هذي الدنا ، والمرء غير مخلد
ني ، فانزويث بأهة المتغاد
كن كالجمان على التراب الأمرد
ويهيم في طير هناك مغرد
وكذاك كم في سيرها من مشهد!
آثرته ، أكرم بطير أصيد!
وحصائد الأحلام مثل العجأد
يختال في هنادمه كالأصيد
ر ، وليس كالمتبذل المتردد
دته ، يذكرنا بقول الهدد
سجدوا سجوداً ، يا لكفر السجد؟
للخبء في أكوانه بتفرد
من هذه الدنيا ولا تتردد
فوجدتها كالأرقم المستحصد

وأمامك الفرق الكثيرة في الورى
واحذر مداهنة التحزب ، إنها
وامش الهوينى فوق هذي الأرض لس
وكذاك لست ببالغ فوق الكثر
يا عابد الرحمن قصّر في الأما
ان لا أعقد فيك نظرة مسلم
ووصيتي من كل قلبي فامتثل
لكنما هي همسة من والدي
سبب الجفاء إطالة الأحلام في
يا عابد الرحمن صدقت الأما
فأطع أباك ، وكن لنفسك حازماً
هو واقعي ، ليس يحلم مثنا
وكذا الصقور ، فكم لها من عزة!
فالصقر كم في الصقر من عجب لذا
هو جرب الأحلام دهرأ فاكتوى
هو طائر عذب الشكاة مزركش
هو ليس كالطاوس يملاه الغرو
لكنما هو واقعي في عقي
شاهدتها ، مع قومها للشمس قد
أولى بذلك ربنا ، هو مخرج
يا عابد الرحمن حدد بغية
ولدي الحبيب فإني جربتها

أبئس بشراً تخبط وتأود!
فتروح أو تغدو بثوب مجسد
ولأنت نبتت من فنام سُجد
واربأ بقلبك عن غموم الحسد
واشمخ بأنفك عن تطاول قمهد
وذرى التعفف في العبادة فانشد
إن العبادة طاعة للسيد
سبب الشقاء على الدوام السرمد
رأ ، لا يهملك من متاع أجرد
صاف فلست تحلم بالرياش العسجدي
ويح الوشاة من الجموع الحسد!
حوا كل خير ، يا صغيري فاشهد
قد بات أمر القوم غير معقد
بصحابهم ، هم كالعجاج الأربد
يُنبيك عن قوم بغوا أو مشهد
ميقُ العبارة بالخيال العسجدي
لك واعياً ، أنعم بكل حَفَدَد!
فالجهل داعية الفنا المتوقد
عند المصيبة فالقدير استجد
تمنن به ، فالمن داء الألكد
من نظرة ، فالغض سَمَت المهتدي

إياك أن تهوى متاع غرورها
هي تشبه الأمل الضحوك بطيها
ابني الحبيب: لك الفضائل جمّة
فاربأ بنفسك أن تكون مذللاً
واجعل إجابة من يعيبك إفكه
وارج الهداية في إطاعة ربنا
ما خاب عبدٌ قد أطاع إلهه
واحذر مصاحبة الوشاة ، فإنهم
إنى أريدك أن تعيش العمر حـ
إنى أريدك أن تعيش على الكفـ
فأبوك قد برت الوشاية عزمه
أعلمتهم في الناس سري فاستبا
فطويت صفحتهم ، ولم أعبأ بهم
بل هم يريدون الوصول على حسا
وإذا أتاك من الخلائق فاسق
فعليك بالتبيان ، لا يغررك تنـ
وتحر في طلب الحلال ، وكن لما
وتجنب الجهلاء عمرك كلمة
ولأمر ربك فاصطبر ، كن راضياً
وابذل على الأيام معروفاً ، ولا
عيناك فلتحفظهما عن كل خا

إِحَادُ عَيْنِكَ فِي الْحَرَامِ جَرِيمَةٌ حَاذِرٌ تَرْدِي كُلَّ غِرْمٍ مُلْحَدٌ
وَالخَاطِرُ الْحَيْرَانُ فَأكْظَمُ غِيْظُهُ كَيْفَ الْحَيَاةُ بِخَاطِرٍ مَتَغْلَدُ؟
وَاعْلَمْ بِأَنْ هَدَيْتِي هَذِي إِلَيَّ كُ ، أَزْفَهَا (دَالِيَةٌ) لَمْ تَسْرُدْ
مَا كُنْتُ أَنْوِي أَنْ أُسْطِرَّ شَطْرَةَ لَكُنْمَا قَدْرُ الْمَلِيكَ الْمَوْجِدُ
لِي مَوْعِدٌ مَعَ عَابِدِ الرَّحْمَنِ فِي أُخْرَى تَكُونُ عَظِيمَةً كَالْعَسْجَدِ
وَخَتَامُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ الْكَثِيرُ رُ لِرَبِّنَا الْمُحْيِي الْمَمِيَّتِ السَّيِّدِ

بعض معانى الكلمات غير المطروقة

أوابد: وحوش. مستأخذ: مستكين. يؤطد: يؤسس. الأبرد: النمر. ثوهد: أي الغلام المراهق.
جلمد: أي غليظ. جوامد: هي حدود بين أرضين. مجمد: بخيل. أجاود: جمع جواد. متحرد:
معتزل الناس. حردد: أي قصير. محارد: مشافر. حرافد: هي كرام الإبل عند أي قصير.
محارد: مشافر. حرافد: هي كرام الإبل عند العرب. أصاعد: مقابل أهابط. خنفدد: هو صاحب
مال ولكنه كريم يبذله في أوجه الخير. حارد: معتزل الناس. أجرد: بخيل. صفرد: هو أبو
المليح (طائر جبان). أصايد: جمع صيد. الأصيد: الملك. العنكد: الصلب الأحمق. سم متغلد:
أي متعمق. فراقد: نجوم يهتدى بها. فراند: جمع فريدة. متفصد: أي يتفصد عرقا إذا كان
يتصببه. أفهد: جمع فهد. قلاند: جمع قلادة. حافد: خادم. يوم محتمد: أي يوم شديد الحر
والقيظ. حنجد: أي جبل الرمل. خرائد: بنات أبقار. سمهد: أي يابس. السمهد: هو الجسم
من الإبل. الصيخد: أي عين الشمس. صرائد: هي النعاج أمرضها البرد. الصرخد: أي الخمر.
مهند: أي السيف. أرمد: أي مصاب بالرمد. سرمد: أسود للغاية. سرمدي: دائم الاستمرار أي
خالد. السيد: اسم من أسماء الله الحسنى ، أشار إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله:
(السيد الله).

القصيدة العمرية (حبيب القلوب)

(كتب الشاعر حافظ إبراهيم قصيدته العمرية ، يُهديها للفراروق عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - . وأذكر أنني عارضت قصيدة حافظ إبراهيم (العمرية) ، وكنت أسميت قصيدتي (نهج العمرية) على غرار (نهج البردة). وكنت تناولتُ تفصيلاً ما أجمل حافظ عن عمر في مسألة موافقة عمر للقرآن. وإن لم تكن قصيدتي على ذات المستوى الراقي الذي صاغ عليه حافظ قصيدته ، فإنه يبقى لي شرف المحاولة. واليوم أكتب (القصيدة العمرية) أهديتها لولدي الثالث الذي أسميته (عمر الفاروق) ، تيمناً بأن يكون مثل عمر بن الخطاب ، رحمة وعدلاً وقوة لهذي الأمة التي تحتاج في زماننا هذا إلى عمر كعمر ، أكثر من أي زمان قد مضى. وهذه العمرية تختلف وزناً وقافية ومضموناً عن عمرية حافظ! وإن وافقتها في العنوان. وإن هو إلا السير على منوال المتبحرين في الشعر رجاء أن نكون مثلهم في المحافظة على تراث أمتنا ولغتها لغة القرآن. إنها هدية وليدي الثالث ، وذلك بعد ما يقارب فعلاً الشهرين والنصف من يوم ولادته. وأنا اليوم إذ أكتبها ، فإنما أكتبها تعبيراً عن خالص حُبي وأشواقِي وحناني ، وكنتُ قد أسميتها - القصيدة العمرية - وهي وإن تشابهت حقاً في الاسم بعمرية حافظ إبراهيم ، إلا أن عمرية حافظ أفضل بكثير كما أسلفنا. وإنما أسميتها العُمريّة نسبة إلى اسم الوليد - عمر الفاروق - وذلك تيمناً بأن يكون كعمر الفاروق - رضي الله عنه - وتمييزاً له عن كل عُمر في الأرض - كان ويكون وسيكون - إلى قيام الساعة. وأسأل الله أن يجعله مثل أمير المؤمنين عُمر الفاروق - رضي الله تعالى عنه - . ويرجع السبب في ذلك أنني اعتدت أن أسمى كل مولود يولد لي يوم سابعه ، وأعق عنه في ذات اليوم إن تيسر. وتكون الأيام التي تسبق اليوم السابع للمشاورات والمداولات والاقتراحات. فاقترحتُ أمه أن نسمي المولود عمر. فقلت: إذن يتشابه مع فلان وعلان ، وذكرت اسمين لممثلين رقيعين واسماً ثالثاً لعازف جيتار هلك في الدهر! فعقبتُ الأم قائلة: وما لنا وهؤلاء؟ بل نسميه عمر ليكون كعمر بن الخطاب. فقلت: هكذا يكون الكلام. وانتويت أن أسميه (عمر الفاروق). وأعلنت أنني إذا وافقت لي الجهات المعنية بتسجيل المواليد على هذا الاسم ، فإنني سوف أمضيه وأقره. وإن هم عارضوا فسوف أختار اسماً آخر. وخضتُ حرباً ضروساً ليكون اسمه (عمر الفاروق) هكذا ليكون مميزاً. وبتوفيق الله وحده تم الأمر. وأذكر أننا سعدنا بهذه التسمية جداً حتى ليتمكن تسميتها بالإتجاز العظيم. ذلك أن التسمية مما يُسأل عنه الأب ، وهي على ذلك من حقوق الابن على أبيه! وإن كان اسم (عمر الفاروق) قد أغناه أصلاً عن اسم أبيه! حيث إن أبناءه من بعد: (عبد الله - عبيد الله - عبد الرحمن - عاصم - حفصة) ، وإن فكلها أسماء لا تحتاج إلى اسم الجد بعد ذلك! بل اسم الابن أو الابنة مقترناً بالأب ، وكفي به شرفاً عظيماً! وكفي به نسباً ضارباً في أعماق السؤدد والفخر! وأذكر أن رجلاً من أشرف (رأس الخيمة) لما سأل عمر يوماً ما اسمك يا بني؟ فأجاب: عمر الفاروق! فعقب الرجل قائلاً: أهكذا اسمك؟ فقال عمر: نعم. فقال الرجل: إياك أن تسيئ إلى هذا الاسم! ودعا له بخير. وعموماً المسألة لا تقف عند الاسم ، بل ماذا حقق صاحب الاسم من حقيقة اسمه؟ هل اقتفي أثر (عمر الفاروق)؟ هل حرص على أن يكون مثله ديناً وسمتاً وهدياً؟!)

سَعِدَ الْيَرَاعُ ، وَقَدْ بَدَا يَتَرَنُّمُ وَلَمَحَتْ فِي عَيْنَيْهِ نَوْرًا يَبْسُمُ
وَالْبُشْرِيَاثُ - الْيَوْمَ - زُفِنَتْ وَالْهِنَا وَتَكَادُ - مِنْ فَرَطِ الْهَيْأَا - تَتَكَلَّمُ
وَالْقَلْبُ تَغْمُرُهُ السَّعَادَةُ ، وَالْهُوَى! وَالرُّوحُ دَاعِبُهَا الْجَمَالُ الْجَيِّمُ

ولها أريج بالحفاوة مُؤدِم
أما الضمير ، ففي صدادهُ مُتَمِّم
بسنا الخُبور ، وعزمتي تَنَسِّم
فصغيرنا الفاروقُ مَنْ يتقدم
إن الفؤاد - على الصَّفا - يتنعم
إن اللخون على الرويِّ تُخيم
ذهب سبيكُ الحُسن ، أو هو أقوم
إن الطيِّوف لوقعها تستسلم
فالشوق - فوق رحيقها - يتهينم
واستمطري الأطيَّار ذرّاً يُقدم
واليوم يغمرنني السرورُ الحنـم
وأدلى الأفق ، لا أتكتم
عنها سيسألني المليكُ المُنعم
إن السرور بها لنعم المغنم!
كان الفؤادُ بمثل هذا يحلم
نقشت قراطيسي ، وفاض المرقم
وجبينها ، والشعرُ أسودُ فسحُم
والثغرُ من أعماقه يتبسم
ويزيلُ حُزن النفس رمزُ مُبهم
من عاشر الحمقى إن لا يسلم
إنني أقول الحق لا أتوهم

والنفسُ في الأفراح تقضي عُمرها
وغزا القريضُ طويتي وقريحتي
ذي بهجة سادت ، ودارُ أسرجت
الله أكبرُ يا يراعاة صوري
هاتي القريضُ ، رطيبة نغماته
واستنشقي الأوزانَ عبرَ بحورها
وتعطري بالشعر ، إن أريجة
وضعي - على الألفاظ - أنقى بهجة
من كل طيف ، فاستعيري نفحة
وعلى بريق الحُب طيري للمنى
أنا يا عُيون الشعرِ ثاوي دائماً
وأمازح الأطياف في شعر الهنا
هَذَا الوليدُ وديعة أودعتها
جاءت فغرَّدَ خاطري ، وجوانحي
وتخللت رُوحِي بكل لطيفة
حتى إذا أضحى خيالي واقعاً
عُمريَّة زهراء ، يلمع وجهها
والعطرُ فيها شهدا ورضابها
معسولة أفاظها ، ورموزها
هي غصّة في حلق كل مخذل
والمرء يشكو للمُهيمن من طغى

يتجرع الظلم البغيض الأظلم
سَطرثها شِعراً ، يجودُ ويكرمُ
والصَّوتُ أبلجُ ، والفتى يترنم
وعلى جحيم ضلالها تتجهم
والشُرُّ مَقرورٌ ، وعاش الخوم
ومضت (قريش) ، ثم زالت (جرهم) !
والباطلُ الممقوثُ بعدُ مُحَكَّم
وجحيمها ، والعيشُ فيها علقم
فوق الأنام بها ، وقد جفَّ الدم
والخائن الغدارُ ، ها هو قيم
وبكل نارِ عذابها تتضرم
إن الخطوبَ بها غدت تتضخم
في حين ينتحرُ الأبى الضيغم؟
والحُرُّ - في آلامه - يتحطم؟
والحُرُّ - في رِقِّ العبودية - يُقحم؟
وترى المؤخِّدَ - في الشقا - يتحمم؟
ويبرئ العادين فيها المجرم؟
أما حياةُ الذلِّ ، فهى الأعظم
وفناؤنا - في نارها - تتبرم
وكماترى في ضيقه يتالم
وتراه في أناته يتلعثم
والعزمُ أبكمُ ، والغرى تتأزم

ولكل مظلوم ستأتي ساعة
يا أيها الفاروقُ تلك تحيتي
يا باسماً في المهدي تشرحُ خاطري
ذنيك قد مُننت بشرق قاصلي
وهدي الإله فغانبٌ ، ومغيبٌ
ومضت - على رغم الأنوف - بدواة
وشريعة من عالم الدنيا مضت
والدارُ تشكو حالها ، ومرارها
فرش الشقاء عباءة دموية
والمخلص المعطاء أمسى خائناً
يا ليت شعري ، والحياة كنيبة
كيف السبيلُ إلى إعادة شأنها؟
عجباً أيسمو الهرُّ في هذي الدنا
عجباً ، أبيتسُمُ الخليغُ حياته
عجباً ، أيغدو العبدُ فيها سيدياً
عجباً ، ينام الوغدُ فيها آمناً
ويُدانُ من والآه ، رغم برائة
وغدت حياة العز فيها مُرة
يا أيها الفاروق ، هذي فتنة
وأبوك - في هذي الدنا - متحيرٌ
ويبيتُ - في أسقامه - مُتملاً
يبكي الفضيلة والهداية والثقى

لكنني في يوم مولدك انيري
وفلقت هامة محنتي بضراوة
وظفقت أشكر ربنا ، ثم التي
أم ورب الناس لم أمثلها
أم ، وربك فيك عانت ، واشتكت
ورأيت من الأمها ، ما لم يدُر
أسميتك (الفاروق) بعد تردد
لكنما لغة على شفيتك نش
من أنك المغوار مذهبك التقى
والعز فيك سجية عمريّة
لكنها تق تص دون تشاور
ويميتك الفضلى تزخرف درة
إن يُذكر الفاروق يُذكر عدله
إن كنت أنسى لست أنسى يوم عد
نصر الحنيفة ، لم يكن متخوفاً
وكذا أريدك للحنيفة نصرها
لا يصرفك اللين عن نصر الهدى
إن كنت يا ولدي لبيباً ، فانتبه
يا أيها الفاروق عزك مأملي
وحذ إليك ، كُن حنيفاً مسلماً
وادرُس حنيفة العظيمة ، إنها

تُ لكربتني ، فلنك المقام الأعظم
واستبشر القلب الذي لا يسأم
حملتك في الأحشاء يا ذا الهيثم
تحنو على الأطفال ، لا تتجمجم
ولكنم رأيت طيوفها تتهشم!
بخيال من يدري ومن يفهم
وبرغم أنك في فراشك أعجم
سوى ، أنت فيها مفصح مُتكلم
ولنك الحسام ، كذا الجواد الأدهم
والدرة العصماء ، لا تحلم
وبها يزول تظلم وتبرم
ووراءها (الفاروق) راع أحزم
فالعدل - في أفعاله - يتجسم
زر الحق بالفاروق ذاك القيم
وتحققت للمسلمين مهابة وتغنم
كُن مثله ، يا أيها المتبسم
واحمل حساماً ، قد كواني المرقم
فالسيف يرهبة المضلل الأرقم
وصلاح أمرك ذاك عندي المغنم
لا ألفينك - في الورى - تتمسلم
زاد الفتى ، إن حل يوم أيوم

وإن اعتراك الفقر إنك أحلم
أو جاهلاً هو في الضلالة قشع
واربياً بنفسك أن يُذلك درهم
فتنفس التضليل بسئ المعلم!
وغنيها ماض ، ويمضي المعدم
إني الحروف ، وأنت شعراً تنظم!
عبر اليراع ، فداعبته الأنجم
صحوتي ، بوركت يا ذا البُرعم
بصراحتي وعزيمتي نطق الفم
حتى يهيم بما كتبت الهوم
فاروق ، هذي دعوة تنتسم
لقد اشترى دين الغشاء الديل
وكذا العذاب على الغشا يتردم
فاعمل لآخرة تسود ، وتسلم
عن هذه الدنيا ، فدربك أعظم
وكن الأبوي إذا الأنام استلموا
وكن البصير ، وإن رفاقك قد عموا
فالحق عند رجاله لا يكتم
وعلى فوات الفليس نذل يندم
لا يُخرب الإنسان إلا الخوم
أبداً ، وعم الكون جهل أسحم
واستعذبوا السواي ، فعم المائم

وأراك بالتوحيد في الدنيا الفتى
فاصبر على فقر يُريدك مشركاً
واصمد إذا ضل الورى رب الهدى
واشمخ بأنفك عن تنفس باطل
إن الحياة رخيصة ، لا تُغلبها
يا معقد الآمال ، يا عمر الفدا
والشعر هذا ، أنت قد فجرته
فتهللت أعطافه بشراً ، وأحيا
أفدي أبا حفص بروحي قانعا!
ولله أحب في القريض محبتي
والله أسأل أن يعز الدين بالـ
إني أعيذك أن تكون مع الغشا
وأذاقهم في الأرض ألوان الشقا!
لك موتة - بالرغم - سوف تموتها
أنا يا بني أريد منك ترفعا
مت في سبيل الله ، تلك وصيتي
أرخص حياتك للإله تقرباً
لا تكتمن الحق خشية ظالم
والموت أفضل من حياة مذلة
لا تصحب الغر تلك بليّة
إن لم تجد في الناس إلا معرضاً
وقد استحل القوم كل محرّم

والناس عن هذي المهيمن أحجموا
وإذا نذير دلهم ، لم يندموا
وأعد في وجه التقاة الصيلم
فالذل والموت المحقق توأم
فالكرب يفرجه القوي المنعم
ولمن تقاعس في الحضيض جهنم
يدعوك للأخرى الكتاب المحكم
والقدوة المثلى النبي الأكرم
وأبوك بالذكير هذا يختم
والله يحفظنا به ، ويسلم
عمت بقاع الأرض ليست ترحم

وترنح الشيطان في دنيا الورى
وتنكر الأقوام حتى للحيا
وتمرغوا في الوحل دون غضاضة
فارحل عن الأرض التي فيها الأذى
فإذا منعت من الرحيل فلا تهن
دار المقامة ، يا بني عزيزة
عش للحيفة ، أنت ضيف راحل
أنا قد نصحتك ، والمهيمن شاهد
صلى عليه الله مادامت سما
والى لقاء عند ربك ، يا فتى
والله أسأل أن يعيذك فتنة

حَلَلَتْ أَهْلًا ، وَنَزَلَتْ سَهْلًا يَا يُوسُفَ الْخَيْرِ

(تأتي هذه القصيدة بعد انقطاع عن الكتابة دام سنوات. وأكتبها اليوم هدية لولدي (يوسف الصديق) ، وهو الولد الرابع الذي رزقنيه الله عز وجل من غير حول مني ولا قوة! فالحمد لله تعالى على نعمة الولد. وكان يوسف قد ولد في اليوم السادس من شهر سبتمبر للعام الألفين من ميلاد المسيح! (ألا شكرنا الواهب وبورك لنا في الموهوب ورزقنا بره وبلغ أشده)! وأسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك فيه وعليه وحواليه ومن فوقه ومن تحته ومن أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله! والدعاء ذاته لإخوانه: عبد الله وعبد الرحمن وعمر الفاروق ، وأن يجعلهم الله - عز وجل - سلماً لأولياته حرباً على أعدائه ، وأن يجعلهم وأبناء المسلمين أجمعين ذخراً للإسلام والمسلمين. والواجب على كل أسرة مسلمة يرزقها الله الولد أن تشكر نعمة الله شكراً لفظياً وآخر فعلياً عملياً! يقول الأستاذ أحمد الفراك في وصف نعمة الأبناء ما نصه بتصريف: (وتختلف الأسر المسلمة في طريقة احتفالها بالمولود الجديد ، ويتقرب الصالحون إلى الله بإحياء سنة "النسيكة" ، (أي العقيقة) ، يشكرونه سبحانه على أن وهبهم الذرية ، ويسألونه صلاح وسلامة أبنائهم. (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا). والولد الصالح ذخراً للأمة في الدنيا ولوالديه في الدنيا والآخرة. ولكن هلاً سألنا أنفسنا: ما الشروط ليكون العمل الإيجابي صالحاً ، ولتكون الكثرة مما يبهج نبينا في معرض مكاشرة الأمم؟ ما معيار الصلاح في حساب الدنيا والآخرة؟ والله وحده بلا شريك هو الذي خلق ورزق وأنعم على الإنسان بالولد ، فمطلوب من الوالد شكر المنعم الذي له الخلق والأمر ، فمن يؤمن بأن الله أكرمه وأعطاه ولو شاء لحرمه ، يدرك قيمة إنعامه سبحانه ، ويدرك وجوب شكر الله الواهب الكريم على ما وهب وتكرم. إذ تقيد النعم بالشكر ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها. وإن الشكر أمن للغير ، ونماء للنعمة ، واستجلاب للزيادة". والنعمة تستوجب الشكر لله تعالى! (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) ، والحق سبحانه لا يريد منا سوى شكره على كرمه ومنه وأفضاله! (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون). والشكر عمل! قال سبحانه: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ). اعملوا ، إذ دوام العمل برهان الصدق. وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، ولما سُئِلَ قال: (أفلا أكون عبداً شكوراً؟) والشكر يستوجب المزيد كما أن الكفران يستجلب العذاب: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) ، وفي الدعاء المأثور عن أبي الدرداء ، وروي مرفوعاً: "اللهم لك المُلْكُ كله ، ولك الحمد كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، أسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله". وجديرٌ بالتذكير أيضاً أن نعمة الولد والنعمة عموماً تُنسب حقيقة إلى المُنعم لا إلى المُنعم عليه. (وما بكم من نعمة فمن الله) ، ومن أوتي نعمة ولم يشكر ذهبته منه وهو لا يشعر. فاللهم ذكّرنا النعم بدوامها لا بزوالها. والشكر عبودية ، قال الكريم الوهاب سبحانه: (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ، وقال أيضاً: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون). وعبودية الشكر لا تساويها عبودية. فالحمد لله على وجود النعمة ، والحمد لله على التوفيق لتحصيلها ، والحمد لله على توفيقنا لشكره عليها. فله تمام الحمد وتمام الشكر. اللهم أوزعنا أن نشركك على نعماتك التي لا تحصى ، وأن نحمدك أن وفقنا لشركك ، فالشكر نفسه نعمة منك سبحانه. اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأعز أمتنا واستخلفها ، إنك

ولي ذلك والقادر عليه. ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غني كريم).هـ. أشكر للأستاذ الفرك هذه الدرر الغالية في الحث على شكر نعمة الله عموماً ونعمة الأولاد بوجه خاص! ألا وإن هذه القصيدة على طولها إلا أنني كنت قد كتبتها جملة واحدة إلا ما تتطلبه الصياغة الشعرية من التحقق أحياناً ومراجعة المصادر والمراجع للوقوف على مدى حقيقة نص أو لفظ أو فكرة. وأما عنوانها فهو اسم صاحبها والمهداة إليه! وهو اليوم في المهد ، وغداً عندما يعي من أفاظها وإيحاءاتها ما يريده والده اليوم وغداً! ولقبناه بهذا الاسم (يوسف) وبهذه الكنية (الصدیق) تيمناً بأن يجعله الله كالصدیق يوسف بن یعقوب - عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء والرسل من نعلم قصصهم ومن لم نعلم صلوات الله وتسليماته - . وأن يحقق الله على يديه اليوم ما تحقق على يد يوسف الصدیق النبي بالأمس من الفرج والعزة لهذه الأمة عامة ولأسرته المنكوبة خاصة! وأشدتُ بالدور الذي قامت به ابنتنا (عائشة بنت حمد آل خدوم) إحدى الجارات لنا في الحميدية - عجمان ، وهي بالمناسبة من بُنيات البادية ، فلقد كانت تتابع يوسف الصدیق حملاً فجنيناً فوليداً فصبيّاً في المهد ، متابعة المحبة المشفقة والجاراة التي ترعى الذمار وحق جاراتها والأخت التي تحقق معاني الأخوة. وعرجتُ على دور الأخت (أم عبد الله الشرقاوي) وهي إحدى صويحبات أمه! ثم سطرْتُ مجموعة من الوصايا الطيبة التي أسأل الله أن يوفق ابننا يوسف للعمل بها!

فاح الأريجُ ، وفاض النورُ والعطرُ	وحلّ ضيفاً - على أرواحنا - الخيرُ
وغرد السعدُ يسري في جوارحنا	وجاء ملتحفاً - بالبهجة - البشر
وزغرد الفرخُ مُحتملاً بنشوته	وداعب الهمةُ المُلتاعة الشعر
واستبشّر الأملُ الحاتي يُجاملنا	وعنّ - من ليله المُحلولك - الفجر
وزيّت بسّماث الأتس مؤكبننا	وفاض بالعز - في آفاقنا - اليسر
وزخرفت نسّماث الشوق خاطرننا	وقد سما - فوقنا بنوره - البدر
وأشرقت شمسنا في كل حاضرة	وهامٌ وجداً بها التحنُّان والزهر
ورفرفت في صدى الذكرى مشاعرنا	وانساب دمع الهنا ، كأنه النهر
ففي القلوب - من الترجيع - هينمة	وفي النفوس صدىً يحلّو به العمر
في هجعة الليل ، والصدیقُ موقظنا	بكل رفق ، ففي إيقاظه صبر
و(يوسف الخير) في هذا الدجى قمرُ	وللمليك على ما خصنا الشكر
شرعتُ أشكرُ من جادت تبشّرني	بفارس الحق من يقوى به الأزر
فقلتُ: يهدي ملكُ الكون من همستُ	بذي البشارة ، والتقوى هي الأجر

فأشفت ، وطفأ فوق الجوى العذر
وتلك سُنته ، وشاهدي الذكر
وبالحنيفة والتوحيد لي الفخر
لا يستوي الدر في الميزان والحبر
على الوجوه ، فذي خير وذي شر
وذاك يقبغ - في أفاظه - الجمر
وليس يجدي إذا حلّ القضا الحذر
من عالم داؤه الأحقاد والغدر
فعاش يذبخه الخذلان والقهر
حتى الصليب له في وخذه مكر
والمجهزون - على خيراته - كثر
ومن أنيستهم في السهرة الخمر
من الذين من التوحيد قد فروا
رغم الأنوف سدى رايأته الغر
مع الذين - على إفلاسهم - قرأوا
من الطرائق حتى مسنا الضر
فأين (عبس) مضت؟ وأينها (فهر)؟
حتى غدونا لما صاغوه نجتز
عمادها الغش والتدجيل والخسر
ومن ترائبنا الأقلال والحبر
وبات منتجعاً نسعى له الأسر

وزدت: أسمع من أم الفتى خيراً
فقلت: يشفي إله الخلق عاتها
سجدت شكراً لمن عمّت فواضله
وحولنا الناس ، مسرور ومكتتب
سبحان ربك من جأى سرانرهم
وذاك فرحته تعلقوا ابتسامته
(يوسف الخير) من هذا على حذر
إني أعيذك - بالرحمن - يا ولدي
أودى بعزته هجران شيرعه
أسمى يهان بما أوغأه اجترحوا
غدا يداول - بين المجرمين - ضحى
يكرم اليوم من غنوا ومن رقصوا
أضحى يحكم قانون الذين طغوا
نعيش يا ولدي في عالم سقطت
مع الشعوب ندور - اليوم - في فلك
ضاعت مهابتنا في وحل ما رسموا
حتى العروبة ذابت في تغربنا
وأفسدت حيل الماسون صحتنا
وللنصارى - على ألبابنا - سبيل
يسطرون ومننا من يتأبغهم
ويشهورون رحي الأغلال مشرعة

وُلَيْسَ يَسْلَمُ مِنْ أَهْوَالِهَا شَبِيرٌ
 عَلَى التَّشْفِي ، وَفِي أَصْقَاعِهِ كَرَوَا؟
 وَشَخَّصِ الدَّاءَ ، أَنْتِ الدِّرْعُ وَالذِّخْرُ
 كَيْفَ الْكِرَامَةِ وَالْإِخْلَاصِ وَالنَّصْرِ؟
 وَكَيْفَ يَسْتَرُّ حَسَنًا صُقِعْنَا الْخَدْرُ؟
 رَصِيدُهُ الطَّبْلُ وَالْأَرْغُولُ وَالزَّمْرُ؟!
 وَقَوْدُهُ السَّحْقُ وَالتَّشْرِيدُ وَالْجَوْرُ؟
 قَوَائِمُهُ الْفَنُّ وَالتَّضَلُّلُ وَالْعُهْرُ؟
 وَمَنْ - إِلَى جَوْقَةِ الْمُسْتَهْتَرِ - انْجَرُوا؟
 وَمَنْ بَصَّوْلَتِهِمْ بَيْنَ الْوَرَى اغْتَرُوا؟
 كَأَنَّهُمْ - بَكْتَابِ اللَّهِ - مَا مَرُوا؟
 وَهَلْ تَفِيدُ الرَّوْيَ مَنْ ضَلَّ وَالذِّكْرُ؟
 فَلَا يَكُونُ بِهَا فِسْقٌ وَلَا كُفْرُ؟
 وَكَيْفَ نَبِطِلُ سِحْرَ (الْجَازِ وَالنَّجْرِ)؟
 وَكَيْفَ نَغْلِبُ جَيْشًا قَادَهُ (نَهْرُ)؟
 تَلِكِ التِّي سُلِبَتْ ، وَالْعُرْبُ لَمْ يَدْرُوا؟
 فَالْنَصْبُ ضَاعَ ، وَضَاعَ الضَّمُّ وَالْجَرُّ؟!
 كَيْفَ اسْتَبِيحَ هُدَى الْإِسْلَامِ وَالْجِسْرُ؟
 مِنَ اللُّغَاتِ ، فَذِي شَيْنٍ وَذِي خَيْرٍ
 وَهَلْ يَكُونُ لَكُمْ - فِي جَيْشِنَا - مُهْرُ؟!
 تَرَدُّ - بِالْعَدْلِ - مَا أودى بِهِ الْجَوْرُ؟
 نَرَاكَ فِي صَفِّ مَنْ - لَرَبِّنَا - خَرُوا؟

وَيُوقِدُونَ لُظَى التَّنْصِيرِ فِي صَافٍ
 وَكَيْفَ يَسْلَمُ مَنْ أَعْدَاؤُهُ دَرَجُوا
 يَا (يُوسُفَ النُّورِ) فَاعْلَمْ حَالَ أُمَّتِنَا
 فَهَلْ نَرَى فِيكَ نَبْرَاسًا يَبِصَّرُنَا
 وَكَيْفَ نُرْجِعُ أَمْجَادًا تُجَمِّلُنَا؟
 وَكَيْفَ نَحْفِظُ طُوفَانًا يُدَمِّرُنَا
 وَكَيْفَ نُخَمِّدُ بَرَكَانًا يُحَطِّمُنَا
 وَكَيْفَ نَقْمَعُ زَلْزَالَاتٍ يُدْهِمُنَا؟
 وَكَيْفَ نَسْحَقُ مَنْ بِالْبَاطِلِ ادَّرَعُوا
 وَكَيْفَ نَقْتَصُّ مِمَّنْ حَارَبُوا غَدَنَا
 وَكَيْفَ نَدْحَضُ مَا دَسَّوهُ مِنْ شُبُهٍ
 وَكَيْفَ نَدْفَعُ مَا سَاقُوهُ مِنْ حُجَجٍ؟
 وَكَيْفَ نَمْحُو - مِنَ الدُّنْيَا - قَلَاقِلَهُمْ
 وَكَيْفَ نُوْقِدُ - فِي (الْهَيْبِيَّزِ) - شُعْلَتِنَا؟
 وَكَيْفَ نَشْدَخُ (لِلْكَأُوبِيِّ) نَعْرَتَهُ؟
 وَكَيْفَ نُرْجِعُ - لِلْأَعْرَابِ - شَوْكَتَهُمْ
 وَكَيْفَ نُرْجِعُ ضَادًا أَصْبَحَتْ خَبْرًا
 بَعْدَ الشَّرِيعَةِ كَانَتْ جِسْرَ قَوْتِنَا
 ثُمَّ ابْتَلَيْنَا بِمَا الْأَعَاجِمُ ابْتَدَعُوا
 فَهَلْ تُعِيدُنَا مَا الْهَزْلُ بَدَّدَهُ؟
 وَهَلْ نَرَاكَ - عَلَى سَاحِ الْوَعْيِ - بَطْلًا
 وَهَلْ إِذَا صَفَّتِ الْهَيْجَا جَحَافِلَهَا

وتستمي ألقياً ، كأنك النسر؟
فليس للكفر إلا السَّحْلُ والعَقْر
وفي مراتبها يحلوا لك النحر
همُ النعاجُ غوثُ ، وإنك الصقر!
والله يشهدُ ، ثم الناسُ والدهر
وأنت سيفُ الهدى والرمحُ والثأر
لقد يكونُ له - بين الورى - قدر
فيه العفافُ ، ففي ظلاله الطهر
من الأرائلِ مَنْ من ديننا فروا
نهجُ البُغاة ، فبئسَ النهجُ والفكر!
ومَنْ يُخلدُ ذكرى مجده الذكر
نعمَ النبيُّ! ونعمَ الآلُ والخُبر!
فخرًا ، وتغبطه في عزةٍ (مصر)!
وقادها - بعد حين بالهدى - (عمرو)
مرارة العيشِ إذ إقدامه مُر
ولستُ أدركُ يا محبوبُ ما السر?
تُفضي إليكَ بما قد احتوى الصدر
وباركتُكَ ، فزالَ الهمُ والكُدر
وغرَدتْ مثلما يُغرِدُ الطير
وليس يعرفُ ما في قلبها الغير
وليس يحجبُ ما في قلبها سِتر

تجز بالسيفِ مَنْ راموا هزائمنا
لا تستكين إذا هزئتُكَ خندمة
فأنت بالحق تغشى كل ملحمة
إنني أريدك ناراً فوق مَنْ ظلموا
وأنت أهلٌ لَمَّا أزجيه مِنْ طلب
أنني ادخرتُكَ للإسلامِ عُدته
ولا أزكي علي رب الورى ولدي
أسميته (يوسف الصديق) مُلتمساً
لم أعن - بالكُنية العصماء - مُرتزقاً
لم أعن - بالإسم - أهلُ الفن منتهجاً
لكن قصدتُ بها الصديقَ أسوتنا
ذاك (ابن يعقوب) في القرآنِ مخبره
يا (يوسفَ الخير) يا طفلاً أتيةً به
مصرُ التي قادهما الصديقُ في زمن
يُحِبُّكَ الكلُّ شِبلًا ليس تغلبه
يكادُ حبك يسبي قلب (عائشة)
وقد أتتُكَ بمستشفىٍ وُلدتَ به
عافيت صحائفها حتى تزوركما
وأغدقتُ خيرها ، وأنت مقصِدُها
قلبٌ أحب ، وقد شط الودادُ به
تريدُ خيراً لأهل الحق قاطبة

ووجهُكَ الغَض - بالتدليل - يَحْمَر
كَم جَاد كَفِكَ كَم؟ كَأَنَّهُ البَحْر!
فكسُرُ دينِكَ والتَّقوى هُو الكسِر
وكل علم له يا أختنا سفر
لكنْ لربك ، هذا المنطقُ الخير
وزايلي ما به يستفحل الضير
وإن واعظنا - في الغفلة - القبر
فلا يكونُ من الذكري ولو نذر
ومن له الخلقُ والأملكُ والأمر
يقول ذلك - قبل الخاطر - الثغر
وأخلصي الدين ، نعم السعي والسير!
أبصارُ عليتها ، وفي الخطا إصر
لكنما جمعهم من الحيا صفر
وهكذا يفعلُ الأندال والعير
حتى استوى عندها الرمان والبسر
أهل الأراجيف ، بنس الكذب والهجر!
هم الفروع انزوت ، وعزمك الجذر!
شمسٌ وما قد بدا في ذي السما بدر
روضٌ عظيمُ السنفا في السباح مخضر
ولن يموت سُدىً جوذُ الألى بروا
بوابل الشعر في سر وفي جهر
وجُل مدح الفتى فيمن هوى شر

ودلثك لها - في عطفها - أرج
جوزيت خيراً أيا أندى مداللة
يا (عائش الخير) صوني الدين تنتصري
تعلمي الحق من أسفار من صدقوا
تعلمي العلم لا للمنصب ، اعتباري
وجملي النفس بالتوحيد ، لا تهني
واستحضري الموت في سر وفي علن
وهذه الدار تُسبي منتهى غدنا
إننا نحبك ، والرحمن شاهنا
ولم نحب بوادينا (كعائشة)
فأدركي الحب كي تزكو نضارته
إن (الحميدة) الرعاء شاخصة
وأنت - في أعين الأقوام - جوهرة
لا يقدرون لذات الدين قيمتها
تنكرت - لهدى الرحمن - جوقتهم
فلا عليك من التشويش يُطلقه
أنت الملاك ، وهم - في غيهم - رتعوا
فاستعصي بعري الإسلام ما طلعت
وأكرمي صحبة (الصديق) ، أنت لها
(عجمان) يوماً يُميت الدهر نضرتها
وبعدُ أرجع - للصديق - أغمره
كيلا يقول: ثوى في مدح (عائشة)

أَسْمَتِكَ (يوسف) ، يَا ذَا الطَّيِّبِ الْبَرِّ
وَأَنْتِ فِي الْمَهْدِ لَمْ يُسْرَعِ بِكَ الطُّورُ
لَأَنَّ خَيْرَكَ لَا عَدُوَّ وَلَا حَصْرَ
مِنْ بَعْدِ أَنْ بَخَلَ الْأَقَارِبُ السُّمْرَ
وَأَنْتِ وَاحِدَةٌ ظِلٌّ مَا بَهَا حَرٌّ
يَدَاكِ حَتَّى سَبَّأَ يِرَاعَتِي الشُّكْرَ
فَلَا تَطَالُغْ كِتَابِيَّ خَطِيئَةً (النَّضْرُ)
فَهُوَ لِوَالِدِ عِبَادِ اللَّهِ كَمِ غُرُورِ!
جَمْعٌ إِذَا يُذَكَّرُ الْفِرْعَوْنَ يُخْتَرُ
وَلَا عَلَيْكَ بِمَنْ قَدْ ضَمَّهِمْ دَيْرُ
وَرَوْضِ النَّفْسِ ، لَا يَعْصِفُ بِكَ الْكِبَرُ
وَاصْبِرْ ، فَإِنَّ شِفَاءَ الْمُؤْمِنِ الصَّبْرُ
وَلَا تَصَاحِبْ غُويًا ، إِنَّهُ غِرُّ
قَلْبٍ لِللسانِ: إِذَا أَفْشِيَتْ فَالْبِتْرُ
وَاصْمُدْ لَهَا رَجُلًا ، كَأَنَّكَ النَّمْرُ
خَيْرَ الْإِلَهِ ، فَمَا يَأْتِي بِهِ الْخَيْرُ
لَا تَنْسَ مَا صَدَعْتَ فِينَا بِهِ (الْحَجْرُ) !
رَسُولُ رَبِّكَ مَنْ فِي قَوْلِهِ الْيُسْرُ
وَلَا تَقْلُ أَبَدًا فِي نِظْمِهِ عُسْرُ
وَاسْتَحْمَقْتُ وَغَوْتُ ، وَاسْتَعْظَمَ السُّكْرُ
صِنُونِ مَنْ جَحَدَ الْإِيمَانَ وَالثُّورُ !

يَا يوسفَ الْخَيْرَ لَا تَنْسَ الْجَمِيلَ لِمَنْ
فَأَذْكَرُ بِخَيْرِ لَهَا فَحَوِي زِيَارَتَهَا
فَقُلْ: جَزَاكَ مَلِيكَ الْخَلْقِ مَكْرُمَةً
أَعْطَيْتِ حَتَّى رَأَيْتُ الْجُودَ يَغْمُرُنَا
أَنْتِ (الْوَفَاءُ) بِدُنْيَا لَا (وَفَاءُ) بِهَا
شَكَرْتِكِ - الْيَوْمَ - عِرْفَانًا بِمَا بَدَلْتِ
يَا (يوسفَ الْخَيْرِ) أَبْصُرْ نُورَ شَرَعَتْنَا
وَلَا تُعْرُ أذْنًا يَوْمًا لِمُرْتَزُقِ
كَمْ طَوَّعُوا الدِّينَ لِلشَّيْطَانِ دُونَ حَيَا!
فَحَسْبُكَ الشَّمُّ أَهْلَ الْعِلْمِ مَنْ صَدَقُوا
فَأَقْرَأْ كِتَابِيَّ يُرِيكَ الْحَقَّ مِنْبَلَجًا
وَاعْمَلْ لِأَخْرَاكِ مَا قَدْ عَشْتِ مُحْتَسِبًا
وَاصْحَبْ تَقِيًّا يَكُنْ عَوْنًا تَجَلُّ بِهِ
وَكَمَنْ مُسِيرًا إِذَا أُوْدَعْتَ سِيرَ أَخٍ
وَكَمَنْ عَزِيْرًا إِذَا رَجَّتْكَ قَاصِمَةٌ
وَظَنَّ بِاللَّهِ ظَنَّ الْخَيْرِ مُرْتَقِبًا
وَأَنْتِ - فِي سَاحَةِ الْقُرْآنِ - خَيْرُ فَتَى
فَاتِلِ الْكِتَابَ وَمَا قَدْ قَالَ أَسْوَتْنَا
وَقَصِّدِ الشِّعْرَ سَيِّفًا فِي مَلَا حَمْنَا
وَاحْرَبْ بِهِ جَوْقَةَ فِي دَارِنَا سَكْرَتِ
وَاسْتَفْتِ قَلْبِكَ إِنَّ أَفْتَاكَ مَنْ جَهَلُوا

فقد يبوءُ بخيلٍ صالحٍ سفر
فقد يبيتُ رياضاً تنتشي قفر
ومتعة العيش ذات المنهج البكر!
وقولٌ خير الورى للعادة المهر
ويسـتـبـينُ الخطا ، كأنه القصر
كـيـلا يسود به التدجيل والدعر
مـبرؤ ، ما به فسق ولا فجر
ولا يزلها مـد ولا جـزر!
خبز الشعير ، وبعد الماء والتمر
حتى وإن مـر أسبوعان أو شهر
نيران شـدته ، يا حبذا الفقـر!
بالزيف ، إن مـحـك الزيف مـغـبر
واللفظ منـتـفـخ الأوداج مـصـفر
وقد أتيت بما قد احتوى القـدر
كأن زبدتها للمشـتهـي تـبـر
فإن قرأت أفـاد النظم والسـطر
فيها الحياة ، فبئس التـرك والهـجر!
تـركـي الجنان ، فبئس الرـد والزجر!
ترطب الشـعر ، خاب الفعل والنهر!
مات القريض وطـم الخوب والوزر!
فيها الجواهر والياقوت والدر
وذبت ، لكن طوى يراعتي الكسر

وإن عـدمت تقاة فارتحل أبداً
وإن دعوت فعلم ، ثم تضحية
وإن نكحت فذات الدين ليس سوى
والبيت بيت تقى ، فالذكر ديدنه
بيت يسير - على القرآن - مهتدياً
وليس فيه من التضليل خردلة
ولا تُدار به أهـات مطربة
كأنه الفلك تسعى في بلهنية
والأسودان هما مطعموم ساكنه
وليس يشكو - لخلق الله - شـدته
يرحب - اليوم - بالفقر الذي اندلعت
ولا يرقع أحلاماً مطهمة
يا (يوسف الخير) قد طالـت قصيدتنا
عتقت رونقها في قدر ذاكرتي
باتت كخـلقك ، حازت كل واردة
إنني لأسـطر ، والأيام ماضية
وإن هجرت وصايا والـد نبضت
وإن زجرت أحاسيساً بها شـحنت
وإن نهـرت قلوباً طالعت دُرراً
وإن مسخت قراطيسي وتجربتي
يا (يوسف الخير) إن الشـعر مركبتي
كتبت ، لكن قلوب القوم ما فقحت

لكن دواوين شعري أزهـا القسر
لكن يهـدّـها النكران والثبر
وقد فعلت ، وتم الوعد والنذر
من الخطوب ، فمالي سـفه الشعـر!
إخوانك الصـيد ، ثم اسـتـهـاك العـشر
حتى يـتمّ لشـعري الطـبـع والنـشر
ودربـه عـسـر مـسـتـثـقـل وعر
فبالـدعاء يـزول البـأس والضر
فبالقريـض طـوى آـمالي البـور!
في عـزة الحـق فـيم الخوف والذعر!
وإن تفتـه علامـن جوفـه الجـعر
خاب العـمـيل! وخاب السـعي والوفـر!
حتى تـمتـعه غاداتـه الشـقر
يوماً ليـصبح ماوى الأحمق القـبر
أنت اللـبـيب ، فلا يـلعب بك الخـتر!
هم الظلام ، وأنت الساطع البدر
سيفاً وذخراً ونعم السيف والذخر!
فلا يـجـرك إرجاء ولا جـبر
يـغلب الحـق ، ما في نهجه حـجر
هم اللباب ، ومن هم دونهم قـشر
ولا عليك بمن في سـبه كـروا

وكنـت نافـحت عن حق أدين به
تجـوب أرضاً وأقواماً وجمهـرة
وقـد نـذرت إذا وفقت أرخصها
فما ادخرت لـما يأتـي الزمان به
وكنـت أبقيت عـشراً كي أعول به
حتى اسـتـدنت وأحـنى الـدين أشـرعتي
وهكذا الشعـر يـفني مال صاحبه
ولسـت أشـكو - لغير الله - مـظلمتي
لكن أصـرّح أن الشعـر أجهدني
وما حزنـت على الأموال أنفقها
غيري حـريص على الأطيـان يملكها
يـوفر المال في (بنك) يدل به
غيري يتـوق لتفـاز يـشاهده
غيري يـكد لـدنيا سوف يتركها
يا (يوسف الخـير) فاحذر من ذكـرتهم
إياك إياك أن تعيش عيشـتهم
وأسأل الله أن تحيا لشـرعتنا
وأن تكـون لـدين الله متبعاً
وأن تكـون - لأراء الرجال - فتى
وأن تتابع أسـلافنا رحلوا
واقـرأ لقطب دعـاة الخـير (سيـدنا)

وبين مَنْ - في ثرى أهوائهم - قرّوا!
ومَنْ تمسّك بالتوحيد يا حُمْر؟!
هل يستوي الأسدُ الضرغام والهَر؟!
هل يستوي الليثُ يا أنذاك والفأر؟!
عن الرشاد ، وبئس الكيدُ والمكر!
وأكتفي ، فلقد ملّ الجوى الشِعْر!

شَتان شَتان بين القطب مُستمياً
هل يستوي مَنْ شرى بالدون آخرة
الله أكبر ، أين العقلُ يَردُكُمْ؟
والقطبُ ليث تخاف العيرُ سيرته
يا (يوسفَ الخير) أبصرْ ما يُعرقنا
وقاك ربك ما نحياه من فِتن

رسالة من صلاح الدين رحمه الله

(تأتي هذه الرسالة الشعرية على لسان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي المسلم العقيدة والكُردي الأصل ، تأتي بمناسبة غالية على قلبي ألا وهي ولادة ابني الحبيب (صلاح الدين) ، وهو الابن الخامس ، وكان ذلك في ظهيرة يوم السبت الخامس والعشرين من رمضان المعظم من العام الرابع والعشرين بعد الأربعمائة والألف من هجرة سيد الأنام – عليه الصلاة والسلام - ، والذي يوافق سنة ألفين واثنين من ميلاد المسيح عيسى بن مريم – عليه الصلاة والسلام - . وتيمناً بأن يكون وليدنا كصلاح الدين الأيوبي أسميناه صلاح الدين – فعسى الله أن يتحقق اليوم على يدي هذا الابن ما كان من صلاح الدين بالأمس. فما أحوج أمتنا إلى رجل كصلاح الدين تتوحد على يديه كلمتها ويلم على يديه شمل أهلها وتتنصر لدينها وكرامتها. وكانت عادتي في جُل قصائدي التي أكتبها لأبنائي أن أتكلم إليهم وأسوق النصائح القلبية وأزجي المواعظ الروحية. كأي أودعهم وداعاً أخيراً ليس بعده لقاء إلا يوم القيامة. إلا أنني في قصيدة صلاح الدين كنتُ قد استحييت من الناصر صلاح الدين – رحمه الله – والذي شرف ابني بالانتساب إليه والتسمي باسمه العظيم – وقلتُ: كيف أتكلم بحضرة صلاح الدين الميت الحي – نسأل الله أن يكتب له الشهادة – فأثرت أن أستمع إلى صلاح الدين وهو يُرسل هذه الرسالة الشعرية التي دوري فيها فقط هو صياغة ما يقوله شعراً. إن الله – عز وجل – قدير على أن يبعث لأمتنا صلاحاً كصلاح الدين. اللهم إن حاجتنا إليه اليوم أكثر من أي زمان مضى: اللهم فجدُ علينا به يا رب العالمين. تحدث ابن الجوزي – رحمه الله – عن ربنا – تبارك وتعالى فقال: (لقد نظر الله بعين الاختيار إلى آدم فحظي بسجود ملائكته ، وإلى ابنه فأقامه في منزلته ، وإلى نوح فنجاه من الغرق بسفينته ، وإلى إبراهيم ففساه حلة خلته ، وإلى إسماعيل فأعان الخليل في بناء كعبته وافتداه بذبح عظيم من ضجعتة ، وإلى لوط فنجاه وأهله من عشيرته ، وإلى شعيب فأعطاه الفصاحة في خطبته ، وإلى يوسف فأراه البرهان في همته ، وإلى موسى فحضر في ثوب مكالمته ، وإلى داود فالأن الحديد له على حدته ، وإلى سليمان فسخر له الريح ينتقل بها في مملكته ، وإلى أيوب فيا طوبى لرقدته ، وإلى يونس فسمع نداءه في ظلمته ، وإلى زكريا فقرن سؤاله ببشارته ، وإلى عيسى فكم أقام ميتاً من حفرته وإلى محمد فخصه بالقرب من حضرته ، والوصول إلى سدرته ، وأعرض عن إبليس فخزي ببعده ولعنته ، وعن قابيل فقلب قلبه على معصيته ، وعن النمرود فقال: أنا أحيى الموتى ببلاهته ، وعن فرعون فادّعى الربوبية على جرأته ، وعن قارون فخرج على قومه في زينته ، وعن أبي جهل فشقي مع سعادة أمه وابنه وابنته. هكذا جرى تقديره مع خلقه ، وإنه لا اعتراض على قسمته ، يُسبِّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته).هـ. فنسأل الله بصدق أن يوجد على أمتنا بصلاح كصلاح. لقد عاش صلاح الدين ثابتاً على السنة حامياً لها! والأصل أن يثبت المسلم على دينه حتى يلقي ربه تبارك وتعالى! يقول الأستاذ ربيع بن هادي حاضاً على الثبات على الحق ما نصه: (إن الثبات على السنة معناه الثبات على الإسلام بكليته: أصوله وفروعه عقائده ومناهجه نشبت عليه ونتمسك به حتى نلقى الله تبارك وتعالى. والآيات الحاتئة على الاتباع والالتزام والاعتصام والاستقامة كثيرة. والأحاديث كذلك ترمي كلها إلى غاية واحدة وهي ثبات المسلمين على الإسلام. وإذا قلنا الثبات على السنة فليس المراد فقط ما يفهمه كثير من الناس من لفظ السنة فإن السنة هنا تعني العقيدة والمنهج ، تعني الإسلام. تعني الثبات على الإسلام. هذا الثبات بتوفيق من الله سبحانه وتعالى. التوفيق بيده سبحانه وتعالى ، والهداية بيده ، والإضلال بيده

سبحانه وتعالى. (يهدي من يشاء ويضل من يشاء) ويثبت من يشاء ويضيع قلب من يشاء. ولهذا علمنا الله تبارك وتعالى أن ندعوه بأن لا يزيغ قلوبنا (ربنا لا تزعج قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب). فإذا ثبت الله الإنسان على دينه الحق وعلى منهج الله الحق وعلى العقائد الصحيحة فهذه نعمة من الله فلا يغتر بنفسه ، ويتباهي ويتطاول ، وإنما يتواضع لله رب العالمين. ويشكره على ذلك ويضرع إليه أن يحفظ له دينه ، وأن يجنبه المزالق والزيغ سبحانه وتعالى. ولا يفتر (ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون)! فنسأله في كل لحظة من لحظاتنا أن يثبت قلوبنا. هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يكثر من قوله: (يا مقرب القلوب ثبت قلبي على دينك) ، فقالت عائشة: (فقلت: يا رسول الله إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء فقال: إن قلب الآدمي بين إصبعين من أصابع الله عز وجل ، فإذا شاء أزاغه وإذا شاء أقامه). والثبات مطلوب من المؤمن ، ويجب أن يسأل ربه أن يثبتته في كل موقف: في الجهاد ، عند الموت يدعو الله تبارك وتعالى ، ويضرع إليه أن يثبتته (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون). إذا لم يوجد ثبات ما وجد جهاد ، ولا قيمة للجهاد إلا بالثبات حتى ينزل النصر من الله سبحانه وتعالى. فإذا ثبت المؤمنون على العقائد الصحيحة والمناهج الصحيحة ، وثبتوا في القتال أمام أعداء الله - عز وجل - ، وقاتلوا لإعلاء كلمة الله لا بد أن ينصرهم الله تبارك وتعالى بهذا الثبات على الدين ، وبهذا الجهاد لإعلانه (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). والمطلوب منه إذا كان في ساحة الجهاد أن يثبت ، ولا يفتر! والفرار من الزحف إحدى الكبائر المهلكة - والعياذ بالله). هـ. ألا من أقبل على الله تعالى تلقاه من بعيد ، ومن أعرض عنه ناداه من قريب ، ومن ترك من أجله أعطاه فوق المزيد ، ومن أراد الرضا أراد ما يريد ، ومن تصرف بحوله وقوته لأن له الحديد ، أهل ذكره هم أهل كرامته ، وأهل معصيته لا يقتطعهم من رحمته ، إن تابوا إليه سبحانه فهو حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فهو رحيم بهم ، يبتليهم بالمصائب ليظهرهم من الذنوب والمعائب ، الحسنة عنده بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة. والسيئة عنده بواحدة ، فإن ندم العبد عليها واستغفر غفرها له ، يشكر اليسير من العمل ، ويغفر الكثير من الزلل! صلاح الدين الأيوبي من الشخصيات البارزة في التاريخ الإسلامي ، ولا زال أثرها بارزاً في حتى يومنا هذا لما أبرزته من مواقف بطولية وسطرت التاريخ بإنجازاته المتمثلة في الوحدة والإرادة والتصميم وإعادة الهيبة للأمة الإسلامية في وقت كان المجتمع الإسلامي يعاني من التفكك والانحلال ، هذه الشخصية هي صلاح الدين الأيوبي ، وهو يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان والذي يُكنى "بأبي المظفر". وهو كردي النشأة ، فلقد ولد في تكريت في قرية دوين الواقعة شرقي كردستان ، ثم انتقل صلاح الدين مع والده أيوب إلى الموصل التي كانت تحت حكم عماد الدين زنكي ، وعمل أيوب والد صلاح الدين على خدمة عماد الدين آنذاك حتى قتل في سنة 533هـ. وبعد وفاته عمل أيوب على خدمة ابنه نور الدين محمود والي دمشق وحلب ، وقد نال مقاماً رفيعاً آنذاك ، ولقب بنجم الدين. وقد عرف صلاح الدين البطل منذ أن كان شاباً بتصميمه وجموحه الكبيرين. كما عرف بالنزاهة والشهامة وطيب الخلق ، ولا عجب في ذلك فعندما توفي لم يترك في وديعته سوى سبعة عشر درهماً ، ويعود له الفضل في تأسيس الدولة الأيوبية وتوحيد الولايات العربية بعد أن مزقت على أعقاب الصليبيين الذين استعمروها قرابة 88 عام ، بعد أن أمضى صلاح الدين 17 عام في شحذ الهمم وتجهيز العتاد والتدريب وتوحيد تلك الولايات المستولى عليها من قبل الصليبيين ، ليستحوذ الأيوبيون على بلاد الشام ومصر من أيدي الصليبيين بعد حرب طويلة.

وقد امتدحه العديد من المؤرخين عبر التاريخ ، فقد وصفه مالكم كميرون بأنه "رجل لا يقل شأنه عن نابليون ، بل يحق له حكم العالم الشرقي عن جدارة واستحقاق". كما وصفه المؤرخ الإنجليزي أميروتو فأشاد بما قام به صلاح الدين من إنجازات ، ووصفه بأنه "أعظم شخصية سياسية وعسكرية في عهد الحروب الصليبية". تصدى صلاح الدين للحملة الصليبية الثالثة لما أجراه من نقلة عسكرية ومعنوية في المعسكر الإسلامي نظراً لتخطيطه المسبق وتحديده لأولوياته فقد كان رمزاً للحكمة في الحرب والشهامة بعد الحرب ، وفي غضون الحرب الأولى التي خاضها صلاح الدين ضد الصليبيين ، بادر بفتح باب التطوع في مصر ، وراسل المسلمين في شتى بقاع الجزيرة العربية وفي الموصل والشام لدعم الجيش فاستجابوا له ، ثم كان على أهبة الاستعداد لمواجهة الصليبيين في معركة كارثية ، وألحق بهم خسارة مريرة ، حيث فقدوا خيرة فرسانهم في معركة حطين ، ومن ثم سارع بتحرير المناطق الساحلية ، ولم يعاملهم صلاح الدين بالمثل ، بل كان حسن التعامل وواسع الصدر مع الصليبيين. توفي صلاح الدين في دمشق عن عمر يناهز السابعة والخمسون عاما ، وعندما علم عموم الناس بالخبر بكوا حزناً على وفاته ، وقد بويغ من بعده ولده نور الدين علي الذي كان نائباً في دمشق قبل توليه الحكم. أسس صلاح الدين الأيوبي الدولة الأيوبية في مصر عام 1174م ، وحرر بيت المقدس في الثاني من تشرين الأول / أكتوبر عام 1187م. وشهد له خصمه ملك إنجلترا ريتشارد "قلب الأسد" بالصلابة والذكاء ، وأقام له وسط أوروبا تمثالاً ضخماً تعبيراً عن احترامه لشجاعته وبسالته في الدفاع عن بلاده. تقول مجلة التاريخ العميق: (إن صلاح الدين الكردي الأصل انطلق نحو مصر في عام 1165م برفقة عمه أسد الدين شيركوه بأمر من حاكم بلاد الشام وشمال العراق وبعض أجزاء الجنوب الشرقي لبلاد الأناضول نور الدين زنكي التركي الأصل ، بجيش عربي وتركي وكردية ، لدعم شاور واستغلال الخلاف الجاري بينه وبين ضرغام على منصب الوزارة في سبيل إخضاعه للدولة الزنكية وبالتالي توحيد الدولة الإسلامية لجعلها قادرة على تحرير البيت المقدس من الاحتلال الصليبي. انتصر أسد الدين بجيشه الذي ضم 1000 جندي فقط على جيش ضرغام الضخم ، ودخل القاهرة وأعاد شاور إلى منصب الوزارة! وانتظر من شاور الوفاء بعهوده ، ولكنه غدر به وأمره بالرجوع إلى الشام والإقامة بقتله وجنوده. تراجع أسد الدين بجيشه نحو منطقة بلبيس في الشرقية ، وأرسل إلى شاور بأنه لن يتحرك إلا بأمر من الملك نور الدين زنكي. أرسل شاور إلى الصليبيين في الشام يستغيثهم في مساندة ضد جيش نور الدين ، وكان الصليبيون على يقين بخطورة اتحاد بلاد الشام مع مصر على تواجدهم في البلاد الإسلامية ، لذا فرحوا عندما استغاث بهم شاور وعلى الفور أرسلوا جيوشهم إلى مصر. حاصرت الجيوش الصليبية أسد الدين شيركوه وجيشه لثلاثة شهور ولم يجرؤ أحد منهم على التقدم نحو بلبيس على الرغم من ضعف الحصون المحيطة بها ، وبينما هم كذلك انقض عليهم نور الدين زنكي في بعض مدنهم في بلاد الشام وأوقع بهم خسائر كبيرة في معركة تل محارم التي فتح بها ذلك التل ، فأصاب الصليبيين الرعب وأعلنوا رفع يدهم عن حصار أسد الدين. وعلى إثر ذلك انطلق أسد الدين شيركوه على جناح السرعة نحو القاهرة ودخلها منتصراً. حاول شاور استدراجه لطعام مسموم ، ولكن ابنه الكامل حذره من الإقدام على ذلك ، ولم يمض الكثير حتى أمر الملك الفاطمي العاضد على دين الله بإعدام شاور ، وتولى أسد الدين الوزارة في مصر. وعلى الفور أخذ أسد الدين يمضي في إجراءات توحيد الأمة الإسلامية وإسقاط الدولة الفاطمية ، ولكن لم يحالفه الحظ في ذلك ، إذ أصابته ذبحة صدرية وتوفي على

إثرها عام 1170م. أعقبه في استكمال مشواره ابن أخيه الفذ صلاح الدين الذي كان يبلغ من العمر 32 عامًا ، حيث تولى الوزارة وحرص على أن تكون كافة السلطات بيده ، وبحلول عام 1174 م تمكن من تأسيس الدولة الأيوبية السنية التي أعلن تبعيتها للملك الزنكي والسلطان العباسي ، ومنع صلاح الدين الأيوبي الدعاء للملك الفاطمي في المساجد ، وطرد الملك الفاطمي وقضى على الدولة الفاطمية ، التي حكمت مصر 262 عامًا. التمس صلاح الدين الأيوبي تأسيس جيش إسلامي ، يجمع العرب والكرد والترک والشركس وكل الأقوام الإسلامية الغيرة على القدس المحتلة ، وبعد توحيد بلاد الشام ومصر تحت قيادته الموحدة ، وإعداده لجيش التحرير ، استقر في مصر منتظرًا الفرصة للانطلاق نحو تحرير بيت المقدس ، وعقب اعتداء الصليبيين على ضواحي دمشق في تشرين الثاني / نوفمبر 1186م ، أعلن الحرب على الصليبيين وانطلق بجيشه لتحرير الأراضي الفلسطينية المحتلة من قبل الصليبيين ، وفي اليوم الثالث من تموز / يوليو 1187 م وصل إلى حطين الواقعة بين الناصرة وطبرية ، واشتبك مع الصليبيين في اليوم التالي في معركة حطين ، وانتصر عليهم وواصل سيره لتحرير بيت المقدس. يقول الأستاذ محمد إلهامي الباحث في التاريخ والحضارة ما نصه: (إنه ما من شخصية استأثرت بإعجاب الأعداء كما كانت شخصية السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وقد تنوعت جوانب الإعجاب به ، إلا أن فروسية صلاح الدين كانت الصفة التي بلغت به شهرته الكبرى ، ووضعت في ذلك المحل الأرفع ، وأثارت حوله الأساطير والخرافات في الآداب الأوروبية. يقول الباحث الأمريكي مايكل مورجان: "فترة الاضطراب هذه سوف تساعد على ظهور قائد مسلم موحد ، وهو رجل شديد التدين ، لن يتمتع بفكر مثل هارون الرشيد والمأمون ولا الحاكم في القاهرة ، أو عبد الرحمن الثالث (الناصر) في قرطبة ، إلا أنه سيجسد نوعاً من شرف الفروسية الإسلامية ، سيكون مثار انبهار الأوربيين ، بل وسيدفعهم نبلة هذا إلى العديد من المواقف المحرجة ، فما كان منهم إلا التماس أن السبب وراء أخلاقه الرفيعة والكرامة ، ما هو إلا لأن لديه دماء أوربية تجري في عروقه ، هذا الرجل هو صلاح الدين ، ومثل هارون الرشيد ، تجد القصص التي تحيط به لها طابع رومانسي وأسطوري ، لكن رقيته الأساسي وحكمه الإنساني في الأمور المستفزة هو حقيقي ويقتدى به". لقد مثلت أخلاق صلاح الدين مثلاً عالياً ونموذجاً فارقاً حوكت إليه أخلاق الفرسان العرب والأوربيين على نحو سواء في كل زمن الحروب الصليبية. يقول ول ديورانت: "لقد أجمعت الآراء على أن صلاح الدين كان أنبل من اشترك في الحروب الصليبية". ولهذا يسوق المؤرخون الغربيون مشهده بعد تحريره القدس ، فيتفننون في وصفه على هذا النحو: يظهر أن أخلاق صلاح الدين الأيوبي وحياته التي انطوت على البطولة ، قد أحدثت في أذهان النصارى في عصره تأثيراً سحرياً خاصاً ، حتى إن نفراً من الفرسان الصليبيين قد بلغ من قوة انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم النصرانية ، وهجروا قومهم وانضموا إلى المسلمين. يقول الكولونيل البريطاني الذي اتجه في نهاية عمره لدراسة الإسلام وتأثر بالمسلمين وأعجب بأسلوب حياتهم وقيمهم ، يقول واصفاً هذا المشهد: "لما غزا الصليبيون الأرض المقدسة سنة (1099م) ، خلفوا وراءهم في كل مكان الموت والدمار ، بيد أنه لما رد صلاح الدين الصليبيين على أعقابهم ، لم يلجأ إلى وسائل الانتقام ، ولم يخرب المسلمون الأماكن التي فتحوها ، كما فعل المقاتلون الدينيون السابقون لهم من الممالك الأخرى ، فأينما وضعوا أرجلهم نشأ شيء جديد أسمى وأفضل مما كان قبلاً". ويقول المستشرق الفرنسي المشهور جوستاف لويون: "لم يشأ السلطان صلاح الدين أن يفعل في

الصليبيين مثل ما فعله الصليبيون الأولون من ضروب التوحش ، فيبيد النصارى عن بكرة أبيهم ؛ فقد اكتفى بفرض جزية طفيفة عليهم مانعاً سلب شيءٍ منهم". وتقول المستشرقة الألمانية المعروفة زيجريد هونكه: "حين تمكن صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس (583هـ / 1187م) - التي كان الصليبيون قد انتزعوها من قبل (492هـ / 1099م) بعد أن سفكوا دماء أهلها في مذبحه لا تُدانيها مذبحه وحشية وقسوة - فإنه لم يسفك دماء سكانها من النصارى انتقاماً لسفك دماء المسلمين ، بل إنه شملهم بمروءته ، وأسبغ عليهم من جوده ورحمته ، ضارباً المثل في التخلق بروح الفروسية العالية ، وعلى العكس من المسلمين ، لم تعرف الفروسية النصارى أي التزام خلقي تجاه كلمة الشرف أو الأسرى". وتقول: "إن الصليبيين ادعوا أن العرب المسلمين المشاركة كانوا قساة متوحشين في جوهرهم على نحو لا مثيل له ، حتى على الرغم من أن المجازر الرهيبة التي ارتكبت في القدس والقسطنطينية وجزيرة قبرص ، ما فتئت تشكل نقيضاً صارخاً لتاريخ الفتوحات الإسلامية في تلك الحقبة. فقبل أربعمئة سنة من إغراق الصليبيين القدس في الدماء ، لم يأمر الخليفة عمر بقتل أحد عندما تولى أمر المدينة ، وفي وقت لاحق ، عندما استرد القائد الإسلامي الشهير صلاح الدين القدس من الصليبيين في عام 1187م ، اقتدى بعمر وحذا حذوه ، فلم يكتف بالسماح للبطريك المسيحي بمغادرة المدينة مع أتباعه ، بل سمح لهم إلى ذلك بحمل ثرواتهم معهم". وقد آتت أخلاق صلاح الدين ثمارها في حياته منذ وقت مبكر ، يرصدها المستشرق الإنجليزي الكبير توماس أرنولد في قوله: "يظهر أن أخلاق صلاح الدين الأيوبي وحياته التي انطوت على البطولة ، قد أحدثت في أذهان النصارى في عصره تأثيراً سحرياً خاصاً ، حتى إن نفرًا من الفرسان النصارى قد بلغ من قوة انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم النصارى ، وهجروا قومهم وانضموا إلى المسلمين". وقد شهد وليم الصوري - رئيس أساقفة صور وهو معاصر لزمان صلاح الدين - أنه كان رجلاً حاد الذكاء نشيطاً وشجاعاً في الحرب وفي غاية الشهامة والكرم". وفي الحقيقة إن رواية الصوري حافلة بالأخطاء عما يقع بالجانب الإسلامي بشهادة المؤرخين المعاصرين له ، ولكنه برغم هذا فإن وصفه لصلاح الدين دليلٌ على ما تمتع به السلطان من سُمعةٍ رفيعة).هـ. وبالطبع مهما تخرص المتخرصون للنيل من صلاح الدين القائد المسلم المؤمن المجاهد ، فلن يستطيعوا أن ينالوا منه! ومهما لفق المؤلفون وزيد المزايدون وروج المروجون ليشوهوا شخصية صلاح الدين فما هم بمستطيعين إلى ذلك سبيلاً مهما كان ومهما كانت جهودهم وجيلهم ومكرهم وهراءاتهم! ولقد تعددت محاولات الملاحدة والعلمانيين الذين ضاقوا ذرعاً بهذا الدين العظيم وبنبيه الكريم! بأذلين كل جهودهم الملعونة للنيل من الإسلام ومن النبي صلى الله عليه وسلم ومن صحابته الكرام! والله نسأل أن يُخيب مساعيهم وأن يجعل دائرة السوء عليهم! إن هذه المحاولات الخبيثة لن تغير عقيدتنا في هذا الدين وفي نبيه الأمين وفي أتباعه الصالحين المؤمنين الموحدين على مر الزمان! سيظل الحق حقاً والباطل باطلاً أيها السفهاء! وتعساً لهم ولأذنابهم الرطبة في الداخل والخارج ، والله نتم نوره ، ولو كره الكافرون ، على اختلاف مللهم ونحلهم! وهذا يذكرنا بما قاله الشيخ عبد الرحيم الطحان معلقاً على من سخر من النبي - صلى الله عليه وسلم - فضلاً عن صلاح الدين الأيوبي! فقال في محاضراته: (مكر الماكرين) ما نصه: (انظروا إلى هذا الخبيث المجرم صلاح جاهين كيف يتحدى ألف مليون من المسلمين! صلاح جاهين يرسم في مجلة الأهرام - وهو الرسام الكاريكاتوري فيها - صورة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، ويطلق عليه: (محمد

أفندي) ، ثم يرسمه بأنه يركب حماراً ووجه نبينا عليه الصلاة والسلام إلى مؤخرة الحمار ، وظهر نبينا عليه الصلاة والسلام إلى رأس الحمار، إشارةً ورمزاً إلى التخلف والرجعية ، وأن هذا قد مضى وانقطع ، ثم يصور تحت الحمار ديكاً وحوله تسع دجاجات ويقول: (محمد أفندي زوج التسعة). هل هذا يقع لو علم أن الحكومات ستحاسبه على هذا الكفر وهذا الضلال؟! لا. هو لا يستطيع أن يعرض بشيطان من شياطين الإنس ، لكن أفضل البشر ، بل أفضل العالمين يعرض له عمداً بما يندى له الجبين ، وبما تقشعر منه جلود المؤمنين ، تحت ستار الحرية؟!..هـ. والآن لنطالع رسالة صلاح الدين إلى الأمة! وأعرف أنها طويلة نسبياً! فليكن معلوماً أن هذا ليس بيدي! فكم من قصيدة توقعت لها طويلاً فجاءت قصيرة ، وكم من قصيدة توقعت قصرها فإذا بها طويلة! وأيما شاعر في الدنيا يقول بأنه يستطيع التحكم في طول القصيدة أو قصرها فلا يُعَدُّ عندي شاعراً إنما هو صنّاع كالنجار والحداد وغيرهم من أصحاب الحرف التي يتحكم أصحابها في صنعتهم).

الحمْدُ لله ربِّي الخالق المُبدي
فأحمْدُ الله من قلبي ، وأشكرُهُ!
وأستعينُ مليك الخلق قاطبة
فالله من صولة الطغيان مُنقذنا!
أستغفرُ الله من ذنبي ومعصيتي
إنني أعوذ به من كل ما اجترحتُ
فإن من قد هداه الله مُغتبطاً!
وإن ربي إله واحدٌ أحدٌ
وأن (أحمد) خيرُ الرسل أجمعهم
وبعدُ ، يا أمة الإسلام ألمني
وأدمع القلب ما تشكين من كُربٍ
وقرَّح الجرح أن هان الرجال ، وما
إنني أتابع أخباراً تُسرِّبني
لأن دين الهدى بالأمس علمني
وأن أهل الهدى أهلي وإن بُعدوا
فهو الجدير بكل الشكر والحمدِ
وشكراً رب البرايا مُنتهي قصدي
وليس لي من ذرى الإذعان من بُد
والله - في لجج الديجور - أستهدي!
فهو المعين على الإخلاص والهؤد
نفسى اللجوج من العصيان والصد
ومن أضلَّ فقل: من ذا الذي يهدي؟
برا الأنام ، وأحيا الأرض بالجد
دعا الخلائق للإيمان والرشد
ما أنت فيه من الإذلال والكمد
وأحزن الروح شرَّ النيل والحصد
ثاروا على المستبد الغاضب القرد
ولا أفرق بين العُرب والكُرد
أن الهداة لهم في دارنا أيدي!
فهل تغيرَ هذا الشرع من بعدي؟

وهل تدنس أقصانا وصخرته
وهل صحيح: رَحَى صُهيونَ دائرةً
وهل صحيح: شِراكُ الكفر ماثلة
وأن أهل الصليب اليوم قد برجوا
تُدَمِّر الكِل لا تنوي مهادنة
وأن دين النصارى الآن زاحمكم
وأن صوت بني إسرائيل أخرسكم
أهل الكتاب ، نعم ، لكنهم كفروا
بالأمس أعطوا بكل الذل جزيتهم
ما بالناس اليوم نستجدي أصاغرهم؟
هذي الدغاول من في الدار أوجدها؟!
ومن أزال سياجاً كان ملجأنا
ومن رمى أمة الإسلام ، فانقسمت
ومن تفرعن حتى اجتاح بيضتها
ومن تطاول ، لم يرحم تضعضعها؟
ومن تمغن من أعناق من ركلوا
وكيف عادت بلا نصر كتائبها
وكيف عطل طاغوت شريعتها
فلم تُحَدِّد بما نالتة مذنبه
والشرع يشمل دين الله أجمعه
وكيف تسمو إلى العلياً رجالتها
وكيف ترجو جنان الله جوقتها

والقدس هل آذنت يا أهل البيد؟
على الديار بلا رفق ولا تيد؟
تجتت داري بكل العزم والحقد؟
وآلة الحرب في أرحابنا تُردي؟
والأرض ترعد من تكشيرة الجند؟
وأن صلبانهم في الدار كالبند؟
حتى عمدتم إلى الإخلاء والرقد؟
وحاربوا كل من بالسلم مُستهد!
لأن ساداتنا - في الدار - كالأسد
ولا يُعيرون آذاناً لمُسْتجد
ومن أقام حضيض الذل في البلد؟
عند الشدائد شرع الخالق المُبدي؟
حتى انزوت في لظى التشتيت والبُد؟
ومن تسلح بالتميع والحدود؟
وبعد أسلمها للسير والأورد؟
هذا الهوان ، فسَلوا السيف من عمد؟
واحلولكت حالها بالغل والقيد؟
فما أقيم على الجانين من حد؟
بالرجم ، أو بلظى التغريب والجلد!
فهل أقيم ليحيا الناس في وجد؟
وهم على الحق مثل الصارم الهندي؟
وهم عباقرة في الإفك والكيد؟

وهم يُعانون بأسَ الضعف واللد؟
في لجة الخزي والتشريد واللمد؟
إذ أحضروا كفنأً يمتد للحد؟
من نصحه العفأً في صدق لها يُسدي؟
فاليوم دورك فـيهم بالغ الفيد
فهل يروقك ما أحكي من النقد؟
عمداً لدنيا ، فمن للبأس والقود؟
شتان يا قوم بين التمر والهبد!
وأن جرح الهدي يتوق للضم
والجنذُ تزحف نحو الفوز والخذ
تختال ، تحمل تاج العز والمجد
تمور ، لا تشتهي عيشاً لمُرتد
شذاه أطيّب عندي من شذى الرند
جيدلٌ تفاقل للدينار والوهـد
فذا كتاب - إلى درب التقى - يهدي
أنقى من النور ، بل أحلى من الشهد
معالم الدرب نحو الأمن والنجد
بجبل ربك لا عمرو ولا زيد
فالخوف - عند لقاء الأعداء - لا يُجدي
من أن ما قد مضى لا بُد يستبدي
وغيرهم يُشترى بالصك والنقد

وكيف تأمل نصر الله سُوقتها
وكيف تدخر غاراتٍ تلمّ بها
وكيف تحيا وقد حاكوا هزيمتها
وكيف تسمو بذى الدنيا وقد عدمت
يا أمة السلم والتوحيد ، لا تهني
أسطر اليوم شعراً ما أحسُّ به
صفي الجحافل لا عليا لمن ركنوا
ضدان ما اجتماعاً: ظلم ومعدلة
وأعلمي الكفر أن الحق مُنتصر
(حطين) عنا ورب الناس ما بعث
والخيال ضابحة تزيّن ملحمة
وتقدح النار في الهيجا سنا بكمها
تُعطر الأرض بالمسك الطهور دماً
إن الجهاد غلّو لا يطاوله
فينا القرآن ، ولم تُنسخ شريعته
وسُنة ، خير خلق الله فصّلها
يا أمة الخير من هذا المعين خذي
تمسكي بعري القرآن ، واعتصمي
بالأمس خضنا بلا خوفٍ معاركنا
وجنّدنا دفعوا أثمان عزتهم
جنذ العقيدة لا تلوى عزائمهم!

بالسيف يهدر ، لا بالقول والسرد
وتقذف النار في أحراش مُخْتَد
مَنْ رَدَّ كَيْدَ الْعِدَا فِي السَّاحِلِ الْجَرْدِ؟
وَمَنْ تَسَلَّحَ بِالْإِيمَانِ وَالذُّودِ؟
إِنْ حَقَّقُوا النَّصْرَ بَاتُوا فِي سَنَا الْحَمْدِ
فَنُورِي شُعْلَةَ الْمَصْباحِ بِالْوَقْدِ
وَلَا تَخَافِي مِنَ التَّوْهِينِ وَالرَّصْدِ
سُبْحَانَهُ مِنْ نَصِيرِ قَاهِرِ فَرْدِ!
وَاللَّهِ يَحْرُسُ مَنْ بِالشَّرْعِ يَسْتَهْدِي
مَنْ أَمَعْنَ السَّيْرَ فِي الْإِفْلَاسِ وَالْجَحْدِ
وَمَنْ تَمَرَّغَ فِي الْكُفْرَانِ وَالْحَيْدِ
وَمَنْ تَقْفِي خَطَا (النَّمْرُودِ وَالْجَعْدِ)!
طَالَتْ عَلَيْكَ ، أَمَا لِلَّيْلِ مِنْ حَدِّ؟!
ثَارَ تَلَوُّنٌ بِالْإِرْجَافِ وَالْحَقْدِ
مَحَقُّ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ عَنِ عَمْدِ
تَجْتَبِئُ أَهْلُ التَّقْيِ فِي السَّنْدِ وَالْهِنْدِ
مَا بَيْنَ مُخَفِّ لَمَّا دَكَّوهُ أَوْ مُبْدِ
وَالنَّارُ تَبْحَثُ - عِبْرَ الْحَرْقِ - عَنِ خَمْدِ
مِمَّا حَوَتْ مُهْجُ الْبَاغِيْنَ مِنْ حَرْدِ!
مِنْ دُورِنَا هَدْفًا لَلدَّكِّ وَالْحَصْدِ
فَإِنَّهُمْ أَظْهَرُوا حَقِيقَةَ اللِّدِ
وَشَعَرَهُمْ فِي بَيَانِ الْحَقِّ كَالْوَرْدِ

جَنْدٌ تُذِيقُ الْعِدَا سُوَايَ تَطَاوِلِهِمْ
وَتَلْقِيَهُمُ الْكُفْرَ أَحْجَارًا تُؤَدِّبُهُ
وَسَائِلُوا الشَّامَ ، إِنْ الشَّامُ شَاهِدَةٌ
مَنْ حَرَّرَ الْقُدْسَ مِنْ صُلْبَانِ مَنْ كَفَرُوا
هَمُّ الْجَنُودِ ، وَرَبُّ النَّاسِ نَاصِرُهُمْ
يَا أُمَّةَ النُّورِ إِنْ الْأَرْضُ مُظْلَمَةٌ
وَأَسْرَجِي الْخَيْلَ خَلْفَ الْحَامِلِينَ لَهُ
وَأَشْهَدِي اللَّهَ ، مَنْ سِوَاهُ يَنْصُرُهُمْ
هِيَ الْعَقِيدَةُ تَحْمِي مَنْ يَعِيشُ لَهَا
وَالدُّيْنُ طَوْقُ نَجَاةٍ لَا يَلُودُ بِهِ
لَا يَسْتَوِي مَنْ هَدَى الْمَوْلَى سَرِيرَتَهُ
لَا يَسْتَوِي مَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَسْوَتْهُ
يَا أُمَّةَ النَّصْرِ ، هَذَا اللَّيْلُ خُلِّقَتْهُ
تَجْمَعَتْ زَمْرُ الْعَادِينَ يَقْدُمُهَا
أَهْلُ الصَّلِيبِ وَأَهْلُ السَّبْتِ غَايْتُهُمْ
وَحَرْبَةُ السَّيْخِ وَالْهِنْدُوسِ مَا فَتَتْ
وَسَائِلِي الصَّرْبِ فِي الْبَلْقَانِ مَا فَعَلُوا
مَقَابِرٌ جَمَعَتْ أَجْسَادَ إِخْوَتِنَا
وَاسْتَنْطَقِي كِتَابَ التَّارِيخِ كَمَا حَفِظْتِ
وَاسْتَقْرِي وَأَقْعِ الْكُفْرَانَ إِذْ جَعَلُوا
وَاسْتَشْهَدِي فِي دِيَارِ الْكُفْرِ مَنْ عَقَلُوا
وَاسْتَكْتَبِي شِعْرَاءَ الْقَوْمِ إِذْ جَهَرُوا

مِنَ الدَّموعِ ، تُسَلِّي مُسَكَّةَ اللَّمدِ
مَا بَيْنَ مُدَّرِعِ بِالنَّصْحِ أَوْ مُسَدِّ
بِهِ الحَقَائِقُ عَن زُورٍ وَعَن مَيدِ
لَكِنِّ أَقوُلُ بِمَا فِي الشَّعْرِ مِن جَوْدِ
وَخَلِّ عَنكَ دَموعَ الحُزَنِ وَالوَجْدِ
فَمَن يَضْحَى لِأَجْلِ الدِّينِ ، أَوْ يَفْدِي؟
شَتَانِ شَتَانِ بَيْنَ الأَمَنِ وَالزُّوْدِ!
وَمَن يَقودُ خُطَا المَحْزُونِ لِلسَّعدِ؟
يَرْمِي بِهِ رَمِيَّةَ (المِقْدَادِ) ، أَوْ (سعدِ)؟
وَمَن يُقِيلُ عَثَارَ الحَالِ بِالأَيْدِ؟
وَمَن يُعيدُ صِبا المُلْتَاعَةِ الخُودِ؟
فإنه - اليَومِ - مُحْتَاجٌ إلى العَضدِ!
تَعيدُ حَقَّ الوَرَى مِن ظالِمٍ وَغَدِ؟
وَنِعَمَ هَذَا الَّذِي تَجْنِيهِ مِن صَيدِ!
رَفِقٌ ، وَثُردِي بِسَيفِ قاصِلِ صَندِ
وَجَرَ عَونِنا كَوُوسَ الذَّلِّ وَالوَادِ
أَجْمِلْ بِمَا شادَهُ الأَبطالُ مِن رَدِ!
نَشيدَ صِدقِ حَلامِ مِن جَوقةِ غَردِ
وَمَن يَتوقُّ إلى العِلياءِ بِالجُهدِ!
شَتَانِ شَتَانِ بَيْنَ الفَرثِ وَالزَّبَدِ!
تَخْتالُ فِي عَقبِ أنقى مِنَ الوَرَدِ

تَلونَتُ فِي جَوَى أبايَاتهمِ صَوْرُ
أَقلامُ صِدقِ لَها فِي الصَّدعِ مَلحمةُ
حادوا عَن الحَقِّ ، لَكِنِّ شِعْرُهُم بَعُدتُ
لَم أَمْتدَحُ قَطَّ ما دَانوا وَمَا عَتَقَدوا
يا أمةَ الجَهرِ بِالتوحيدِ فَاعتَبِري
هُوَ الجَهادُ يَردُّ اليَومَ هيبَتِنا
وَمَن يُجَرِّدُ سَيفاً كَي يُؤمِنَنا؟
وَمَن يَردُّ دِيارَ السَّلمِ إِذْ غَضِبَتُ؟
وَمَن يَصدُّ بِسَيفِ الحَقِّ مَن نَهبوا
وَمَن يُقوِّمُ بِالتقوى مَن انحرفوا؟!
وَمَن يُوسِّلمُ أَوْضاعاً مَضالمةً؟
وَمَن يَكُونُ لَهَذَا الدِّينِ مَعادلةً؟
وَمَن يَقودُ لَه فِي التِيهِ خَندمةُ
تَصطادُ جَهرًا رُؤوسَ الكُفْرِ خاضعةُ
سَيبلاً تُريقُ دَمَ المُستَعمِرِينَ بِلا
تَردُّ هَجمَةَ مَن نالوا كِرامَتِنا
رِداً يُؤدِّبُ مَن حادوا وَمَن فَجَروا
رِداً تُغنيهِ لِلدنيا حَمانمَنا
لا يَستوي هانمٌ فِي الأَرْضِ يَعبُدُها
ضدانِ ما اتَّحدا ، كَلا ، وَمَا التَقيا!
يا أمةَ الحَقِّ أرواحُ الألى سَبقوا

لا يفرق الموت بين الحرّ والعبد
لا يجمع الفذ بين الضد والضد!
أبئس بما يدعي المفتون من نشد!
واللحد يرقب من يصيح في المهّد؟
ويؤمنون حبال المال في صمد!
وتبتليهم بفقده المال والأولد
ويصبح الحال في مستنقع نكد
وليأهم يشتكى من وطأة السهد
والعيش كالبحر بين الجزر والمد!
لأنها حُبست في الأكل والنقد
شتان يا خلق بين الظل والصهد!
وعيشة سفلت في وهدة الأود؟
وودّعي ما اعتراك اليوم من رجد
يوماً تكف عن الإحباط والعصد
وصابري إن تمادى الكفر في الرعد
كي لا يكون لمولى الخلق من يد
وكي يعود السننا من عالم الفقّد
والسنة النور خير الزاد والورد
فلا يعظها شئ من الرود
وإن تناعى بأرض الصين والسند
درعاً ، ويذهب بالتقشير والجرد!
هبّت تزمجر تذرّوه مع الريد؟

موت الفتى خطه الرحمن خالقه
فيمّ التعلق بالدنيا وزينتها؟
أينشد الفذ في الدنيا سلامته؟
هل يأمن المسلم الدنيا إذا ابتسمت
أواه ، كم يعبد الدنيا دهاقنة
وعندما تمحق الدنيا سعادتهم
وتستبد بهم في غير مرحمة
تلقى لهم ندباً في الناس جامحة
لا يقنعون بعيش دون ما ألفوا
حياتهم خبثت: قابلاً وقولبة
هل يستوي عيشهم يوماً ومن صلحوا
هل تستوي عيشة التقوى بزخرفها
يا أمة الظفر الموعود ، فابتشري
وإن رأيت رحى الأعداء فاصطبري
ورابطي أملاً في نيل مكرمة
إن الجهاد له بذل وتضحية
كي يشرق الشرع في أرض تموج بنا
وكي يكون كتاب الله موردينا
وكي تصير حدود الله نافذة
والمستهين بها فالسيف موعده
فالعود يبقى إذا كان اللحاء له
هل يستوي القش في عصف الرياح إذا

وبالغث قسّمات الصخر في الجمد
 فلتحصدي مَهَج الهتافة الخرد
 كي لا تعيشي دهوراً في لظى الكمد
 وهم يُعانون بأس الضعف والثرد
 في كل صُقعٍ ، وبيغي ضفوة الزيد
 يَهدي الأنام به المهيمن المَبدي
 جادت به (مُضِرّ) ، أو جاء من (مُعد)
 وكل طفل له قَسَط من السَّخذ
 كي يَطعمَ الناسُ أكواماً من الثعد
 من مُهالةٍ لثرى طلاوة العجد
 والليث لا بد ماحِ صولة السَّبد!
 يحظى به من مليكٍ ناصر فرد
 وأهله في شجى شادٍ وفي ود
 وبين منشرح الإحساس والكبِد!
 ومن يُقضّي زهاء العمر في النرد!
 ومن يسبِّح دموع العين في الخلد!
 أو واله بات مصروعاً على (دعد)
 في وجه مائسةٍ ممشوقة القد
 قُرط وأسورة تدور في الزند
 أما الخضاب فزادت صُفرة الجلد
 تباله من رقيع ساقطٍ مَعد!

والصخرُ يجمد إن طاف الزمانُ به
 يا أمة بلاء بالخسران شائنها
 إنني أعيذك أن تآوي لبسمتهم
 توخّد اليومَ جِزْبُ الكفر في وضح
 حزبٌ يُريقُ دمَاء الصَّيدِ إخوتنا
 لا بد للأمة العصماء من رجلٍ
 يوماً سيأتي ، وإن غابت ولادته
 يوماً يسودُ ، وإن غصَّ المخاضُ به
 لا بد للُبْسُر أن تسودَ خلعتَه
 لا بد للخصرم المُخضِرَّ منظره
 لا بد لليل من فجر يُبَدِّده
 لا بد للمؤمن المأسور من فرج
 لا بد للحق من نصر يتيه به
 شتان بين حزين القلب مضطرب
 لا يستوي من غزا في الله محتسباً
 لا يستوي من بكى أحوال أمتَه
 وبين من سَرَقَتْ (ليلى) عواطفه
 أو عاشقٍ مُنتهيٍّ آماله نظراً
 وثالثٍ يرتدي لبسَ النساء ، فله
 وقد تلوّن بالمكياج في خثر
 ورابعٍ لبيّن كأنه امرأة

تُزري بأهتها قصائد (الْفَنَد)
 كحيلة الطرف ، أو مملوءة اللغد
 بغادةٍ خجلت من سيئ اللبد
 سوى التغزل بالأهداب والخد
 في نشوة القُرط ، أو في لمعة الخد
 في حب عاشقةٍ تهواه عن بعد
 من بعد أن غاص في إرھاصة النهد
 فكان في الناس مثل الكلب والعرد؟
 ورتل الآي مثل البلبل العُرد؟
 شتان شتان بين المُرِّ والقنْد!
 شتان شتان بين الدَّفءِ والبَرْد!
 وإن قلاك فَمَن هذا الذي يُبدي؟
 حتى طرَدنا ، وذقنا غصاة الطرد
 حتى غدونا بوجهٍ جَدُّ مُسود؟
 ما باله - اليوم - كالعادات والمُرد؟
 وبيات يهزأ بالأخلاق والنَّهد
 حتى انثنى ، فغوى بالكأس والسَّمَد
 والغر أمعن في الإعجاب والشد
 حتى استكان لذل القيد والقود
 أبئس بما رغبوا للغر من رود
 فلا يُمَيِّز بين الهزل والجِد!

أمسى يُرددُ أشعاراً مُنغمة
 وخامس قلبُه يرنو لأنسةٍ
 وسادس روحُه هامت مُرفرفة
 وسابع نفسُه لا شيء يشغنها
 وثامن قد ثوى إحساسُه ثملاً
 وتاسع قد هوى وجدانُه جزلاً
 وعاشر قد سببا شعوره قدم
 هل يستوي من تردى في رذالته
 ومن تسامى عن الزلات يركبها
 شتان بين ثقيِّ سامٍ ومعصية!
 هل الصقيع يُساوي الحرَّ منزلة؟
 يا أمة العز يشدو في مدارجه
 كنا جهابذة الدنيا وقادتها
 كيف انزوت في الثرى آفاق سوددنا
 كان الشباب كأسد الغاب ملهبة
 أرخى العنان لأهواءٍ تُحطمه
 رمى جبال الهدى في جبر غانية
 شدته نحو الردى أحبال فتنته
 قادتُه للمنتهي سُوآى دجاجلةٍ
 وقد أردادوه مفتوناً ، فطاوعهم
 أواه كم تفتل المقبوح شهوته

بلوثة الدُّعْر عن بُحْبوحَة الرُّشْد
نهج الرسول ، فأمضى العُنْر في العِنْد
يُرِيدُه فرحاً في جَنَة الخُلد
كلا ، ولا بادِّعاء الخير والهَوْد
وفق الشريعة ، لا بالأخذ والرد
وضاعفي خطوات السعي والوَخْد
يَطْوِي القِفَارَ إلى أن قرَّ بالجد
لا خيرَ عند جهاد الكفر في الرود
جُنْدَ العدو ، وأرخصى حفرة القتد
تُحْرَضُ الجنْدَ بالإرعاد والزغد
والرمل يسطع في وهدي وفي نجد
في شاطئ - عبْرَ هذا البحر - ممتد
تزيل ما في شغاف القلب من هيد
بخاطر من صدى الأفراح مُشتد
أن العدا حالهم عند اللقاء مُرد
ولمعة تُذهب الأبصار كالقلد
وبشَّرتنا بعيش وارفٍ رغد
تكيل للجنْد عزم القلب بالمد
وقد تصبَّغ بالترياق والهرد
نصر من الناصر المهيمن الفرد
أوهي من الطين ، أو أخزي من القد
ونحن ندأب في الشكران والحمد

بل يرعوي لدعاة العُهر مشغلاً
ولم يُرع سمعه يوماً لمنتهج
وكان أحرى به أن يستجيب لمن
ليس التشدق بالإيمان منقبة
وإنما النطقُ والأعمالُ في دأب
يا أمة الرشد جدي السير عازمة
أواه لو لمحت عينك جحفاً
لم يُعط أهل صليب الكفر مهلتهم
وقد أقام خيام النصر مرتصداً
والخيل تصهل ترجو دك باطلهم
والأرض تبسُّم للأجناد ضاحكة
والبحر يُرسِل أنساماً مُعطرة
والطير تصدح بالأنغام شادية
والموج قد حمل البشري يهننا
حتى السيفُ بأيدينا تكلمنا
وكل دِرْع له جرسٌ وهممة
أما الرماح فجدت في تحيِّتنا
وكل سهم له وقعٌ وأغنية
وكل طرسٍ رمى طيفاً لحامله
حتى إذا التحم الجيشان كان لنا
حتى رأيت صليب الشرك منجدلاً
وجرّ (ريتشارد) أذيال الشقا أسيفاً

كالفرق بين سُكون القلب والكـ
(محمد) السلم ، لكنْ عابد (الود)
بيضاءَ تنظرُ للغادين في الهرد
والعُرسُ يحفُلُ بالأنغام والإد
فأنشأتْ تغمُرُ الشادين بالورد
أرجى الخيول شِدادَ الباس بالجد
هذي العروسُ ، وجاء الناسُ بالوفد
عن وَصفها ، ومَذاقُ الأكل كالشهد
وأكملوا ليهم في العَب والخذ
تُدلي بدلو السخا والجود في البود
يَفوقُ ما بذل الأسلافُ مِن (أزد)
وكلَّ شهم جُسور مُسلم قمد
وسارَ آخِرهم في أول الراد
كانت عروسُ الدنا كأسَ المني تُسدي
وما لأحداثها الشمَاءُ مِن عد
تبكي على الدار والتمكين والحشد
ومَن يُخففُ وقعَ العار والثأد؟
ومَن يُفتشُ في الأصقاع عن رد؟
وأصبحثُ تشتكي مِن وطأة الوبد
وفي لظى التيه ذاقَتْ غصَّة الهبد
أعطافه لفحَّتْ مِن شِددة الرشد

وفرَّقُ ما بيننا لا لفظ ينعتُّه
كأنه لم يكنْ - يوماً - بمتبع
حتى إذا رفعتْ (حطين) ناصية
حطينُ في عرسها ، والناسُ في شغل
هي العروسُ شدا بالفخر موكبها
والشامُ أهدتْ لها مِن كل باديةٍ
فأشرقَ العرسُ عرفاناً بما بذلتْ
أما الوليمة ، فالألفاظ عاجزة
والناسُ تنهبُ في عشق ، وفي شره
وفي دلال أتتْ (حطين) باسمه
تسقي الأنام ، وتهدي للقري كرمًا
وزوج (حطين) صدقاً كل ذي شرفٍ
حتى إذا وُلد الفجر الضحوك مضوا
وسجلتْ كتبُ التاريخ ملحمة
واليوم أمستْ تُرى آثارها خبيراً
وكففتْ دمعها (حطين) ثاوية
يا ليت شعري فَمَن يأسى لكربتها؟
ومَن يعيدُ لها شأنًا يليقُ بها؟
ترهلتْ أمة الإسلام ، وانحدرتْ
وذُكرُ (حطين) أمسى لا يروقُ لها
كأن (حطين) في تاريخها شبيحٌ

هزي إليك بجذع الحق أمتنا
ودعّمي بعُرى الإسلام أدورنا!
وخلّ عنك - أبيت اللعن - صعلكة
والآن أختم ما صدقت مُبتَهلاً
وصلّ رب على المختار أسوتنا
وصلّ رب على آل له نُخب
وصلّ رب على صحب له نُجب
وصلّ رب على قوم له اتبعوا
وصلّ رب على قوم لهم تبع

واستحلي النور في بُبوحه الرفد
فالسلم يعلو ببذل الوسع والوطد
يعوقك الهزل عن طلاوة المجد
إلى المليك بنصر مُغنم الفيد
هدى الأتنام لدين المنعم المبدي
كانوا على الأرض بين الناس كالبند
كانوا لقائدهم من خيرة الجند
وأخلصوا الدين بالإحسان والحمد
حتى قيام السورى للواحد الفرد

•• بعض معانى المفردات غير المطروقة ••

• الإذعان: الخضوع لله تعالى. • الهود: الهداية. • اجترحت: أى جنت من السوء. • مغتبط: أى مسرور سعيد. • الجود: أى المطر. • الكمد: الحزن. • لكد: اللكد التعذيب. • الكرد: أى الأكراد. • البيد: من الإبادة وهي ذهاب الشئ. • التيد: الرفق واليسر. • الحقد: الإسراع. • البند: الشارة أو العلم يُرفع خفاقاً في الحروب. • الرقد: الرقاد أو النوم. • مستهدى: أى مهتد. • الإخلاق: أى الركون. • يستجدي: يستنجد. • البلد: أى البلاد. • المبدي: هو علم على الله تعالى إذ هو اسم من أسمائه. • البُد: أى التفريق. • الحود: الميل والاعوجاج والانحراف. • تضعضع: هو الضعف والذل. • اللورد والسير: لفظان أعجميان يعنيان السيد الذي هو مطاع في قومه. • الغل: مفرد أغلال وهي القيود والسلاسل والأصفاد. • وجد: يسار العيش وسعته. • الصارم الهندي: السيف الماضي الصلب. • اللد: الخصومة. • اللمد: الخضوع والانكسار والذل. • اللحد: القبر. • يُسدي: يبذل ويعطي. • الفيد: الفائدة والمنفعة وفرط النفع. • القود: أى القيادة والريادة. • الهبد: الحنظل شديد المرارة. • الضمد: أى تضميد الجرح. • الخلد: الجنة. • الرند: هو شجر طيب الرائحة. • الوهد: هي الأرض المنخفضة. • النجد: النجدة والإنقاذ. • يجدي: يفيد وينفع. • أعين رمد: أى مصابة بالرمد. • الطود: هو الجبل الأشم. • النقود: النقود. • السرد: أى الحكاية والرواية. • محتند: ثائر منفعل. • الساحل الجري: أى الساحل الموازي للبحر ولا شيء ينبت فيه. • الذود: الدفاع. • الوقد: الإضاءة والإيقاد. • الرصد: المتابعة. • الجحد: الجحود والإنكار. • الحيد: من الحيدة عن الحق والميل عنه. • النمروذ: هو النمروذ بن كنعان بن كوش الذي حاج إبراهيم في ربه. • الجعد: هو الجعد بن درهم الخزاعي. • خلكة: هي شدة سواد الليل وظلمته. • الإرجاف: هو التوهين والتخذيل. • أهل الصليب: أى النصراني. • أهل السبت: أى اليهود. • خمد: أى إخماد وانطفاء النار. • حرد: شأن وغل وحقد

وكراهية. • اللد: جمع ألد وهو الخصيم المبين شديد الخصومة. • مُسكة اللمد: نزعة الخضوع والميل لفعل شئ ما. • ميد: ميل وانحراف. • جود: أي جودة وإجادة وإتقان. • الوجد: هو شدة الحزن. • الزؤد: الفزع والهلع معا. • المقداد: هو المقداد بن عمرو الصحابي الجليل. • سعد: سعد بن أبي وقاص ، وكان رامياً فذاً مغواراً. • الأيد: القوة والاعتدال. • الخؤد: هي الفتاة الشابة اليانعة. • العضد: أي العون والمساعدة. • وغد: حقير. • صلد: صلب. • حمامم عُرد: أي مغردة. • لا يفرق: ليس يفترق قط. • نُشد: طلب وأمنية. • الصمد: أي الصمود والمواجهة. • الولد: الأبناء والأولاد. • السهد: شدة الإجهاد والإعياء والتعب والنصب. • الصهد: شدة الوهج والحرارة. • الأود: أي النصب والإجهاد الشاق. • الرجد: أي الرعشة وعدم التماسك والتمالك. • العصد: هو اختلاط الأمر واضطرابه ، وهو مأخوذ من خلط العرب للدقيق والسمن معاً وبعد يُسمى بالعصيدة. • الورد: المورد والملاذ. • الرؤد: هو التروي والمهلة. • الجرد: من تجريد الشئ. • الريد: الحرف الناتئ من الجبل يسقط من عوامل التعرية فتذروه الرياح. • الجمد: الصلابة والجمود. • الخرد: جمع أجرد وهو الغاضب غضبا هو أشد من أن يوصف. • الثرد: تفرق الكلمة والصف ، وهو من الثرد الذي هو هشيم الشئ. • الزيد: أي الزيادة. • مضر ومعد: من قبائل العرب المعروفة. • المخاض: ألم الولادة. • السخد: ماء أصفر غليظ يخرج مع الولد. • الثعد: هو الرطب المستوى. • العجد: الزبيب. • السبد: الذنب. • النرد: هو اسم يجمع ألعاب القمار جميعها. • القد: القوام. • الزند: هو طرف الذراع في الكف. • الخضاب: الحناء. • مغد: الناعم من الرجال الذي لا رجولة فيه ، فهو إلى الأنثوية أقرب منه إلى الرجولة. • الفند: هو شاعر جاهلي. • اللغد: اللحمية بين الحنك وصفحة العنق. • اللبد: كل شعر متلبد. • العرد: الحمار. • البلبل الغرد: المغرد المغني. • القند: هو عسل قصب السكر. • جهابذة: جمع جهبذ وهو العظيم. • المُرد: ج أمرد. • السمذ: أي الغناء ، وأنتم سامدون أي تُغنون مترنمين. • القود: أي الانسياق والاتباع. • الرود: الإرادة والرغبة. • يرعوي: ينصاع. • بَحبوحه: سعة. • العند: العناد واللجاج. • أحرى: أولى وأجدر وأليق. • الهؤد: التوبة والإنابة ، إنا هُدنا إليك أي رجعنا وثبنا. • الوخد: ضرب من ضروب السير. • الجد: ساحل البحر وهذا إذا وازاه. • الجحفل: الجيش العظيم. • الرؤد: المهلة مع التروي. • القتد: الكرب والحزن. • القلد: القلادة. • الرغد: أي رغيد كثير السعة ووفيرها. • الهُرد: الكركم. • القد: النعل. • الود: صنم من أصنام قوم نوح. • الهرد: هو الاختلاط مع الهرج. • الإد: العجب. • أرجى: أعظم. • البجد: البجد من الخيل المائة فأكثر. • الخضد: هو الأكل بشرهة عاتية. • البود: هو البئر. • أزد: أبو حي من أحياء اليمن. • قُمد: أي رجل قوي شديد العريكة. • الراد: الوقت الذي يكون بعد انبساط شمس النهار وارتفاع نهارها نسبياً. • الشماء: العظيمة العالية الشأن. • الثاد: هو الأمر القبيح يُستحي من ذكره. • الوبد: أي شدة الحاجة إلى الناس. • رد: هو النصير والظهير يكون للإنسان في موقف ما. • الرند: كناية عن رص المتاع بعضه فوق بعض. • الرغد: هو سعة العيش وهنائه. • الوطد: التقوية. • نخب: أي أشرف كرام في الناس شرفاً. • نجب: أي كرماء أجلاء.

رسالة إلى (سيف الإسلام)

(إنه في يوم 3 / 5 / 2004م ، جاد الله علينا بسادس أولادنا الذي أسميته سيف الإسلام ، وذلك لحاجة إسلامنا الحبيب اليوم إلى سيوف. وأذكر أنني قلت لموظفة تسجيل المواليد بالمستشفى الكويتي هنا في عجمان وقد استغربت الاسم: أليس الإسلام محتاجاً إلى سيف؟! فقالت: بل سيوف! جعل الله تعالى ذلك الغلام سيفاً من سيوفه في الأرض. ألا إن السيف يُفيد في عِلل ليس ينفع فيها سواه. روى الترمذي عن جُنْدب موقوفاً أو مرفوعاً أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (حد الساحر ضربة بالسيف). وروى مسلم عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد ، إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليها من باقظارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً). وروى البرقاني مثله في صحيحه ، وزاد: (وإنما أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون ، وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد أمتي الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي ، على الحق منصوراً لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى). وروى مسلم في صحيحه ، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: (سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن أبواب الجنة تحت ظلل السيوف). فقام رجل رث الهيئة ، فقال: يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول هذا؟ قال: نعم. فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو ، فضرب به حتى قتل). وروى النسائي من حديث راشد بن سعد ، عن رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفي ببارقة السيوف على رأسه فتنة. وروى الطبراني بإسناد حسن عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: إذا وقف العباد للحساب ، جاء قوم واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دماً ، فازدحموا على باب الجنة فقيل: من هؤلاء؟ قيل: الشهداء كانوا أحياء مرزوقين. وروى الإمام أحمد وابن حبان بإسناد صحيح عن عتبة بن عبد الله السلمي - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (القتلى ثلاثة: رجل مؤمن جاهد بماله ونفسه في سبيل الله ، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل ، فذلك الشهيد الممتحن ، في جنة الله تحت عرشه ، لا يفضلُه النبيون إلا بفضل درجة النبوة. ورجلٌ فرق على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بماله ونفسه في سبيل الله حتى لقي العدو ، قاتل حتى يقتل ، فتلك ممصصة محت ذنوبه وخطاياها ، إن السيف محاء للخطايا ، وأدخل من أي أبواب الجنة. وبعضها أفضل من بعض ، ورجلٌ منافق جاهد بنفسه وماله ، حتى إذا لقي العدو ، قاتل في سبيل الله - عز وجل - حتى يقتل ، فذلك في النار ، إن السيف لا يحو النفاق). وطبعاً بعد هذه الطائفة العطرة من أحاديثه - صلى الله عليه وسلم - ، يطيب لي أن أبشر ولدي ، بأن اسمه اسمٌ مباركٌ حقاً ، ولعل الله ينفع به الإسلام والمسلمين ، فيكون سيفاً من سيوف الحق ، مسلولاً

على الكفر والكافرين. وآثر هذه المرة أن تكون قصيدتي له معارضة لأبي تمام في بانيته الشهيرة الجهيرة في مدح المعتصم بالله العباسي. غير أنني جعلت القافية مرفوعة بدلاً من خفض أبي تمام لها. وكما أقول في كل مرة: لي شرف محاولة المعارضة ، وإن لم أبلغ شأو أبي تمام الشاعر بعد. وأما عن المناسبة عندي فتسمية ابني السادس (سيف الإسلام) ، وأما عن المناسبة عند أبي تمام ، فملخصها أن إمبراطور الروم كان قد هاجم بلدتي (زبطرة) و(ملطية) ، فاحتلها وأعمل فيهما القتل والسبي. ويروى أن مسلمة عربية أسيرة من السبائيا صاحت مستغيثة: (وامعتصماه) ، فبلغ الخبر المعتصم ، فقال: لبيك يا أختاه. ثم هاجم المعتصم عمورية ، واحتلها واستباحها هدماً وإحراقاً وقتلاً وسبياً ، بعدما أرسل إلى إمبراطور الروم أن يُطلق سراحها قائلاً في رسالته: (من المعتصم بالله أمير المؤمنين إلى كلب الروم ، أما بعد إذا جاءتك رسالتي ، فأطلق سراح المرأة المسلمة ، وإلا تفعل أرسلت لك جيشاً ، أوله عندك وآخره عندي! فأنشد أبو تمام قصيدته المشهورة في مدح المعتصم والتي مطلعها:

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والرَّيب

وغير خافٍ على الدارسين لقصيدة أبي تمام ، أن بعض الرواة كان قد ضبط (أنباءً) التي هي جمع نبا وهو الخبر ، (إنباءً) أي إخباراً وتحديثاً. وكلا المعنيين صحيح ، وله بلاغته المعتمدة. وإنما كان التجديد مني في رفع القافية بدلاً من خفضها ، لوناً من ألوان التجديد لما ألفه القراء من أبي تمام ومن الذين عارضوه. فآثرت أن أعارض أبا تمام ولكن برفع القافية. وإلا فمن مثل أبي تمام اليوم في بلاغته وفصاحته وملكته الشعرية؟! وها أنذا أهدي بانيتي إلى ولدي السادس سيف الإسلام ، وإنه لا يعي منها اليوم شيئاً ، فعسى الله تعالى أن يدرك في مستقبل أيامه ما كنت أنوي من ورائها. ويذكر أباه يومها إن شاء الله بدعوة صالحة نافعة (أو ولدٍ صالح يدعو له) . كما وأرجو أن ينفع الله بالقصيدة إخوته وكل المسلمين. ولنتابع معارضتي التي أطلت الكلام عنها ، أقول فيها:).

السيفُ تحسُّدُه على المضا الكتبُ إذ ليس - في حادّه - هزلٌ ولا لعبُ
بيضُ الصفائح لا سودَ الصحائف من تهويلهن تنبي الشكوك والرَّيب
لم تُخنِ هامتها الدنيا برُمَّتها يوماً ، ولم تثنها عن بأسها النَّوب
فكم أقامت - على الآماد - ملحمة فار السعيرُ بها ، وكشَّر اللهب!
وكم رؤوسٍ جنت في ساح خندمة! وكم دماءٍ أراقت بيضها الصَّيب!
وكم دهاقنةٍ دكَّت ، ثلقتُهم درسَ الإباء ، وما في حقهم يَجِب!
نُحِقُ حقاً ، وثرسي عز معدلة وتقمعُ الظلم ، تُعلي شأنَ من غلبوا
كم من عُثُل زنيم ليس يردُّعه إلا الفوارسُ في أيديهم القُضب!

نما ، ونادى الذي بالسيف يقتصب
بطيب المسك ، أنت الفارس الضرب
فيها الدماء على الإسلام تنسكب
ولا يخيب الذي في الله يحتسب
من هوله الخُر - رغم الأنف - ينتحب؟
ألا يهزك هذا الذل والودب؟
إلى المليك ، وفيها الدمع يلهب؟
هذا الفضاء ، وقد ضجت بها الترب؟
وقد تجمعت الأعداء والغضب؟
من البلاء؟ وكم طمت بها الكرب!
ضاقت به الدار والأقوام والحقب؟
ومن على الأرض في أيديهم خشب؟
ولا يخيفك تخذيل ولا جالب
وأنت غدتنا لكل ما نهبوا
وجنّدها من حقوق الشم كم غصبوا!
وأشعلوا الحرب ما كلوا ، وما تعبوا
وجيش كفرهم - فوق الثرى - لجب
والدور دمرها التتبير والتبب
فكل قلب غدا من فعلهم يجب
والعز حيز لهم ، كأنه السلب
وأشعلوا الحرب ، والكفار تكتب

تبيد بالسيف جوراً زرغ باطله
سيف الحنيفة: خضب كل قافية
وادراً بسيف التحدي فتنة عظمت
إني احتسبتك فيها رأس حربتها
ألسنت تبصر ما في الأرض من جنف
ألا يروغك ما في الدار من محن؟
ألسنت تحزن للأهات ضارعة
ألسنت تبصر بالأشلاء ضاق بها
ألسنت ترثي لحال المسلمين هنا
ألسنت تبكي لما قد نال أمتنا
ألسنت تأسى لليل في دجاء جثا
ألا ترى الأرض في أفواه أغربة
سيف الهداية ، فاحرز كل كارثة
الذخر أنت لما أعداؤنا اجترحو
تداعت الأمم الرعاء ما رحمت!
تظاهروا ، وأديم الأرض يلعنهم
وأمطروا الخلق بالنيران موقدة
دكوا الحصون ضحى والناس أسفلها
وروعوا من على قيد الحياة بقي!
وبعدها سرقوا الخيرات أجمعها
واستبسوا ، وقوى أعوانهم جمعوا

إذ لا يزال هناك الكفر يُحترَب
شييء ، وعن مجدها كم خُطتِ الكتب!
لأنها من سنا الجوزاء تقترب
ودجلة الخير في أصقاعها صبيب
والتين والموز والرمان والعنب
كل القياصر: من شطوا ومن قربوا
يوم اعتراه الهوى والحنق والغضب
وتابع الوزراء الأمر ، واعتصبوا
وأهله فتحوا الأكياس ، واحتجبوا
فقال: كلب على شرع السما كلب
لأن (هارون) - في ساح الوغى - حرب
لأنه لهُدى الإسلام ينتسب
وليس يأوي لمن في كفرهم رَسبوا
وإن تذكره أودى به الرهب
حتى الفوارس للرحمن ما غضبوا
يقود حرباً له في أوجهها عُرب
وبعضهم عن ربا (بغداد) يَغترَب
وكم على ألم الآهات كم طربوا!
من الفريسة ، هذا مرتع خصيب
وشارك الروم صدقاً جارها الجنب
والنار في يدها كأنها الثَّهَب
شُدت على سترها الأشطان والطنب

ومثل (بغداد) لا يُنبئك من أحدٍ
بالأمس كانت مناراً لا يطاوله
(دار السلام) ، فلا دار تضارعها
أرسى (الرشيد) بهاء الحسن يُتحفها
والنخل يُبهجها في كل باديةٍ
كانت لها هيبه يرعى مخاطرها
واسأل عن البأس (نقفوراً) وجوقته
فأنقص الجزية المُتلى التي فرضت
ثم البريد أتى (بغداد) مرتحلاً
وثار (هارون) من صوت الكفور علا!
وأعلن الحرب ، لم يرهب مغبتها
ليث يصول إذا نيلت شريعته
لم تسق زمر الماسون خمرتها
من أجل ذلك كان الكفر يرهبه
واليوم (بغداد) لم ترعد كتائبها
حتى أتى الكفر مُختالاً بقوته
وأهل (بغداد) في بيدانهم قتلوا
والإنجليز دماء الصيد كم سفكوا!
توحد الروم: كل يشتهي طبقاً
تقاسموا الدور في (بغداد) دون حيا
عصابة تحرق العمران عامدة
وجوقة مكثت في خيمة خبثت

كم خرب الروم في (بغداد) من مدن!
 هذي (العراق) - على التدمير- شاهدة
 و(أم قصر) لقصف الكفر ناظرة
 لم يسلم الطفل كلا ، من مدافعهم!
 أقل ظلماً تثار الأممس ، إذ نزلوا
 فبعضهم دخلوا في ديننا ، فهم
 أما النصارى وهوذ اليوم ما دخلوا
 سيف الحنيفة السمحاء ضاق بنا
 وانظر إلى القدس غصت في مصيبتها
 وكم أذلوا كرام الخلق في شره!
 وكم أبادوا القرى ، والدور كم جرفوا!
 وكم أزالوا سنا مسرى محمدنا!
 كم ذبحوا الشعب في سر وفي علن!
 و(كفر قاسم) لم تبرخ ضمائرنا
 و(خان يونس) في نيرانها احترقت
 أنى اتجهت إلى صقع لقيت لظى
 سيف البطولة ، والأعراب ما سألوا
 كأنهم لهوى أعدانهم ركنوا
 قد اكتفوا بعبارات منمقة
 يستنكرون ، ومن يعنو لمنطقهم؟
 ويشتمون العدا ، وهم عساكرهم

وكم على باند الأشلاء كم لعبوا!
 وأهلها كم - على أحوالهم - ندبوا
 تشكو الهوان ، وجند البغي تستلب
 ولا النساء ، فمن فرت سغتصب
 هذي الديار ، وإن دكوا ، وإن سلبوا
 سيهاهم نصر على أعدائنا صيب
 في ديننا ، بل هم في كفرهم رسبوا
 هذا العذاب ، وساء - اليوم - منقلب!
 فمن دماها يهود السوء كم شربوا!
 وجمعهم بدماء الصييد يختصب
 وفي مؤامرة التطبيع كم صلبوا!
 حتى غدا المسجد المأسور يرتعب
 و(دير ياسين) لم تذهب بها الحجب
 والقدس تشهد ، والأردن ، والنقب
 والشعب فوق ربا (جنيين) يضطرب
 يشوي الوجوه ، وناراً بعضها اللهب
 كلا ، ولم يعبأوا يوماً ، ولا غضبوا
 طراً ، وبات لهم بالمعتدي نسب
 من البيان ، ويكفي أنهم شجبوا!
 وينكرون ، وهم في مقتل ضربوا!
 ويلعنون العدا ، وهم لهم رقب

وهل ذليلٌ لهُ على العدا عتب؟
وهل سيرجعُ من - بين الوري - اغتربوا؟
وهل يكون لنا في شجبتنا الغلب؟
لا يستوي الجد - عند الحرب - واللعب!
وهل تُعيرُ - إذن - أذنا لمن عتبوا؟
وهل - من الزحف - خيرُ الجند تنسحب؟
أين الحسام؟ وأين الرمح واليخب؟
تردُّ بالبأس ما أعداؤنا اغتصبوا؟
سيفُ المليك وأجنادُ له نُجب؟
أعظمُ به بطلاً! ونعم مُحسب!
يُردي العدا ، ولنصر الثم يرتقب؟
تستقبلُ الموت ، لم يلعب بها الهرب؟
توسى الجراح ، وتمضي الآه والنذب؟
أين الجهاد ، يُعيدُ اليوم ما سلبوا؟
أنت الحسام ، فلا تشغلك ذي اللعب
يعشى العجاج ، فلا يردُّه اللجب
أما الجنودُ فلمصاع قد وثبوا
وخل غيرك تشوي عزمه الخطب
والمشرفي بقمان الدم يختضب!
من الدغاول ، منها القلب يكتب!
لكنه الاسم والشارات واللقب
عبدٌ له - من حديث المصطفى - سبب

ما نفعُ ألفِ بيانٍ ، والعدا فجروا؟
وهل يُعيدُ لنا الإنكارُ عزتنا؟
هذي المعامع هل تُصغي للهجتنا؟
هذي الصورايخ هل تخشى شتائنا؟
هذي القنابل هل تخاف من شجبوا؟
أين الغطاريفُ من فرسان أمتنا؟
أين الأشاوسُ لا تُطوي عزائمهم؟
أين الأساطينُ ، والأجيادُ ضابحة
أين الأماجدُ من أمثال (خالدنا)؟!
وأين منا (صلاح الدين) محتسباً؟
أين الحجافلُ في أم لها (قطنز)
أين الكتائبُ قد صفتُ ضراغمها؟
أين الجهادُ ، يصدُّ المعتدين لكي
أين الجهادُ ، يُداوي جرح خيبتنا؟
سيفَ الرجولة ، يا نبراس صحتنا
أعدَّ نفسك للهيجاء ، كن أسداً
أبوك ليس يرى إلاك قانداً
النصلُ أنت ، فأوغل في مداعسة
شتان يا سيف بين المدينة انجست
ديارنا يا (أبا الأسياف) كم شهدت
وكم على أرضها الرايات باسقة!
هل يستوي الصارمُ الهنديُّ يُشهره

وخائفٌ أعزّ في جُبْنِه فرِقْ؟
صمصامة الحق تُجَلِي كل غاشيةٍ
أسميتك السيف للإسلام ، أقصدها
اسمٌ تسوّدُ به في عالم أسنت
اسمٌ هو الشرفُ المذخورُ سُوددُهُ
فالسُّيْنُ سُوددُنَا إِنْ عَزَّ مَحْتِدُنَا
والياء يُسْرُ إِذَا صَالَتْ صَوَارِمُنَا
والفاء فوزٌ بجنات المليك غداً
أما أبوك ، فحمّدُ الله خالقتنا!
وأملك العز في إسم لها صفة
سيف الإباء أعد ذكري معاركنا
إن الجهاد سنام السّلم ، يا ولدي
شتان بين فتى: حياته قَرَبٌ
أبا سليمان: إن الساحة انتفضت
فخذ مكانك في صدر الخميس ، وكُنْ
واعلم بأنك مخلوقٌ له أجلٌ
والسيفُ سيفٌ ، وإن ضنّت جواهره
روّ الأديم بأشلاء الألى كفروا
واغمز جوادك كي يجتاح ملحمة
اليوم حان جهاد الكفر ، فاجر به
أمسى يحيص ، ولم يبرح محلته

لا يستوي قائد الهيجا ومنسحب!
ولا يُهدّها التددجيل والشغب
اسمٌ هو الفخرُ والأمجادُ والحسب
فيه المعاييرُ والأوزانُ والنسب
قالبدرٌ يحسُدُهُ ، والنجمُ والذهب
هو الخشيبُ بدت في نصله الشطّب
على الأعادي بجمع ليس يرتهب
ولا يمس الألى فازوا بهانصب
لا يغلبُ الحمداً إيلاً ولا وصب
هو الشموخ سَمَا ، والجودُ واللبيب
وحقق اليوم أمجاد الألى ذهبوا
بالأمس قام به أماجداً نُخب
وأخر ماله في عمره قَرَب!
حتى العجاج طوت آفاقه السُّخب
صَلداً إذا حمي الوطيسُ والثغب
فمُت كريمةً ، فذا للخر يُطلب
عن البريق ، وإن فاضت به الشُعب
وأسقهم كأس ما طغاثهم كسبوا
لا يستوي الضَّبج - نحو الخلد - والخبيب
أم قد تعقبه الهزال والخدب؟
فهل ألمّ به - في المحنة - الجرب؟

لك المصائب ، لا تعبت بك الريب
لا يستوي الصدع بالتصديق والعكب!
لا يستوي اللين الوسنان والصرب!
إذ القصيدة يشكو حزمها الأدب
كانت صوارمها في الغمد تكتب
من القريض ، وما في ظلها صخب!
قصيدة صاغها من الفؤاد أب
فيها الجمال زها ، والفن والأرب
وليس في لفظها لحن ولا عيب
يحار فيها النهي ، والحس والعجب
إذا رأوها فمن تصويرها عجبوا
من حُسنها أظهرت ما كان يُحتجب
ونصل صارمها قد زانه الحبيب
يغار من سبكها في ضرعه الحلب
ولا يتوق لها قط الألى كذبوا
أزكى ترائبها الإحساس والعصب
كالغيث يغبطه - على الثرى - السكب
والنصح أخلص ما أعطي وما أهب
حتى أبيض على ألفاظها الصهب
ويحقرن إلى هاتيك ما كتبوا

سيف المكارم لا تحفل بمن رصدوا
هم السراب غفت فيه دجاجلة
هم الزيوف إذا قالوا ، وإن فعلوا
سيف المناقب: عُذراً منك مُتمسأ
شط القريض فصيغت منه ملحمة
كم كنت أمل أن اخط مرحمة
قصيدة يغبط الإحساس رونقها
قصيدة جبرها من نور عاطفتي
يراعة الشعر ما خطت مثيلتها
جلت عن الهزل ما زلت ولا انحدرت
فاقت خيالاً أهازيج الذين مضوا
في حُب سيف الهدى لم تدخر ألقاً
جديرة باحترام الحب يقرأها
أنقى من الشهد أبيات تُعطرها
يُحس بالصدق في الأبيات من صدقوا
سيف المحبة خذها من أبيك ، فقد
وهبتك الحُب في أبياتها طرباً
ويُحس بالنصح ، لم أبخل بتجربتي
وكنت أشعلت مصباح البيان بها
والكاتبون إذا ما طالعوا ذهلوا

مكانك القلب ، والأشعارُ فالكتب
قصيدة زادها الإخلاصُ والشَّباب
قوامها الطيشُ والتدشينُ والخدب
لا يستوي الرأسُ في الأقوام والذنب
وإن قللاه ، فقلبٌ مقرفٌ خرب
كم من خلوق سبَّت أخلاقه الرُّتب!
من الحياة ، وُجِدْ على الألى سَغِبوا
عند المليك ثواباً ، حبذا الحسبُ
فالفخرُ بالذنب والسوآى هو العطب
لا تستوي عندنا الآسادُ والغُتب!
ودربُ إبليسَ يا سيف الهدى شُعب
هل تستوي الحُفَرُ الصَّماء والقلب؟
هل يستوي الحنظلُ البَرِّيُّ والقُصْب؟
مَن استراحوا بها ربحاً ومَن نصبوا
والفانزُ الحق مَن للسوء يجتنب
ومَن على فؤتها تراهم اكتأبوا
حتى تغمدهم من أرضها سَرَب!
ومَن إذا انطلقوا للحرب ما هربوا؟
ومَن على الناس نازَ الرِّق كم سكبوا؟

فأنت أعلى من الأشعار ، أنسجها
سيفَ القريض تقبَل بعض تهنتي
وقاك ربك ما عشناه من محن
وعش عزيزاً ، لك العلياء منزلة
وخلل القلب بالقرآن تسم به
وكن أبيعاً إذا ما نلت مرتبة
واشكر لربك إن كانت بلهنية
وابذل خيورك للمحتاج محتسباً
وعُد لربك إن قارفت معصية
والله ما استويا عفاً ومُرتكس!
سبيلُ ربك يا سيفاه واحدة
ضدان ما اجتمعا تقوى ومخبئة
إما النجاة وإما عيشة لعنت!
واذكر مفارقة الدنيا ومَن جمع
الكل عنها - برغم الأنف - مرتحل
إني تمرستُ في الدنيا وجوقتها
وكم رأيتُ لها صرعى مناوشة
أين الأكابرُ مَن سادوا ممالكهم
أين الأكاسرُ مَن دكوا شعوبهم

أين الفراعين في الأمصار إذ وقَدوا
نارَ التشفي ، وفي جمهورهم خطبوا؟
أين الشعوبُ ، لماذا لا زئير لها؟
أين الألى لجنود الباطل اصطحبوا؟
أين الشعوبُ لها في الجوع ملهبة؟
أين الذين - على الإسلام - قد حُسبوا؟
وَمَن على أظْهر الأشراف قد ركبوا؟
كيف استتاختُ لمن أودى بعزتها
وأعمل السيفَ حتى أهدرَ الشَّخْب؟
كيف استتبد بهم مَن دك سُودَدهم
والعز منهم - برغم الأنف - ينسلب؟
كيف استكانوا له حتى أذلهم؟
وكيف هم ركعوا ذلاً لمهلكهم؟
يا ليت شعري ، فهل زالت كرامتهم
وكيف تحملهم لـ ذلك الرُّكْب؟
هل المذلة تُحيي مَيِّتَ عزتهم؟
حتى - إلى مستوى البهائم - انقلبوا؟
هل يفرقوا بين عيش فيه مَحْتِدهم
هل استوى الكُراث والرُّطْب؟
هل القشور تُساوي بعض ما حفظت؟
هل يستوي اللَّبُّ يا سيفاه والشذب؟
هل الحديدُ استوى يا سيفُ والخشب؟
هل قلا أمتى معيارُ حكمتها؟
هل الأسود استوت في البأس والدَّيب؟
حتى متى ذلَّة تُردِي ومهاكَّة؟
وليس يُرفض - عند القادر - الطَّلب
يا سيفُ حَقِّقْ لها ما اسطعتَ مِن أَمَلٍ
وذاثَ بيْنهمُ أصْلحُ إذا احتربوا!
أخو العقيدة مَن أعلى شريعتنا
ضمته مكة أو باريسُ أو حَلْب
صحتْ عقيدته في الله مهتدياً
مَعينه الوحي والقُرآنُ والأدب

يدعو المليك ، وفي الحالين يعبده
فاحرصْ عليه ، وقم يوماً بواجبه
واستصفِ خلك ، فالخلان أودية
واحرصْ على العلم في مهدٍ وفي كبر
إن الكثير من العلوم مفخرة
هل الألى علموا يوماً كمن جهلوا؟
هذا الختام ، فكن بالنصح منتفعاً
والله أعلم بالنيّات ، يا ولدي
وذمت قرة عينٍ للألى رشدوا
وعثت سيفاً على الأعداء منتبهاً
وسذت داعية تهدي الألى كفروا
من يرغب النور يبحث عن منابعه
ولا تطوِّع لظاغوتٍ شريرعتنا
وأشهر الحق سيفاً لا اهتراءً به
وأذن كتبك كي تمتص زُبديتها
وأذن أذنك للأفذاذ من علموا
واعمدْ إلى أسس العلوم تدرسها
سلامٌ ربك مني دائماً أبداً
وصل رب على الرسول ما بقيت

ولا يتوق لمن تؤويهم القبب
وإن تعبت فذا يحاوله التعب
وكل قوم إلى خلائهم نسبوا
نوق هي الكذب في أصقاعنا خُلب
والبذل فيها لمن قد آمنوا دأب
هل استوى السيف عند الطعن والذرب؟
إن الأريب إلى النصاح ينجذب
عسى أكون بذلت - الآن - ما يجب
ومن معاصي المليك الخالق اجتنبوا
لما يحاك بنا ، تزد ما اقتضبوا
وتبذل الحق فيمن فيه قد رغبوا
نعم المطالب والغايات والرغب!
وإن فعلت عليك السوء ينقلب
وبئس حق على الجهال مقتضب!
فيها الجلاب ، فمن يسعى ويحتلب؟
لا يستوي البعد عنهم قط والكذب!
لا يستوي الجذع في النخيل والخلب
عليك ما رفعت لربنا القرب
نفس لدينك - بين الناس - تنتسب

وصل رب على آل له نجب	فأل (أحمد) - في هذي الدنا - النجب
وصل رب على أزواجه أبداً	هن الطهارة والإحسان والأدب
وصل رب على أنصاره الخنفا	من - بالصورام أعداء له - ضربوا
وصل رب على من هاجروا معه	من فارقوا الأهل والأموال ، واغتربوا
وصل رب على الأصحاب قاطبة	من دينه اتبعوا ، وشخصه صجبا

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

هامتها: رأسها. • النوب: جمع نائبة وهي المصيبة العظيمة. • بيضها الصيب: أي السيوف الماضية الصائبة. • القضب: أي القضبان. • جور: ظلم. • يقتصب: يفتتح بالسيف. • الفارس الضرب: شديد الطعن للأعداء. • الودب: القحط والتضييق. • ضارعة: خاشعة. • الأشلاء: بقايا الجسم. • الترب: جمع تربة ، وهي القبر. • ترثي: تأسف وتحزن. • العصب: الجماعات. • الدجي: الظلام. • جلب: أي ضوضاء. • أديم الأرض: وجه الأرض الظاهر من الثرى. • جيش لجب: ذو بأس شديد. • التيب: التدمير والهلاك. • السلب: الشيء المسلوب. • تكتتب: أي تساهم وتشارك. • يحترب: يقاتل. • تضارعها: تماثلها. • صبيب: أي كثير الماء. • القياصر: جمع قيصر وهو لقب حاكم الروم. • الحنق: شدة الغضب. • اعتصبوا: اجتمعوا على أمر ما. • الكلب الكلب: أي المجنون العقور. • الوغى: الحرب. • زمر: جمع زمرة وهي الجماعة من الناس. • غرب: جمع غراب. • مرتع خصب: أي أنه خصيب غني بالمرعى. • الشهب: جمع شهاب. • الأشطان: الأحبال. • الطنب: أوتاد الخيمة التي تثبتها بالأرض. • يستلب: يسلب. • رسبوا: سقطوا. • يرتعب: ينتفض ويرتعش. • الحجب: جمع حجاب. • النقب: صحراء في أرض فلسطين. • رقب: رقباء ، جمع رقيب. • عتب: عتاب ولوم. • المعامع: المعارك. • اليلب: الدرع. • خالدنا: أي خالد بن الوليد - رضى الله عنه - . • النذب: جمع ندبة وهي التوجع. • العجاج: غبار الحرب الثائر. • اللجب: صوت الحرب. • المديية: السكين الصغيرة الماضية. • التدجيل: الدجل. • المعايير: جمع معيار وهو المقياس. • اللبب: الذكاء. • الشطب: السيف فيه الشطب كناية عن كونه حاداً ماضياً. • إيلام: ألم. • الوطيس: شدة القتال. • الشغب: الطعن الشديد في المعركة. • الخبب: ضرب من العدو مثل الرمل وهو تقارب الأقدام مع قصر الخطا. • الحذب: خروج الظهر ودخول البطن من شدة النحافة. • ملحمة: معركة. • العكب: هو عدم الإفصاح عياً أو قصداً. • الصرب: هو اللين الحقيق الحامض. • عيب: جمع عيب وهو الخلل في الشيء أو القول أو الفعل. • الحبب: تنضد أسنان ليكون ماضياً. • الصهب: الحمرة أو الشقرة في الشعر. • الشبيب: ارتفاع الشيء. • الخذب: أي الهوج والتسرع بلا تخطيط أو روية. • الرتب: الوظائف التي يتقلدها المرء بين الناس. • بلهينة: سعة العيش. • الحسب: جمع حسبة وهي من الاحتساب أي ارتقاب الأجر والمثوبة عند الله تعالى. • العكب: العناكب ووحداتها عنكبوت. • القصب: هو قصب السكر المعروف. • القلب: جمع قلب وهو البئر. • السرب: الحفيرة تحت الأرض. • الشخب: الدم السائل من الجرح. • الشذب: قشور لحاء الشجر. • الجرب: جمع جراب. • القيب: القباب ووحداتها قبة. • حلب: نوق حلب أي هي كثيرات الحليب وغزيراته. • الذرب: إزميل الإسكافي. • الكتب: القرب. • الطاغوت: كل ما عبد من دون الله وهو راض بالعبادة. • الحلاب: الحليب. • أسس العلوم: أي أصول وقواعد وضوابط هذه العلوم.

القصيدة النونية السلیمانیة الشاعرة! (حسان)

(إنه في اليوم الثامن من نوفمبر لعام 2005 الميلادي ، رزقنا الله تعالى بابننا السادس (حسان) ، وكنت قد أردت هذه المرة أن أسمى ولداً من أولادي على اسم شاعر مسلم عظيم نسباً وديناً وشعراً. فأخذت أستشير أولادي ومعارفي. فوقع اختيارُ البعض على الفرزدق أو جرير أو أبي تمام أو المتنبي أو البحري أو أبي العلاء المعري. فقلت: ما من أحدٍ من هؤلاء إلا وعليه وله ، وما عليه أكثر مما له. ثم إن أغلب هذه الأسماء كُنِي ، وإنما الذي أريده هو الاسم الحقيقي للشاعر ، والذي قد سمَّاه به أبوه. ورأى البعض (الحطينة) ، فقلت: منسوبٌ لأمه ، ولا يُعلم له أب ، واشترى منه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أعراض المسلمين حتى لا ينال من أحدٍ في شعره ، فقد عُرف بالهجاء ، فدفع له عمر نحواً من ثلاثة آلاف درهم ثمناً لأعراض المسلمين ، ولما مات عمر ، عاد الحطينة إلى ما كان من الهجاء. فقلت: لا! وظللنا نتقلب في أسماء وكُنِي وألقاب الشعراء في القديم وفي الحديث ونقع في أعراضهم ونتتبع سيرهم ونستوثق من أخبارهم. حتى وقع الاختيار أخيراً على شاعر الرسول - صلى الله عليه وسلم - الصحابي الجليل القدير / حسان بن ثابت الأنصاري ، الشاعر الذي وضع حجر الأساس للشعر الإسلامي في صدر الإسلام وإلى أن تقوم الساعة. الشاعر العظيم النسب ، فهو في الذوابة من الخزرج أمأً وأباً وجدوداً ، وديناً ، فيكفيه شرف صحبة النبي - صلى الله عليه وسلم - والذود عنه ومدحه! وشعراً وهذا واضح جلي في ديوانه ذي الشعر اللطيف العلي. وأسأل الله تعالى أن يقيم ولدي (حسان) في الأواخر مقام (حسان بن ثابت) في الأوائل وأن يلين له البيان كما ألان الحديد نبيه العظيم داود - عليه السلام - ، وأن يفقهه في الدين ويرزقه العلم النافع والعمل به وأن يزلل له ألغاز الشعر ورموزه ليكون شاعراً لا يشق له غبار ، ليذود عن الإسلام ونبيه - صلى الله عليه وسلم - ، والمسلمين اليوم كما ذاد حسان بن ثابت بالأمس. وما حسان كحسان ولكنه الأمل في الله وشرف التسمية وعظيم الانتساب وبديع التأسي وإحياء سنة ماتت في عالم المسلمين واسم غاب. * وحسان من ناحية اللغة مشتق من الحُسن ، وهي مادة جد عظيمة في ذاتها. فهي صيغة مبالغة من الحسن يُجرى المرء. والمادة ومشتقاتها في القرآن ممدوحة ولم تذم مرة: (حسن - محسن - الحسنى - أحسن - الإحسان - الحسنات - الحسينين). وذُكرت هذه المادة ومشتقاتها في القرآن (193 مرة) على ما ذكر صاحب المعجم المفهرس. * ولد حسان بن ثابت - رضي الله عنه - في يثرب. ورغم نشأته المدنية الحضرية كان متأثراً بالبادية والحياة البدوية. وهذا بادٍ في شعره على ما سنين إن شاء الله. ومعنى هذا أنه ولد قبل مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - بقريب من ثمانين سنة. وهذا الكلام يكاد يكون محل إجماع بينهم. * كان لحسان بن ثابت كُنِي: (أبو الحسان - أبو الوليد - أبو عبد الرحمن) ولكنه لم ينادى بإحداهن ، بل كان ينادى: بحسان كما سماه أبوه. أما أبوه فهو ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي ، ومعلوم أن قبيلة الخزرج هاجرت من اليمن إلى الحجاز ، وأقامت بالمدينة مع الأوس. وأما أم حسان: فهي الفريضة بنت خالد بن قيس ، وإذن فحسان في الذوابة من أنساب العرب وأحسابهم ، ومن أشرف قومهم وعليتهم. وأمه أسلمت ، وحسن إسلامها. ويعتبر حسان نجارياً حيث إن قبيلته لها نسب كبير ببني النجار أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم - ولحسان بهم صلة وقرابة ، فله رحمٌ بالخميين ملوك العراق وبآل جفنه الغساسنة ملوك الشام. * مد حسان الرحلة وشدَّ الرحال إلى بلاط النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، كما شد رحاله إلى

بلاط الغساسنة وملوك الحيرة على السواء. وكان سيف البيان في الخزرج (قبيلته) عندما تحارب الأوس ، فكان يتولى الرد وحده على شاعري الأوس (قيس بن الخطيم وأبي قيس الأسلت). اتصل حسان بملوك الشام (الغساسنة) في عواصمهم (جلق والجولان وبصرى) ، فمدح ملوكهم وكذلك كبراءهم. ولا سيما عمرو الرابع والنعمان السادس وحجر بن النعمان وجبله بن الأيهم. والحقيقة أنه لم يكن فارساً بسيفه بل بلسانه وشعره. لم يشهد معركة مع النبي - صلى الله عليه وسلم - لخوف قلبه ورهافة حسه ، فعوض عن ذلك بلسانه وشعره. * تقاسم مع النابغة الذبياني وعلقمة الفحل أعطيات بني غسان وخدمه خلاف النعمان. وهذا كله أضفى على شعره القوة والجزالة ، وإذا مدح الشاعر الملوك والأمراء راق وطاب ، بخلاف سواهم من الأوباش والسفل الصعاليك. * تقول عائشة - رضي الله عنها - سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله. (يقول ذلك لحسان). * والعجيب أن حسان كان شاعراً ، وأبوه وجدّه وجد أبيه وابنه عبد الرحمن وحفيده عبد الله كانوا جميعاً شعراء ، وكان حسان منهم جميعاً واسطة العقد. يقول صاحب الأغاني ج 4 ص 138: (كان حسان بن ثابت وكعب بن زهير يعارض كل منهما قريشاً بمثل قولهم بالواقع والأيام والمآثر يعيّرهم بالكفر ، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة. فلما أسلموا ، وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة). هـ. ألا إن فراسة حسان وكعب كانت السبب في ذلك ، حيث إن تعبير الشعراء المشركين بالأنداد والأصنام والأوثان إضاعة للوقت والجهد وهزيمة في المناظرة الشعرية. لأن المشركين يعتزون بعبادة الأصنام والأوثان أصلاً. بينما التعبير بالأحساب والأنساب وتوبيخ السادة والأشراف والفرسان منهم بالفرار من الحرب والقتال ، يعتبر نيلاً كبيراً منهم وحرماً لدمانهم واستفزازاً لأعصابهم. * يقول الأستاذ / محمد إبراهيم جمعة في كتابه: (حسان بن ثابت): (إن أسلوب حسان الجاهلي لا يخلو من بعض الحوشية والأخيلة البدوية ، وغلبت عليه جزالة اللفظ وكذا فخامة التعبير وشموخ المعنى والاتصال المباشر بالبيئة. هذا بالإضافة إلى أنه كان يميل إلى اللين وعدوية اللفظ وسلامة التعبير). هـ. والحقيقة أن حسان كان على عكس مدرسة زهير بن أبي سلمى ، إذ كان يرتجل الشعر ارتجالاً ويرسله إرسالاً. فلا تبقى القصيدة معه سنة ينقحها ويهذبها ويحككها. * أثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله: أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان فشفى واشتفى. ومن هنا أمره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يذهب إلى أبي بكر ليحدثه حديث القوم وأيامهم وأحسابهم وأنسابهم ، ثم يقول له: اهجهم بعدها وروح القدس معك. نعم دعا له النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (اللهم أيده بروح القدس). ومن هنا مدح حسان النبي. ومدح النبي شعر حسان بقوله: (لهو أمضى فيهم من وقع النبل عليهم)! وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - ينصب له منبراً في مسجده حتى ينشد الشعر في الذود عنه والرد على المشركين ، وكانت له منزلة عظيمة عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فعندما يخرج للحرب وقاتل الأعداء يترك حسان عند الأزواج حارساً وراعياً وقائماً بشؤونهن. أهداه النبي - صلى الله عليه وسلم - أخت زوجته (مارية بنت شمعون القبطية) واسمها (سيرين القبطية) ، وهي أم ابنه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ، وكان شاعراً مثل أبيه وتمتع حسان بالاحترام والتبجيل. فكان الخلفاء الراشدون جميعاً يجلّونه ويحترمونه ويفرضون له في العطاء ، فعاش كريماً معافى محترماً متديناً شاعراً مجيداً. * بكى

من هجائه أحد شعراء قريش (الحارث بن عوف المري) ، بكى بدموع غزار ، وذهب للنبي - صلى الله عليه وسلم - مستجيراً طالباً منه أن يكف عنه وعن قبيلته لسان حسان بن ثابت. وشهد النابغة له بالشاعرية الفذة وكذلك بالعبقرية في الأداء والإيحاء واللفظ. وهذا شرف عظيم للحد الذي جعل النقاد في القديم والحديث يجمعون على شاعرية حسان المجيدة وأنه أشعر أهل المدر وأشعر الصحابة ، بل وأشعر أهل الإسلام وأشعر أهل اليمن قاطبة. وديوانه العظيم برواية (ابن حبيب) خير دليل على ذلك. * وللأصمعي قولان متناقضان عن حسان: الأول: أن حسان لان شعره بعد إسلامه ، وهذه لا حق للأصمعي فيها ، بشهادة النقاد بل والمحققين. ولقد فددت هذه الفرية الشنيعة في كتابي: (قراءة أسلوبية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري). وسألنا: كيف يؤيد شاعراً ما بروح القدس ويلين شعره؟ ربما هذا القول من الأصمعي لتشيعه ورافضيته الخبيثة. وأما الثاني: فقول الأصمعي: تنسب إليه أشياء لا تصح عنه. وهذه له فيها كبير الحق. لأنه قد ابتلى ببعض الأشعار التي لا تليق بمستواه الفني الجليل! وإنما هي أشعار منحولة تسربت إلى ديوانه. ويؤيد هذا القول ابن سلام الجمحي: (إن حسان قد حمل عليه ما لم يحمل على أحد. الأشعار الكثيرة التي لا تنقى). هـ. ويؤيد كلامنا د. شوقي ضيف في كتابه: (تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي ص 81): (والحق أن شعر حسان الإسلامي قد كثر الوضع فيه ، وهذا هو السبب فيما يشيع في بعض الأشعار المنسوبة إليه من ركاكة وهلهة. لا لأن شعره قد لان وضعف في الإسلام كما زعم الأصمعي ، ولكن لأنه دخله الكثير من الانتحال والوضع). هـ. وصدق شوقي ضيف حفظه الله تعالى. * عاش حسان ثابت الأنصاري ستين سنة في الجاهلية ، وأيضاً ستين سنة أخرى في الإسلام. فهو من الشعراء المخضرمين المعتمدين. وعاش على الشعر ، فكان يمدح الغساسنة والمناذرة ويقبل هداياهم وهباتهم وعطاءاتهم. ويعتبر مدحه لآل جفنة من ملوك غسان من الشعر ، من أكثر وأغرز شعره الجاهلي أي الذي أنشده في الجاهلية. ولذا أكرموه ولم ينتكروا قط له بعد أن أسلم رغم أنهم نصارى ، ولذا لما جاءت إليه رسلهم بالهدايا من القسطنطينية قبلها - رضي الله عنه - * وعندما اشتد أذى المشركين وهجاؤهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - قال لأصحابه: ما يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: إنا لها. وضرب بلسانه الطويل أرنبة أنفه ، وقال: والله ما يسرني به مقول ما بين بصرى وصنعاء ، والله لو وضعته على صخر لفلقه ، أو على شعر لحلقه. فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين! فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: (اهجم ومعك روح القدس). وعلى هذا كان حسان شاعر أهل المدن في الجاهلية وشاعر النبوة في البعثة النبوية وشاعر اليمن الأوحدي. نعم كان حسان أمير الشعراء المسلمين في كل أغراض الشعر العربي اللانقة بالإسلام: (الفخر والحماسة والمدح والهجاء والرثاء والوصف)! ففي شعره ضارع ابن كلثوم في الفخر بقومه والمباهاة بنفسه. بقي حسان بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محبباً كما أسلفنا إلى خلفائه مرضياً عنه ، وعمر وبقي أكثر حياته ممتعاً بحواسه وجوارحه وعقله حتى وهن جسمه في أواخر أيامه وكُف بصره ، ومات في خلافة معاوية سنة 54هـ. لقد ظلم حسان ظلماً كبيراً إذ كتبت الكتب الكثيرة عن صحابة فرسان كثيرين. وأما فارس الكلمة (حسان بن ثابت) فكتب عنه عن النذر اليسير من الكتب. وكان المدخل للكتابة عنه الأدب والكلمة. ومن عناوين الكتب نذكر ذلك: (رجال حول الرسول) ، (من سير الصحابة) ، (فرسان حول الرسول). ولم يكن من بين هؤلاء الفرسان والرجال والصحابة

والأبطال (حسان) والذي هو فارس الكلمة وبطلها. وأسأل: لماذا؟ والجواب: لانشغال الرواة والمحققين والمؤلفين بالفروسية التي قوامها السيف والسنان مهملين الفروسية الأخرى فروسية الكلمة ، والتي قوامها الشعر والحكمة والبيان. إن جهاد حسان - رضي الله عنه - بالكلمة أعتى من جهاد سواه بالسيف ، وذلك بشهادة النبي - صلى الله عليه وسلم - نفسه ، إذ قال: لهو أمضى من نضح النبل عليهم. ومن هنا حلا لبعضهم أن يتهموا حسان بالجبن والخوف. وهذه فرية عظيمة. إنه من أشجع الأصحاب في جهاد الكلمة وسد فراغاً لم يستطيع سواه أن يسده ، وملاً فراغاً لم يكن يملؤه سواه. وغاية ما في الأمر أنه كان يخاف من الحرب وضرب السيوف ورمي النبال. وفي ظني أن حسان بن ثابت الأنصاري لم ينصف! ولعل دراسات مستقبلية سوف تنصفه إن شاء الله وتسله من دعايات المستشرقين وأفراخهم وسدنة الباطل المعاصرين والغابرين كما تُسل الشعرة من العجين ، كما كان يسئل النبي صلى الله عليه وسلم - من دعايات المشركين بالأمس. * إنني إن عفتي أولادي السبعة فعندي قصائد التي فاقت اليوم 575 قصيدة ، فهن بناتي اللاتي أفاخر بهن وأجد منهن البر والإحسان. ولذا لا يجب أن أحزن على عدم وجود البنات عندي وأشكر لله ما رزقني إذ كنت أريد بُنية. وكفاني حسان. * أسرت قبيلة مُزينة (حسان بن ثابت) وكان قد هجاهم فقال في هجائه لهم معرضاً بهم:

مُزِينَةٌ لَا يَرَى فِيهَا خَطِيبٌ وَلَا فَلَاحٌ يُطَافُ بِهِ خَصِيبٌ

أَنَاسٌ تَهْلِكُ الْأَحْسَابُ فِيهِمْ يَرُونَ التَّيْسَ يَعْدِلُهُ الْحَبِيبُ

فأتاهم الخزرج قوم حسان يفتدونه منهم ، فقالت مزينة: نفاديه بتيس. فغضب أهل حسان لذلك غضباً شديداً ، ولما رأوهم يبخسون قدره ، وقاموا فقال لهم حسان: يا إخوتي خذوا أحاكم يعني نفسه ، وادفعوا إليهم أخاهم يعني التيس الذي طلبوه فداءً لحسان. * ولقد حفظ الله - تعالى - اسم (حسان) على مر العصور وكر الدهور فلا أعلم أحداً تسمى به وكان منقوص القدر. فمثلاً:

1- حسان تَبِعَ بن أسعد بن أبي كرب الحميري ، من أعظم تبابعة اليمن في الجاهلية. ولعله أكثرهم غارات وأظفرهم كتائب ، كما ذكر في غير ما مرجع ودائرة معارف.
2 - حسان أبو رحاب ، من أسرة عوف بن الصوامعة بمصر وهو من رجالات التعليم الأوفياء العظماء. مات 1957م.

3 - حسان ابن أبي سنان بن أبي أوفى بن عوف التنوخي (مترجم معروف) كان يكتب بالعربية والفارسية والسريانية في غاية الدقة والجمال. مات 18هـ.

4 - حسان بن كلال الحميري من ملوك حمير الجاهليين.

5 - حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم ، من حمير وهو ملك جاهلي من أقبال اليمن عرف بذي الشعبين وهو جبل نزله هو وولده وعاش فيه ودفن فيه.

6 - حسان بن عمرو بن تَبِع: من ملوك اليمن الحميريين.

7 - حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف ، أبو سليمان الكلبي. أمير بادية الشام مات 685م.

8 - حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر أو عبده. وزير عبد الرحمن الداخل (مؤسس الدولة الأموية في الأندلس) ، مات سنة 767م ، وكان قد عرف بتقواه وبعدائه وأمانته.

9 - حسان بن مالك بن أبي عبدة ، وزير من العلماء باللغة والأدب في الأندلس. مات 1029م.

10- حسان بن محمد بن أحمد بن هارون ، من نسل سعيد بن العاص القرشي الأموي (أبو الوليد) علامة بفقهاء السادة الشافعية ، وهو من حفاظ الحديث مات 960هـ.

- 11 – حسان بن معاوية بن ربيعة بن حرام العجوي من قحطان. وهو جد جاهلي من أجداد العرب.
- 12 – حسان بن مفرج بن دغفل بن جراح الطائي (أمير بادية الشام) مات 420هـ.
- 13 – حسان بن النعمان بن عدي الأزدي الغساني من أولاد ملوك غسان ، قائد من رجال السياسة والحرب. مات 705م.
- 14 – حسان بن نمير بن عجل الكلبي (أبو الندى عرقله الأعور) ، وهو شاعر فذ مات 567هـ.
- وأما اسم حسان في عالم الحديث ورجالاته ورواته فمنهم:
- 1 – حسان بن إبراهيم بن عبد الله الكرمانى ، وهو قاضي كرمان ، روى له البخاري ومسلم والدرامي – رحمهم الله.
- 2 – حسان بن الأشرس (المنذر) بن عمار الكاهلي الألبى ، روى له النسائي - رحمه الله -.
- 3 – حسان بن حريث أبو السوار العدوي.
- 4 – حسان بن حسان البصري ، أبو على بن أبي عبادة وقد روى له البخاري - رحمه الله -.
- 5 – حسان بن أبي سنان البصري ، وهو أحد العباد الثقاة الورعين ، روى له البخاري والترمذي.
- 6 – حسان بن الضمري بن عبد الله الشامي. روى له النسائي.
- 7 – حسان بن عبد الله بن سهل الكندي أبو علي الواسطي ، روى له البخاري – رحمه الله -.
- 8 – حسان بن عطية المحاربي.
- 9 – حسان بن كريب الحميري الرعيني أبو كريب المصري وقد روى له البخاري - رحمه الله.
- 10 – حسان بن نوح النصرى أبو معاوية أبو أمية الشامي الحمصي ، وقد روى له النسائي.
- 11 – حسان بن أبي وجزة من قريش ، وقد روى له النسائي.
- 12 – حسان (غير منسوب) وقد روى له النسائي عن عبد الله بن مسعود (ما رأيت من ناقصات عقل ودين). حديث واحد فقط لا غير. وكتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للإمام المزي حرف الحاء ، قد حوى الكثير والكثير.
- هذا ، وقد اعترض واحد من أصحابنا على هذه التسمية التي عزمت عليها لولدي (حسان) قائلًا بأنه لم يكن من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – بهذا الاسم (حسان) إلا ابن ثابت الأنصاري الشاعر. فقلتُ لصاحبي: عُدْ إلى كتاب (الإصابة) لابن حجر العسقلاني ، وكتاب (أسد الغابة) لابن الأثير وغيرهما من كتب التراجم والسير والرجال ، وسوف تعرف أنه لم يكن الصحابي الوحيد الذي تسمى بهذا الاسم. بل كان هناك من الصحابة حوالي سبعة خلاف ابن ثابت:
- 1 – حسان بن جابر السلمى ، والذي شهد مع النبي الطائف.
- 2 – حسان بن أبي حسان العبدي ، الذي قدم على النبي – صلى الله عليه وسلم – في وفد عبد القيس.
- 3 – حسان بن خوط الذهلي البكري ، الذي كان شريفًا وسيداً في قومه ، وكان وافد بكر بن وائل إلى النبي ، وقد عاش هذا الصحابي الجليل حتى شهد (الجمل) مع علي.
- 4 – حسان بن أبي سنان ، الصحابي المشهور - رضى الله عنه -.
- 5 – حسان بن شداد بن شهاب بن زهير بن ربيعة.
- 6 – حسان بن عبد الرحمن الضبيعي - رضى الله عنه -.
- 7 – حسان بن قيس بن أبي أسود بن كلب بن عدي بن يربوع التميمي - عليه رضوان الله.
- * وعودٌ إلى حسان بن ثابت الأنصاري في نماذج من شعره: يبكي حسان على الأطلال فيقول:

أسألت رسم الدار؟ أم لم تسأل بين الجوابي فالْبُضِيع ، فحومل

فالمَرَج مَرَج الصَّفْرين فجاسم
فديار سلمى ذرّسالم تحلل
دمنّ تعاقبها الرياح دوارس
والمَدجّات من السمّك الأعزل

وبعد أن خاض في عرض عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قال بعد حادث الإفك معتذراً:

حصان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليّة خير الناس ديناً ومنصباً
نبي الهدى والمكرّمات الفواضل
عقيلة حي من لؤي بن غالب
كرام المساعي مجهداً غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها
وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قلت الذي زعمتم
فلا رفعت سوطي إليّ أناملي

وقد روى أن عائشة قالت في التعليق على قوله: (وتصبح غرثى من لحوم الغوافل) ، ولكنك يا حسان ما تصبح غرثان أي جائع من لحومهن. هذا ، ومن شعره في القيم قبل إسلامه:-

أصون عرضي بمالي لا أدنسه
لا ببارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى ، فأجمعه
ولست للعرض أن أودى بمحتال
والفقر يُزري بأقوام ذوي حسب
ويقتدى بلباس الأصمّل أنذال

ومن شعر حسان في الفخر:

وكنّا ملوك الناس قبل محمدٍ
فلمّا أتى الإسلام كان لنا الفضل
وأكرمنا الله الذي ليس غيره
إله بأيام مضت ما لها شكل

ومن شعر حسان في المناظرة ، وذلك عندما أنشد الزبرقان بن بدر التميمي قوله:

نحن الكرام ، فلا حيّ يُعادنا
منا الملوك ، وفينا يقسم الربيع

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال. فأنشد حسان مناظراً:

إن الذوائب من فهور وإخوتهم
قد بينوا سُنننا للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس (وهذا قبل إسلامه): وأبي (يقسم هنا بأبيه) إن هذا خطيبه (أي حسان) أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، وأصواتهم أعلى من أصواتنا. فلما فرغ القوم من المناظرة أسلموا وجوزهم رسول الله (أي أعطاهم الجوائز). فأحسن جوائزهم – صلى الله عليه وسلم). ومن شعر حسان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

وأحسنٌ منك لم تر قط عيني وأجملٌ منك لم تلد النساء

خلقتُ مُبراً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن شعر حسان في الذود عن النبي – عليه السلام –: عندما هجا أبو سفيان بن الحارث نبي الله – صلى الله عليه وسلم –:

ألا أبلغ أباسفیان عني فأنت مجوفٌ نخب هواء

بأن سـيوفنا تركتك عبداً وعبد الدار ساداتها الإمام

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ، ولسنت له بكفء؟ فشركما لخيركما الفداء

هجوت مباركاً براً حنيفاً أميين الله ، شيمته الوفاء

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سـواء

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاء

* ولقد أجمع النقاد والمحققون والمنصفون من المستشرقين على أن شعر حسان في جملة كان على أربعة أنحاء ، اثنان منها في الجاهلية شعره القبلي ومدحه الغساسنة. وفي الإسلام مدحه للرسول – صلى الله عليه وسلم – وهجاؤه النضالي. فأما شعره الذي كان في الجاهلية فالقبلي منه انصرف فيه حسان للذود عن قومه بالمفاخرة بهم وبمآثرهم وبمناقبتهم ، وذلك بسبب روح العداوة المستحکم الذي ينشب من حين لآخر بين قبيلتي الاوس والخزرج. وأما شعره الغساني في مدح البلاط الغساني ، فمدح أمراءهم وحكامهم وملوكهم ، ومنه قوله:

يسقون من ورد البـريرص عليهم بردي يصفق بالرحيق السلسل

بيض الوجوه كريمه أحسابهم شم الأنوف ، من الطراز الأول

وأما شعر حسان في الإسلام فمنه مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – فجعل مشربيته في الذود عن الإسلام مدح النبي وآله الأطهار الأبرار. فانبتق مدحه عن عقيدة وتوحيد وحب للنبي لا عن رغبة في التكسب والارتزاق والعطايا. ويلحق بهذا الشعر رثاء النبي – صلى الله عليه – ومراثي

أهل بيته. وديوان حسان ملئ بهذه المراثي. وأما هجاء حسان النضالي ، فقد هجا قريشاً وكل من يناوئ دعوة الرسول وينال منها. واتخذ أسلوب التشفي في المناوئ. حيث يفصل هذا الدعي عن الدوحة القرشية ويجعله دعياً لجأ إلى قريش كعبد ، ثم يذكر نسبه لأمه فيطعن به طعناً أشد ما يكون الطعن. ثم يصوب سهام الشعر إلى أخلاق هذا المناوئ ، فيمزقها تمزيقاً ويصفه بالبخل والجبن والفرار من لقاء خصومه وغير ذلك من مساوئ الأخلاق وعيوب الرجال ومثالبهم.
* ومن شعره في رثاء النبي - صلى الله عليه وسلم :-

ما بال عينك لا تنام ، كأنما
كحلت مآقيها بكحل الأرمـد
جزعاً على المهدي أصبح ثاوياً
يا خير من وطئ الحصى لا تبعد
فضالت بعد وفاته متابداً
متلداً يا ليتني لم أولد

ومن شعر حسان أيضاً في رثاء النبي - عليه الصلاة والسلام :-

كان الضياء ، وكان النور يتبعه
بعد الإله ، وكان السمع والبصرا
فليتتاييوم واروه بملحده
وغيبوه ، وألقوا فوقه المدرا
لم يترك الله منا بعده أحداً
ولم يُعش بعده أنثى ولا ذكرا

ومن رثاء حسان في أبي بكر الصديق - رضى الله عنه :-

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة
فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
التالي الثاني المحمود شيمته
وأول الناس طراً صدق الرسلا
والثاني اثنين في الغار المنيف وقد
طاف العدو به إذا صعد الجبلا
خير البرية ألقاها وأرفها
بعد النبي ، وأفاهها بما حملا

ومن شعر حسان في رثاء عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه :-

وفجعنا فيروز ، لا درّ درّه
بأبيض يتلو المحكمات منيب
رؤوف على الأدنى ، غليظ على العدا
أخي ثقة في النائبات نجيب

ومن رثائه في ذي النورين عثمان - رضى الله عنه تعالى - كذلك:

من سره الموت صرفاً لا مزاج له
فليات أسدة في دار (عثمانا)

ضَحُوا بِأَشْمَطِ عَنَوَانِ السُّجُودِ لَهُ يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقِرْآنَا
لَتَسْمَعْنَ وَشَيْكاً فِي دِيَارِهِمْ اللَّهُ أَكْبَرُ ، يَا ثَارَاتِ عَثَمَانَا
ومن شعر حسان في رثاء علي بن أبي طالب - رضى الله تعالى عنه :-

أبَا حَسَنٍ تَفْدِيكَ نَفْسِي وَمُهْجَتِي وَكُلَّ بَطْنِي - فِي الْهُدَى - وَمَسَارِعِ
أَيُّ ذَهَبٍ مَدْحِي وَالْمُحِبِّينَ ضَائِعاً وَمَا الْمَدْحُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ بَضَائِعِ
فَأَنْتَ الَّذِي أُعْطِيتَ إِذْ أَنْتَ رَاكِعٌ فَدَتِكَ نَفْسُ الْقَوْمِ يَا خَيْرَ رَاكِعِ

* وأكتفي إلى هذا الحد من الحديث عن شاعرنا القدير حسان بن ثابت. وأشير إلى أنه دفن بالبقيع في المدينة المنورة ، وذلك في خلافة معاوية - رضى الله عنه - وليس الصحابي حسان مدفوناً في مصر كما طالعت في بعض الكتب. وإنما لنرجو الله أن يجعل ولدنا مثل حسان فيتبني تراث أبيه من الشعر ، ويخلفه على هذا الشعر تنقيحاً ونشراً. وإن كنت وأمه قد رجونا بُنية بعد الأولاد الستة ، ولكنها إرادة الله ، والله غالب على أمره. وصدق الشاعر عباس محمود العقاد عندما قال مبكثاً:

صَغِيرٌ يَظَلُّ بِكَ الْكَبِيرُ رَا وَشَيْخٌ وَدَلَّ صَوْفُ غُرَا
وَخَالٌ يَشْتَهِي عَمَّالاً وَذُو عَمَلٍ بِهِ ضَجْرَا
وَرَبُّ الْمَمَالِ فِي تَعَبٍ! وَفِي تَعَبٍ مَنِ افْتَقْرَا
وَذُو الْأَوْلَادِ مَهْمُومٌ وَطَالِبُهُمْ قَدْ انْفَطْرَا
وَمَنْ فَقَدَ الْجَمَالَ شَكِي وَقَدْ يَشْكُو الَّذِي بُهْرَا
وَيَشْكِي الْمَرْءَ مِنْهُزِماً وَلَا يَرْتَمِحُ أَحَدٌ مِنْهُزِراً
وَيَبْغِي الْمَجْدَ فِي لَهْفٍ فَإِنْ يَظْفُرُ بِهِ فَتْرَا
شُكَاةٌ مَا لَهُمْ حَكْمٌ سَوَى الْخَصْمِينَ إِنْ حَضْرَا
فَهَلْ حَارُوا مَعَ الْأَقْدَا رِ؟ أَمْ هُمْ حَيَّرُوا الْقَدْرَا؟!

وإن كانت الدنيا قد قامت وما قعدت على العقاد يوم أنشد هذه الأبيات ، واعتبره البعض كافراً زنديقاً والعياذ بالله! وذلك لأنهم فهموا أنه يسب القدر سباباً صريحاً لا مرية فيه ، وذلك عندما قال: (أهم حاروا مع الأقدار؟! أم هم حيروا القدر؟!) وهما استفهامان إنكاريان ، فالرجل ينكر على الناس سخطهم وعدم رضاهم عن قدر الله تعالى فقط! وإن سلمنا أن التعبير قد خانه على أسوأ الافتراضات ، فلا يصل بنا الحال مطلقاً للحكم عليه بالكفر والزندقة! نحن نحاكم نصاً لا نفساً ونية! وأكتفي رغم الإطالة التي أعتذر عنها. هذا ، وإنني لأسأل الله - عز وجل - أن يكون ولدنا حسان

بن أحمد علي سليمان عبد الرحيم في مكانة حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه من أهل زمانه. أو يكون مثل شاعر آخر من شعراء الصحابة يدعى حسان كذلك وهو حسان بن عبد الله الجعدي العامري ، والذي يعتبر أحد القدماء المعمرين المخضرمين ووصاف الخيل المشهورين ، وأحد أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - الغر المحجلين. والغريب أن هذا الشاعر عُرف بالنابغة الجعدي المكنى بأبي ليلي ، وأما اسمه فكما ذكرنا حسان . نبع في الشعر في الجاهلية ، وأدرك الإسلام وحسن إسلامه واستمع منه النبي - صلى الله عليه وسلم - من قصيدة له في الفخر على عادة قومه من ذكر القبيلة وسؤدها وشرفها ، فافتخر النابغة الجعدي بقومه وقبيلته فقال: (بلغنا السما مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو - فوق ذلك - مظهرا)! فقال له النبي: فأين المظهر يا أبا ليلي؟ قال: الجنة ، يا رسول الله. فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: إن شاء الله! ولما أتم قصيدته تلك ، قال له الرسول: أجدت لا يفضض الله فاك. فأتت عليه مائة سنة وقيل مائة وثمانون وما نفضت من فيه سن. وذلك ببركة دعاء رسول الله. وذات الدعوة دعاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لشاعره حسان بن ثابت الأنصاري بقوله: (لا فض فوك يا حسان) وقوله: (لا يفضض الله فاك يا حسان) ، فعاش حسان مائة وعشرين سنة ، ولم تسقط له سنٌ ببركة دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له! قال ذلك عنه ولده عبد الرحمن - رضى الله عنه - ، وذلك عندما قاموا بتغسيله يوم مات - رضى الله عنه -! اللهم اجعل لولدنا (حسان) من شعر الإسلام نصيباً. ولكني أردتُ أن أعلم ولدي لماذا أسميته (حسان) ، وأعرّفه بحسان بن ثابت.)

الخطا الق المتكبر الرحمن
وأنا الذي قصرت في الشكران
من نعمة الإسلام والإيمان
تطبيق ما قد كان في القرآن
واعصم فؤادي من دجى العصيان
حتى اقتفى عمداً خطا الشيطان
ومن الضلال ومن لظى الخسران
ونجا من الزلات والميلان
في حماة الآثام والطغيان
خلق الورى ذو الفضل والعرفان
هو رحمة الرحمن للإنسان
ولغا بلفظ القول طرف لسان

الحمد لله العظيم الشان
إني لأحمده ، وأشكر فضله
وأزيده حمداً على ما خصني
والله ربي أستعين به على
يا رب أستهديك ، فارزقني التقى
واغفر ذنوباً غر صاحبها الهوى
وأعوذ بالله العظيم من الخطا
من يهده الله القدير فقد سما
وإذا أضل الله عبداً لم يزل
وشهادة أن لا إله سوى الذي
وشهادة أن النبي محمداً
صلى عليه الله مادامت سما

يا رب صلّ على النبي وآله
أنت الذي أرسلته وعصمته
يا رب بالقرآن علمني الهدى
وامنح قريضي من نعيمك نفحة
يا رب زده فراسة وبصيرة
وانفع به أهل التعفف والحجا
فالشعر سيفي في المعامع والقنا
ورصدتْ أبنائي لنصر شريعتي
ونذرتُ للشعر المجاهد خيرهم
أسميته (حسان) أعني من شدا
أعنى (ابن ثابت) في سنا أشعاره
ويذود عن شرع النبي وعرضه
(حسان) يا ولدي إليك تحيتي
أهدي إليك من الفؤاد سُورَه
وأزفُ أفراسي ، وأحملُ بهجتي
لك يا حبيب القلب يطربُ خاطري!
وأزاهرُ الأشواق تُسعدُ مُهجتي
لم يُسنني شجني سُورِي بالفتي
يا ذاهلاً في المهدي بسُم ثغره
آياتُ جودك في الجبين حديقة
لا تدخرُ كرمًا تُطمئننا به
ومشاعري التاعتُ لَمَّا ينتابها

والصحب والأتباع بالإحسان
ونصرتَه بالسيف والفرقان
وألن عتيّ اللفظ والتبيان
إن القريض عزيمتي وسناني
وانشُرَه بين الأهل والإخوان
وبه أجزُ جسدي من النيران
والقصْدُ من ذودي رضا الديان
يا رب فامنحهم فصيح بيان
ليُعيدَ للدنيا صدى (حسان)
بالشعر ينصرُ مائة (العدنان)
يُردي بسيف الشعر كل جبان
ويُعبئُ الترجيعَ في الألمان
شِعراً كمثل الورد والريحان
بك رغم ما يُشقيه من أحزان
في خلة نسجتُ من المرجان
وحُبوره يشدو بعذب أغان
تجري دماً في همتي وكياني
والفرحُ يُذهبُ عاتي الأشجان
هلا أرحت سرائر الضيفان؟
وقطوفها للمُعجبين دوان
إن العواطف يا بُنيَّ حوان
بين السرور وشدة الخفان

فأودع الآلام بالنسبيان
فأفتش الأشواق عن سؤلوان
حيناً ، ومالي بالعلاج يدان
ويشيب في محرابه الثقلان
ضاقت بما ألقى سما (عجمان)
بلسان محتسب الدعا حيران
والدمع في جوف الصلاة غزاني
والعين كحلها سنا (حسان)
سيفاً يقاوم هجمة الغدوان
في جملة الرئبالاة الفرسان
بحلاوة الإخلاص في الميدان
يرمي العدا بثواقب الشهبان
ويتيمه بالإيحاء والأوزان
إذ لم يغد للشعر أي مكان
وكانها قطفنت من البستان
ويفور مثل المرجل المألان
ويكون في الجولات ذا صؤلوان
فرماه من أحقاد بهوان
ويجيرهم من جوقاة الذؤبان
كي يعلموا ما للهدى من شان
تُردي العدا كالفارس الطعان

طيفت يسامرني فيسعد عزمتي
ويمر طيف في ثناياه الجوى
فإذا بأهل الطب قد حيرتهم
علم يهيم العقل في أسراره
وهناك في (مشفى الخليج) رأيتني
وسهرت ليلي ، والدعاء بضاعتي
وصلاة ليل المرء تمحو هممه
وقد استجاب الله ما أمأته
ودعوت ربي أن يكون لدينا
ويكون أشجع فارس يغشى الوغى
ويكون أول مقبل متسالح
ويكون في شعر العاراب جهبذاً
يُثري القريض ، يذرُ خلوعه
ويعيد للشعر الأصل مكانه
ويذيع آيات الجمال شجية
ويعرف المستشعرين حدودهم
ويصولُ يُخرس من تشاعر ماجناً
ويصد هجمة من تنكر للهدى
ويجول بين الناس ، ينشرُ خيره
ويناول المتطاولين بشعره
(حسان) يا ولدي أريدك شاعراً

إنني نذرتك للقريض ، فكُنْ له
وانكسر وصاة أب يريذك حربية
فاجعلن قريض العرب سيفاً صارماً
وارسم بريشتك الفضائل حية
واحملن يراعك في العجاج مجاهداً
وأعد حقوقاً طالما قد أهدرت
إن الحقيقة عنك ما خفيت ، فكن
أباً الحسام ابسط يداك لبيعتي
نذ عن شريعة (أحمد) وراثته
لا تخش من فجروا ، ولا من نافقوا!
والشعر علم ، فالتمس أدواته
وانقش بكفك ما تعيش وما ترى
ما أجمل الأشعار ترسّم واقعاً
ما أعذب الألحان ، أنت تسوقها
لم تدخر جهداً يزيّد بهاءها
جوزيت خيراً إن حفظت وصيتي
وإذا هجرت ، فلا عليك ملامة
وإن استطعت فلا تحاولن هجرها
وأمانة هذي الوصية ، فارعها
سطرثها شعراً ، وأنت وليها
وأبنت عن قصدي وصدق مشاعري
ونظمت عقداً قصيدتي متلألئنا

بطلاً يلي ما كان في حُسابني
في صدر كل منافق خوان
واطعن مخارفاً فرقة القباني
واسكب شذى الأزهار في الديوان
واقمع بحقك كل ذي سلطان
وأزل بجودك لوعة الحرمان
متحققاً من صولة البطلان
أبدأ على نسج القريض الحاني
وانشد بشعرك جنّة الرضوان
أخاف ليث الغاب من ذبان؟!
كي لا يكون الشعر كالهذيان
واخرج - على الدنيا - بعدب معان
وتصّب ما تحياه في الأذهان!
لمريدها ريانة الأغصان!
إلا بذلت بهمة وتفان
ورزقت تقوى مؤمن يقظان
والله يا (حسان) ذو غفران
إذا مالها في الأرض من أثمان
ولقد خصصت بها فتى الفتيان
وصدقت في سري وفي إعلاني
لحبيب قلبي ذرة الصبيان
يُزري بكل زُمردٍ وجمان

وخصّصت في الأعمال بالإتقان
ووقيت ما في الناس من شنآن
وأعدك المولى من الشيطان
صديقة بين النساء حصان
مع زوجة تزن الأمور رزان
والرب هذي زينة النسوان
إما ابتليت بخيبة الخذلان
هم صفة الأنساب والأقران
أكرم بما منحوا من الرجحان!
صيد النفوس على مدى الأزمان
بل جابهوا بنزاهة الشجعان
غزلوا لسرك جبة الكتمان
هرعوا إليك بنجدة التحنان
وصلوك قبل الأهل والجيران
خدموك بالأموال والولدان
ولذاك ما احتاجوا إلى برهان
ومضحياً بالنفس كالقربان
ملأوا حشاه بأنتن الأنتان
وتحمّلوا الإيذاء بالأطنان
هو للمناقب والفضائل بان
فالأسد تأنف صحبة الغريبان

أبا الوليد رزقت تقوى ربنا
ووقاك ربك فتنة عصفت بنا
وجعلت في الأهلين مصدر عزهم
ورزقت يا حسان أصدق زوجة
لتعيش مرتاح الفؤاد منعماً
هي بعد تقوى الله خير موعنة!
ويكون أنصاراً لدينك أهلها
كل يمد يد الولاء مضحياً
وإذا استشرت فهم أساطين الحجا
وإذا التمسست العون كانوا نجدة
وإذا ابتليت بنكبة لم يخذلوا
وإذا سألتهم لسرك ملجأ
وإذا طغى ريب المنون رأيتهم
وإذا دهثك من الأقارب جفوة
وإذا قصدتهم لأرجى خدمة
أنت ادخرتهم ليوم كريهة
بل جاء كل حاملاً علم الوفا
وإذا علاك بمطعن متخرس
ولعرضك انتصروا ، وذا شرف لهم
وترفعوا عن خذل شهم ماجد
(حسان) لا تصحب وضيعاً ساقطاً

مُستمسكاً بشـرائع القرآن
واحذر مـودة مشركٍ نصراني
في الموبقات الهوج أي عنان
بوركت إن نفذت من غضبان!
فمخالط الأوباش كالحيوان
مترفعاً عن مريد البعران
واهجر - فديتك - عابدي الأوثان
فهو الشفا للروح والأبدان
لا سيما نبراسنا (الحراني)
بين الأفاضل عالم رباني
والقصد (عبد القادر الجيلاني)
وتعيش بصيراً في تقى وأمان
في مرجع العلامة (الطحان)
والفضل حاز ثوابه (الشيخان)
مثل الضياء فحبذا (القطبان)
فعليك يا حسان بـ (الشيباني)!
فيما رواه فدونك الطبراني
فانزل بساح أميرنا (الصنعاني)
فالضاد للإسلام كالبنيان
واسأل عن الفصحى (أبا حيان)
واستفت (عبد القاهر الجرجاني)
وادرس تراث الجهبذ (النعمان)

واختز صديقك مؤمناً وموحداً
واحذر مـوالاة الكفار جميعهم
والنفس حاسبها ، ولا تترك لها
واغضب ، ولكن للمليك ودينه
وأربأ بنفسك عن مخالطة الغا
وأنا أريدك في الخلائق ضيغماً
وأدم مراجعة العقيدة يا فتى
والزم غذاء الروح قرآن الهدى
وادرس كتابات الثقات تعبداً
أعني (ابن تيمية) الهمام ، فإنه
واقراً لأستاذ القلوب (فتوحه)!
واعقل (أصول الفقه) تغد منظراً
واحفظ حديث المصطفى وعلومه
أما المتون ففي الصحيحين ازدهت
وإذا التمسيت اليوم فقه حياتنا
وإذا ابتغيت لِمَا ذكرت إضافة
وإذا أردت محذئاً متبحراً
وإذا عمدت إلى بيان عويصة
وانطق بضاد العُرب إن رمت الغلا
فادرس معاجم قد حوت أسرارها
واستجوب (الجمحي) عن شعرائها
وعليك بالفقه المبين شرعنا

ثم (ابن إدريس) ، ومُرَّ بِـ (مالك)!
ثم (ابن حنبل) يا بُني فقيها
فعلِيهم مِن ربنا رحماتُه
ومَن اقتفى آثارهم مسترشداً
أبى الحسام اعملْ لجنّة ربنا
عُقبى الذين برّبهم قد آمنوا
بُشرى لمن فازوا بصحبة من نجا
وتذكر الموت الذي يغشى الورى
وكأننى بالمرء يلبس خُلة
وكأننى بالمرء بعد قصوره
قد كان يأكل ما حلا من زاده
قد كان يهرب من لطيف مصابه
قد كان يشرب من لذيذ شرابه
واليوم لو ماء الدنا في جوفه
فاعملْ أيا (حسان) لليوم الذي
وتقول: هل من نجدة في مأزقي
ولسوف تنكر يومها ما بيننا
والعذر مُتمسّ ، فتلك قيامة
أبى الوليد احذر شقاشق من غوى
واحذر رعاك الله كلّ مُحرفٍ
واحذر دجاجلة تُطوّغ ديننا

فهمُ الشـموسُ لهـذه الأـكـوان!
واذكـره كـل إقـامـةٍ وأذـان
ما شقشقت طيرَ على أفنان
فعليه رحمة ربنا الرحمن
أنعم بسكنى مؤمن بجنان!
لم تحو غير أكارم السكان
والفضل كل الفضل للمنان
ويجوسُ عالمهم بلا استئذان
فإذا به قد لفق في الأكفان
أمسى بقبر مظلم الأركان
واليوم أصبح طعمة الديدان
واليوم هل للحال من روغان؟
بجميع ما في الأرض من ألوان
والله لمن تلقاه بالريان
تجثو أمام الوزن والوزان
إذ كيف تنقل كفة الميزان؟!
ولسوف تصرخ في الورى ما شاني؟!
والحكم يوم الفصل للديان
من عصابة الأبحار والرهبان
دين المليك كرافع الصلبان
بالعمد باسم اليسر للطغيان

مَنْ يَحْرِقُونَ بَخُورَ مَنْ سَفَكُوا الدِّمَاءَ
مَنْ يَقْرَعُونَ طَبُولَ مَنْ قَدْ أَجْرَمُوا
وَالزَّمْ رِيَاضَ الْعِلْمِ تَقْطِفُ شَهْدَهَا
وَاعْرِفْ لِكُلِّ قَضِيَّةٍ بُرْهَانَهَا
وَذَرِ الْأَلَى فِي آيِ رَبِّكَ تَاجِرُوا
شَتَانِ بَيْنَ مُوَحِّدِ فِقْهِ الْهُدَى
(حَسَانٌ) لَا تَغْرُرْكَ أَلْوِيَّةُ الرَّدَى
الْحَقُّ أَنْتَ ، فَكُنْ لِحَقِّكَ حَامِيًا
وَالشَّرْعُ أَغْلَى فِي حَيَاتِكَ ، فَارَعَهُ
فَإِذَا قَضَيْتَ قَضِيَّةً مُعْتَزِ الصَّدَى
وَاحْفَظْ لِأَهْلِ الْفَضْلِ مَا بَدَلُوا وَكُنْ
مَنْ يُنْكَرُ الْمَعْرُوفَ يَمَقِّتْهُ الْوَرَى
وَاقْدِرْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ غَالِيَّ قَدْرَهُمْ
وَاجْرُ شَرِيذًا جَاءَ يَنْشُدُ نَجْدَةَ
وَاشْمَخْ بِأَنْفِكَ أَنْ يُهَيِّنَكَ أَرْضًا!
تَجْرِي السَّنُونُ ، وَتَلِكُ تَلْتَهُمُ الْحَشَا
وَاعْدُ عَلَيْهِ الدَّرْسَ إِنْ هُوَ لَمْ يُفِقْ
إِنْ غَرَّ أَوْبَاشَ الْوَرَى مِنْكَ الْحَيَا
لَسْتَ كُنْ رُدُودُكَ كَالرَّمَالِ تَسْوُمُهُمْ
وَاجْعَلْ حُرُوفَ اللَّفْظِ نَارًا تَجْتَنِي
لَا تُعْطِ فِي الدِّينِ الدَّنِيَّةَ ، وَانْطَلِقْ
وَاثْبِتْ ، وَلَا تَكْ خَائِفًا مَتَرَدِّدًا

إِذْ عَامَلُوا الْآنَامَ كَالْقَطْعَانِ
وَتَقَمَّصُوا شَخْصِيَّةَ الْكُهَّانِ
وَانْشَطْ ، فَلَيْسَ الْعِلْمُ لِلْكَسَلَانِ
وَدَلِيلُهَا قَبْلُ اتِّبَاعِ فَلَانِ
وَاحْذَرْ مِنَ التَّبْرِيرِ وَالْبِهْتَانِ
وَمُجَادِلِ بِالزَّيْفِ وَالْبُطْلَانِ!
بَطْلَانُهَا الْمُتَتَاغِمُ الْفَتَانِ
وَارْبَأْ بِهِ عَنِ وَهْدَةِ الْكُفْرَانِ
لَتَكُونَ صَدَقًا أَفْضَلَ الشُّبَّانِ
وَإِذَا بَقِيَتْ بَقِيَّةٌ غَيْرَ مَهَانِ
مُتَرَفِعًا عَنِ حَمَاةِ النُّكْرَانِ
وَيَعِشْ كَتَيْسٍ قَيْدَ الْبَأْرَسَانِ
إِذْ عِلْمُهُمْ فِي النَّاسِ لَيْسَ بِفَانِ
وَكَفَى تَغْرِبُهُ عَنِ الْبُلْدَانِ
فَاهَانَةَ الْأَوْبَاشِ كَالطُوفَانِ
فَادِرْ إِهَانَتَهُ بِبَلَا اسْتَهْجَانِ
إِنَّ الْهُوَ أَنْ يَحْيِقُ بِالسَّكْرَانِ
فَامَكْرُ بِهِمْ ، وَاحْذَرْ مِنَ النُّكْصَانِ
غَرَقًا يَفُوقُ ضَخَامَةَ الْفَيْضَانِ
كَيْدَ الْعِدَا كَتَوْهُجَ الْبِرْكَانِ
حُرًّا يُزِيلُ مَذَايِمَ الْعُبْدَانِ
إِنَّ التَّرْدَدَ مَحْضِرُنُ النُّقْصَانِ

وعلى المهيمن جدّ في التكلان
فوالخير عند الله للمعوان!
لا خير في متصامت متوان
في رقة وتعاطف وحنان
كبي لا تكون ضحية الشنان
فالحق يُشعل صولة الأضغان
وعلى الفضائل عَضَّ بالأسنان
وثصيبُ منك الروح بالغيثان
مثل الخنافس في ثرى الوديان
أبدأ على الأقدار والأعفان
فبه صدعتُ بحجتي وبياني
وخطوت فوق الشوك والسعدان
مما تخبأ في معين جنان!
في غير مالٍ ولا دوران
حتى حوى ما عشته ديواني
وقلت ما في النفس من خوران
وسموتُ في شعري عن الهيمان
بجميع ما في الشعر من تبيان
وبعض ما عاينته بزماني
حتى يكون سراج كل أوان
حتى غدت كسبانك العقيان

وإذا بليت فكن صبوراً في البلا
وامنح مليماً أمنه وأمانه
وانصح ولا تك في النصيحة وانياً
وابذل عطائك للمعوذ تفضلاً
واطمم ، ولا تجهل على متهور
لا تحقدن على الخلاق لحظة
واجعل حياتك بالرشاد منوطة
واحذر مواقف قد تُشِينك في الورى
واحذر معاشرة الأراذل ، إنهم
إنى أراهم كالطحالب تغذي
أبا الحسام ارفق بشعري ، وارعه
وأبنت عن قصدي بدون تحفظ
كم بحث في شعري بعذب خواطري
ونقشت بالشعر الأريب عقيدتي
وسطرت في الديوان عمراً عشته
وصبغت بالعزم الأثيل قصاندي
وجعلت شعري في الحياة رسالتي
وجعلت شعري واحدة مزدانة
وبذلت فيه مبادئي وتجاربي
أودعته أسرار ما قد عشته
ورصدت مالي للقصائد معبراً

وسهرت ليلي رغم زمجرة الكرى
مازلت أنسج للقريض عباة
قالوا: شقيت به وسربك الجوى
قلت: اخسأوا ، فأنا لشعري خادم
إن جعت كان الشعر زاداً مُشبعاً
وإذا ظمئت فمأء شعري سائغ
وإذا عدمت الدار ، فالمأوى لدى
وإذا افتقرت ، فإن أشعاري الغنى
وإذا التمسث الثوب ، فالشعر الكسا!
فوجدتني بالشعر أفخر دائماً
(حسان) يا ولدي لديك قصائدي
هذا القريض أمانة ووديعة
لم أتمن أحداً عليه سوى الذي
أبى الوليد رزقت برّ أب ثوى
وانشر على الدنيا قريضاً صاغه
ما كان ينسجه لتهجّر ذكوره
هذا الكلام إذا فقحت وصية
أنا لم أقصّر في قصيدتك التي
والحمد لله الذي من فضله
والله لولا جوده وعطاؤه

حتى نحلث ، ولأمني جثماني
حتى يعيش مُفاخرأ بصيان
حتى ذبلت ، وبُوت باليرقان
وقصائدي السماء خير مغاني!
أكرم بحادي الشعر من شعبان!
يروي غليل الحائر الظمان
أبيات شعري شاهق البنيان
والشعر عن سؤل الورى أغناني
كم مرة شعري الحبيب كساني!
هو كالدماغ تسير في شرياني
دُرر من اليقاوت والمرجان
ويصونها من كان ذا إيمان
هو في اعتقادي أفضل الولدان
فاحفظه بعد الموت بالعرفان
بمرارة الإحساس والأجفان
إن القريض يموت بالهجران
تأوي إلى التنفيذ بالإحسان
أبياتها يا صاحبي منتان
وبرغم ما كسبت يدي أعطاني
ما صغت من بيت بأي وزان!

فاطمة الزهراء السليمانية!

(أهدي هذه القصيدة الرقيقة لابنتي فاطمة التي منَّ الله - سبحانه وتعالى - علينا بولادتها يوم الجمعة 8 من محرم 1431هـ. الموافق 25 / 12 / 2009 م. ولقد انتظرناها دهرًا. وعشتُ على أمل كبير أن يمن الله عليّ بابنةٍ أدخرها في المشيب ، واحةٍ ظليلة في هجير الكبر وقلباً حانياً في قسوة الشيخوخة ، وضميراً حياً في طغيان الهرم ، إن كان في العمر بقية وفسحة. وكانت الأمنية قد سُجّلت شعراً عام 1995م ، ففي قصيدة: (قراصنة القلوب) وتحديداً في ديواني الأول: (نهاية الطريق) أنشدتُ بيتاً من أبيات القصيدة أخاطبُ فيه نفسي أقول لها:
سوف تُعطي طفلة عما قريبٍ فارحم الأنثى ، ترفق بالولاياء!

واستجاب الله الدعاء ، وكانت الزهراء. وعندما علمتُ بخبر ولادتها استبشرتُ خيراً. وعندما أمسكتُ بالقلم لأعبر عن فرحتي بها إذ بي توقفتُ عن الكتابة عند البيت الثمانين ، بعد أن اخترتُ لها القافية الهمزية المرفوعة (جعلها الله همزة وصل بين المؤمنين والمؤمنات ورفعنا الله وإياها في الدنيا والآخرة). والبحر الخفيف خِفة ظلها وحنانها وعذوبتها. وكنتُ قد سطرْتُ الأشعار في أبناء لي سبعة قبل هذي الزهراء. ولكن عند كتابتي قصيدة الزهراء انتابني شعورٌ غريبٌ ، وأحسستُ أنه الشعر الذي دونه كل شعر ، والحنين الذي دونه كل حنين. وكأن قلبي هو الذي يكتب لها ، وضميري هو الذي يفكر. وتحولتُ مني القصيدة التي أعبرُ فيها عن فرحتي الكبرى بالزهراء لتصبح مجموعة من الوصايا التي قد تنفعها يوماً إن لم أعش لليوم الذي أراها فيه عروساً أزفها لعريسها بكل ما أملك من حنان وحنين ، وعز وتمكين ، وعُرفٍ ومعروف ، على هُدًى من الله وكتاب منير. وإنني لأبتهل إلى الله تعالى أن يجعلها هادية مهديّة ، صالحة مُصلحة ، يتعدى خيرها غيرها باذلة الخير للغير ، تعيش حقيقةً غيرها من المؤمنين والمؤمنات أكثر من أن تعيش لنفسها ، ذلك أن الذي يعيش لنفسه يعيش صغيراً ويموت صغيراً ويسجل اسمه في ديوان الأتانيين ، وأما الذي يعيش لغيره ، فإنه يعيش كبيراً ويموت كبيراً ويسجل اسمه في ديوان الكرماء الأجاويد. لسان حالها وقد عاشت لغيرها: (ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط!) وأسأل الله أن يجعلها مثل ستننا الزهراء - رضي الله عنها - وكنت أنوي تسمية ابنتي على اسم أم أبيها ذلك الاسم الميمون القرآني المبارك: (كوكب) إلا أنه دار جدال كبير حول خيرية الاسم وأفضليته ، فاقترعنا فكانت القرعة (فاطمة) ، وإن كنتُ أحسنتُ إليها باختيار أمها واختيار اسمها ، فأسأل الله أن يُعينني على حُسن تربيته وإخوانها على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - . وهذا تعقيبٌ لغويّ هام على كلمة (الست). ويعقبه تحقيقٌ لغويّ حول اللفظ العربي الأصيل (الست). وأنا دائماً أسألها مذ كانت في مهدها قائلاً: (هل ينفع هذا يا ست فاطمة؟) فأجد الاستهجان ممن حولي لاستخدامي لفظ (ست)! وأسأل: هل كان من دارجة المصريين؟ أم هو لفظ عربي أصيل؟ حيث إنني وجدت المصريين أكثر قوم في الأرض اليوم وأمس وغداً يستخدمون لفظ الست عانين به المرأة! وبعد التحقيق والتثبت أدركت أن اللفظ عربي أصيل! كان هذا هو الموجز ، وإيكم التحقيق والبحث والدراسة! قال صاحب (المحيط) في مادة (الست): وستي للمرأة أي يا ست جهاتي ، أو لحن ، والصواب (سيدتي) ، والست: بنت أبي عثمان الصابوني المحدث. وأورد محقق القاموس المحيط في هامشه بعد أن أورد الذي قاله المؤلف الفيروزآبادي تعليقا: - ويحتمل أن الأصل: (سيدتي) فحذف بعض حروف الكلمة وله نظائر. اهـ. وأنشد للبهاء زهير قوله: -

بروحي مَن أسَمَّيها بِسِيتي فينظُرُ لي النحاة بعين مَقَتِ
 يروُن بِأَنني قد قلتُ لحناً! وكيف وإنني لزهيرُ وقتي؟
 ولكن غادة ملكتُ جناني فلا لحنٌ إذا ما قلت: (سيتي)!

وقد أورد صاحب (تراجم أعلام النساء) الأستاذ رضوان دعبول في مادة (ست) من الاسم رقم: (1074) وحتى (1161) من الأسماء بعض أسماء النساء بلفظ (ست) بمعنى (سيدة) مضافاً إلى غيره (87) اسماً في القديم يعني من العصر الجاهلي ، وحتى العصر الحديث الذي نعيش فيه ، مما يدل اشتهاً لفظ (ست) بمعنى سيدة ، ومن ذلك على سبيل المثال وليس الحصر مع استبعاد المكرر: (ست الأجناس - ست الإخوة - ست الأدب - ست الأرقاء - ست الأمل - ست الأهل - ست البنين - ست البهاء - ست الجميع - ست الخطباء - ست الدار - ست الركب - ست الشام - ست العباد - ست العبيد - ست العجم - ست العراق - ست العرب - ست العشيرة - ست العلماء - ست العيال - ست الفخر - ست الفقهاء - ست قريش - ست القضاة - ست الكل - ست الناس - ست النساء - ست النعم - ست الوزراء - ست الوفاء). اهـ. وإذن فلفظ (ست) بمعنى (سيدة) مشهور من عصر الجاهلية و صدر الإسلام إلى اليوم ، فلماذا استهجانته من البعض في آخر بيت في قصيدتي (فاطمة الزهراء السليمانية)؟! والمصريون يجمعون كلمة (ست) على (ستات) عانين به (نساء) ، فيمكننا إضافة (ست الستات) التي هي (فاطمة الزهراء السليمانية)! ولعلها بإذن الله تكون من ربات الأدب والكمال والفضل والقيم والأدب فتضاف إلى معجم (تراجم أعلام النساء) وتكون كنيته (الزهراء أو ست الستات)! كما أضيف أبوها إلى معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين للأستاذ أحمد عبد اللطيف الجدد ، ذلك السفر العظيم الذي امتد في مجلدات ثلاثة! ذلك الإنجاز القيم الذي تجاوز (1416) من الصفحات نوات القطع الوسط! وفي الصفحة 125تناولني في صفحات ثلاث! وأصفه بالعظيم لا لأنه ذكرني من بينهم! ولربما يكون ذلك خطأه الوحيد! بل لأنه احتوى أكابر وأجاويد وعمالقة وعباقرة الشعر والأدب في العصر الحديث! وإن كان المؤلف الأستاذ الجدد قد زج باسمي من بينهم فهذا من فضل الله علي! والحكم لله العلي الكبير من قبل ومن بعد! وهناك التاريخ والأدباء والنقاد والكتاب الذين سيغربلون بالطبع ما كتبنا ، ويذلون بدلانهم في جُب أشعارنا ، ويخرجون بترجيح إن كنا نستحق أن نكون شعراء أم لا؟! أنشدتُ أقول للزهراء فاطمة ابنتنا:

غَرَدَ القلبُ ، واحتواهُ الهنَاءُ واجتباها - للطيبات - الخُداءُ
 والأسراريرُ في انبساطٍ وشوق والحياة ضيفٌ عليها البهَاءُ
 والفؤادُ يَحْتالُ أنساً ودِفناً رغم طقس يشنتط - فيه - الشتاء
 والأماني أمنية تلو أخرى توَجَّتني ! نعمَ المُنَى والرجاء
 والتحايا من كل خِل محب والمديحُ يشجى النهى والثناء

والهدايا هدية بعد أخرى
والديارُ الإشراقُ أضفى عليها
والترانيمُ - في (المَحْرَم) - هبت
والتعاويذُ فوق كل لسان
ويح (عجمان) استضاءت بفضلي
قرَّبوا مني طفلاتي ويراعي
عَلَّ شعراً يُقلدُ القلبَ تاجاً
عنني بالأشعار أسعدُ نفساً
علَّ شعري يُهدي ابنتي تاجَ عز
واجعلوني - من مهدها - قَابَ شِبر
أتملى - من وجهها - بَوحَ شعري!
حيث توحى همساً يسُرُّ يراعى
إيه (يا زهراء) ، انتظرناك دهرأ
علينا ببسمة منك خجلى
وامحيننا - من السجيا - نصيباً
واجعلينا - من قلبك الغض - أدنى
إن يوماً وُلدت فيه لغال
خيرُ يومٍ قد أشرقَ فيه شمسٌ!
إنه الغيثُ يغمُرُ الأرضَ رِيّاً
وإذا - بالزهراء - بَدَرَ تجلى
كم دَعَوْنَا الرحمنَ ، ثم ابتهلنا
(فاطمَ الخيرات) ، اتق الله فينا

من أناس في مولدِ النور جاؤوا
كل حُسن ، إذ اعتلاها الضياء
والتراتيلُ تنسابُ ، والأصداء
منذ حلت - في دارنا - (الزهراء)
إنها - في جو السماء - الذكاء
واتركوني يا ناسُ حيث أشاء
من قصيدٍ يشدو به الشعراء
شاقها ما يهفو له السعداء
كي يراه - فوق الجبين - النساء
إن قربي - من غادتي - نعماء
مؤئل الشعر الرمز والإيماء
حبذا الهمسُ زانه الإيحاء!
واشـتـكـانا الإمهـالُ والأنـباء
حيث يأتي - بالابتسام - الهناء
إنما سَمَّتْ الفضليات الوفاء
طاب - قطعاً - عن جانبيه الثواء
عز فيه الإصباح والإمساء
جمعة - في فصل الشتاء - غراء
ولنا - من هذي الفتاة - ارتواء
ليس تمحو أنواره الظلماء
في الدياتي حتى استجيب الدعاء!
وارحمينا ، إن عَقَتنا الأبناء

واطمئني ، لا لن يضيع العطاء
إنما طبع الوالدين السخاء
رَبِّـيَاكِ ، والشاهد الأقرباء
مثلما يهذي بالعزيف الغشاء
واكتفينا ، إن العيال ابـتلاء
إن مرضنا فهـي الدوا والشفاء
واعترثنا الآلام والأرزاء
والعيون جبراً دهاها البكاء
واشـتكت إذ مسـتتهما البأساء
إنما النصـح ذرية واصطفاء
إذ به صدقاً - في الدجى - يُستضاء
ليس - عن دين الحق - يوماً غناء
في البرايا ، واستشرف السفهاء
والزمي الصفح ، إن سـرت شـحناء
إن تـلظت - بين الـورى - الهجاء
فالصواب تزكـو به الآراء
والطريق - يا غادتي - الفقهاء
بيد الله الموت والإحياء
بالطواغي يوماً سيؤدي العداء
واحتراماً وعفة وارتقاء
والحصان يحمي صباها الخباء

وابذلي الخير ، أنت للخير أهل
والداك كم أعطيا دون من!
رغم ضعفٍ وشيبةٍ واغتراب
لم يقولوا: من أين نأتي بقوت
لم يقولوا: بسبعةٍ قد قنعنا
بل سُـرُزنا بغداةٍ نشتهيا
أو بلينا - بين الـورى - بالرزايا
وانتحبنا مما نلقى مـراراً
كففت دمع الوالدين احتساباً
(فاطم الأخلاق) استجيب لنصحي
حكـمي الشرع تـفـلحي يا فتاتي
واعلمي بالإسلام سـراً وجهراً
واستقيمي مهمارأيـت انحرافاً
وارفقي بالأيتام ، لا تفهـريهم
واجنحي للسلم الذي لا يُبارى
واعرضي الرأي إذ يكون صواباً
وادرسي الفقه ، إنما الفقه نور
واستعيني بالله في كل أمر
لا تخافي من ظالم أي بطش
واعلمي أن الحجاب احتشام
ليس يُزري لبس الخمار بفضلي

واستري الوجة ، يا حبيبة قلبي
خُرة أنتِ ، واحتشامك فرضٌ
وأُمري بالمعروف في كل حين
واصبري في هذا السبيل وجدِّي
وانهلي من مُستعذب الشعر كأساً
واقْرئي القرآن الكريم تِباعاً
وارشفي قِسطاً من أحاديث صَحَّتْ
واستبيني كي لا تُصِيبني بريناً
واهْجُري من تغتابٍ دون اكتراثٍ
وانصحي من عن شرعة الحق حادوا
واصفحي عن قد أساءَ وجافى
وافعلي الخيرَ ، وارتجي الأجرَ ممن
إن عَدمتِ عند البرايا جزاءً
واصطفي زوجاً مسلماً مستقيماً
طيبَ القلب ، صالحاً مستتيراً
لا يبيغ ديناً بدينياً بتاتاً
إن أحبَّ أولاكِ كل احترام
أو قلاكِ لم يأخذ الظلمَ نهجاً
وأطيعي إن كان في الأمر رُشدٌ
واعصي أمراً يُخالفُ الشرعَ ، إننا
واذكرينا بالخير إمّا رحلنا

ليس تُبدي الوجوة إلا الإماء
واختياري الإسـدال والإدناء
وكذا انهْي عن مُنكرٍ من أساؤوا
واصمدي مهما استفحل الإيذاء
كل يوم يسعدُ بك الشعراء
واستسيغي ما تحتوي الأجزاء
إنما أهل السنة الغرباء
خابَ عبدٌ خصومه أبرياء!
فاغْتيابُ الأنام بنس الداء!
ثم ها هم بالسوء والشر باؤوا
واعظ الخير ، واعتراه الشقاء
في السما ، في الدنيا ، له الكبرياء
إنما عند الله ربي الجزاء
سَمَّمته البرُ والعطا والإبءاء
زينة الدنيا السادة الصلحاء
إنما يأتي ذلك البلهاء
ماله - في حُب ابنتي - نظراء
لا يُفيدُ قِط القِلا والجفاء
سوف تُشجيه الطاعة العمياء
يا فتاتي - على الهدى - أمناء
واشْتكتُ - من أجسادنا - الغبراء

واكتويْنَا بما أتى الأقرباء
وعليهم - والله - عَزَّ الصفاء
وكأنا - في بَدَلنا - الدماء
وحكايات يشوبهن افتراء
بلية والعاصفات والأنواء
إنما الخذل خيبة وازدراء
ديدنُ الفضلى - في الحياة - الحباء
إن عُقبى الجود النما والثراء
رُب جودٍ تُردى به البلواء!
خبية الظن طعنة كأداء
مثلما كانت سِتَّتنا الزهراء

إننا يازهراء ذبنا التيعاء
جرَّعونا خذلاً يروح ، ويغدو
كم بَدَلنا ، نرجو لهم كل خير!
فلقينَا رَدَّ الجميل التعدي
والجميلُ سيفٌ مُبِيرٌ علينا
لا تكوني يوماً كمن خذلونا
شهوة عيشي فابذلي ، لن تراعي!
والمليكُ يجزي الجميلَ جميلاً
لا أراكِ تسسكتين عطاءً!
لا يخب ظني في ابنتي ذات يوم
بل فكوني ولية ذات شأن

هذا بعض ما أعيش!

رسالة شعرية إلى رياحيني الثلاث!

محاكاة لرائعة الأميري: (أين الضجيج العذب والشغب؟!)

(عندما يرحل فلذات الأكباد يتعذب الأب ، إذ يبقى وحيداً يغالب جوى الأشواق إليهم ولواعج الترقب لعودتهم. إن مثل هذا الشعور عند الشاعر جدير بأن يجعله في انتظار قصيدة يرفرف صداها على وحدته ومعاناته. فبعد أن نقشت هذه القصيدة رحلت أرجع أحنائها وأعيد النظر فيها مرة بعد مرة. فألفيتها قد أخرجت ما بي من ألم الفراق على قرطاسي الحزين. وصارت بعد ذلك رسالة شعرية يتمثلها كل من رحل عنه أحبابه وصغاره وعاش ما عشت من الشجن. والشاعر حالب والقارئ شارب! حقيقة إنه بعد رحيل الأحباب يشعر الإنسان بالفراغ القاتل! لكن الشعراء - والشعراء الموحدين فقط - لا يقتلهم الفراغ بقدر ما يسليهم ويمتع أديهم وينمي شعرهم ، فإذا الفراغ القاتل طريق إلى إثراء الأدب ووسيلة من وسائل تحويل الوحدة إلى شعر موحد مؤمن تصل النفس عن طريقه إلى اليقين في الله عز وجل. وقد رحل الرياحين الثلاث: (عبد الله - عبد الرحمن - عمر الفاروق) ومعهم أهم الغالية. وأحسست بالوحدة ، وتذكرت ما عاشه الشاعر عمر بهاء الدين الأميري وهو يعيش الموقف ذاته وي طرح عدة أسئلة يعنون لها بـ (أين الضجيج العذب والطرب؟) ليخرج بقصيدة متفردة من اللون الواقعي الأسري الاجتماعي لم يسبقه إلى مثلها سابق فيما أعلم! فقلت في نفسي لأشاطرن الأميري ولأعارضه وعلى ذات بحره ورويه ، فعساتي بذلك أطفئ لهيب الوحدة وأكبت ألم الفراق ، فكانت قصيدة (هذا بعض ما أعيش ترجمة لهذا الشعور! وأعلم علم يقين أن الأيام تمر ، والمناسبات تنقضي والظروف تتحول عن الزمان والمكان ، ويبقى الشعر الذي يتناوله من بعدي ابنٌ أو حفيد! وتكون رسالتي قد وصلت عندما تكون قصائدي بين يدي حفيد يعطيها قدرها من الاحترام ، وليس كاحترام المشاعر! وهنا أعارض بهاء الدين الأميري ، فله السبق والشكر معاً!)

- | | |
|--------------------------|---------------------------|
| أين انبساط الروح والطرب؟ | أين انبساط العيش والأرب؟ |
| أين التئام الشمل والرغب؟ | أين ابتسام القلب يبهجني؟ |
| أين القريض العذب والأدب؟ | أين اجتماع الأهل يسعدني؟ |
| منهم كلام بعضه الرطب؟ | أين الرجال الصييد يطربني |
| مني العروق ، فبت أحسب | هم ساعدي في غربة قطعنت |
| هم فرحتي ، إن بت أنتحب | هم بسمتي ، إن كنت مبتسماً |
| نوراً يضيئ ، كأنهم شهب | إني أراهم في دجى ألمي |
| يبكي على تصويره العجب | في كل ركن خلفوا ظلاً |
| حتى يراغ الشعر يكتب | فالدار من بعد الضياء دجى |

والنفسُ - من بعد الصفا - كدرٌ
والرُّوحُ - مما نالها - تعبت
إنني افتقدتُ الزهرَ يُتحفني
هم - في حياتي - الأُنسُ يُؤنسُني
هم - في حياتي - النورُ مُؤتلقاً
هم - في حياتي - الفرخُ إن صمتوا
هم - في حياتي - الشوقُ يغمرنِي
هم باقعةً من ورد (عزتنا)
إنني - من الأعماق - أكبرُهم!
فيهم كتبَتُ الشَّعرُ مرتجلاً
أبني عليهم كل أمنيَّةٍ
أعدتُ للهيجاء ثلاثتهم
ناشدتُ ربَّ الناس يجعلهم
عبدان للمولى ، وذا عُمرٌ
والشَّهم (عبدُ الله) مم تحنُّ
لما رأى الإسلام مبتسماً
فاختار أن يحيى لنصرته
يا عابدَ الرحمن ، يا أُملي
قم عطر الدنيا بشِرعته
واستنصر القهارَ في لجأ
يا أيها الفاروق: أمتنا

والقلبُ - من فرط الجوى - لجب
والخَسُّ أضنى شِعْرَه الخبب
عطراً وريحاناً لله أرب
هم - في حياتي - العز والنسب
هم - في حياتي - الصحبُ والخسب
حتى وإن - في هجعتي - شغبوا
حباً ، وإن جَدُّوا ، وإن لعبوا
منها الشذى الفواح يجتاب
إذ إنهم فتیاننا النجيب
حتى حوت أشعارهم كتب
أن يُصباحوا ذخراً له الغلب
والزادُ - في الهيجاء - يطلب
شُماً إذا حلوا ، وإن ذهبوا
والأمُّ - في عز الإبا - سبب
لما يشُّقه اللهو واللعب
أفضى إليه الضيق والغضب
فالفسد - للإسلام - ينتسب
خلّ الدمي ، فالسُّلمُ مكتتب
حتى يزول الحزن والرهب
إذ نصره - للهدي - يقترب
أودتُ بها الشحناء والرَّيب

والطغمة العادون كم غصبوا!
فالمسجد الأقصى بها خرب
فالسلم فيها بات يغترب
لا يصرفنك الخوف والنوب
غال علينا الجمع واللقب
ما أفسدوا ، فالدار تضطرب
يهديكها - عند النزال - أب
من بعد أن أدمى العرى اللهب
يرضاك أهل الحق والعرب
غنت به الآكام والخشب
فاستسخرُوا حتى بدا الكذب
وزخارف الدنيا لقد طلبوا
واليوم طمّنت بيننا الحُجب
والجنّة الفيحاء والغُرُب
ربي هوى الدنيا ، فذا النصب
يامن على آدابكم نثب
ما خاب من في الله يحتسب!

قم خلص الدار التي أسرت
حرر بسيف الحق مقدسها
طهر بقاع السلم يا عمر
واقمع دهاقين الفجور بها
وخذ (أبا حفص) كتابنا
واهزم طواغيت الضلال ، كفى
تفديك نفسي ، لا أضنُّ بها
(عمر الهدى) أرجع خلافتنا
أسميتك (الفاروق) ، أقصدُها
يامن كتب الشعر فيه صدى
لم يرعه الأهلون أجمعهم
إذ إنهم - في المال - قد غرقوا
إنني لفظت الأمس زخرفها
مرضاة باريننا إذن أملتني
إنني لأدعو أن يُجنّبكم
إنني أرى - في حُبكم - هدفي
كونوا - لهذا الدين - مأسدة!

يا فتاتي رجّعي الشعر الجلي!

(رحلتُ عني إلى مصر أمّ الأولاد مع أولادها جميعاً. وبقيتُ وحدي ألوكُ الفراق وأعاني لواعج الشوق إليهم. وليس في كل سفر ووداع ورحيل تكون قصيدة فليس الأمر ميكانيكا أو أن الشعر لا يستعصي عليّ مرة أو مرات! إن الذي يتصور أن الشاعر يمكن له أن يكتب في كل وقت وحين هذا إنسان لا يفهم عن الشعر والشعراء الكثير من الذي ينبغي أن يعرف عنهم. بل القضية قضية انفعال يقود إلى عاطفة! وإذا تمخضت الفكرة عن قريض أمسكت الأنامل باليراع! وكانت القصيدة ترجمة لما عاش الإنسان من شعور. فالمسألة شعور قاد إلى شعر ، وليست أبداً شعر قاد إلى شعور! إن الشعر أسمى من ذلك مقاماً وأرفع قدراً وأعلى منزلة. وكنتُ قد كتبتُ قصيدة مماثلة في ديوان (نهاية الطريق) منذ خمس سنوات ، وكان عنوانها: (الياسمينة) ، وأيضاً قصيدة مرارة الذكرى ، وأيضاً قصيدة: (لوعة الرحيل) التي تجاوزت الستمئة بيت عندما رحلت عني بأولادها! وهي أطول ثاني قصيدة! وأهديتها يوماً لذات الإنسانية التي أكتب لها اليوم لها (يا فتاتي ، رجّعي الشعر الجلي!) لأم عبد الله - حفظها الله تعالى - أدكرها بالأيام الخوالي التي عشناها في مصر من صفاء الحب وطيب العشرة! وكأني أريد أن أقول لها: رجّعي الشعر الجلي الذي تذاكرناه معاً في أول زواجنا ، واغمري قلبي بسالف الذكريات العذبة! وذكرينا بقراءة القرآن ومدارسة أحاديث النبي العذنان - عليه السلام -. وظللتُ أتخيلها أمامي وأطلب منها أن تعيد أطياف الأيام الحلوة التي قضيناها معا إبان زواجنا عام 1988م ، هناك في مصر في كنف الأهل والأصحاب والإخوة! وفي كل مرة أكتب القصيدة على فترات تشبه زخات المطر ، وأحياناً أكتبها جملة واحدة ، وهذه القصيدة من هذا النوع! وما ذاك إلا لفرط الحب في الله ، وتعتبر أم عبد الله المرأة الوحيدة التي أحببتها في الله وعلى نور منه - سبحانه وتعالى - وتزوجتها على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -. وأسأل الله أن تكون زوجي في جنات النعيم!

واغمري القلبَ الخالي	رجّعي الشَّعرَ الجلي
يا فتاتي ، واسألني	بالأمماني والصفا
للمعِين الأول	عن حبيب راحل
ورحيلُ الأشـئـل	هـدَّ قلبـي بـعدـه
وفسق قرآن العلي؟	أيمن حُـبِّ صـادق
كان عذب المنهل؟	أيمن نصحٍ مُخالص
مُغـدق كالجـدول؟	أيمن وُدِّ مُخبـبـت
ففي العطشاء المكمّل؟	أيمن نورٍ مُشـرق
من ثنايا المخمّل؟	أيمن عطـرٍ فـانـح

ففي أريج المأمـل؟
كان عاف المـمـل؟
وانفحيننا ، عجلني!
ففي الهشيم المـمـل
ولأممـن المـمـل!
ولمـراه الجـلني
فعمـن الماضني سـلني
والجـوى قـد عـنـلني
كان غـضـ المـنـزل
كان الربيع الغيـدل
وعـني قـوم كـمـل!
بـأزها بـالمـزل!
بـأبعـزم مـخـدل
عـند أسـمـي مـعـل
بـالقريـض المـثـل
والعـذاب المـقـصـل
واصـدقـي فـي المـقـول
أو كـلام العـذل
كـاحمرار الكـربـل
بـالعيون الهـمـل!
ري قـطيـع المـيـل

أيـن يـاقـوت المـنـي
أيـن قـول قـاطـع
ذـكريننا بالسـنا
بلـغني (العـز) الـذي
أنـنا اشـتقنا لـه
وللقـيـاه هـنا
إنـ تـلاشـني حـبـنا
مـنـذ غـابـت (عـزتي)
عـز الصـفـو الـذي
كانت الـدنـيا بـه
كـم قرأنا الـذـكـر فـي
ونسـجنا الشـعر ثـو
وتـخـذنا الصـبـر دـر
وسـمونا للـذـر
سـلمـي يـا غـيـادتي
واذكـري عـن حـالتي
وصـيـني عـنـدها
لا تـخـافي لـومـها
إنـها اللـطـف بـنا
كـم بـكـيت فقـدها
ورحـيـل الـإـلـف يـعـ

ففي النهـار الأليـل
سُـقـتـه ، لـم أبـخـل
عـنـه ذـي لـم تـرحـل
يـصـطـلـي فـي مـرـجـل
وـارـفـقـي بـي الأـعـزـل
عـن غـرامـي الأـمـثـل
لـم يـكـن بـالمـبـطـل
فـي قـريـضـي المـجـل
واقـرئـي ، لا تـخـجـلـي
مـثـل شـدو البـابـل
كـرـسـوـخ الأـجـبـل
كـصـفـاء السـلـسـل
أـكـرمـيـهـا ، وـابـبـذـلي
لـم يـصـغـه (المـوصـلي) !
خـضـبـ الأـلـحـان لـي
لـك بـسـالـرـثـم الجـلي
لـك - حـبـي - فـاقـبـلي

يـجـعـل الشـمـس دجـي
رـجـعـي الشـعـر الـذي
لـوعـة فـي خـاطـري
وـفـي وـادي عـبـرـهـا
فـارحـمـي القـلـب كـفـي
وإنـكـري مـا قـلتـه
وـفـق شـرع طـاهـر
صـغـتـه (تـرـنـيـمـة)
فـاقـبـلـيـهـا غـضـة
إنـي حـبـرتـهـا
رـسـخـت فـي (عـزـتـي)
وـصـفـت فـي لـفـظـهـا
رـجـعـي الشـعـر لـهـا
أخـبرـيـهـا أنـه
وكمـذا (زـريـاب) مـا
إنـي غـنـيـه
ثـم قـذ أهدـيـه

في ظلك الجميل! (ابني عمر)

(من أجمل شعري ما أكتبه لأولادي وهم صغاراً في المهدي. وكلما طالعت قصيدة أهديتها ابناً من أبنائي في مناسبة ما تعجبت كيف تجمعت كل هذه الإيحاءات والصور والمحسنات التي ترصع جبين هذه القصيدة التي كتبتها لابني؟ ومن أكثر الأولاد الذين كتبت لهم وتأثرت بهم عمر الفاروق! جعله الله تعالى كعمر الفاروق رضي الله عنه - أمين! وكانت الهموم قد غلبتني ذات يوم فممت ، لأن طبيعة الإنسان إذا لم يجد من بيته نجواه ويُلقى بين يديه شكواه فسرعان ما تمل نفسه - فإذا به يأوي إلى ركن ربه الشديد فيجد الطمأنينة والأنس والهدوء. وقد فعلت فممت (سنة الله الذي ينام عبيده وهو سبحانه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم). وبعد أن أخذ مني النوم مأخذه أتاني عمر الفاروق - وهو ثالث أولادي ورياحيني - وعمره يقارب العامين ولا يزال رضيعاً ، وطوقني بذراعيه ، فاستيقظت وأخذت أداعبه ، ثم رحمتُ أتذكرُ الفاروق عمر - رضي الله تعالى عنه - وهو يرحمُ ويعطفُ ويشفقُ على من خلق الله وما خلق. فقلتُ في نفسي: لعل عندنا من الفاروق عمر ما قد وقر في وليدنا عمر الفاروق الذي أسميناه هكذا منذ البداية تيمناً بأن يكون مثل الفاروق في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأراني قد أهديت له المجد بهذه التسمية ليتكرر في أمتنا المسلمة: عبد الله وعبيد الله وعاصم وعبد الرحمن وأم كلثوم وحفصة ، وكلهم أبناء الفاروق عمر! وذكر الإمام السيوطي - رحمه الله - في تاريخ الخلفاء ، وأخرج الطبراني في الأوسط كذلك (عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أبغض عمر فقد أبغضني ، ومن أحب عمر فقد أحبني ، وإن الله باهي بالناس عشية عرفة عامة ، وباهي بعمر خاصة ، وإنه لم يبعث الله نبياً إلا كان في أمته مُحدث ، وإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر! قالوا: يا رسول الله ، كيف محدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه). إسناده حسن. ولقد كان عمر بن الخطاب هكذا فلقد تنزل القرآن برأيه. فكان عمر بذلك الفاروق المحدث الملهم - رضي الله عنه وأرضاه -!

والمجدُ يطرقُ أبوابَ العُلاتِها	هذي الكرامة في أسمى معانيها
ولو علمتَ لَمَلمتَ النهى فيها	أحبُّ فيكِ خِلالاً لستَ تعلمها
وعن جمالكِ قد نوهتُ تنويها	فأنتَ أظرفُ ما خلفتُ من ولدِ
هي القريحة ، والإلهامُ حاديها	قلائدُ أربعٍ للشعرِ مَفخرة
وأنتَ - في مَعقدِ الآمالِ - شاديها	وأنتَ - في موكبِ الأشواقِ - فارسُها
ترجو السلامة في دنيا أمانها	وأنتَ - في زورقِ الأشعارِ - أمنيّة
فأنبتَ النورَ غُضاً في دياجيتها	وأنتَ قنديلُ مسكِ فاحِ رونقه
تغشى المعامع ، لا تخشى عواذيتها	وأنتَ - في غرّة الأجيالِ - ملحمة

ويستظل بها - في القبيظ - آتيها
وعزيمة الجدد قاصيها ودانيها
صنّها لأنك يا (فاروق) حاميتها
في غربة سحقت نفسي بلاويها!
وأسكنت همتي مأوى مآسيها
قوتلت من غربة فارت مخازيها!
فبات مولى ذليلاً من مواليتها
وجذوة الشعر قد فاضت قوافيها
يزجي العزيمة للمهزوم ، يزكيها
يريد وأد العرى بقتل مسديها
كهف الحنيفة من بلوى أعاديها
يطهر الأرض من كفر يغشّيها
فإنها اليوم عانت ، من يواسيها؟!
وأنت مشعل نور في ضواحيها
بعد المليك إذا ضلّت مراسيها
وتشتهي أن ترى أشلاء راجيها
فترسل الظل غضاً من مغانيها
وبر أمك يا (فاروق) يرضيها
أنت الكرامة في أسمى معانيها

وأنت دوحه سدر طاب مآكلها
أنت الشهامة في أسمى معالمها
إني اشتريت لك الأمجاد سامقة
وكم شقيت لتحييا باسماً ألقاً
قد أنشبت في شرابي مخالبها
حتى فزعت إلى ربي أحاكمها
فثبتت الله قلباً كان يركلها
فخاصم الكل في الرحمن محتسباً
حتى أتاني وثاب الخطا (عمر)
أعز ربي به الإسلام يوم أتى
فصار بعد دخول الحق فارسه!
وسلّ سيفاً على الكفار منصلاً
كذا أريد أبا (حفص) لملتنا
يا أيها الشهم أنت اليوم غدتها
وأنت في لجة الأوهام منقذها
أرخص دمائك ، فالفردوس غالية
يا دوحه في هجير الذهر ترحمنا
ظلّ جميل ، رعاك الله يا ولدي
فكن كريماً تقياً مخلصاً ورعاً

عندما أحب! (ابني عمر)

(كتابتي الشعرَ عن أولادي وهم صغار مَعْلَمٌ عُرِفَتْ بِهِ. إذ تنساب القوائد عنهم عاطفة وشعوراً! وهنا أهدي هذه الأبيات إلي أحب أولادي إلي الآن (والصغير حتى يكبر) عمر الفاروق وهذا اسمه ، وعمره اليوم أشرف علي السنة تقريباً ، تعبيراً عن خالص حبي وعاطر دعائي. وهذا هو معني الرحمة الذي يتبادر إلي الذهن بمجرد قراءة ما رواه لنا الإمام الحاكم في مستدرکه علي الصحيحين بسند صحيح أن رسول الله – صلي الله عليه وسلم – قال : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا). وأخرج الترمذي عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس رأي النبي – صلي الله عليه وسلم – وهو يُقَبَّلُ الحسن ، فأخبر أن له عشرة من الولد لم يُقَبَّلَ أحدا منهم ، فقال له رسول الله – صلي الله عليه وسلم –: (إنه من لا يرحم لا يرحم). ومن رواية الإمام مسلم أنه عندما مر جماعة من الأعراب علي رسول الله – صلي الله عليه وسلم – ينكرون تقبيل الصبيان فقال لهم: (وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة!) ويروي مسلم كذلك عن أنس بن مالك أنه قال: ما رأيتُ أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله – صلي الله عليه وسلم –). ويروي الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الطهارة عن أبي ليلى قال: (كنتُ عند النبي – صلي الله عليه وسلم – وعلي صدره أو بطنه الحسن أو الحسين فبال ، فرأيتُ بوله أساريح أي طرائق ، فقمْتُ إليه ، فقال النبي: دعوا ابني فلا تفرغوه حتى يقضي بوله ، ثم أتبعه بالماء!) ألا وإن أحاديث الرفق والرحمة بالصغار كثيرة جداً ، ولا سبيل إلي ذكرها في هذا المقام مجتمعة ، وإنما أورد ما تأثرتُ به فقط الآن. وامتاز ولدي عمر الفاروق بميزة عجيبة وغريبة هي تبسمه في وجه كل من يراه! فمن الله عليه بحب من يراه! ولما رأيت الكل يحبه ويشفق عليه ويدعو له قلت في نفسي: لا بد من تسجيل ذلك شعراً!

فَأَنْتَ لِكُلِّ الْقُلُوبِ حَبِيبٌ

أَحْبُبُكَ ، أَنْتَ حَبِيبُ الْقُلُوبِ

تُرْفَرُفُ مِثْلَ الْعَمَامِ الرَّطِيبِ

وَأَنْتَ النَّسِيمُ عَلِي خَاطِرِي

وَشِعْرِي لَوْ قَعَّ الْغَنَاءُ يَسْتَجِيبُ

وَحِينَأَ تَغْنِي فَتَمَحُّو الْأَسِي

وَتَمْنُحُ رُوحِي الْأَرِيحَ الطَّرُوبِ

فَتَبْعَثُ فِي النَّفْسِ أَنْغَامَهَا

وَتَمَسُحُ رَانَ هَوَانِ الدَّرُوبِ

وَتَمَحُّو مِنْ الْقَلْبِ أَحْزَانَهُ

نَزَلْتَ عَلَيْنَا ، فَكُنْتَ الطَّيِّبِ

أَحْبُبُكَ أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي

وَتَكْلُونَا بِمَعِينِ الْأَدِيبِ

تُداوي جراحاتنا بالصفا

فِيخَضُّ رَوْضَ الحَيَاةِ الجَدِيدِ
كَأَنَّكَ فِيمَا تُؤدِّي أَرِيْب
يُغْنِي صَدَاها ، بِرغمِ الوَجِيبِ
وعند دُعائي إليكَ أذوب
بحفظ المليك حبيب القلبوب
وشوق الحياة الطريف المهيّب
ونفسي بما قد كتبت تطيب
وإماعة الشمس عند الغروب
وأنت الغلام الزكي النجيب
دعونا الإله ، وكُنْتَ النَّصِيبِ
عن العين والقلب أَسْتَ تَغِيبِ
وأنت الصغير النبيلة اللبيب
ويبسُّمُ ثَغْرُكَ مِثْلَ الطَّيْبِ
وقد تشتكي ، فَتُطِيلُ النَحِيبِ
وتنظرُها نظرة المُستريبِ
ويطرب في ناظريّ اللهيّبِ

تُعْطِرُنَا بِضِيَاءِ الوَفَا
تُطِيلُ عَلَيْنَا بِأَضْحُوكِ
أحْبُوكَ أَنْتَ حِيَاةِ التِّي
فَأَنْتَ انْفَعَالِي وَتَسْبِيحِي
وَأَمْعِنُ فَيْكَ ، وَكَلِي رَجَا
يَمِيناً أَرِي فَيْكَ أَنشُودِي
وَأَنْتَ حَقِيقٌ بِمَا قَاتَهُ
أحْبُوكَ أَنْتَ جَمَالَ الصَّبَا
وَأَنْتَ الرَبِيعُ بِهِذِي الدُّنَا
وَأَنْتَ عَطَاءُ الكَرِيمِ لَنَا
وَأَنْتَ عَلِي البَالِ إِطْلَالَةَ
أحْبُوكَ (فَارُوق) أَسْرَتَنَا
تَنَامُ عَلِي سَاعِدِي وَادْعَا
وتضحك كالكروان شادا
وتعبت مسـتغنياً بالدُّمِي
أحْبُوكَ يَسْمُو بِقَلْبِي الهَوِي

وأنتِ الشَّبابُ ، وأنتِ المَشَّيبُ
بمَهْدِ الحِياةِ العَظِيمِ الرَّتَّيبِ
تبارِكِ رَبِّي القَرِيبُ المُجِيبُ!
بأقصى الشمال ، وأقصى الجنوب
فأنتِ مِنَ الروح - صدقاً - قريب
ونورٌ أتى في الظلام العَصِيبِ
فبَدَدَ غِشَّ القَطِيعِ الكَذُوبِ
ألا ، والمحبة هذِي ضُروبِ
وأنتِ علي الخُبِّ هَذَا رَقِيبِ
وتفتقِرُ الحُبَّ عِنْدَ المَغِيبِ؟!
ويا شادي الروح ، يا ذا الحَبِيبِ

أيا عُمَرَ الخَيْرِ أنتِ السِّنا
شبابي أراهُ عليكَ ارتَمي
وإنَّكَ باللهِ صِرنا أباي
(أحُبُّكَ) صوتي بها صادخُ
أري فيكَ شِعري وتفعيلتي
أبا (حفصة): أنتِ إشراقتي
وصدقُ تعطَّرَ منه المَدي
أحُبُّكَ حباً عظيماً الفِدا
وأنتِ بما قلَّته عارفاً
ألسنتُ تَري الحُبَّ في رَفقتي
عليكَ سَلامي أيا مُهجتي

مداعبة (ابني حسان)

(مذ رزقنا الله تبارك وتعالى بوليدنا حسان وهو مريض ، فاختلطت على قلبي مشاعر
الفرح بدموع الحزن ، فكانت مداعبة مرة. وانه لشعور قاس أن يبتلئ أب وأم بطفل أكثر أيامه
مرض ، ولا يستطيعان أن ينهضا بما ينبغي عليهما في مثل هذه الحالة! ومن هنا رحلت أداعبه
شعراً وهو في مهده لا يدرك اليوم من كلامي شيئاً! ويوماً ما يدرك ويعلمه الله تعالى ويفهمه ،
ويعي غداً ما أقوله اليوم! وأسأل الله أن يعلمنا وإياه كما علم آدم - عليه السلام - ، وأن يفهمنا
وإياه كما فهم سليمان - عليه السلام - ، وأن يوتينا الحكمة وفصل الخطاب كما آتاهما داوود
عليه السلام ولقمان. ويوماً كنت مثله ، ثم علمني ربي وفهمني ، وصرت أدرك اليوم ما كنت
أجهله بالأمس! (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم). واني لأسطر هذه المداعبة الشعرية
لحسان ليعلم حالنا يوم مرضه!)

وتفديك نفسي ، والقرايات والدمما
وحبك - في قلبي - تربّع واستمى
فإن لكل - صاح - حياً مقسماً
وإني أراكم - في دجى الجيل - أنجماً
وعما قريب يُدرك الدرب قيما
تحن إلى رؤياه ، والدمع قد همى
وأحيا شجونى ما أضر وآلما
تُعاني ، ولا أقوى ، وجرحى تجهمها
فأضحى انطلاقي من أسى الصمت مظلماً
وقد كان - قبل الأمس - يزجي التبسماً
أعوذ به ممن تعدى ، وأجرماً
تقبّل قصيداً لم يصغ مترنماً
ويوماً سأهديك القصيدَ مُنغماً

عليك سلام الله ، يا زائر الحمى
رضيغ له - في القلب - أغلى محبة
ولو أن لي من طيب الولد سبعة
ألا إنكم صّحبي وأهلي وعترتي
أداعبُ قلباً لا يعي اليوم ما أعى
وإن كان في المههد الصبي فمُهجتى
عزيرٌ على نفسي الذي قد أصابه
أنادى أيا (حسان) ارفق بخاطري!
وصمتك أحنى - للذُّجات - هامتي
أداعبُ فيك الوجه ، والوجهُ شاحبٌ
كأنك محسوّدٌ ، فله أشتكي
ألا يا سقيماً سُقمه اليوم راعنا
غصصتُ به لَمّا تهاجرتِ الفنى

(دموع التصبر) (ابني عمر)

(سنة الله في خلقه تقلب الأغيار. فمن حال إلى حال ، ومن وضع إلى وضع. فسبحان من يغير ولا يتغير. وتعالى من لا يبقى على ما هو إلا الذي لا إله إلا هو. كنا في حديقة (الحميدية) في عجمان ، في أحد أيام شتاء عام 2008م. وفجأة يأتي ولدي (عمر الفاروق) حاملاً ذراعه الأيسر وقد كُسر. وكانت مأساة رزقتي الله الصبر عند صدمتها الأولى فله الحمد والشكر. وبعد حين تضارب الأطباء في التشخيص واتخاذ القرار وبدء العلاج ، خانني التصبر ، ودمعت عيناى وانكسر قلبي. غير أن أحداً لم ير هذه الدموع التي ذرفتها بيني وبين ربي ، رجاء أن يشفي الله ذلك الولد. وفي اليوم الثاني استقر رأي الأطباء على إجراء عملية جراحية لذراع الولد ، جزء منها زراعة مسامير ثلاثة في الذراع ، وذلك بهدف إعادة الذراع إلى مكانها الطبيعي ، بداعي أن الكسر من النوع العنيف. وعمد الأطباء إلى الغموض في الأمر ، وكأنها أول عملية من نوعها ، فلم يصارحونا بما جرى ولا بما يجري. فأخذت أطلساً طبياً ملوناً ، وذهبت إلى كبير الأطباء والذي يشرف على العملية ، ورحت أسأله قائلاً: هل يمكن إيضاح ما يجري لابني على هذا الأطلس الذي يحتوي على عشر صور ملونة للذراع؟ فنظر إليّ بازدراء ، وكأنني قلت منكراً من القول وزوراً ، ثم قال: ما هذا الكتاب إلى جوار ما درست؟ فقلت: أنا لم أسألك عن دراستك يا سيدي؟ أنا أريد إيضاح حالة ابني على الأطلس الطبي بوصفه وسيلة تعليمية ، وأنا معلم لغة إنجليزية أعرف جيداً دور الوسيلة التعليمية في إيضاح غوامض ودقائق أي علم. فعلت نبرة الدكتور الاستهجانية أكثر ، وقال: مؤلف هذا الكتاب أخرى به أن يبيع الفول! فقلت له: مؤلف هذا الكتاب دكتور مثلك وقد تفضل على البشرية بهذا الأطلس العظيم الذي احتوى على عشرات الصور لكل جزء من جسم الإنسان وعلى كل صورة تعليق يناسبها. فهذا هدوء الذي أفحم ولم يجد جواباً ، وأمسك بقلمه ، وراح يخط به في الكتاب على عادة الطلاب الموتورين الذين لا يرتاح الواحد منهم وهو يذاكر في كتاب ما إلا بعد أن يرسم هنا ويخطط هناك ويدون الأغنيات والذكريات هنالك! وبعد لأي عرفت منه عُشر معشار ما حدث للولد. أما ماذا هم فاعلون؟ فبسؤاله عن هذا قال في لهجة المحتقر والمستهين بمن يكلمه: عندما تأخذ سيارتك إلى الميكانيكي تضعها عنده وتمشي ويبقى هو خُراً في إجراءات التصليح ، أليس كذلك؟ فأجبت: لا يا سيدي ، بل أسأل وأتابع بنفسي لأعرف وأتعلم ، وقد تعلمت الكثير عن ميكانيكا السيارات بهذه الطريقة للدرجة التي تجعلني أقوم بإصلاح بعض الأعطال البسيطة في السيارة بنفسي ، وإن كان ثمة عطلٌ عويص فإنني على أقل تقدير أكون عارفاً به وإن أصلحه غيري. وفي الختام أجريت العملية وأخطأ فيها تقدير الأطباء. فأعيدت مرة ثانية ونجحت نسبياً. وحاولت تصبير عمر الفاروق وتصبير نفسي ، فسقت له باقة عطرة من حديث رسول الله - صلى الله وسلم - وذلك ليهدأ ويعيش الموقف ويتحمل! وزدت الأمر وضوحاً بضرب المثل بالابنة الفلسطينية (روان يوسف) المصابة في عمودها الفقري والذي احتاج زراعة مسامير بلاتينية ، وكذلك الأخت (وصال) المصرية المصابة في حادث سيارة! وكان من جملة ما قلت: أن العاقل من وعظ بغيره ، ومن رأى بلاوي الناس هانت عليه بلواه! عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ). رواه البخاري. وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضَرِّ أَصَابِهِ ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَأَعْلَأْ فليَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْراً لِي ، وتوفني إذا

كَانَتْ الْوَفَاءُ خَيْرًا لِي). متفق عليه. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ). متفقٌ عَلَيْهِ. وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ تُوعَكُ وَعَكَأَ شَدِيدًا قَالَ: (أَجَلٌ إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ. قُلْتُ: ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: أَجَلٌ ذَلِكَ كَذَلِكَ! مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ وَحَطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَّهَا). متفقٌ عَلَيْهِ. يقول ابن باز تعليقاً: (تحثنا السنة على الصبر على المصائب ، وأن في ذلك الخير الكثير وتكفير السيئات وخطايا ، فالمؤمن مأمورٌ بالصبر في جميع الأمور ، الصبر على طاعة الله ، والصبر على المصائب ، الصبر عن المكاره والمحارم ، هو مأمورٌ بهذا كله! إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ، (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ). فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة الصبر عما حرم الله ، والصبر على أداء ما أوجب الله ، والصبر عند المصائب ؛ ولهذا يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة ولا غم إلا كفر الله بها من خطاياها حتى الشوكة يشاكها) وهذا فيه رحمة الله وفضله وجوده وكرمه على عباده ، وأن هذه المصائب يكفر بها من الخطايا حتى الشوكة يشاكها ولو قليلة. وفيه أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يوعك يعني تصيبه الحمى أكثر مما يصيبنا كما يوعك اثنان منا ، قال له ابن مسعود: ذاك لأن لك الأجر مرتين؟! قال: نعم ؛ لأن له الأجر مرتين عليه الصلاة والسلام ، فهذا يفيد أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تصيبه المصائب والألواء والحمى والله يضاعف أجورهم جل وعلا ، أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون ، ثم الأمتل فالأمتل ، يبتلى المرء على قدر إيمانه وصبره. فالواجب عند البلاء الصبر والاحتساب وعدم الجزع ولا ينبغي له أن ينظر أهل الصحة والعافية بل ينظر أهل البلاء يتأسى بهم قد ابتلي الأنبياء ، وابتلي الصالحون بأنواع البلاء فصبروا وهم خير عباد الله ، وأفضل عباد الله ، فهكذا أنت تتأسى بالأخيار ، أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمتل فالأمتل ، يبتلى المرء على قدر دينه ، فإن كان في دينه صلابه شدد عليه في البلاء).هـ. وكان إنشاد هذه القصيدة عندما أدخل عمر إلى غرفة العمليات للمرة الثانية. وقد غلبني تصبري وتجلدي فرُحْتُ أستهلها بالمطلع ، وتوالت الأبيات!

خَانَ التَّصَبُّرُ قَلْبًا كَادَ يَنْفَطِرُ وَالِدَمْعُ فَوْقَ جَوَى الْمَأْسَاةِ يَنْهَمِرُ
وَالْحَزَنُ يَسْرِقُ مِنْ نَفْسِي تَجَلِّدَهَا كَيْ يَسْتَبْدَ بِهَا - فِي الْمَحْنَةِ - الْخَوْرُ
وَالكِرْبُ يُشْهَرُ سَيْفًا لَيْسَ يَرْحَمُنِي وَكَيْفَ مِنْ طَعْنِهِ الْفِرَارُ وَالْوَزْرُ؟
وَالْوَجْدُ يَبْدُرُ - فِي دَرْبِي - دَعَاوِلُهُ وَكَيْفَ أَصْنَعُ إِذَا طَمَّتِ الْغَيْرُ؟
وَالهَمُّ يَنْسُجُ ثَوْبًا ، بَعْضُهُ أَلْمِي كَأَنِّي - بَلْبَاسِ الهَمِّ - مُؤْتَزَّرُ!
وَالْغَمُّ يَنْزَعُ أَشْجَانًا تُسْرِبُنِي وَفِي الْأَحَاسِيْسِ - مِنْ أَهْوَالِهَا - كَدْرُ

لَمَّا أَتَانِي الْفَتَى تَبْكِي مَدَامْعُهُ فَقُلْتُ: مَاذَا جَرَى؟ مَا الْحَالُ؟ مَا الْخَبْرُ؟
مَاذَا أَصَابَكَ مِنْ عَيْنِ بُلَيْتٍ بِهَا حَتَّى دَهَتْكَ بِكَسْرِ لَيْسٍ يَنْجَبِرُ؟
وَالْعَيْنُ حَقٌّ ، فَلَا شَيْءَ يُسَابِقُهَا إِلَّا قِضَاءَ مِنَ الْبَدِيانِ ، أَوْ قَدْرَ
الْعَيْنِ أَسَكَنْتِ الْإِنْسَانَ حُفْرَتَهُ وَكَمْ بِهَا ضَمَّتِ الْأَجْدَاثُ وَالْحُفَرُ!
وَالْعَيْنُ أَدْخَلَتْ الْبَعِيرَ جَفْنَتَهُ وَكَمْ بِهَا أَصْبَحَتْ طَعَامًا الْجُزُرُ!
يَا لَهْفَ نَفْسِي - عَلَى الْآهَاتِ - أَطْلَقَهَا إِصْرَ الْمَصِيبَةِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى (عَمْرُ)!
حَسْبِي اصْطِبَارِي وَأَيَّاتُ أَرْتِلَهَا إِذْ - فِي الْبَلَاءِ - تُفِيدُ الْمُبْتَلَى السُّورَ
وَعُدَّتِي دَمْعَةَ اللَّهِ أَنْزَفَهَا مَمْرُوجَةً بَابْتِهَالَاتِ الْأَلَى صَبَرُوا
وَاللِدْعَاءُ - عَلَى اللِّسَانِ - دَنْدَنَةٌ فَبِالِدْعَاءِ يَزُولُ الْبَأْسُ وَالضَّرْرُ
وَاللَّجْوَاءُ إِلَى الْمَوْلَى حَلَاوَتَهُ وَلَيْسَ يُدْرِكُهَا إِلَّا مَنْ أَدَّكَرُوا
ابْنِي الْحَبِيبَ: لَعْنًا لَمَّا تُصَارِعُهُ إِنِّي إِلَيْكَ - بِدَمْعِ الْعَيْنِ - أَعْتَذِرُ
اصْبِرْ لِحُكْمِ مَلِيكَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِهِ إِذْ لَيْسَ يَعْصَمُ - مِنْ مَقْدُورِهِ - حَذِرُ
وَالْمَرْءُ - فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ - مَمْتَحِنٌ وَالْعَيْشُ بَيْنَ الْوَرَى فِي ذِي الدُّنَا سَفَرُ
وَلَيْسَ حَالٌ - بِمَخْلُوقٍ - يَدُومُ لَهُ وَتَشْهُدُ الْأَرْضُ وَالتَّارِيخُ وَالبَشَرُ
وَاسْأَلْ مَعِيَ أَيْنَ مَنْ مِنْ قَبْلِنَا مَلَكُوا؟ وَأَيْنَ مَنْ هَدَمُوا؟ وَأَيْنَ مَنْ عَمَرُوا؟
وَأَيْنَ مَنْ صَلَحُوا؟ وَأَيْنَ مَنْ فَسَدُوا؟ وَأَيْنَ مَنْ شَكُرُوا؟
وَأَيْنَ مَنْ عَدَلُوا؟ وَأَيْنَ مَنْ ظَلَمُوا؟ وَأَيْنَ مَنْ نَصَرُوا؟
وَأَيْنَ مَنْ حَقَدُوا؟ وَأَيْنَ مَنْ حَسَدُوا؟ وَأَيْنَ مَنْ خَسَرُوا؟
وَأَيْنَ مَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ خَالِقِهِمْ فَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ؟ وَأَيْنَ مَنْ كَفَرُوا؟

وأين من حمدوا عطا المليك لهم فزادهم شرفاً؟ وأين من بطروا؟
 وأين من ندموا على كباثرهم؟ وأين من - بحرام الله - كم جهروا؟!
 وأين من أوسعوا أهل التقى شرفاً؟ وأين قومٌ - من الأبرار - كم سخروا؟
 وأين من حاربوا الإسلام دون حيا؟ وأين أهل تقى للمصطفى انتصروا؟
 وأين من نافقوا؟ وأين من صدقوا؟ وأين من فسقوا؟ وأين من قهروا؟
 ابني الحبيب هي الدنيا وسيرتها تُزري بجوقتها دوماً ، وإن كثروا
 جزاك ربك خيراً ، لا تكن قنطاً يعيشُ يخطئ ما يأتي ، وما يذر
 أنا وأمك كم سالت مدامعنا! لأنك السمعُ (يا فاروق) والبصر
 وفي الفؤاد جوى يغتال فرحتنا وفي الضمير - لما عاينته - ضجر
 هذا ذراعك لو يدري فجيعتنا لما يكن - لعلاج القوم - يفتقر
 بل قام يضرب من يُودي بعزمتنا ويستخف بأوباش - بنا - مكروا
 لكن - شفاه إله الناس - جندنا إذ لم يكن عَجْرَ فيه ، ولا بجر
 واليوم يلتاغ ، لا ندري تغلته ومن عظيمته المزاج معتكر!
 تلك التي أبت التطيب دون هدى والأمر - بين أساة الطب - مُشتهر
 لكن علينا بلا حق لهم بخلوا فالياس من بعده التئيس مُدخر
 ما زودونا بتشخيص يُطمئننا بل كل لفظٍ لهم كأنه السُمُر
 هل الشفاء غداً حكرًا على فئةٍ لسنا نراها - من التطبيب - تعتبر؟
 كأنها ألفت دماء من جرحوا أو قطعوا إرباً في الحرب أو نجروا

إن الأطباء أندى سُمعة وصُوَيَّ ففي القلوب تقى ، وفي الروى نظر
 والله أطلعهم بحكم مهنتهم على خفايا - عن الأنظار - تستتر
 وخصَّ أغلبهم بسِرِّ صناعته في عالم الإنس ، نعم العلم والذكر!
 وبعدُ أجرى - على أيديهم - نِعماً من الشفاء لها - بين الورى - صور
 وكان أحرى بهم أن يستكينوا لهُ ويرحموا الخلق في المصائب اندحروا
 لا أن يُضَيِّفوا - إلى البلاء - فاجعة إذ القلوب أذى البلاء تعصر
 لم ينقذونا من الوسواس حطنا ياليتهم رأفوا بالحال ، أو عذروا
 سلِّمت (يا عمرَ الفاروق) ، يا ولدي وأطربثك المنى في العيش والبشر
 أنينك اليوم نأسى إذ يباغتنا كأن أحرفه - في صاعقها - سُعر
 لو كنت أملك التطيب جُدتُ به وعشتُ أهلاً لمن - من أهله - نَفِروا
 وعشتُ أرحم من آهاته عظمت وأصحتُ تزعج المرضى ، وتنتشر
 لو كان عندي - من الأموال - أوفرها بذلتها ، كي أرى (الفاروق) يبتشر
 ولا التمسست طبيياً دون مبخلة ولم تعق كرمي الأثمان والأجر
 ما المال إن لم يكن عبداً لصاحبه؟ ما المال إن لم يكن يقضى به الوطر؟
 وزاد من ألمى من ضاعفت شجني وأقبلت كالردى - من حولها - زمر
 قَبَّحت من أمة تختال في صلف عليك ثوبٌ عليه الوشْي والحبر
 لولاه كنت غراباً ليس ينظره إلا رذيلٌ غفا ، في عينه عور
 شمطاءً ما احترمت دنياً ولا خلقاً كلا ، وما ردها - عن هزلها - كبر
 سوداء يُبرزها المكياج فاحمة! وصفحة الوجه يُبدي قبحها القتر!

ما كان أجملها لو أنها اتبعت هدي الرسول ، لقانا: هذه قمر!
 لكنها قبلت تدنيس فطرتها عمداً ، وما شدّها سمّت الألى طهروا
 فأين سوط من (الفاروق) يجلدُها؟ وأين درتّه تعلو الألى فجرُوا؟
 الدردبيس أتت تُزري بمشيتها وفي الفؤاد الهوى واللؤم والدبر
 لم ترحم الأم (والفاروق) فلذتها وهل - على وجهها - من رحمة أثر؟
 الحيزبون أتت ، والزي ينفخها وخلف هذي خميس واعد دثر
 هم الأسود - على أهل التقى - انطلقت لكنهم قطط على الألى عهروا
 سلتاء ليس بها ما يشتهي رجل! لكنه الزي فوق العظم يزدهر!
 في خلة نسجت - من مانا - علنا سطا عليه الألى على الورى ظهرُوا
 جاءت لأمك ، والشيطان يُرشدُها والصبح يشهدُ والآصال والبكر
 ماذا وراءك من سوءٍ ومن محنٍ وعندها - في الوغى - الهدية البثر؟
 وأرسلت سُمها في عرض مؤمنةٍ والنارُ مبدأها مهما زكت شرر!
 فردت الأم - عن نفس - مدافعة لعل طاغية تخزي ، وتزدجر
 لكنها استعدت الأوباش من سفلوا وهم علينا - بما قد خولوا - قدرُوا
 وقيل كلُّ إلى من يستعين به فقلت: إنا - برب الناس - ننتصر
 وكنت أملاً أن تحيا أنوثتها لكن قلب التي قد عادت حجر
 وردّها الله لم تبلغ مراميها إن المليك - على الضلال - مقتدر
 شفاك ربك (يا فاروق) ، أنت إلى رعاية الله والشفاء مفتقر

لا تبتئس ، أنت في نعمة وعافيةٍ وسوف يأتيك ما ترجو وتنتظر
هذي (روان) ، اعتبر مما ألمَّ بها وليس عندك - من مصابها - العشر
أهاتها أحرقت فواد سامعها والدمع - من عيني البنية - النهر
لولا المصاب لَمَا أَنتَ بحرقتها ولم تضحج - بزفرات لها - الخدر
واسأل أباهما ، ودمعاً لم يضمن به خلف الستار - على الخدين - ينحدر
وأهها تأكل الأحزان عزمتهما لكن تواجبه ما تلقى وتصطب
(روان) لا تجزي من محنة نزلت وبعدها جثمت مصائب آخر
هذا نصيبك ، والمولى مُقدِّره إن القضاء - بأمر الله - ياتمر
والصبر أولى ، إذا القضاء عاجنا أو جاء يستبق الخطا ، ويبتد
مكومة أنت ، والكلوم غائرة والظهر يُدخِر البلى ويحتكر
وللبلاتين - في فقراته - ألق كالعقد تستره - في جيدك - الخمر
غاصت كلابية - في الظهر - موغلة وبالجلابيب - فوق الجلد - تختمر
أقام ظهرك - للأضياف - حفلته وطاب - للزائرين - الأنس والسه
قالوا: نقيم ، وهذا الظهر قبائنا جيران - بالجار - نستهدي ونفتخر
فيم التوجع والآهات ترسلها (روان) مردفة قولاً به هدر؟
يا بنت (يوسف) لا تأسى ، كفاك بكأ يؤذيك دمع - من العينين - منهمر
بنتاه ، أهل التقى إما ابتلوا صبروا وللمهيمن - في جنح الدجى - جاروا
وبعد أرجع للفاروق أخبره أن المصاب - بفضل الله - مبتشر
وذى (الشرايح) يوماً سوف يُخرجها من دسها - في الذراع - تشتجر

وسوف تذهب أورايم شقيقت بهما كذا الثأليل والتشويه والشعر
وفي الإله احتسب آلام مبيتس واشكر جهود الألى عليك كم سهروا!
واعذر أباك على التقصير أوجده حال يسببه الطاعوث والتتر
لا شأن لي في الذي أحياه من ضنك فالشأن فيما نهى الأوغاد ، أو أمروا
تحكموا في حياة الناس قاطبة كأنما الناس - في أعرافهم - بقر
وأخضعوهم لما سنوه من نظم بلا مشاورة ، كأنهم حمر
ابني أطلت قصيداً كنت أحسبُه مقطوعة كل ما سطرّت تختصر
ولم يكن بيدي طول ولا قصر من عند ربك طول الشعر والقصر
فلا رأيناك إلا في بلهنية من عيشة ملوها السرور والسمر
وجدت بالروح - للإسلام - هينة إن الحريص - على دنياه - ينتحر
واسأل (وصالاً) عن البلوى التي جثمت أتى بها حادث مستبشع عسر
فاشكر لربك لطفاً لا يحسُّ به إلا مريض هُنا مصابُه وعِر
واصبر على إبريأتي الشفاء بها هي المعافاة ، ما التجبير؟ ما الإبر؟
وَدُمْتَ لِلسِلم جندياً يتيه به على يديه يكون العز والظفر
وعشت تعبد رب الناس دون هوى بل الكتاب هدى ، والسنة الفكر
فبالحنيفة تحيا العمر مبهجاً والجاهلية كم يشقى بها العمر!
وعش عزيزاً ، ولا تحفل بمن قبلوا دنية ، إنما يسمو بك الأثر
والحق بأهل التقى ، واركب سفينتهم واهجر سفائن من في غيهم سدروا

هذي السفائن إن الله مغرقها فلا تسيرُ بها الألوأخ والدسّر
واصدق حديثك ، إن الصدق منقبة وأحرف الصدق في دنيا الورى دُرر
واسأل ملك السما غفران ذنب أب بدعوة منك هذا الذنب يُغفر
وصل رب على نبينا أبداً مادام في ذي السماء الشمس والقمر
يارب وارض عن الأهلين أجمعهم والصحب ، إنهم الأماجد الغرر

وصية والد لولده! (هدية لولدي عبد الله)

(كتابة الشاعر عن أبنائه ولهم لا تنقضي. وإنني أكتب اليوم ليتبني هؤلاء الأبناء وأبناؤهم الذين هم أحفادي هذا الشعر تحقيقاً وقراءة ونقداً وتحليلاً مستقبلاً. حتى ينفعوا به غيرهم من بني الإسلام أو من بني الإنسان على حدٍ سواء. وأغلب أشعاري عن أولادي كانت عند ولادتهم. فبينما الواحد منهم في مهده ، لا يدرك من أمر نفسه فضلاً عن غيره أي شيء ، فإذا بالقصيدة بين يديه قد نسجت خيوطها. لقد عظمت الشريعة الحنيفية السمحة حق الولد على والده. فمن ذلك أن مال الابن لأبيه ، فلوالد أن يأكل منه. روى ابن ماجه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن أطيّب ما أكلتم من كسبكم ، وإن أولادكم من كسبكم!) وللوالد أن يأخذ من مال الابن ما يريد. فلقد روى ابن ماجه كذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال للذي قد اشتكى أباه عنده: (أنت ومالك لأبيك!) واشترط أهل العلم في ذلك أن الأب يجب أن يأخذ بالمعروف ، ولا يتعمد مَصْرَةَ ولده بأخذ المال كله ، وألا يعطيه غيره من الناس أبداً دون وجه حق لهم. وأن الوالد ليس له حد على ولده مطلقاً لعظم حق أبيه عليه ، فمثلاً إن سرق من مال ولده لم تقطع يده ، وإن كان الأب عليه دين لابنه لم يُطالبه الابن به ، وإن قذف الأب ابنه لا يُجلد ولا يُحد ولا يُعزر ، وكذلك لو قتل الوالد ولده فإنه لا يُقتل به ، على حين لو قتل ابنٌ أباه يُقتل ذلك الولد حداً ، وما ذاك إلا لعظم منزلة الأب. ومزيد من ذلك في كتاب (المغني) لابن قدامة - رحمه الله - ج9 ص359 ، 365 ، 36 - ج1 ص2.8. هذا لمن أراد ولا نريد الإطالة. وتعليقاً على آية الإسراء: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) وتعليقاً لماذا هذه الوصية القرآنية المتكررة بالإحسان إلى الوالدين ، يتحفنا عميد الأدب العربي والإسلامي صاحب الظلال والمعالم - عليه شأبيب الرحمة ويواقيت المغفرة من ربه - فيقول: (إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأبناء إلى التضحية بكل شيء حتى بالذات. وكما تمتص النابتة هذي الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات ، وكما يمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر ، كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين ، فإذا هما شيخوخة فانية - إن أمهلها الأجل - وهما مع ذلك سعيدان. فأما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله ويندفعون بدورهم إلى الأمام إلى الزوجات والذرية ، وهكذا تندفع الحياة. ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء ، وإنما يحتاج الأبناء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدرك الجفاف). الظلال ج4 ص221 ، ورحم الله الشهيد. وروى الترمذي وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ، والطبراني عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد). وهناك استنباط من حديث (... وولد صالح يدعو له) يقدمه في (ملتقى أهل الحديث) الأستاذ أحمد العثيمين فيقول ما نصه: (في هذا الحديث: من صفات الولد الصالح الدعاء لوالديه! وفيه عظم حق الوالدين في الحياة وبعد الممات. وفيه أن الاعمال على قسمين: الأول ينقطع بمجرد أن يموت الإنسان ، والثاني: لا ينقطع ومنه بر الوالدين. وفيه الحث على تربية الأبناء تربية صالحة قائمة على القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه الحث على كثرة الولد وهذا جاء في حديث: (تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة). وفيه حث الوالد على تعليم أبنائه الدعاء للوالد وإن علا. وفيه أن الدعاء من الولد الصالح أفضل عند الله عز وجل ممن لم يكن كذلك.

وفيه أن من الأعمال الصالحة العظيمة القدر عند الله - تعالى - الدعاء للوالدين وخاصة بعد موتهما. وفيه فضل عبادة الدعاء عند الله تعالى ، حيث خصها النبي صلى الله عليه وسلم دون غيرها من العبادات. وفيه يُسر الدين وسماحته ، حيث حث على عبادة يسيرة يستطيعها كل أحد).هـ. وبينما كنتُ أسير مع ولدي عبد الله في أحد دروب دار غربتنا ، إذ رأى الولد عُرساً من أعراس الجاهلية القائمة ، فأدرك بحسه الطفولي المستقيم الفطرة أنه عرس جاهلي ، فقال مستفهماً: أليس هذا العرس جاهلياً؟ فأجبتُه: نعم! ألسنت تستمع إلى الموسيقى والأغاني؟ ألا يخطف ناظريك الاختلاط المستهتر بين الرجال والنساء؟ ومن هنا تولدتُ هذه القصيدة على الفور ، وأخذتُ شكل الوصية له وإخوانه الأشقاء ولأهل المروعات من أبناء ذلك الجيل بشيراً ونذيراً ، وعداً ووعداً ، جرحاً وفرحاً ، فعسى الله - تعالى - أن ينفع بها! ومعدرة على هذه المقدمة الطويلة.)

صغيري أنصت للذي يَسْطُرُ الفمُ
تذكرُ وصاتي ، إنها - اليوم - منهجٌ
يُحْيِي الهُدَى ، لا يَسْتَطِيقُ سبيله
يُضْحِي لأجل الحق لا يرتضي الخنا
يُحِبُّ كثيراً والوداً كم أوداهُ
يُوقِرُهُ بين الورى في مشيبيه
ويَعْرِفُ حق الوالدِ المُحتفَى به
ليأطفَ به المولى ، ويحمي جنانه
تأملن ترَ الأخلاق في كل مشهدٍ
فهذا كتابُ الله أنعمَ به هدىً!
فشَمَّرَ بُنيَ الشهمَ عن كل همةٍ
ولا المهتدي يوماً يُضِلُّ بفعله
يُحِبُّ المليكَ البَرَّ ، يحيا لدينه
فأوصيك إنني عن قريب مُفارقٌ
وأنت لِمَا أوصيك أهلاً ، فغاييتي
ولولا أحبُّ الشبلَ ما كنتُ أنظُمُ
يسيرُ عليه ابنٌ وفيّ مكرمٌ
وليس خذولاً ، إنما الخذلُ علقمٌ
ولكن غلامٌ طيبٌ القلبِ قيمٌ
عزيزاً أبيضاً ، بأسه ليس يُهزمُ
ويعملُ بالنصح الأريب ، ويفهمُ
ويحفظه ما جنَّ ليلٌ وأنجمُ
كأني به يدري الأمور ، ويعلمُ
يُذكرُك الآباء ، هل ذاك مُبهمٌ؟
وحكمة هادينا ، فداءً لها الدم!
فما المهتدي يوماً عن الشر يُحجمُ
ولكنه - عند العزائم - ضيغمُ
وأفعاله - وفق الهدى - تتكلمُ
ويحملُ - ما أوصي - القريضُ المُفخمُ
سَماعك لي ، ثم الرضا والترسُّمُ

فأقصر ، فإن العمر ماضٍ وراحلٌ
فلا تنتظر من أمنيّاتك ما انطوت
تمنيّت ، حتى قيل أني شاعرٌ
إلى إن رمّت قلبي الأمانى بعلةٍ
فلما دهاني الشيبُ أنسيّت هاجسي
وأسمى ، وتسعى العائدات تحوطني!
أراها ، فأبكي أنني كنت قيسها!
لقد كنت يوماً - في الخيالات - سابحاً
وفرطت في جنب المليك ، ولم أكن
وقصرت في ديني فأغضبت خالقي!
شبابي أضعت الأمس في غير طاعةٍ
هجرت القران العذب ، لم أتل آية!
فأمست كلاب الأرض تنهش عزمتي
فذكرت أيامي بماضي طفولتي
وجملت نفسي بادعاءات مغيرض
لذا لست أرجو أن أراك مضياً
وأنت حسامي ، إن دهنتني بليّة
لأنك - في دنيا البرايا - نخيرتي
وأنت رفاقي إن قلا الناس ساحتي
وأنت قريضي ، واليراع ، وفكرتي
وإنك - بعد الله - عوني وناصري
أدم ذكّر رب الناس ، هذي نصيحة

وبين الورى أنت الأشم المقدم
على سرده هل - في المنامات - مغنم؟
وداعبت أمالي ، وأمسيّت أحلم
وبنيان أحلامي غدا يتهدم
ونار الأسى - في خاطري - تتضرم
وأحبّال شوقي - للمنى - تتضرم
ودمع الجوى - فوق الأحاسيس - سيجم
تعاغي فوادي العفّ - في الليل - أنجم
- على ما جنى قلبي من الوزر - أندم
وليلي - بشوم الموبقات - مظلّم
وعمري - بأوزاري مدى الدهر - مظلم
وقد كان يهدي للتي هي أقوم
وأسلمني نبي لمن ليس يرحم
لكي لا يقول الناس: هذا مُحطم
ولم يذكّر - صدقاً - فوادي ولا الفم
لأنك إن زلت مساعيك أسقم
وأنت سلاحي ، إن دها الدار مجرم
وأنت متاريسي وجيشي العرمم
وأنت نقودي إن قلا الجيب درهم
وأوزان شعري ، والشعور المتيم
وإنك للعياء دربٌ وسلم
فأرطب لسان العبد بالذکر تسلم

وفي ذلك خط الأحاديث (مُسَلِّم)
 وأكثر من الخيرات ، تُهْدَى وتُلهِم
 فهل خَيْرٌ مَنْ - بالطواغيت - يُغْرَم؟
 وهل خَيْرٌ مَنْ شِرْكُهُ يترنم؟
 يلوذ ويبكي عندها ، وَيُحْمِجِم؟
 ويرضى بها ، حتى غدت تتحكم؟
 وأمسى يُحِلُّ العُهرَ ، ثم يُحَرِّم؟
 لأعدائه ، ثم انبرى يتمسك؟
 ولكن على أهل الحنيفة هيثم؟
 ويصحب موسيقاه ، والرقص يضرم؟
 بخمر الهوى والقلب - بالغيد - مُفْعَم؟
 وما زال - في سمع الدنا - يتهجم؟
 وكائن ترى - في الناس - مَنْ يَتَمَعَم؟
 وَمَنْ يعبد الأموال غرّ ومُجْرَم؟
 من الفحش بين الناس ، هذا مُذَمَّم؟
 على المؤمنين الصّيد في السرّ مُسَلِّم؟
 وليس له - في ساحة العيش - مَنَدَم؟
 وَمَنْ - من تكاليف الهدى - يتبرم؟
 بغير هدى - كلا ، وهذا ذاك الأم؟
 وَمَنْ أمرُ تهويلاته ليس يُكْتَم؟
 وللطّين والأحوال يحيا ويَطْعَم؟

ووَحَّدَ إله الكون ، لا تُمس غافلاً
 تعلم كتاب الله ، واعمل بما حوى
 ولا تُشْرِكَنَّ بالله ، أنت موحّد
 وهل خَيْرٌ مَنْ بالشياطين يفتدي؟
 وهل خَيْرٌ - عند المزارات - جاثم
 وهل خَيْرٌ مَنْ - للقوانين - راضخ
 وهل خَيْرٌ مَنْ باع ديناً ومِلة؟
 وهل خَيْرٌ مَنْ باع داراً عزيزة
 وهل خَيْرٌ مَنْ لليهود حمامة
 وهل خَيْرٌ مَنْ ذا يُغني على الملا
 وهل خَيْرٌ مَنْ كان يُترغ كأسه
 وهل خَيْرٌ مَنْ سبَّ ديناً وشريعة
 وهل خَيْرٌ يُفتي بحل محرّم؟
 وهل خَيْرٌ مَنْ قد تعبّد ماله؟!
 وهل خَيْرٌ مَنْ صوته بلغ السما
 وهل مَنْ سعى عند الطواغي يذلهم
 وهل خَيْرٌ مَنْ عزمه - في الخنا - جثا
 وهل خَيْرٌ مَنْ ليس يعرف ربه
 وهل خَيْرٌ مَنْ دينه سبب عالم
 وهل خَيْرٌ مَنْ يشترى الصّيت بالهوى
 وهل خَيْرٌ مَنْ باع - بالمال - دينه

وتلقاهُ ثرثاراً يـؤزُّ بقياهُ
بنيِ احترسٍ ممن نصحتُ موجهاً
وأنتِ التقىُّ الفذُّ ، فاصحبِ موحّداً
وأبشُرْ ، فإن الخيرَ عُقبى من اتقى
وجيلُ المخازي - في الأباطيل - غارقٌ
بنيّ تمسكُ بالكتابِ وسُنّةِ
بنيّ تخلّقُ بالتسامي فضيلة
ولا تقطع الأرحامَ ، هذي مُصيبة
ولا تجتنب إنكارَ منكسرٍ مُعلن
فعمركُ ربُّ الناسِ مالكُ أمره
وأنتِ رفيعُ القدر - صدقاً - ومومنٌ
فخذ من جميع الخلق ما فيه أحسنوا
على شرطِ شريعةِ الله لا شهوةِ الهوى
وتُخلصُ - في شأنِ النوايا - لربنا
أخافُ عليك الموتَ يأتي مباحثاً
وإن يدركَ المرءَ المُقصّرَ حتفَه
وينخرسُ الحرفُ المريضُ مُجنّداً
تخافُ الأذى رُوحِي عليك من الورى
وإني لِمَا يُضنيك آسى ، وأشتكِي
فلا ينفطرُ - منك - الفؤادُ من البلا
وإن ابتلاءَ الله - للخلق - سُنّة
فلا بد من تمحيصِ صفٍ موحّدٍ

ويقطعُ في كلِّ الأمور ، ويجزم
فإن اعتزالَ الفاسقين مُحتم
وإنك - في دنيا البرايا - بُرّيعم
وإنك - بالخيرات - حَيّ ومُغرم
فلا تتبغهم طرفة ، أنتِ ضرغم
ولا ترجُ نوماً ، إنما النومُ أرقم
ولا تصحبِ المجهالَ ، هذا غشمشم
وفرّجِ كروبَ الأهل ، تسمو وتُكرم
ولا تبُقِ ربحاً - في الأسى - تنهينم
ورزقك - في جوفِ السما - يتبسم
وأنتِ بصيرٌ ، والطواغيتُ قد عموا
وردٌ عليهم صاح ما فيه أجرموا
توافقُ ما قال النبيّ المُعظم
وهذا الذي - من شِبلنا - أتعشم
ألا يومُ موتِ المرءِ حقاً لأيوم
فسوف ترى أطرافه تتلعثم
وقد كان لا يُرضيه - في الناس - أبكم
وليت مآسينا - من الخلق - تُحسم
وفرْحُك - عندي - عنبرٌ مُنقوم
فإن انفظارَ القلبِ يكوِي ويُولم
وليس بلا قصدٍ ، كما تتوهم
لكي ينتفي - منه - البغيضُ المُذمم

فإن تصطبّر ، تلق الجزاء مُضاعفاً
تمرسث في دنياي ، حتى خبرتها
وسرعان ما ترميه بعد ذبوله
ويمضي قوياً القوم ، مثل ضعيفهم
فلا تبتئس ، إن فاتك العز يا فتى
وما قيمة العز الذي يُذهب الهدى؟
وما قيمة المال الذي يُذهب الإبا؟
وطالعث أفاًراً وعثها قريحتي
وما كان حلمي - في النقاش - بنافع
حلمت كثيراً ، فاستحالوا أوابداً
فلم أنتحب كي لا يقولوا بنصرهم
وأطفأت غيظي في مغاني غرورهم
وأعلمت قومي ، أنني اليوم واثق
وكابدت ، حتى جاعني النصرُ باسماً
وعانيت - في داري - تحدي أهلها
وكان اعتزامي حزمٍ أمري وخرقتي
بني اغترب تلق الحياة لذيدة
كثيرون ذموا غريبة وتغريباً
نعم أحرقتني غربتي دون رحمة
وأثر - في قلبي - نفاق أحبتي
ولكنني - عبر الدجئات - لم أهن

وهذا الذي - في صاحبي - أتوسم
فكل الذي - بالدار - وردّ مُعندم
وصنوان فيها ذو ريش ، ومُعندم
كما ينزوي تيس ، ويذهب ضرم
فالعز أقوام ، له تترسم
وظني بأن العز - بالجهل - مآثم
ولو أن أهل الأرض - للمال - يَمَموا
وناقشت أقواماً ، فضجوا وأجموا
ولا كان لظفي - في الجدال - يُقدّم
وهاج كبير القوم - كالليث - يهجم
ولكن غسلت العار - عمداً - ليعلموا
وأظهرت كيدا لفقوه ، وأبرموا
بنصر المليك الحق إن هم تشرذموا
وليس انتصاراً - للمهازيل - يبسم
وإن معاناة الأقبارب أشأم
وإن لبيب الناس - في التو - يحزم
ويعرفك من يسمو ، ومن يتأقلم
ولكنني - في غربتي - أتنعم
وما كنت - من أشواكها - أتظلم
ومن هم - وأجناد الفراعين - توأم
فقد كان شعري - للمآسي - يُترجم

فكنت عزيزاً ، لم تَمَسَّ كرامتي
وأقوال أهل الحق نوراً ونعمة
لقد صغت أشعاراً تناعى أوارها
وكانت مناراً - في اغترابي - مُغرداً
وكانت صُيودي من بحار عميقة
فلما رأيت الصَّيْدَ يُلْقِي طيوفه
نظمت قريضي ، وادَّهنت بعطره
فإن القريض العفَّ داري ، ورفقتي
هو الشعر لا يحيا بغير مَرارة!
عذاب وأفراح ، وجرح وموئل!
ونخل ورمان ، وشيخ وكندر!
وليلي وقيسن وابن عوف رسولة!
ويوم كحيل الطرف صافٍ غديره!
هو الشعر - كالدنيا - يُضاحك تارة
وإن ينفعل ، يعصف بحشدٍ يحوطه
وإن يرض ، فالدنيا جميعاً عشيره
بنيَّ احترف شعر اليعاريب ، إنه
وجاهد - به - أهل التحلل والخنا
ونقح قريضاً قاتله دون غدة
وخصمك مهزوم ، فعدتكَ الهُدى
ومن يرتزق بالشعر يكسر يراعه
بني التمس في الناس زوجاً حصينة

وكيف يُدسِّي مَنْ - له الله - يعصم
تنير - من الهدي - الذي بات يعجم
وكانت حُساماً نصله ليس يُثلم
وكانت رماحاً ، إن دهى الدار ديلم
طرحت شبابي ، ثم في العين مرقم
ويُرسَل أنساماً حياءً تُتمتم
وفيه تخذت الكوخ ، فالشعر قمقم
وزورق أشجاني - به - متهميم
قروح وأدواء ، رياض ومأزم
رماح وأسيف ، وطلح وشبرم
وموز وتفاح ، وسلق وحصرم
ونوق وأكواخ ، وبيد وشيهم
وليل كسير القلب ثاوٍ وأسحم
وأخرى يوزُ النفس أزا ، وينقم
وإن يتبسم ، فهو الرباب المرحم
كأم رؤوم تمنح العطف ، ترحم
إذا حاطك الأعداء درع وصيلم
عسا هم بما أنشدت أن يتفحموا
فإن القريض العذب تمرٌ وغيلم
وشعرك - عبر الحرب - سهم ومخدم
ومن يأتد - بالشعر - أمسى يُخمم
تصون الوفا ، تسمو ، ولا تتمسلم

فلا ينظر العصماء ذي متجرم
 وجلبابها ككث القماشية أيهم
 ودمع لترتيل التقية مسجم
 وعز عليها ، ما رأى ذلك (رستم)
 وزايل مقاماً فيه صرعى وخوم
 عسير - على الأندال - أن يتفهموا
 وقوم على الأعفان عاشوا ورمروا
 فليل الكسالى مكفهز وخكم
 وإن اجتهاد المرء - للخير - يلزم
 صريع جهول ، ثم آخر غيشم
 فبئس الورى والمنطق المتوخم!
 إذ المال إن ولى ، لقد تتدمدم
 وأغلبها - في حماة النذل - يبصم
 لـدينارهم ، والعز إذ تتوحم
 ولم تتخذ خوفاً - لـديهم - جهنم
 سأمضي ، ويبلي الجسم دود وكجم
 ونصحي غداً يعلو ضحى ، ويعمم
 بأن ينزوي خلف الدجى ، ويؤمم
 وكم - عن شعوري - دفقة النور تنجم!
 وأطياف شعري - من سنا العطر - هيم
 ولكن قومي - من أسى القهر - سؤم

عليها حجاب الخير عفاً وسابغ
 تسير وسربال الحياء يلفها
 تصلي ، فتكويها دموع ذنوبها
 لها روح صديق ، وتقوى مؤحد
 بني اصطحب - في كل حال - مقاله!
 فإن لم تفصلهم ملئت سقالة
 نفوس على الأوهام أرغت وأزبدت
 وإياك والهلكى ، فقاطع جموعهم
 وحافظ على عُمريمر مؤدعاً
 وإياك والصرعى على المال ، إنهم
 تلاقى - على الدينار - أخزى ضمانت
 فماتت قلوب - في أساها - صريعة
 فليست من الأخلاق تدرك ظلها
 وكالمرأة الخبلى تراهم تشوقوا
 ولم يشبعوا ، كلا ، ولم يتورعوا
 أراني أطلت النصح ، والنصح واجب
 وحسبي نصحت الشبل ، والشبل منصت
 فلا تستطن نصحي بئي ، فحيرتي
 فكم من شعور صغته في موافقي!
 وكم من طيوب من سنا الذكر حكته!
 أحذر أقوامي ، وألهب عزمهم

أسلي - بشعري - مَنْ بكربي تعلوا
أعيدُ على الأسماع ذكرى (ابن حنبل)
وأطلبُ منهم أن يُواروا عوارهم
إذ المال أودى بالنوايا وبالمضا
بني تخلق بالحنيفة تنتصر
نصحتك ، فاعمل بالذي قلت ، واعتبر
رجائي بأن تحيا لدين وشريعة
ختاماً لك الحب الكريم وقبلة

وأصرخ وحدي ، فالمشاليل نؤم
ولا يسمع الذكرى - هنا - متنع
إذ القدوة المثلى - لقومي - بلعم
ولم يك جباراً ، ولم يك يُرغم
فإن الغلا صرخ بها لا يهدم
وحاذر مجارة الغشا ، أنت أكرم
وإياك والنوكى ، فهم جد هؤم
وأبشر بخير يحتويك ، فتسلم

بعض المعاني والإيضاحات

يسطر: يكتب. الشبل: ابن الأسد مادام صغيراً. وصاتي: أي وصيتي. الخنا: أي الميوعة والترهل والتحلل. قيم: أي مستقيم على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم. يوقره: أي يكن له الاحترام والتقدير. مبهم: خاف. حكمة هادينا: أي نبينا - صلى الله عليه وسلم - . يجحم: أي يمتنع ويعرض. ضيغم وضرضم: من أسماء الأسد في اللغة العربية. وأشير هنا إلى أنني عثرتُ على ما يقارب الألف من أسماء الأسد في اللغة العربية. الترسم: اتباع الحق وأهله. الأشم: أي عالي الهمة والعزم. المنامات: الرؤى والأحلام. العائدات: البلايا والرزايا والهموم. شوقي: أي تطلعي للحياة وحبى لها كريمة أبية عزيزة. سيجم: سيال. تناغي: تداعب. أنجم: نجوم. الوزر: الذنب والخطيئة. مطلسم: مصبوغ بالسواد ، وهي صورة مقصودة هنا لبيان حال كل بعيد عن نهج ربه الجليل ونبيه النبيل - صلى الله عليه وسلم - . هجرت القرآن: الهجرة هنا هي هجرة العمل به. وإلا فإن الأمة بأسرها اليوم تطبع وتوزع القرآن ويستظهر كثير من علمائها وعملائها القرآن ، وتكافئ حفظة القرآن ، بل أعني هجرة العمل به . عرمرم: عظيم. مُسلم: أي الإمام مسلم - رحمه الله - صاحب الصحيح. وأسأل الله عز وجل أن ينفع ولدي عبد الله وإخوانه بهذه القصيدة التي عمدتُ إلى أن أعنونها بالوصية ، وسطرتها على بحر فحولة الشعراء (الطويل) عامداً إلى جزالتها وقوتها.

ثمن المروءة (ابني عمر)

(ذات يوم ضننتُ على ولدي (عمر الفاروق) بشيءٍ ما طلبه مني. فقال لي: لماذا أبيت كذا؟ ألسنت أنت القائل: (تجملن بالعطاء تعش كريماً * * وتلقى السعد في دنيا البرايا) ، وهو بيت من أبيات القصيدة التي اغتصبت (نسيم الشوق)! فحاجني ولدي ، وعزني في الخطاب. وما استطعتُ ساعتها إلا أن أطيعه فيما طلب. حيث خشيتُ أن يكون لي نصيب من الآية: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون!). قيل لسفيان بن عيينة رحمه الله: "قد استنبطت من القرآن كل شيء فأين المروءة في القرآن؟" فقال: (في قول الله تعالى: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" ، ففيه المروءة وحسن الآداب ومكارم الأخلاق ، إذ جمع في قوله "خذ العفو" صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين ، وفي قوله "وأمر بالعرف" صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام ، وفي قوله تعالى: "وأعرض عن الجاهلين" الحض على التخلق بالحلم والإعراض عن أهل الظلم والنتزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة وغير ذلك من الأفعال الحميدة والأخلاق الرشيدة). هـ. وعموماً للمروءة ثمن.)

أهل المروءة يا بُني كرام	وصوى التفضّل ليس فيه سوام
والشخُّ يُزري بالخلانق مثلما	يُزري - بصيد العالمين - الذام
والجوذُ يرفعُ - في الورى - أربابه	إن الجوادَ هو الفتى المقدام
ثمن المروءة يا بُني مكلف	وذوو المروءة - في الأنام - عظام
وأبوك لم يبخل ، وإنك شاهد	يأبى عليه الطبعُ والإسلام
وجميع من هو خصّهم بعطائه	نكروا الجميل ، وبالمكاند قاموا
وأهين معطاء ، وأكرم ممسك	وجراح هذا الظلم لا تلتام
وجدوا تكاليف المروءة جمّة	فاستمروا الخذلان وهو حرام
واستعذبوا هدم الإخاء تشفياً	والظلم داءً - في الأنام - عقام
وأبوك عانى من شناعة مكرهم	وأنت عليه - من العتاة - سهام
والغذرُ بعضُ جميلهم وعطائهم	وأبوك - في حرب العتاة - همام
مهما تكلفه المروءة لم يزل	في كفه الدينارُ والصمصام

تهنئة سليمانة

(دار الفلک دورته ، وجاء اليوم العظيم الذي يُصبح فيه ولدي عبد الله عريساً ، وحان وقت العرس ، فألفيتني أتخيل سؤالا يطرحه بعض الزائرين في حفله: أليس هناك قصيدة تهنيء بها عبد الله في هذه المناسبة العزيزة الغالية؟ ومن هنا تحركت عاطفة الشعر ، وكانت هذه التهنئة السليمانية مباركتي لهذا العرس الميمون المبارك! والفرق بين قصيدتي التي أنشدتها يوم مولده يشبه إلى حد بعيد الفرق بين كونه مولوداً يتلطف في دم ولادته وكونه اليوم رجلاً بين الرجال! ليس هذا فقط بل كان الفرق الشعري بين قصيدة يكتبها شاعرٌ ما وعمره 35 عاماً وأخرى يكتبها الشاعر ذاته وعمره 55 عاماً تقريباً! إن كثيراً من الباحثين والدارسين والخبراء والنقاد يرون أن الشاعر كلما تقدّم في العمر كلما كان الشعر له سَجِيّة ، وكلما ازداد فيه خبرة وعلماً وتمكناً! شأنه في ذلك شأن جميع أصحاب المهن والحرف! وهذا فعلاً قاسمٌ مشترك بين أصحاب المهن والحرف والصنائع! ولقد عمّت منكرات الأفراح وطمّت موبقات الأعراس في زماننا هذا أكثر من أي زمان مضى! ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن الزواج من سنن المرسلين وفطر الأنبياء ، قال الله تعالى: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية). والزواج بهذا يعتبر من نعم الله على عباده ، إذ يحصل به مصالح دينية ودنيوية ، فردية واجتماعية ، مما جعله من الأمور المطلوبة شرعاً ، قال الله تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) ، وهذه حقيقة واقعية ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج). ومن حق هذه النعمة العظيمة الشكر ، وأن لا تتخذ وسيلة للوقوع فيما حرم الله. ومما ينافي شكر هذه النعمة وقوع أصحابها في كثير من المخالفات والطوام والمعاصي والمنكرات التي تتعلق بها ابتداء من مبدأ النكاح نفسه ، وانتهاء بوليمة العرس ، مروراً بغير ذلك من المراسيم المتعلقة بالزواج ابتداء وانتهاء! غير أنها تختلف باختلاف الأزمان والأوطان. مما يُحتم على كل مسلم التنبيه لها والتنبيه عليها والقيام بما أمر الله تعالى به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكما أسلفت القول بأنها كثرت في زماننا هذا الذي كثر بلاؤه وشره وقل نفعه وخيره! ونظراً لكثرتها فيكتفى في هذه العجالة بعرض نبذ منها والله المسؤول أن يقينا شرورها. فمن المخالفات التي تتعلق بمبدأ الزواج: أولاً: العزوف أو الإعراض عن الزواج. فمن المنكرات العزوف عن الزواج بدون عذر شرعي. سئل الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - رحمه الله - عن ترفض الزواج بحجة الدراسة ، فأجاب بقوله: (حكّم ذلك أنه خلاف أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه) ، وقال صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج). وفي الامتناع عن الزواج تفويتٌ لمصالح الزواج. فالذي أنصح به المسلمين من أولياء النساء والمسلمات من النساء أن لا يمتنعوا عن الزواج من أجل تكميل الدراسة. على أن كون المرأة تترقى في العلوم مما ليس لنا به حاجة أمرٌ محتاج إلى نظر ، فالذي أراه أن المرأة إذا أنهت المرحلة الابتدائية وصارت تعرف القراءة والكتابة ، بحيث تنتفع بعلم هذا في قراءة كتاب الله وتفسيره وقراءة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وشرحها ، فإن ذلك كافٍ ، اللهم إلا أن تترقى لعلوم لا بد للناس منها كعلم الطب وما أشبهه ، إذا لم يكن في دراستها شيءٌ من محذور من اختلاط أو غيره).هـ. ثانياً: تأخير تزويج البنات والأخوات: وفي هذه القضية المهمة نصح

سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله قانلاً: (من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى من يبلغه هذا الكتاب من المسلمين ، سلك الله بي وبهم صراطه المستقيم وجعلنا جميعاً من حزبه المفلحين ، آمين: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أما بعد ، فإن الله سبحانه وتعالى قد أوجب على المسلمين التعاون على البر والتقوى والتناصح في الله والتواصي بالحق والصبر عليه ، ورتب على ذلك خير الدنيا والآخرة وصلاح الفرد والمجتمع والأمة ، وقد بلغني أن كثيراً من الناس يؤخرون تزويج مؤلياتهم من البنات والأخوات وغيرهن لأغراض غير شرعية كخدمة أهلها في رعي أو غيره ، وكذلك من يؤخر زواجها من أجل أن يأخذ بها زوجة له. وتأخير زواج المولية لهذه الأسباب ونحوها من الأمور المحرمة ومن الظلم للموليات من البنات وغيرهن ، قال تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمانكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله). والأيامى: جمع أيم ، يقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له ، يقال: امرأة أيم ورجل أيم. قال ابن عباس: رغبتهم الله في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد ، ووعدهم عليه الغنى فقال: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمانكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله). وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) ، وروى الترمذي أيضاً عن أبي حاتم المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد. قالوا: يا رسول الله ! وإن كان فيه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، ثلاث مرات). هـ. مجلة البحوث 267/2 العدد الأول 1400 هـ. وهناك مخالافات في الخطوبة والعقد: أولاً: عدم تمكين الخاطب من الرؤية الشرعية: يقول الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: (فالخاطب يستحب له أن يرى ما يظهر غالباً من المرأة كالوجه واليدين ، ويتأمل فيها وفي ما يدعوه إلى نكاحها ، وذلك لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن عقد على امرأة أو أراد الزواج: (انظر إليها)! رواه مسلم. وروى أحمد بإسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا خطب أحدكم امرأة ، فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته ، وإن كانت لا تعلم). ولا يسوغ للرجل أن ينظر لمن لم يرد خطبتها ، وكذلك لا ينظر إليها في خلوة أو مع ترك الحشمة ، إنما يباح له النظر إليها مع عدم علمها أو مع علمها وأهلها إذ كانت رؤيته لهذا ممكناً ، وأما عرض الأهل بناتهن بحجة الخطبة ، فهذا مما لا يسوغ ولا يفعله أهل الغيرة ، وإنما يباح النظر لمن علم منه الصدق في الزواج ، أو بعد الخطبة والله أعلم). هـ. (المنظار إلى بيان كثير من الأخطاء الشائعة ، ص 141، 142). وثانياً: الزيادة في المهور بما لا يطاق: يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله –: (والمشروع في المهر أن يكون قليلاً ، فكما قلّ وتيسر فهو أفضل ، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وتحصيلاً للبركة ، فإن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة ، روى مسلم في صحيحه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (إني تزوجت امرأة قال: كم أصدقته؟ قال: أربع أواق (يعني مائة وستين درهماً) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على أربع أواق؟ كأنما تتحتون الفضة من عرض هذا الجبل! ما عندنا ما نعطيك ، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه!) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت: يا رسول الله أهب لك نفسي ، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصعد النظر فيها وصوبه ، ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها

شيئاً جلست. فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها؟ فقال: فهل عندك من شيء؟ فقال: لا والله يا رسول الله. فقال: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً؟ فذهب ثم رجع، فقال: لا والله ما وجدت شيئاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انظر ولو خاتماً من حديد، فذهب ثم رجع، فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد. ولكن هذا إزارى، قال سهل: ما له رداء. فلها نصفه! فقال رسول الله: ما تصنع بإزارك؟ إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء. فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً فأمر به فدعي، فلما جاء قال: ماذا معك من القرآن؟ قال معي سورة كذا وكذا (عددها) فقال: تقروهن عن ظهر قلبك؟ قال: نعم. قال: اذهب فقد مُلِّكْتَهَا بما معك من القرآن». رواه البخاري، ومسلم واللفظ له. وقد كان المهر أحياناً في عهده صلى الله عليه وسلم شيئاً معنوياً رانعاً. فقد خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: «والله ما مثلك يرد ولكنك كافر وأنا مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذلك مهري، ولا أسألك غيره، فكان كذلك». رواه ابن حبان، وصححه الألباني. وهذا هو عمر بن الخطاب، فقد خطب الناس فقال في خطبته: أَلَا لَا تُغَالُوا صَدَقَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرَمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا عَلِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَكَحَ شَيْئاً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أَنْكَحَ شَيْئاً مِنْ بَنَاتِهِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَةً». رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة)، وقال: "إن من يُمِن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها". وقال عمر رضي الله عنه: (ألا لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى في الآخرة لكان أولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم: وما أصدق النبي صلى الله عليه وسلم امرأة من نساؤه، ولا أصدق امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية) والأوقية: أربعون درهماً. ولقد كان تصاعد المهور في هذه السنين له أثره السيئ في منع كثير من الناس من النكاح رجالاً ونساءً، وصار الرجل يمضي السنوات الكثيرة قبل أن يحصل المهر فنتج عن ذلك مفاسد منها: تعطل كثير من الرجال والنساء عن النكاح. وأن أهل المرأة صاروا ينظرون إلى المهر قلة وكثرة، فالمهر عند كثير منهم: هو ما يستفيدونه من الرجل لامراتهم، فإذا كان كثيراً زوجوا ولم ينظروا للعواقب، وإن كان قليلاً ردوا الزوج، وإن كان مرضياً في دينه وخلفه! وأنه إذا ساءت العلاقة بين الزوج والزوجة، وكان المهر بهذا القدر الباهظ فإنه لا تسمح نفسه غالباً بمفارقتها بإحسان، بل يؤذيها ويُتعبها لعلها ترد شيئاً مما دفع إليها، ولو كان المهر قليلاً لهان عليه فراقها. ولو أن الناس اقتصدوا في المهر، وتعاونوا في ذلك، وبدأ الأعيان بتنفيذ هذا الأمر لحصل للمجتمع خير كثير، وراحة كبيرة، وتحسين كثير من الرجال والنساء، ولكن مع الأسف صار الناس يتبارون في السابق إلى تصاعد المهور وزيادتها، فكل سنة يضيفون أشياء لم تكن معروفة من قبل، ولا ندري إلى أي غاية ينتهون). هـ. الزواج لابن عثيمين، ص 35، 34. وثالثاً من المنكرات كذلك: دبلة الخطوبة، فيلبس الرجل تشبهاً بأعداء الله دبلة تسمى: دبلة الخطوبة، وكثير من الناس يعتقد أن العقد مرتبط بهذه الدبلة خاصة إذا كانت من الذهب. وقد حُرِّمَ لبس الذهب على الرجال، وذلك لأدلة كثيرة منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه - صلى الله عليه وسلم - وطرحه وقال: (يعمد أحدمكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده! فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك وانتفع به، قال: لا والله لا آخذه

أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم). رواه مسلم. يقول الشيخ الألباني في آداب الزفاف ص212 ما نصه: (فهذا مع ما فيه من تقليد الكفار أيضاً لأن هذه العادة سرت إلى المسلمين من النصارى ، ويرجع ذلك إلى عادة قديمة لهم عندما كان العريس يضع الخاتم على رأس إبهام العروس اليسرى ويقول: باسم الرب ، ثم ينقله واضعاً له على رأس السبابة ويقول: باسم الابن ، ثم يضعه على رأس الوسطى ويقول: باسم روح القدس ، وعندما يقول: آمين ، يضعه أخيراً في البنصر حتى يستقر). هـ. فنعوذ بالله من مشابهة الكفار وأهل النار! ومن المخالفات أيضاً ما يكون في الأفراح والولائم: أولاً: التشريعة (كما هو معروف في صعيد مصر) (أو الفستان الأبيض كما هو معروف في شمال مصر ووسطها) عند الزواج: وهي أن تلبس المرأة ثوباً أبيض كبيراً لا تستطيع المشي به حتى يحمله معها عدد من النساء أو الأولاد الصغار ، وتلبس معه شرباً أبيض وقفازين أبيضين كذلك ، ثم توضع في مكان فسيح (يسمى الكوشة) وعلى ملاء من الناس ، ثم يدخل عليها الزوج ويسلم عليها أمامهم ويعطيها التحف والهدايا ويتبادل معها أطراف الحديث ، وربما شاركه في هذا أقرباؤه كما هو حاصل في بعض البلاد. ويجلس معها والناس ينظرون ويصورون ويتبادلون التحايا والطعام والشراب! ويستمر الحال هكذا لساعات (من بين العصر والمغرب مروراً بالعشاء وحتى الفجر ، مضيعين بذلك صلاة المغرب والعشاء) مقترناً بمعاص أخرى نشير إليها إن شاء الله! وفي هذا عدة محاذير منها: أن ذلك ليس من عادات المسلمين ابتداءً ، بل هو من عادات بعض الكافرين! كما أن فيه إسرافاً وبذخاً وفخفة ورياء وسُمة ، (فالفستان هذا يتكلف المئات وربما الآلاف). والله تعالى يقول: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين). ودخول العريس والعروس وجلوسهما في مكان عال بمرأى من جميع الحاضرين في حد ذاته مخالفة شرعية ، وفي هذا يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: (ومن الأمور المنكرة التي استحدثها الناس في هذا الزمان وضع منصة للعروس بين النساء ويجلس إليها زوجها بحضرة النساء السافرات المتبرجات ، وربما حضر معه غيره من أقاربه وأقاربها من الرجال ، ولا يخفى على ذوي الفطرة السليمة والغيرة الدينية ما في هذا العمل من الفساد الكبير وتمكُن الرجال الأجانب من مشاهدة الفاتنات المتبرجات ، وما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة. فالواجب منع ذلك والقضاء عليه حتماً لأسباب الفتنة وصيانة للمجتمعات النسائية مما يخالف الشرع المطهر). هـ. الرسائل والأجوبة النسائية ، ص44. وثالثاً: خروج النساء متطيبات: ومن منكرات الأفراح خروج النساء من بيوتهن متطيبات ، وهن في طريقهن إلى العرس يتعرضن للمرور على الرجال ، وهذا بلا شك حرام. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيا امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي كذا وكذا يعني زانية). ورابعاً: الاختلاط المستهتر: ويحدث الاختلاط عند دخول الزوج وأقاربه وأقارب الزوجة من الرجال عند وقت المنصة (أو الكوشة) ، وهو كذلك منكر ، قال صلى الله عليه وسلم: (إياكم والدخول على النساء فقال رجل: أفرايت الحموي يا رسول الله؟ قال: الحموي الموت). رواه البخاري ومسلم. الحموي أخو الزوج أو أحد أقربائه من الذين يحل لهم الزواج بامراته. يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين مبيناً آثار هذا الاختلاط وما يجنيه فاعله من سيئات: (أيها المؤمنون! تصوروا حال الزوج وزوجته حينئذ أمام النساء المتجملات المتطيبات ينظرن إلى الزوجين ليشتمنن فيهما - إن كانا قبيحين في نظرهن - ولتتحرك كوامن غرائزهن - إن كانا جميلين في نظرهن - تصوروا كيف تكون الحال والجمع الحاضر في غمرة الفرح

بالعرس وفي نشوة النكاح؟ فبالله عليكم ماذا يكون من الفتنة؟ ستكون فتنة عظيمة ولا شك ، ستتحرك الغرائز ، وستثور الشهوات. أيها المسلمون: تصوروا ثانية ماذا ستكون نظرة الزوج إلى زوجته الجديدة التي امتلأ قلبه فرحاً بها إذا شاهد في هؤلاء النساء من تفوق زوجته جمالاً وشباباً وهيئة؟ إن هذا الزوج الذي امتلأ قلبه فرحاً سوف يمتلئ قلبه غمّاً ، وسوف يهبط شغفه بزوجه إلى حد بعيد فيكون ذلك صدمة وكارثة بينه وبين زوجته).هـ. من منكرات الأفراح ، ص8. وخامساً: التصوير: يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (فإني أضيف إلى ما سبق من المحاذير التي تقع ليلة الزفاف هذا المحذور العظيم: لقد بلغنا: أن من النساء من تصطحب آلة التصوير لتلتقط صور هذا الحفل ، ولا أدري ما الذي سوغ لهؤلاء النساء أن يلتقطن صور الحفل لتنتشر بين الناس بقصد أو بغير قصد؟! أظن أولئك الملتقطات للصور أن أحداً يرضى بفعلهن؟! إنني لا أظن أن أحداً يرضى بفعل هؤلاء ، إنني لا أظن أن أحداً يرضى أن تؤخذ صورة ابنته ، أو صورة زوجته ، لتكون بين أيدي أولئك المعتديات ليعرضنها على من شئن متى ما أردن! هل يرضى أحد منكم أن تكون صور محارمه بين أيدي الناس ، لتكون محلاً للسخرية إن كانت قبيحة ، ومثالاً للفتنة إن كانت جميلة؟! ولقد بلغنا: ما هو أفدح وأقبح: أن بعض المعتدين يحضرون آلة الفيديو ليلقظوا صورة الحفل حية متحركة ، فيعرضونها على أنفسهم وعلى غيرهم كلما أرادوا التمتع بالنظر إلى هذا المشهد! ولقد بلغنا: أن بعض هؤلاء المصورين يكونون من الشباب الذكور في بعض البلاد يختلطون بالنساء أو يكونون منفردين ، ولا يرتاب عاقلٌ عارفٌ بمصادر الشريعة ومواردها أن هذا أمر منكر ومحرم ، وأنه انحدر إلى الهاوية في تقاليد الكافرين المتشبهين بهم).هـ. من منكرات الأفراح ، ص11. يضاف إلى ذلك أنه من منكرات الوليمة: أولاً: دعوة الأغنياء وذوي الجاه ، وترك الفقراء: وهذا لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم: (شر الطعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويمنعها المساكين ، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله). رواه مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي) رواه أبو داود ، وإن كان حديثاً ضعيفاً إلا أن معناه صحيح! وثانياً: الإسراف ، ولقد ذم الله الإسراف في اثنتين وعشرين آية من القرآن ، وعاب فاعله ، قال تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) ، وقال عز وجل: (يا بني آدم خذوا زينتك عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين). وثالثاً: إحضار المغنيين والمغنيات والأشرطة التي فيها غناء وموسيقى واستخدام المكبرات: يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (إن بعض الناس - ليلة الزفاف - يجمع المغنيات بأجور كثيرة ليغنين. والغناء ليلة الزفاف ليس بمنكر ، وإنما المنكر الغناء الهابط المثير للشهوة ، الموجب للفتنة. وقد كان بعض المغنيات يأخذن الأغاني المعروفة التي فيها إثارة للشهوات ، وفيما إلهاب للغرام والمحبة والعشق ، ثم إن هناك محذوراً آخر يصحب هذا الغناء ، وهو ظهور أصوات النساء عالية في المكبر. فيسمع الرجال أصواتهن ونغماتهن فيحصل بذلك الفتنة لا سيما في هذه المناسبة ، وربما حصل في ذلك إزعاج للجيران لا سيما إن استمر ذلك إلى ساعة متأخرة من الليل. وعلاج هذا المنكر أن يقتصر النساء على الضرب بالدف وهو المغطى بالجلد من جانب واحد ، وعلى الأغاني التي تعبر عن الفرح والسرور دون استعمال مكبر الصوت ، بمعزل عن الرجال وبضوابط شرعية واحترام ، فإن الغناء في العرس والضرب عليه بالدف مما جاءت به السنة).هـ. من منكرات الأفراح ، ص5. وأخيراً: تنبيه على عادتین جاهليتين: الأولى: تهنة الجاهلية: فمن العادات المنكرة تهنة العروسين بقولهم: (بالرفاء والبنين)! يقول الدكتور

صالح السدلان: (وهذه الضلالة الشائنة والعادة السيئة شاعت في عصر الجاهلية وهي تهنة جاهلية. ولعل الحكمة في النهي عن استعمال هذا الأسلوب في الدعاء للمتزوج بالرفاء والبنين هي: مخالفة ما كان عليه أهل الجاهلية لأنهم كانوا يستعملون هذا الدعاء ، ولما فيه من الدعاء للزوج بالبنين دون البنات ، ولخلوه من الدعاء للمتزوجين ، ولأنه ليس فيه ذكر اسم الله وحمده والثناء عليه). وإنما الوارد في السنة أن يقال للعروسين: (بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير).هـ. الأحكام الفقهية للصداق ووليمة العرس ، ص112 بتصرف. والثانية: شهر العسل: شهر العسل من العادات المنكرة والظواهر السيئة ، وهو أن يصحب الزوج زوجته ويسافر بها قبل أو بعد الدخول عليها إلى مدينة أو بلد آخر. وهو من عادات الكفار ، ويزيد هذا السفر قبلاً إذا كان إلى بلاد الكفار إذ يترتب عليه مفسد كثيرة وأضرار تعود على الزوج والزوجة معاً ، إذ قد يتأثر الزوج بمظاهر الكفار من تبرج واختلاط وإباحية وشرب خمور وغيرها فيزهد في دينه وعاداته الطيبة ، وتتأثر المرأة كذلك فتخلع تاج الحياء وتنجرف في تيار الفساد. وليس قليلاً إذا قلنا إنه من التشبه بالكفار المنهي عنه شرعاً).هـ. ولقد سئل ابن باز عن مثل هذا فقال: (لا ريب أن كثيراً من الناس لا يتقيد بالمشروع في الزواج ولا في غيره ، والواجب على المسلمين أن يتقيدوا بشرع الله في الزواج وفي غيره أينما كانوا ، وأن يتواصوا بذلك وأن يتعاونوا عليه كما قال الله سبحانه: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتُّدْوَانَ) ، وقال سبحانه: (وَالْعَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ). فلا بد من التواصي بالحق ولا بد من التواصي بالصبر في أمر الزواج وغيره ، وفي جميع الأمور التي تقع بين المسلمين! فيتعاونون في إقامة الصلاة في الجماعة ، وفي أداء الزكاة ، وفي صيام رمضان وحفظه عما حرم الله ، وفي أداء الحج مع الاستطاعة ، وفي بر الوالدين ، وفي صلة الأرحام ، وفي ترك الغيبة والنميمة وسائر المعاصي ، وفي ترك الكذب وشهادة الزور ، وفي ترك ظلم الناس في الأموال والأعراض والدماء إلى غير ذلك ، الواجب على أهل الإسلام أينما كانوا ذكوراً كانوا أو إناثاً أن يتقوا الله ، وأن يتعاونوا على طاعة الله ورسوله ، وأن يتعاونوا أيضاً على ترك ما حرم الله ورسوله ، وبذلك تحصل لهم السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة. ومن هذا أمر الزواج ، يجب أن يكون الزواج على الطريقة الشرعية ليس فيه تكلف ولا إسراف ولا تبذير ، بل يجب القصد في كل شيء ، وعدم التكلف حتى يكثر الزواج ، وحتى يحصل عفة النساء والرجال جميعاً ، فالشباب بحاجة إلى الزواج ، والنساء كذلك في حاجة إلى الزواج. والتكلف هو تعاطي ما حرم الله من المنكرات ، كل هذا مما يسبب تعطيل النكاح ، وبقاء الشباب والفتيات من دون زواج. فلا يجوز اختلاط الرجال بالنساء في الأعراس ، ولا في غيرها ، بل يجب أن يكون النساء في محل خاص على حدة ، والرجال على حدة ، وأن تكون الوليمة مقتصدية ليس فيها تكلف ولا شيء يشق على الزوج وآل الزوجة ، بل يتحرون جميعاً الاقتصاد وما يكفي المدعويين ، ويقتصدون أيضاً في الدعوة التي لا تشق عليهم. وهكذا يشرع لهم الاقتصاد في المهور وعدم التكلف ، وأن يُسهلوا في المهور حتى يحصل النكاح وحتى يكثر الزواج بين الناس. وهكذا السهر الذي يضيع على الناس صلاة الفجر ويسبب ترك الصلاة التي أوجب الله ، فهذا كله لا يجوز).هـ. ويمكن للدعوة إلى العرس أن ترفض ولا يُشارك فيها! فإذا كان منكر في مكان الدعوة ، فإذا كان يستطيع إزالته حضر وأزاله ، وما أكثر المنكرات في أعراس اليوم ، كما إذا أُوتى بالمغني أو المطربة ، أو المشروبات المحرمة ، أو الاختلاط المحرم ، والموسيقى ، وأنواع المفضضات

والمذہبات في الأواني التي يقدم عليها الطعام ، وكذلك إذا كان الداعي مما يجب هجره أو يسن كمتدع أو مجاهر بالفسق ، وأيضًا إذا كانت الدعوة لا تتضمن إسقاط واجب ، أو ما هو أوجب كرعاية أحد الوالدين المريض على سبيل المثال ، ومن لا يحصل الضرر بالإجابة له ، فإذا كان يحتاج إلى سفر ومفارقة أهل ونحو ذلك من المشقات فلا يلزمه ، وأيضًا إذا خص الأغنياء سقط الوجوب للحديث المتقدم (شر الطعام) ، فإذا خصه بالدعوة تجب الإجابة سواء كلمه بنفسه أو بالهاتف أو بالبريد أو بالبطاقة أو بمرسول أرسله إليه ، أما إذا جعلها عامة فقال: حيا الله الجميع ، فإن الوجوب حينئذ يسقط ، وأيضًا إذا كانت دعوة شخص للخوف منه أو الإحراج ، فلا يجب عليه الحضور ، فإنه لم يدع لمحبة ولا لرغبة أخوية ، وكذلك إذا دُعي رشوة ، فقد يدعى إلى الولائم الفخمة من الموظفين في بعض المواضع والأماكن رشوة فلا يحضرون ، وكذلك لو دعا شخصًا طمعًا في جاهه أو ليعيننه على باطل أو ليتزلف إليه فإنه يسقط الحضور أيضًا ، وإذا كان في المجلس من يتأذى منه لفسقه كأصحاب المجون والفحش فلو ذهبت - يا أيها المتدين المستقيم - اجترأوا عليك ببذاءتهم وفحشهم سقط الوجوب ، وكذلك إذا كان مال الداعي ليس بحلال لا يجاب ، وإذا كانت وليمة مفاخرة ومباهاة ومراعاة فكذلك يسقط الوجوب وهكذا إذا كان عليه حق متعين كأداء شهادة أو صلاة جنازة ، ويعذر بعدم الحضور بكل عذر يسقط صلاة الجماعة كالمرض وشدة الحر والبرد والمطر الذي يبيل الثياب ، والاشتغال بتجهيز ميت ، أو إطفاء حريق ، أو إذا كان هناك زحام شديد لا يستطيع من الوصول إلا بكلفة ومشقة عظيمة ، فإذا أتاك داعيان في وقت واحد فماذا تفعل؟ إنك تجيب الأسبق أصلًا ، وإلا فالأقرب رحمةً ، أو الأقرب دارًا ؛ لحق الجوار مع الحرص على إجابتهما معًا إن أمكن ، فتأتي ثم تنصرف إلى الآخر ، فإن لم يمكن وكانت الدعوات في وقت واحد والمرجحات متساوية ، فالقرعة والاعتذار يسقط الوجوب ، فإذا كان من حرج اعتذر. قال الأوزاعي - رحمه الله -: "لا ندخل وليمة بها طبل ومعازف" وهكذا عون بن أوس قال: "دخلت مع أصبغ بن يزيد إلى وليمة فلما جلسنا على المائدة سمع أصبغ صوت طبل فأبى أن يأكل وخرج". وشعيرة الوليمة فيها توسعة في الشريعة ، لا شك أنها مناسبة فرح ، لا شك أنها دخول سرور ، مشاركة لأخيك المسلم في هذه المناسبة التي ربما لا تأتي في حياته إلا مرة واحدة ، تأتي وتدعو وتقول: (أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة) إذا طعمت ، وتدعو لأخيك في العرس بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوته: (بارك الله لك) وكذلك "على الخير والبركة" قالتها نسوة الأنصار لعائشة لما زينها! أما الطبل غير الدف ولا الدريكة ولا أنواع المعازف فإنها محرمة يجب إنكارها ، ويحرم سماعها ، ولا يجوز الجلوس في ذلك المكان أصلًا الخلط العجيب في زماننا يقولون لولدهم المتدين: افرح على كيفك ، وفرح على كيفنا ، والعرس نصفان: نصف إسلامي إلى الحادية عشرة ، وبعد ذلك يأخذ القوم راحتهم كما يقولون غرف الديجيه وما أدراك ما فيها ، معصية في معصية ، وأشرطة تبديل وتخرج ، وتحل مكانها أخرى من أنواع الأغاني ، للمغني الفلاني المطرب الفلاني ، الفرقة الفلانية ونقود وأموال على المطربات والمغنيات ، إغداق ونثر ، وهذا النثر سيئ سخيف ، ونقطه جشع ، وإلقاؤه فسق ، واستهانة بالنعمة. وفي محاضرة عنوانها: (وقفة مع بعض منكرات الأفراح) ، قال الدكتور/ صالح بن عبد العزيز المنصور - رحمه الله - ما نصه بتصريف: (إن الوليمة في الزواج سنة سنها رسول الله "صلى الله عليه وسلم" بقوله وفعله فقال "صلى الله عليه وسلم" لعبد الرحمن بن عوف لما تزوج: (أولم ولو بشاة!) وفعل ذلكم رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ،

فروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك "رضي الله عنه" قال: (ما أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما أولم على زينب ، أولم بشاة) هذه أكبر وليمة عملها رسول الله "صلى الله عليه وسلم" في زواجه مع حاجة أصحابه "صلى الله عليه وسلم" إلى الطعام واللحم ، ولكن الرسول "صلى الله عليه وسلم" عمل هذا ليشرع لأمة التسهيل والتيسير ، فهل سلك الناس اليوم طريق محمد "صلى الله عليه وسلم" في ولائم الزواج؟ روى البخاري وغيره عن صفية بنت شيبة أنها قالت رضي الله عنها: (أولم النبي "صلى الله عليه وسلم" على بعض نسائه بمُدَّين من شعير) ، وروى الخمسة إلا النسائي عن أنس أن النبي "صلى الله عليه وسلم" أولم على صفية بتمر وسويق! وروى الإمام أحمد ومسلم عن أنس في قصة صفية (أن النبي "صلى الله عليه وسلم" جعل وليمتها التمر والأقط والسمن) ، إن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" حينما يولم بهذا ليبين لأمة سنته في الوليمة ، وأنها ليست مقصورة على اللحم. هذا وتشتمل الأعراس المعاصرة على منكرات كثيرة منها: إحضار المغنيات وبصحبتهن آلات اللهو من عود أو مزمار أو طبل بجلاجل ، أو غير ذلك ، وقد جاء في الحديث: (صوتان ملعونان: صوت مزمار عند نعمة ، ورنة عند مصيبة)! أخرج البزار وحسنه الألباني ، فهل في الإتيان بالمزامير وبالمغنيات والراقصات شكر لنعمة الله سبحانه وتعالى؟! وإذا لم يتيسر ذلك يأتون بأشرطة تسجيل لتوضع في المسجل ، ثم يرقص عليه النساء والفتيات الصغيرات والكبيرات ، ويتفنن في أنواع الرقص اللاتي رأينه على شاشات هذه الأطباق الفضائية ، ويحرصن أن يطبقن تلك الحركات في هذا المكان ، فأصبحت قصور الأفراح مدرسة تُعلم فتياتنا ونساءنا الخلاعة ، والتفسخ والعري ، وأساليب الرقص ، وإنها لمصيبة كبيرة. وقد قال الله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" قال ابن مسعود: إن لهو الحديث الغناء والمزامير ، ويحلف على ذلك ثلاث مرات ، والله إن لهو الحديث الغناء والمزامير ، والله إن لهو الحديث الغناء والمزامير ، وكذلك روي عن ابن عباس صاحب رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وابن عمه ، ترجمان القرآن ، الذي دعا له النبي "صلى الله عليه وسلم" بقوله: (اللهم علمه التأويل ، وفقهه في الدين) ، والله سبحانه وتعالى يقول: "وَاسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعْدهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا". قال ابن عباس: صوت إبليس الذي قال الله فيه: "وَاسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ" هو صوت إبليس: وهو الغناء والمزامير. وروى الإمام البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم قوله "صلى الله عليه وسلم": (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر - والمراد بالحر: هو الزنا - يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف) ، فقرن النبي "صلى الله عليه وسلم" الغناء والمعازف بالحر وهو الزنا ، والحرير ، والخمر ، وكل هذه منكرات بإجماع الأمة الإسلامية ، بل من كبائر الذنوب الذي جاء النص عليها في كتاب الله ما عدا الحرير ، مما يدل على أن الغناء يعتبر كبيرة من كبائر الذنوب ، وإلا لم يقرنه الله بهذه الكبائر العظيمة. ولهذا لا يجوز لأحد أن يأتي بمغنيات وبآلات لهو في الأفراح ، وإن هذا والله لكفر لنعمة الله ، والله يقول سبحانه وتعالى "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَدَّاهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ". ولعل قائلًا يقول: أليس جائزاً أو مسنوناً أن نضرب في الفرح بالدف ، كما جاء في الحديث (أعلنوا هذا النكاح بالدف)؟ نقول: هناك فرق بين الطبل والدف الذي جاء الترخيص به؟ فالدف المرخص به له مواصفات وشروط ، فالدف طار ليس له

إلا وجه واحد ، وليس له سند ، ولا يرتبط بحديد ولا صوت ، والضرب به ضربات بسيطة وبزمن يسير ، ويتولاه بنات صغيرات وجواري ، كما كان في عهد نبينا "صلى الله عليه وسلم" ، وبأصوات بريئة طاهرة كما جاء ذكرها في الأحاديث الصحيحة أنهم كانوا يقولون في إعلان الفرح: (أتيناكم أتيناكم ، فحيونا نحييكم ، ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم ، ولولا الحنطة السمراء ، ما سمتن عذاريكم). كلمات بهذا الأسلوب ليست من كلام العشق والغرام ، ولا الحب ولا الهيام ، ثم إن الضرب بالدف ليس بسنة ولكنه رخصة ؛ لأنه جاء على خلاف دليل راجح ؛ لأن الأصل تحريم آلات اللهو والغناء والمزامير ، وأبيح في حالة خاصة ، في الأفراح خاصة بهذا الأسلوب ، وبهذا الوضع الخاص ، أما أن يتوسع به ويؤتى بالمطرب الفلاني ، والمعنية الفلانية ، والراقصة الفلانية وكأنهم في مسرح من مسارح الفسق والفجور الذي يكون فيها الخمر وغير ذلك ، وأخشى أن يصدق علينا قول النبي "صلى الله عليه وسلم": (لتتبعن سنن من كان قبلكم حدو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه).هـ. ويقول الأستاذ غانم غالب غانم في محاضراته: (منكرات الخطبة) ما نصه بتصريف زهيد: (قراءة الفاتحة عند الاتفاق يقوم الناس اليوم بقراءة الفاتحة بعد الاتفاق ، وبعد الموافقة على هذا الرجل أن يكون زوجاً لهذه الفتاة ، في جلسة تكون غالباً عائلية بين أهل العروسين ، ثم تقرأ مرة أخرى في مراسم الخطبة الأساسية عند الناس اليوم. ويقوم غالباً رجل بطلب يد البنت صورياً لأن الاتفاق يكون مسبقاً ، ثم يقرأ الناس الفاتحة تبركاً ، أن يكون هذا العقد والزواج مباركاً. حتى قال لي أحد المثقفين ، (ولكنه من العوام في دين الله): لا يصح الزواج بدون قراءة الفاتحة. والحق أنه لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يعهد لأتمه قراءة الفاتحة عند عقود الزواج أو عند أي عقد آخر ، ولم يفعل ذلك واحد في القرون المفضلة. والأصل في مثل هذه الأمور أن تكون مشروعة بدليل ، ولا دليل هنا ، وقد نص على ذلك جمع من أهل العلم منهم الشيخ ابن باز ، وابن العثيمين وغيرهما الكثير. والأصل في إحداث مثل هذه الأمور أنها مخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» رواه البخاري ومسلم. وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك أن يقول الذي يطلب العروس: خُطْبَةُ الْحَاجَةِ ، ثم يبارك للعروسين بما جاء في السنة المطهرة. فَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي خُطْبَةِ الْحَاجَةِ فِي النِّكَاحِ وَغَيْرِهِ: عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةَ الْحَاجَةِ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا». رواه أبو داود ، وصححه الألباني. قالت اللجنة الدائمة: قراءة الفاتحة قبل الزواج بدعة ، لأن ذلك لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من صحابته ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد). رواه البخاري. وسئل ابن جبرين رحمه الله تعالى : في الأفراح والمناسبات السعيدة اعتادت النساء على إطلاق الصيحات التي تسمى: بالزغاريد ، فما حكم الشرع في هذا؟ فأجاب: لا تجوز هذه الصيحات ، فالمرأة لا ترفع صوتها ، فهو عورة عند الرجال ، بدليل منعها من

الأذان ، ومن رفع الصوت بالتلبية ، فعلى هذا يجوز لهن عند قدوم العروس التهنئة لها ، والسلام عليها ، والتبريك ، والدعاء للزوجين بالخير والسرور ، والسعادة الدائمة ، بدون رفع صوت ، وبدون زغاريد).هـ. واعتذر عن طول المقدمة والداعي لها هو أهمية النقاط التي تزيل كثيراً من الغموض والإبهام في بعض ألفاظها وأفكارها على حد سواء! وأقول لعبد الله: (بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينك وبين عروسك في خير!) كما وأهيب به أن يتبع الوصايا التي حوتها القصيدة! وعليه أيضاً أن يجتنب المناهي التي اشتملت عليها القصيدة! وأوصيه بزوجه وأهلها خيراً! وأوصيه بالإسلام خيراً من العمل به والدعوة إليه والجهاد في سبيله! كما وأوصيه بشعري خيراً ، وأتركها وصية بين يديه! فإذا كان الطواغيت قد حالوا بينه وبين الانتشار بقيودهم العفنة ، فإنه يتعين عليك يا عبد الله أن تنشره على الأقل في محيط عائلتك على أقل تقدير! وأيضاً تعمل بما حوى ذلك الشعر من الخير! فأنا قد التزمت فيه بالإسلام ، ولا أعتقد أن بيتاً من الشعر كتبته يخالف عن هدى الإسلام! والشعر كفن من الفنون الأدبية بحاجة ماسة اليوم إلى التزام أهله بالإسلام! والشعر والالتزام صنوان لعملة واحدة! ولقد عشت قضايا بلادي وأوطاني ، وتكاد قصائدي تكون انعكاساً لمعاناة هذه البلاد وتلك الأوطان ملتزماً بأدب الإسلام! ولا يمكن فصل شطري الالتزام عن بعضهما البعض: الالتزام بالإسلام فيما كتبت ، ومعايشة ما تعانيه بلادي وأوطاني من محن وإحزن وجراحات وأفراح ونفحات ولفحات! وهذا ما تشير إليه كلمة الالتزام في مدلولها اللغوي ابتداءً. وعن مفهوم الالتزام في الأدب بصفة عامة والشعر بصفة خاصة تقول الأستاذة سحر عبد القادر اللبان ما نصه: (الالتزام ، هو مشاركة الشاعر أو الأديب الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية ، والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلبه ذلك ، إلى حد إنكار الذات في سبيل ما التزم به الشاعر أو الأديب: "ويقوم الإلتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان فيها. وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحاً وإخلاصاً وصدقاً واستعداداً من المفكر لأن يحافظ على التزامه دائماً ويتحمل كامل التبعة التي يترتب على هذا الإلتزام". وفي تعريفنا اللغوي لكلمة الإلتزام نجد: "لزم الشيء يلزمه لزاماً ولزوماً ، ولازمه ملازمة ولزاماً ، والتزامه ، وألزمه إياه فالتزمه ، ورجل لزمة يلزم الشيء فلا يفارقه. واللتزام: الملازمة للشيء والدوام عليه ، والالتزام الاعتناق. "ولزم الشيء: ثبت ودام ، لزم بيته: لم يفارقه ، لزم بالشيء: تعلق به ولم يفارقه ، التزمه: اعتنقه ، التزم الشيء: لزمه من غير أن يفارقه ، التزم العمل والمال: أوجبه على نفسه". والالتزام كما ورد في معجم مصطلحات الأدب: "هو اعتبار الكاتب فنه وسيلة لخدمة فكرة معيئة عن الإنسان ، لا لمجرد تسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال". وقد جاء في الآية الكريمة: "وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحقّ بها وأهلها". أما سارتر فقد عرف الأدب الملتزم فقال: "مما لا ريب فيه أنّ الأثر المكتوب واقعة اجتماعية ، ولا بدّ أن يكون الكاتب مقتنعاً به عميق اقتناع ، حتى قبل أن يتناول القلم. إنّ عليه بالفعل ، أن يشعر بمدى مسؤوليته ، وهو مسؤول عن كلّ شيء ، عن الحروب الخاسرة أو الرابحة ، عن التمرد والقمع. إنّ متواطئ مع المضطهدين إذا لم يكن الحليف الطبيعي للمضطهدين". ويشير سارتر أيضاً إلى الدور الكبير الذي يلعبه الأدب في مصير المجتمعات فيقول: (فالأدب مسؤول عن الحرية ، وعن الاستعمار ، وعن التطور ، وكذلك عن التخلف. فالأديب ابن بيئته ، والناطق باسمها ، وكلمته سلاحه ، فعليه تحديد الهدف جيداً ، وتصويبها عليه بدقة ، ف "الكاتب بماهيته وسيط والتزامه هو التوسط". وهنا يبرز هدف الإلتزام في جدة الكشف عن الواقع ،

ومحاولة تغييره ، بما يتطابق مع الخير والحق والعدل عن طريق الكلمة التي تسري بين الناس فنفعل فيهم على نحو ما تفعل الخميرة في العجين ، على أن لا يقف الالتزام عند القول والتنظير فالفكر الملتزم في أساس حركة العالم الذي يدور حوله على قاعدة المشاركة العملية لا النظرية إذ: ليس الالتزام مجرد تأييد نظري للفكرة ، وإنما هو سعي لتحقيقها ، فليست الغاية أن نطلق الكلمات بغاية إطلاقها). هـ. ويرى رنيف خوري أن الكاتب مطالب بمسؤولية مجرد أن يكتب وينشر لمجتمعه ، فهو يجب أن يعبر عن آمالها وآمالها ونضالها. "ليس كفعل القلم اجتماعي وتاريخي بكل ما تنطوي عليه كلمة اجتماعي من شؤون الأمة ، والشعب ، والقوم ، والوطن ، والانسانية... وعلى القلم المسؤول أن ينفي عنه أول شيء اعتبار عامل الكسب. فذلك هو الشرط المبدئي لصحة الرأي ونزاهته". وظروفنا الاجتماعية الحالية ، الحافلة بالقلق والملينة بالمشكلات ، تدعو وبشدة إلى الأدب الملتزم. ووضع بلادنا العربية وما آلت إليه من تشرذم ومن تأمر الأعداء وتكالبهم عليها ، تدعو الكل إلى تجنيد الجهود للعمل على تحرير البلاد ورفع مستواها السياسي والاجتماعي والفكري. وحتى يكون الأدب صادقاً ، لا بد وأن يتكلم عن الواقع الذي يعيشه الأديب ، والظروف التي تحيط به ، وتؤثر على نفسيته وعلى يراعه ، فتخرج حينئذ الكلمات نابضة بالصدق ، وتأخذ طريقها مباشرة إلى فكر القارئ ووجدانه. أما معنى الالتزام فعريق في الادب ، قديم مثل كل أدب أصيل ، وكل تفكير صميم ، ذلك أن الالتزام في الأدب لا يعدو في معناه الصحيح أن يكون الأدب ملتزماً بالجوهري من الشؤون منصرفاً عن الزخرف اللفظي وعن الزينة الصورية التي هي لغو ووهم وخداع ، والالتزام هو أن يكون الأدب مرآة جماع قصّة الانسان وخلصا مغامراته وتجربته للكيان ، وزبدة ما يستنبطه من عمق أعماقه وأطف أحشائه من أجوبة عن حيرته وتساؤلاته ، وهو أن يكون الأدب رسالة يستوحىها من الجانب الإلهي من فكره وروحه ، ومن هذا الوجدان أو الحدس الإلهي ، الذي هو الفكر وما فوق الفكر ، والعقل وما فوق العقل ، والخيال مع العلم والمعرفة ، مع الانطلاق مجرباً في كليته وشموليته. فالأدب الملتزم هو سابق على محاولات المحدثين ، وقد وجدنا الأدب قديماً يتجسد في مشاركة الأديب الناس ، همومهم الاجتماعية والسياسية ، ومواقفهم الوطنية ، والوقوف بحزم ، لمواجهة ما يتطلبه ذلك ، إلى حد إنكار النفس في سبيل ما يلتزم به الأديب شاعراً أم ناثراً. واطلعنا على أدبنا القديم وشعرائه ، يعرفنا أنهم كانوا في العهود والأعصر العربية ، في الجاهلية والإسلام كافة ، كانوا أصوات جماعاتهم. كذلك قبل كل واحد منهم أن يعاني من أجل جماعته التي ينطق باسمها ، إلى حد أنك إذا سمعت صوت أحدهم وهو يرتفع باسم جماعته أو قومه ، لا يمكنك إلا أن تحسّ هذا الالتزام ينساب عبر الكلمات ، يصور هذا الإيمان وتلك العقيدة دون أن يساوره أدنى شك أو حيرة أو تردد في تحديده للمشكلات التي يواجهها ، والتي تتعلّق بمصيره ومصير سواه من أبناء قومه في القبيلة أو الحزب أو الدين ، يدفعه إيمان راسخ بضرورة حل إشكالية القضايا التي كان يواجهها في حينه). هـ. ولقد حرصت منذ بدأت مسيرتي مع الشعر العربي أن لا يوتى الشعر العربي المسلم من قبلي! فانتقيت موضوعاتي وكلماتي وتعبيراتي وأفكاري التي حرصت على أن تكون كلها مستنقاة من هدى الإسلام ، وتدعو له ، وتجاهد في سبيله! إذ الشعر فن ، وكذلك الشاعر فنان! ورسالة الشاعر المسلم لا تختلف كثيراً عن رسالة الفنان المسلم! فكل منهما ملتزم بالإسلام وأمين على ما يقدمه للناس من قيم وأخلاق! أما الهبوط والسفول والانحطاط والتردي والإباحية فليست رسالة الشاعر المسلم كما أنها ليست رسالة الفنان المسلم! سواء كان ذلك الفنان ممثلاً أو

منشداً أو مخرجاً أو كاتباً! وعن الفن والفنان وما ينبغي أن يكونا عليه يقول الأستاذ الفاضل خليل الجبالي ما نصه: (الفن وسيلة مقبولة لدى كثير من الناس لتصل بهم الي رسالة سامية منبثقة من الاخلاق الفاضلة والسلوكيات الحميدة ، فالقصة من الوسائل المؤثرة لدي المستمع والتي تأخذ بخياله ليعيش في سيناريو الواقع كأنه يحاكيه ، فيتأثر بالمشاهدة أيما تأثير. فالفن ينقل واقع المجتمعات الغائبة من دائرة وقوع الحدث لواقع ملموسة يصل الي مستويات المجتمع وطبقاته المختلفة ، لذا فإن الفن يعمل علي تغيير المجتمع من حالٍ إلي آخر طبقاً للهدف المحدد له. فكلما كان الفن صالحاً في وسائله كلما تحول المجتمع إلي إيجابي نافع لوطنه ومواطنيه. وإذا انحطت غاية الفن لتتحول من طاعة لله في مشاهدتها إلي سعي لجمع الأموال وقضاء الشهوات والنزوات بأي وسيلة فستظهره البيئة الفاسدة ، ويتولد أفراد فاسدون تنطمس في عقولهم الغاية التي خلقوا من أجلها وهي عبودية الله ، عندها سيتجه المجتمع نحو الفساد بعد أن تلو كلمة المفسدين في ظهورهم وتميزهم فنتشر الفاحشة بدعوة هؤلاء إليها، عندها يحق فيهم قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ). إن الفنان صاحب الاخلاق السوية والسرية النقية والتربية القوية يعلم أن له دوراً عظيماً في إصلاح المجتمع ونهضة الأمة ، لا يتخلى عنه مهما بسطت له المغريات طريقها أو تدفقت الأموال بين يديه ، وإلا سيعتزل هذه المهنة التي حادت عن هدفها بعد أن تعظم الرذائل وتصغر الفضائل ويعطو نجم المفسدين. إن اليهود علموا أن للفن دوراً كبيراً في تغيير البشر لتحقيق أهدافهم الدنيئة فاستغلوا المال والنساء في ذلك فساءت الوسيلة بعدما ساء الهدف. إن النظرة إلي الارتقاء بالإحساس في قيم الجمال والخير والحق والعبادة يدعونا الله تعالى إليها ، ويأمرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بها ، فقد روي عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، وَيُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ ، لَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ سَفَهُ الْحَقَّ وَغَمَصَ النَّاسَ أَعْمَالَهُمْ) المحدث: الألباني - المصدر: السلسلة الصحيحة. إن الفن تغيير الغير الي الأفضل ، ولن يستطيع الفنان أن يكون داعي للهدى إلا إذا اقتنع بما يقوم به من تمثيل وتجسيد للشخصية السوية فإذا حاد عن ذلك اختلفت غايته ، فيصبح داعياً إلي الرذيلة والفجور ، ويكون الفن وبالأعلى علي الفنان والمجتمع الذي يحي فيه. فقد روي أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: (من دعا إلي هدى كان له من الأجر مثل أجر من اتبعه لم ينتقص من أجورهم شيئاً ومن دعا إلي ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً). صحيح مسلم. إن مهنة التمثيل إذا انتهجت الكذب الصريح في حواراتها ، واختلاط الرجال بالنساء في مواقفها ، وتعري النساء وأظهرهن مفاتنهن أمام الرجال فإنها تحرم علي القائمين بها ، فالغاية لا تبرر الوسيلة. إن حماية المجتمعات الإسلامية من أسباب الانحلال والفساد هو واجب علي الحكام بالدرجة الأولى بل واجب علي كل فردٍ غيورٍ علي دينه وعرضه فيأمر بالمعروف ، وينهي عن المنكر بالطرق الشرعية التي بينها ديننا الحنيف ، وأن يأخذ كل الطرق والوسائل الشرعية التي يحفظ بها أخلاقه وآدابه وقيمه في مجتمعه).هـ. وعلى هذا فلا يمكن الحكم علي جميع الأعمال الفنية قديماً وحديثاً بأنها تصب في وحل البهيمية وحضيض الإباحية وأتون الانحطاط! وإن كان جُلها ينطبق عليه ذلك الوصف الأخير ولكن لا يمكن نعتها جميعاً بذات الوصف! ذلك أن هناك أعمالاً فنية جيدة وملتزمة بأدب وقيم وأخلاق الإسلام! وما الشعر إلا واحداً من هذه الفنون في جُمليتها! وعلى هذا يصبح الشاعر المسلم فناناً مسلماً عندما يلتزم ويتقيد ويتخلق ويدين بالإسلام في كل ما يصدر عنه من شعر! وينبغي يا عبد الله ويا تسنيم ألا تنسيا معاً الجندي المجهول في عرسكما هذا! ولا أدعي شرفاً لست صانعه! وأسجل هنا في مقدمتي لله ثم لكما وللتاريخ أن الجندي المجهول الذي أنفق الغالي والنفيس في عرسكما هي أم

عبد الله وليس أبو عبد الله. لقد اعتذرتُ عن ذلك! ليس شُحاً بمالي ، ولكن لثقل الأعباء والتكاليف!
فلا أراكما يوماً تحملانها على الندم على ما بذلت لسعادتكما! لقد أسعدتكما فلا تُشقيانها! ونعود إلى
تهنئة عبد الله وتسليم بعرسهما! تلك التهنئة المنوية التي تجاوزت المائة بيت!

ابني الحبيبَ قريضُ العُربِ يَبتهلُ
وللقـوافي تـرانيـمُ مُنغمـة
والوزنُ يَمْنَحُها جَرساً تتيهُ به
ما الشعرُ إن لم يكن وزنٌ وقافية
ما الشعرُ إن لم يقدِّم فكرة ورؤى
ما الشعرُ إن لم يوافق شريعة وهدى
ما الشعرُ إن لم يكن يدعو لمكرمة
ما الشعرُ إن عاب تشريع ندين به
ما الشعرُ إن روج العصيان في وضح
ما الشعرُ إن أضحت السواى بضاعته
ابني أتيتك من (عجمان) مُبتشراً
في حفلةٍ طهرت مما يُدنسها
فلا فسوقٌ ، ولا رقصٌ ، ولا نزقٌ
هل يستسيغ الخنا إلا من انحدروا؟
ولا مُجـوونٌ ولا سُـخفٌ ولا عـبـثٌ
ولا أغاني هوى تُزري بسامعها
ولا اختلاط به الدنيا تُعيرنا
فاز الغُيـورون إذ صانوا حرانمهم
حفلٌ بهيجٌ له سـيما تُجمّله
وللضيوف مقاديرٌ علّت شـرفاً
ونبضٌ بهجته يلهو ويعتملُ
يزينها الحباك والترجيغُ والرّتل
بين النصوص ، سَما بوقعها الزجل
مثل الذي خطه ساداتنا الأول؟
قوامها النصحُ والإرشادُ والمثل؟
هما الحياة لمن يتلو ويمثّل؟
بالدين والخلق الرفيع تتصل؟
ونال من شأن من وفق التقى عملوا؟
وحط من شأن قوم بالهدى احتفلوا؟
وللفجور دعا ، شأن الألى سفلوا؟
يقودني - للذي تُقيمه - أمل
ومحفل ضمّ - من بالطاعة - اشتغلوا
هل يستسيغ الهوى والفحش من عقلوا؟
ويعلمُ الله ما قالوا وما فعلوا!
يهوى مظاهره قومٌ قد اختبلوا
هي النشادُ بدا ، واللفظُ مُبتذل
عُقبى اختلاط البرايا الطين والوَحـل
عن العيون ، فلم ينظر لها الهمل
طاب الحضورُ ، وطاب الشربُ والأكل!
من كل فـذٍ به كم يُضربُ المثل!

وفي الحضور لهم - في حفانا - ثقل
ومن عن الحفل والدنيا هم رحلوا
وفاز سعيهم والجهد والعمل
لو أنهم بيننا ذا الحفل ما اعتزلوا
ونحن يوماً عن الدنيا سننتقل
فأحسنوا عندما أعييتهم الحيل
ونحن منهم إلى الرحمن نبتهل
إذ يحرم المرء تقوى الخالق الزل
تلك التي انتكست ، وشابها الخل؟
بذلت زبدتها يوماً لمن سألوا
ونقحوها تباعاً عندما سئلوا
لا نلتقي أبداً والجوقة السفلى
وباركوا ، واعذروا قوماً إذا عدلوا
في عالم كثرت في عيشه السبل
فسامحونا إذا لمّا يطب نزل
هشت أيامنا ، والقلب ، والشمل
والأجر - عند مليك الناس - مكتمل
من جاءكم مسلماً عفأ له أمل
زوجاً بها من حمى العزاب ينتقل
وإن يكن خطأ يا أهل فاحتملوا
هذا الزواج ، ونحذو حذو من غنموا

تجشّموا مؤنة الحضور باهظة
إنني لأشكر من غابوا ومن حضروا
شكراً جزيلاً لهم ، والله ياجرهم
ويرحم الله من إلى الفنا سبقوا
وهم لنا فرط ، وكاننا تبع
ومن أرادوا لنا في العرس معصية
إذ فاصلونا بلا إذن ولا عدة
أن لا يعينوا على إثم أقاربهم
وهل نلام إذا عينا طريقتهم
الحق نحن ، وقد سقنا أدلتنا
ورددوها ، وساقوها مفضدة
وعرّسنا شاهداً على استقامتنا
ضيوفاً استلهموا من حفانا عبيراً
ونفذوا ما أصبنا فيه من أسس
نحن الذين دعوناكم لنجدتنا
أمسى بكم جمعنا مستبشراً غرداً
طبتم ، وطاب بكم ممشى ومرتفق!
آل (السلامة) بشاركم بفارسنا
يرجو جواركم في الفوز بابنتكم
فناولوه من الإحسان صدقه
ونحن (أل سليمان) يشرفنا

ولا السعادة تأتيها بها (الفأل)!
وليس تأتي بها العقود والذبل
كلا ولا (الجيمس) نملكها ولا (الأيل)
فإن فعلنا فلا ضناك ولا غييل
وماله دُبُرٌ بادٍ ولا قبيل
إذ غييت جُلهما السهول والأمل
جوعاً ، ويعقبه في كوخنا الدقل
ويحتويه دلاء الكوخ والقليل
تعافه السبهم والأنعام والأيل
هل اشترى شبعاً يوماً لمن طعموا؟
لكنه ما اشترى نوماً لمن أملوا
مُسْتَقْبَلٌ غَرْدٌ أكسيره الأمل
علائقُ الناس فيها الجورُ يشتل
ودامَ حَبٌّ بحبيل الله متصل
لنيل قربي بشرع الله تكتمل
وكل شبيبي لغير الله منفصل
وليسبق السيفُ إن طَفَّ الأذى العذل!
ونحن منهم ، ففينا النقص والخلل
فلا يكون لهم - عن رُشدِهم - حِوَل
بذنبه ، وله - في قلبه - وَجَل
فسوف ندعو لكم كي يُغفر الزل
لا للهوى ، إذ له هتافة جُهَل

تا الله ما السعدُ في الأموال نجمُها
ولا السعادة في الأثاث مُودعة
ولا تُصدِّرها (النيسان) نركبها
إن السعادة في تطبيق شِرعنا
وإن تكن دارنا كوخاً نقرُّ به
وحوله أكم تاه القضيضُ بها
فيه الطعام لقيمات نسدُّ بها
والماء من حاجة بالدلو نجلبه
خير من العيش في سُوأى ومعصية
قد اشترى المالَ مطعوماً نلذ به
قد اشترى المالَ في ديارنا سُزراً
آل (السلامة) مسأكم وصَبَّحكم
أنتم لنا الأهل والأنسابُ في زمن
ونحن أهلٌ لكم ، دامت قرابتكم
(تسنيكم) و(غبيدُ الله) مَطْمَحُنَا
ودام ما كان للرحمن متصلاً
فسامحونا إذا التقصيرُ راودنا
أبناء آدم خطاؤون أجمعهم
وخيرهم من لهم توبٌ يُجمَلهم
والله يقبل من يأتيه مُعترفاً
وقد نرى منكم الهتات بارزة
إذا اختلفنا تحاكمنا لشِرعنا

لَمَّا أَقُول ، فَلَا أُرَاكَ تَرْتَدُّ
إِن الْمَطِيْعَ لَمَوْلَاهُ هُوَ الرَّجُلُ
مَهْمَا تَعَدَّدتِ الْأَهْوَاءُ وَالنَّحْلُ
وَهَل حَيَاةَ بَغِيْر الدِّينِ تَعْتَدِلُ
مَهْمَا تَزَخَّرْفَتِ الْأَدْيَانُ وَالْمَلَلُ
فَهَلْ سُرُورٌ - بَغِيْر السِّلْمِ - يَكْتَمَلُ؟
فَعِشْ عَلَيْهِ إِلى أَنْ يَأْتِيَ الْأَجَلُ
فَلَا أُرَاكَ - عَلَى الْمَلَاثِيْمِ - تَنْفَعِلُ!
عَنْ جُلْهَا أَغْلَبُ الْأَزْوَاجِ قَدْ غَفَلُوا
وَلَيْسَ عَنْ فَعْلٍ مَا قَدْ أُوجِبَتْ حَوْلُ
وَصِلْ إِذَا بَدَأوكِ الْقَطْعَ أَوْ وَصَلُوا
وَلَا تُغَالِطِ ، وَلَا تَنْسَ الَّذِي بَدَّلُوا
وَلَا يَكُنْ جَهْدَكَ التَّمْوِيْهُ وَالسَّجَلُ
أَيْضاً حَقُوقاً بِهَا يَسْتَشْرَفُ الْبَطْلُ
وَلَا تَكُنْ كَالْأَلَى بِرَبِّهِمْ عَدَلُوا
عَبْدٌ يُتَابِعُ مَنْ نَصَوَصَهَا امْتَثَلُوا
وَاعْلَمِ بِأَنَّكَ - عَنْ دُنْيَاكَ - مَرْتَحِلُ
وَآخِرُ نَجَسٍ ، أَيَّامِنَا دَوْلُ!
وَلَيْسَ يُشْبِهُ غَمْرَ الْوَابِلِ الْوَشَلُ
صَدَقاً ، وَلَا يَخْتَلِطُ بِصَدَقِكَ الْخَطَلُ
فَلَا يَكُنْ صَارِفاً عَنْ نَبْلِكَ الْكَسَلُ

ابني العزيز أنا أوصي فكن يقظاً
أحرص على طاعة المولى تعش رجلاً
وكن تقياً نقياً صالحاً ورعاً
وارباً بنفسك أن تحيا بلا قيم
وأحرص على ملة التوحيد وأخي لها
الدين يا ولدي الإسلام ليس سوى
إنني ادخرتك للإسلام فارسه
أوصيك خيراً بـ (تسنيم) وأسرتها
لها حقوق أتت في الشرع واضحة
وعظمت سنة المختار زيجتها
وأن حق أهالي الزوج محتسباً
وكن بأهلك براً محسناً رؤفياً
وقم بما ينبغي للأهل قاطبة
وقم بحق نبي الأرحام إن لهم
واقراً وزوجك ما في الذكر من عظة
وادرس شريعتك السمحاء أنت بها
واعمل لآخره يوماً تفوز بها
والدهر يومان: يوم في بلهنية
وجذ على الصبح والأهلين تأسرهم
واصدق إذا قلت صدقاً لا يضارعه
وأنت أنجب من رزقت من ولد

فِي عَيْشَةٍ مَلُؤَهَا الْوُدَادُ وَالْغَزَلُ
لَا يَسْتَوِي الصَّابِرُ الْمِفْضَالُ وَالْعَجَلُ!
لَأَنْ صَارْفَهَا - عَنْ بَوْحَهَا - الْخَجَلُ
كَمْ بِالنِّصَائِحِ يَخْبُو الزَيْفُ وَالِدَغْلُ!
كَمْ يَسْتَفِيدُ - مِنَ التَّجَارِبِ - الْوَجَلُ!
صِنُونُ عَمْرُ الْفَتَى وَالْعَارِضُ الْهَطَلُ
إِلَّا تَقِيَّ - عَلَى الرَّحْمَنِ - يَتَكَلُّ
نُورُ الْمُرُوءَاتِ كَمْ إِلَى الذَّرَى وَصَلُوا!
إِنْ رُمْتَ نَجْدَتَهُ ، فُغُوثُهُ الْعِلُّ
وَلَا تُبَدِّلْ ، لَقَدْ يُزْرِي بِكَ الْبَدَلُ
وَأَهْلُهُ قَسْوَةُ الْمَعَايِشِ احْتَمَلُوا
لَأَنَّهُمْ لِحَضِيضِ الْأَرْضِ قَدْ نَزَلُوا
مِنْكَ الْجِدَالُ ، وَمَا انصاعوا وَلَا قَبِلُوا
ذُرْعَاءً ، وَأَنْى لَهُمْ أَنْ يَنْفَعِ الْجَدَلُ
وَجَدَّ فِي الْأَمْرِ ، لَا تَعْبَأُ بِمَنْ هَزَلُوا
كَيْ يَسْتَفِيدَ فَتَى أَوْدى بِهِ الضَّلَلُ
حَتَّى تَحْقُقَتِ الْغَايَاتُ وَالْأَمَلُ!
فَأَشْكُرْ لَهَا ذَلِكَ الْمَعْرُوفَ يَا رَجُلُ!
بِالْأَمِّ دِيْدَنْهَا التَّقْتِيْرُ وَالْبَخْلُ!
يَقُولُهُ خَيْرُ أَقْوَامٍ إِذَا اعْتَدَلُوا
لَعَلَّ جُرْحاً إِذَا دَعَاوتِ يَنْدَمَلُ
تَفْنَى الْحَيَاةَ ، وَيَبْقَى لِلْأَسَى طَلَلُ!

(تَسْنِيْمُ) أَنْتِ! فَكُنْ عَبْدًا تَكُنْ أَمَةً!
وَكُنْ رَحِيْمًا بِهَا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ
قَدْ لَا تَبْوُحُ بِأَلَامِ تُكَابِدُهَا
وَكُنْ إِذَا نَصَحَتْ بِالْحَقِّ مُنْتَصِتًا
وَكُنْ إِذَا حَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى وَجَلِ
وَاسْتَثْمِرِ الْوَقْتَ ، لَا تَغْرُزْكَ وَفَرْتَهُ
وَاحْذِرْ أَمَانِيَّ نَفْسٍ لَيْسَ يَرُدُّعُهَا
وَارِعِ الْمُرُوءَةَ فِي سِرِّ وَفِي عَلَنِ
وَلَا تُصَاحِبْ رَذِيْلًا مَالَهُ شَرَفٌ
وَالجَارُ أَهْلٌ ، فَكُنْ أَهْلًا لَهُ أَبَدًا
وَالزَّهْدُ مَنْزِلَةٌ تَسْمُو بِصَاحِبِهَا
وَلَا تُثَافِسْ عَلَى الدُّنْيَا أَوْ أَبَدَهَا
وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الْعُتَاةِ مَا سَمِعُوا
وَلَا تُدَافِعْ عَنِ الطُّغَاةِ ضِيقَتْ بِهِمْ
وَابْذَنْ خِيوْرَكَ فِي قَوْمِ تَعِيْشُ لَهُمْ
وَانْفَعْ ذَوِيكَ بِمَا أُوتِيَتْ مِنْ رَشْدِ
لَا تَنْسَ أَمَّكَ مِنْ سَاقَتِ عَطِيَّتِهَا
بِالْمَالِ وَالسَّعْيِ هَذَا الْأَمِّ مَا بَخِلْتِ
تَاللَّهِ مَا اسْتَوْتَا أُمَّ وَقَدْ بَخِلْتِ
وَكُنْ أَدِيْبًا أَرِيْبًا يَسْتَدِلُّ بِمَا
وَادِعِ الْمَلِيْكَ إِذَا دَهْنُكَ قَاصِمَةٌ
مَنْ ذَا رَأَيْتَ بِلَا كَرْبٍ وَلَا كَبْدِ؟

فبالدموع لكم تقرّحت مقل!
فلا يموت معي يوماً ، وينجدل
حتى تُرى العينُ بالأبيات تكتحل
حتى يزول غريبُ اللفظ والدخل
قراءة المُشتهي له به شغل
وفي الحرور لكم تُستعذب الظل!
أقولُ هذا بصدق ، لست أفتعل
وطابَ للأكل المُستكثر العسل!
بالشعر بَيِّنَ ما جاءت به الرسل
ولا مدحت الألى دينَ الهدى خذلوا
كلا ، فبئس الصُوى والنصُ والجمل!
ولا نزلت لهم على الذي أملوا
لا يستوي السهلُ في القياس والجبل!
مِن الغفاة الألى لغيِّهم وكَلوا
أو الذين حدودَ الله قد جهلوا
أخشى عليه الألى أقواته كفلوا
فمنك وحدك غنمُ المرء والنفل
وارزقه يارب نُجحاً ما به فشل
وارزقه حِلماً يُمَاهِي جهلَ مَنْ جهلوا
واكتبه عندك في ديوان مَنْ عدلوا
والآل والصحب! هم أسلافنا الأول

مَن ذا رأيت بلا دمع ولا ألم؟
أوصيك بالشعر خيراً إن دنا أجلي
انشزه بعدي لمن يهوى قراءته
وادفع به للذي يرجو دراسته
واقراً قصائده فرداً ، وفي مَلا
إني أرى الشعرَ ظِلاً في هجير نظي
تبقى الدواوينُ ذكرى بعد شاعرها
وكل بيت كقرطاس حوى عسلاً
اقراً و(تسنيم) ما خطت يمينُ أب
وما أردت بشعري المال عن رغب
وما تغزلت في (ليلى) أهيمُ بها
ولا مدحت الطواغي أستعز بهم
بيني وبين الطواغي البونُ مُتسع
ولم أجامل بما سطرته فنة
ولم أزيّن أباطيل الألى فسقوا
ولم أروِّج لِمَا أملاه مرتزق
رباه أتمم لعبد الله فرحته
وجذ عليه بخير لا حدود له
واعصمه من سُرعة ثودي بحكمته
وامنحه عدلاً فلا يجور منتقماً
وصلِّ رب على المختار أسوتنا

أبو رقية (تميم)!

(إن هذه القصيدة لها مناسبة عزيزة في الوجدان والخطر ، لأنها مهداة لأول حفيد لي: (تميم بن عبد الله بن أحمد بن علي بن سليمان بن عبد الرحيم بن حمد بن خليفة. عسى الله أن يصلحه!)

جُذِّ عَلَيْنَا - يَا شَعْرُ - بِالْمَكْرُمَاتِ
وَابْذُلِ الْجَهْدَ فِي اصْطِفَاءِ الْمَعَانِي
إِنْ هَذَا (أَبُو رُقِيَّة) فَاعْرِفْ
يَا ابْنَ (أَوْس) حَلَلْتَ أَهْلًا وَسَهْلًا
كَمْ تَرْقُبُنَا أَنْ تُطِلَّ عَلَيْنَا
ثُمَّ جِئْتَ بَدْرًا ، وَعِزًّا ، وَبُشْرَى
مَرْحَبًا يَا أَغْلَى فَتَى وَحَفِيدِ
أُمِّكَ الْيَوْمَ تَحْتَفِي بِكَ وَلَهَى
أَيُّهَا (الِدَارِيُّ) سَدَّدْ ، وَقَارِبْ
والتزم بالإسلام ، ديناً ودنيا
وَأَفْعَلِ الْخَيْرَ ، أَنْتَ لِلْخَيْرِ أَهْلٌ
جِئْنَا يَا (تَمِيم) قَصَّراً جَدًّا
غَرَّهُ حِلْمُ اللَّهِ حَتَّى تَمَادَى
لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ اجْتَنَّتْهُ الْمَعَاصِي
ضَلَّ سَعِيًّا حَتَّى اسْتَسَاغَ الدُّنَايَا
فَاتَهُ الْمَجْدُ وَالْمَعَالِي تَبَاعًا
وَالْقَلِيلُ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْلِ عَادُوا
وَأَجْهَوْا التِّيَّارَ الْمُعَادِي طَوْعًا
فَإِذَا بِالطَّاعُوتِ يُعْمَلُ فِيهِمْ

وانتق الوزن ، والفرائد هات
كي تزف الأشواق والبشريات
قدر شهم ، واغمره بالتهنئات
في بيوت يحنن للأمنيات
وانظرنا السرور بالمعجزات
وانطلاقاً للخير والمكرمات
صادق العزم مخلص التضحيات
وأبوك متيماً بالحياة
واحمل الحق منهجاً بثبات
واتبع هدي الصالحين التقاة
والمليك يجزي على الخيرات
مؤثراً ما استطاع من موبقات
في سبيل المفرطين الغفاة
واحتواه ما صاغ من ترهات؟!
شأن كل المستهترين الغواة
فاستكان للتيه والمغريات
واستجابوا للهذي والبيئات
واستهانوا بالمجرمين الطغاة
سيفاً قتل يغال كل الدعاة

أو رحيلاً يُفضي إلى المهلكات
 في ظلال السُّمُو والطيبات
 و(ابن عبد الوهَّاب) خيرُ الهداة
 إنني قد جَرَّبْتُ هذا بذاتي
 ثم عُذُّ (للتيسير) تَلِقُ العِظَاتِ
 فيك فهماً يَفُوقُ جُهْدَ البُنَاةِ
 فصلُّ كل المسائل المشكلات
 دَعُوكَ مما يُقال من شائعات
 لا تُصدِّقُ زيفاً سرى بافتتات
 وأحاديثٍ وثُقَّتْ بِرُؤَاةِ
 ورواياتٍ دُعِمَّتْ بِالثَّقَاتِ
 لأصول - بهديها - واضحات
 وتُخصَّصَ بالعلم والنفحات
 ما تريد من شائِقِ الأدوات
 إنه سيفرَّطٍ بِالكلمات
 إن أردت في العيش خيرَ نِجَاةِ
 فتعلمُ تَلْحَقُ بِرِكْبِ الأَبِيَاةِ
 في أناس صَفُّوا لخير الدعاة
 قبل ذكر السجود ، بل والصلاة!
 بأبيك والأم ، واذكر وصاتي
 عش عزيزاً يا صاح بين التقاة!

والذي ينجو سِجْنَهُ فِي انتظار
 يا (تميم) أرجو لك العيش حراً
 يافتى بالتوحيد ، فابدأ وثني
 و(كتاب التوحيد) أفضلُ زادٍ
 واقراً (الفتح) إن أردت مزيداً
 ثم واهتمَّ (بالمسائل) تبني
 واقراً (القرّة) التي لم يفتها
 صاح (وابن تيميّة) ليث غاب
 قال عنه أهل الضلال دعاوى
 اقراً (المجموع) احتوى كل حق
 واقراً (المنهاج) الذي فيه ذكرى
 وادرسن لابن القيم العلم يدعو
 اقراً (الزاد) و(المدارج) تُفْلِحُ
 واقراً (الإعلام) المُحَقِّق تَدْرِكُ
 واقراً (الدواء والدواء) مِراراً
 واقراً (الروح) باهتمام عميق
 يا (تميم) لا شبيء كالعلم يُعطي
 آية (اقراً) كانت تُعزز نهجاً
 تجعل العلم أولاً واحتساباً
 يا (تميم) أوصيك بالبر سَمْتاً
 والزم الشرع ، أنت بالشرع أتقى

أطياف الذكريات!

(إنها نفحات شعرية أهديتها لولديّ العزيزين عبد الله وعبد الرحمن ، حيث سافرا للدراسة في مصر. وعانيت كما عانت الأسرة فراقهما. فأشددت أطمئنهما على أن المحبة كما هي ، وعسى الله أن يجمعنا على خير. ولقد حرصت منذ رزقني الله إياهما أن يكون مبدأ تربيتهما قائماً على الحب والتقدير والاحترام! والدكتور ميسرة طاهر في محاضراته الرائعة: (التربية بالحب) يشير إلى المعنى الذي أتناوله في هذه القصيدة فيقول ما نصه: (عندها نسمع كلاماً من قبيل: ألا تذكر ما فعلته لك؟ ألا تذكر أي حرمت نفسي من كثير من المزايا في سبيل تأمين ما تريده؟ ألم أعطك من وقتي وعمري؟ يا حسرتي على عمري وتربيته لك! لو أنني ربيت قطّة لكانت خيراً منك! ليس بحبٍ إلا ما عرفته ارتقاءً شخصياً تعلق فيه الروح بين سماوين من البشرية وتبوح منها ، كالمصباح بين مرأتين يكون واحداً فترى منه العين ثلاثة مصابيح ، فكأن الحب هو تعدد الروح في نفسها وفي محبوبها. ولنقرأ هذه الحادثة التي سطرتهَا لنا كتب التاريخ. اشترى حكيم بن حزام زيد بن حارثة لعمته خديجة بنت خويلد فلما تزوج رسول الله بخديجة وهبته له فتنباه الرسول. فخرج أبو زيد وعمه لعدائه فلما وصلا مكة سألا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وذهبا إليه وخاطباه بلغة راقية جداً ، قال: يا ابن عبد المطلب ، يا ابن سيد قومه ، أنتم أهل حرم الله وجيرانه ، تفكون الأسير وتطمعون الجائع ، وتغيثون الملهوف ، وقد جنناك في ابن لنا عندك ، فامنن علينا بقدائه ، فإننا سندفع لك في الغداء ما تشاء. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن هو؟ فقال: زيد بن حارثة. فقال عليه الصلاة والسلام: فهلاً غير ذلك. قال: وما هو؟ قال: أدعوه فأخبره ، فإن اختاركم فهو لكم! وإن اختارني فما أنا بالذي أختار على من يختارني أحداً. فقالا: قد زدتنا على النصف وأحسننت. فدعاه وقال له: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم. قال: من هذا؟ قال: هذا أبي! ومن هذا؟ قال: هذا عمي. فقال لزيد: فأنا من قد علمت فاخترني أو اخترهما. "ولم يقدم كشف حساب طويل." هذا الكلام مهم لأنه يمثل مفتاح التربية بالحب. قال زيد: ما أنا بالذي يختار عليك أحداً ، أنت مني مكان الأب والعم. إن الحب الصحيح ليس له فوق ، ولا يشبه من هذه الناحية إلا الإرادة الصحيحة! فليس لها وراء ولا يمين ولا شمال ، وما هي إلا أمام أمام. إذا غضبنا على أولادنا هل ندعو عليهم أم لهم؟ وهذا معيار من معايير الحب. الحب يكون من الإنسان وهو في أحلك حالات الضعف تماماً كما يبدو والإنسان في أشد لحظات القوة. إن من حق الجميع على أولادهم أن يبرّوهم أي أن يردّوا جميلهم وصنيعهم وإحسانهم بإحسان. وإن لم يفعل ذلك الأبناء فقد خسروا خسراً كبيراً. ولكن لا ينبغي التوقف عن الإحسان إليهم إذا أساءوا أو أخطأوا إن كنا نحبهم حباً حقيقياً). هـ. جزا الله خيراً الدكتور ميسرة طاهر على نصيحته التي أفادتني كثيراً!



فيكما قط ، أنتما نور عيني!

صدّقاني إن قلت: ما خاب ظني

واسألا أطياف الأحاسيس عني

أنتما في الفؤاد ، مهما افترقنا

والدعاء تغريدتي والتمني

لم تغيبا عن مهجتي لحظ عين

بينها أحقاب تواليت ، وبينني!

كم تخيلت الذكريات الحواني

والأشـِقاءُ يلهجـُونَ اشـِتياقاً
والصـِحابُ كلُّ يَدْرُ سلاماً
أين (عبدُ الله) الذي غابَ عنا؟
قلت: كلٌّ في (مصر) يدرسُ طوعاً
لم يعدْ إلا ذكرياتٌ وشكوى
أيها الشـِبلان ، التصـِبرُ أولى
لكما سـَطرَتْ القـِريضُ احتفاءً
كنتما صـِديقاً في (اغترابي) عوناً
كنتما الصـِحبَ إذ عـِدمنا النـِدامى
كنتما الأهلَ في اغتراب طويل
تابعنا الاتصـِالَ يُطفئُ شوقاً
أتحفاننا بالبـُشـِريات الغـِوالي
لا تقولوا: لقد نسـِينا وضيـعنا
إن تكنْ جـِبراً فرقتنا الليالي
هل على رب الناس هذا عسيرٌ؟!
والمليـِكُ لِمـِا يشـِاءُ قـِديرٌ

كل مُشـِتاقٍ يحتفي ، ويغني
والتحايا من كل ذوق ولون
أين (عبدُ الرحمن)؟ هيا أجنبي!
واستدارَ للأهلِ ظهـِرُ المـِجن
والتباكي على الذي ضاع مني
عاجز حقاً من يقول: (لو اني!)
والتحايا بالشـِعرِ من بعض دَينِي
في زمان ما خصنا أي عون!
تقهران من نالنا بالتجني
كم لقينا في العيش أظلم حَين!
ويُسـِري - عن بيتنا - كل حزن
والتهاني من كل جـِرس وفن
وسـَطَ أهـِلينا بين خذل وطعن
فعسى اللـِقيـِا في مُقامة (عدن)!
قلت: كلا ، وذاك من حُسن ظنـِي!
والمقـِاديرُ رغم إنـِس وجـِـن!

ليتك ترى! (ابني عمر)

(قال الله تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً). وقال: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير). وروى ابن ماجه أن رجلاً من بني سلمة جاء إلي النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به من بعد موتهما؟ قال: نعم ، الصلاة عليهما (الدعاء لهما) والاستغفار لهما ، وإيفاء عهودهما من بعد موتهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما. وروى الترمذي في سننه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: رضا الرب في رضا الوالد ، وسخط الرب في سخط الوالد. وروى البخاري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من أرضى والديه فقد أرضى الله ومن أسخط والديه فقد أسخط الله). و إذن فإنا أصدر بهذا الحشد من الاستشهادات القرآنية والنبوية قصيدي (ليتك ترى) حتى لا ينساني ولدي عمر الفاروق في زحمة حياته يوماً ما. وليعلم أنني حريص على حياته معافى. فلا يحرص على موتي يوماً حرصي اليوم على حياته! ويكفي أنني أمرض اليوم إذ يمرض وأصح إذ يصح. وأبتسم إذ يبتسم وأبكي إذ يبكي. والأمر أنني عندما حملت ولدي الصغير عمر الفاروق على ساعدي مريضاً قد أخذ منه المرض مأخذاً عظيماً ، وبلغ التهاب الرئتين والعياذ بالله تعالى منه مبلغاً لا وصف له ، وأصبح كالجثة التي لا حراك فيها ولا حياة ، وأثر ذلك في نفسي وسيطر الشيطان على مشاعري وخيالي ، ونما إلى خاطري أن الوالد يودع الحياة الدنيا إلى الرفيق الأعلى عز وجل ، فأخفيت مشاعري وهواجس نفسي وحديث خيالي وما ألقاه الشيطان في روعي مستغلاً ضعفي ، وتماسكت وتجلدت وتظاهرت أمام الجميع بالثبات (وخاصة أمه)! وكان من قدر الله سبحانه أن يفارقتي الولد للعلاج ، وتحركت الرحمة والحب في سويداء قلبي ، وتناغم الحنين في شغاف ذلك القلب المصطلي بنار الفراق دائماً ، فكتبت هذه القصيدة أناجي الوليد الصغير فيها قائلاً: ليتك ترى ما أنا فيه فتشاركني عذابي. ولا أريد أن أتمادى في الشجون وأجاري الأحزان! وخاصة أن البعض قد وصفوا النبي - صلى الله عليه وسلم - بالحزين دائماً! وهذا محض كذب عليه - صلى الله عليه وسلم -. يقول الأستاذ أحمد السعدي في مقال له بعنوان: (الحزن في التصور الإسلامي) ما نصه: (ولقد ذكر المتصوفة أحاديث كثيرة تمتدح الحزن وتدعونا إليه وتجعله مطلوباً شرعياً ، وقد تتبعت تخريج ما وقعت عليه من الأحاديث المذكورة في كتبهم فما رأيت فيها حديثاً يصلح للاعتبار ، فضلاً عن أن تكون سالحة للاحتجاج ، وسأسرد سريعاً بعض هذه الأحاديث مع بيان ما قاله أهل الشأن فيها ، وإن كان ذلك على سبيل الإشارات السريعة ذلك كيلا يتحول المقال إلى بحث حديثي. فأولها حديث اشتهر كثيراً على ألسنة الناس ، وهو حديث هند بن أبي هالة في صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان متواصل الأحزان ، الحديث على ما قال ابن القيم في مدارج السالكين: (حديث لا يثبت ، وفي إسناده من لا يعرف). ويعارضه الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ، أنه كان - صلى الله عليه وسلم - يستعيز بالله من الهم والحزن. على أن ذلك الحديث لو صحّ لأمكن تأويله أنه كان يمسي ويصبح وهو مشغول بهموم دعوته ، وهموم أمته وما أكثرها! ومنها حديث أورده الغزالي في إحياء علوم الدين ، وفيه: (والحزن رفيقي) ، والحديث على ما قال العراقي فيه: ”لا أصل له“ وجعله السيوطي رحمه الله من الأحاديث الموضوعة ، وتابعه الشوكاني في الفوائد المجموعة. أما حديث ”إن هذا القرآن نزل بحزن“

فقد رواه ابن ماجه وفيه إسماعيل ابن رافع: ضعيف متروك. وأما حديث: "إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ". فهو وإن صححه صاحب المستدرک وحسنه الهيثمي إلا أن أسانيده لا تقوم). هـ. وإذن فالإسلام ليس دين حزن ولا يدعو إلى الحزن! بالعكس يدعو إلى التفاؤل وإحسان الظن بالله!



ولَمَّا اسْتَكَانَتْ لِلجَوَى العَبْرَاتُ	لولا مُنَارَ عَةِ الحَنِينِ لَمَا بَكَتْ مُهَجَاتُ
ولَمَّا تَعَالَتْ فِي المَدَى زَفَرَات	ولَمَّا اسْتَبَدَّتْ بِالقُلُوبِ طَيُوفُهَا
ولَمَّا تَسَامَتْ فِي الدَجَى آهَات	ولَمَّا تَمَادَى فِي أسَاهِ مُتَيِّمٍ
ولَمَّا عَلَتْ بَيْنَ الِوَرَى صَرَخَات	ولَمَّا تَعَذَّبَ فِي المَذَلَّةِ عَاشِقٌ
ولَمَّا تَلْظَتْ بِالصَّدَى النُّظْرَات	ولَمَّا تَحَدَّرَ مِنْ عُيُونِ دَمْعُهَا
أبْدَأَ ، وَلَمْ تُسْمَعْ لَهُ خَفَقَات	ولَمَّا تَمَرَّغَ فِي الجَوَى مُتَوَلِّةٌ
تَبْكِي عَلَيَّ مَشَاعِرِي النُّضِرَات	إِنِّي أُبَيِّتُ عَلَيَّ جِرَاحَ مَدَامِعِي
تَعِيسَ الفِرَاقِ تَقْوُدُهُ الطَّعْنَات	فَتِ الفِرَاقِ حُشَاشَتِي وَتِرَانِبِي
ذَابَ الثَّبَاتُ ، وَخَارَتِ العَزَمَات	(يَا أَيُّهَا الفَارُوقُ) بَعْدَكَ قَاتِلِي
فَوْقَ القُلُوبِ ، لَهُ بِهَا عَمَزَات	والبَّيْنِ يَا وَلَدِي أَلَيْمٌ وَقَعَةٌ
(عَمَرَ الفِدَاعِ) ، فَقَدَ مَضَتْ بِسَمَات	وَأَنَامَ يُقَالِقَتِي السَّهَادُ ، وَلَا أَرَى
غَابَ السَّرَاجُ ، فَحَلَّتِ الظُّلَمَات	أَيْنَ الرُّضِيْعِ يُنِيرُ بَيْتاً مَظْلَمًا؟
رَحَلَ الهِزَارُ ، وَزَالَتِ النَّسَمَات	أَيْنَ الجَمَالِ لَهُ ابْتِسَامَةٌ مُغْرِمٌ؟
كَيْفَ اسْتَكَانَتْ لِلظَى الكَلِمَات؟	أَيْنَ الحَيَاةِ؟ وَأَيْنَ شَهِدُ رِضَابِهَا؟
مَاتَ القَصِيدُ ، فَمَا بِهِ نَبْضَات	أَيْنَ القَرِيضُ مَعْطُورًا مَتَبَسِّمًا؟
تَنَسَابُ فِي أَرْحَابِهَا البَرَكَات؟	صَارِحَ (أَبَا حَفْصِ) ، أَلَا هَلْ عَوْدَةٌ
وَدُمَاكَ مِنْ أَثَرِ الشَّقَا أَكَمَات	أَنْتِ النُّيُوعَةُ فِي طَلَاوَةِ مَهْدِهَا
فَارَقْتَنَا ، فَاهْتَاجَتِ الخَاجَات	أَنْتِ الصَّبَا ، وَالْحُسْنُ فِيكَ طَبِيعَةٌ
وَنَفَحْتَنَا ، إِنَّ الهِنَا نَفَحَات؟	هَلَّا أَعَدَّتْ إِلَى النَفُوسِ بَهَاءَهَا

أهفو إليك ، تشوقني النِّبَرَات
يشفيك ربِّي ، والشِّفاءُ هِبَات
(عَمْرُ) السَّمَاةِ ، والهَوَى لَفَحَات
أنت الغمامُ تسوقه القُرْبَات
سألتُ ، واشتدتُ بي الغمرات
ويرجُّها ، فاهتاجتِ الحَسَرَات
مثل الكتاب ، وماله صَفَحَات
حتى علت بضميري الدَّعَوَات
ولتذهب الأوجاعُ والرَّعَشَات
لرحمتي ، إنَّ الوفا تَبَعَات
وارحمه من مَرَضٍ بِهِ كَبَوَات

أنا (يا أمير المؤمنين) مَمْرُقٌ
أسرع الأقدارَ رحمة ربِّنا
للهم فاشفِ حبيبَ قلبي إنَّه
يا أيُّها (الفاروقُ): أنت ربيغنا
لما رأيتك لا تجودُ بهمسمةٍ
ورأيت رأسك والدوارُ يلفها
ورأيت كفاك ليس تُمسِكُ بعضها
ما إن رأيتك لا تُحركُ ساكناً
(عَمْرُ) الوفاء شفاك ربك عاجلاً
لو أنَّ عينك أبصرتني هكذا
رباهُ ، أذهب بأسسه وشكاته

ولكن الله سلم! (ابني يوسف)

(في يوم الجمعة الموافق الثاني من ربيع الثاني لعام 1430 هـ الذي يوافق السابع والعشرين من فبراير لعام 2009م ، أجريت لولدنا يوسف الصديق عملية الزائدة الدودية بالمستشفى القاسمي بالشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة. وأخبرنا الطبيب أنها قد انفجرت منذ يومين ، وأنه لا أمل في الشفاء وأيده على ذلك زملاؤه الذين حدثنا عنهم ، فأخذت أثبت له أن الله هو الشافي ، وإنما عليك إجراء العملية فقط ، وكانت معجزة ربانية أن يظل الولد قبل وبعد العملية على قيد الحياة ، فحمدنا الله عز وجل واسترجعنا ، وقلنا إن الله في خلقه شؤناً وإن له سبحانه عليهم منناً ونِعماً جمّة. وقال ابن عجيبة في تفسيره: "إذا عَلِمَ العبدُ أن الله كافٍ جميع عبادته ، وثق بزمانه ، فاستراح من تعبهِ ، وأزال الهموم والأكدار عن قلبه ، فيدخل جنة الرضا والتسليم ، ويهب عليه من روح الوصال وريحان الجمال نسيم ، فيكتفي بالله ، ويقنع بعلم الله ، ويثق بزمانه. البحر المديد. ولما نزل بحذيفة بن اليمان الموت جزع جزعاً شديداً فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: ما أبكي أسفاً على الدنيا بل الموت أحب إلي ولكني لا أدري على ما أقدم على الرضا أم على سخط؟ ابن أبي الدنيا: المحتضرين. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له". رواه مسلم. والمؤمن إذ يصنع الله به ذلك كما قال ابن القيم في فوائده: "يتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه فيشكره عليها ، ويضرع إليه أن لا يقطعها عنه ، وأن السيئات من خذلاته وعقوبته فيبتهل إليه أن يحول بينه وبينها". ويروي ابن القيم عن الشيخ عبد القادر الجيلاني وصيته لولده التي قال فيها: "يا بني إن المصيبة ما جاءت لتهلكك وإنما جاءت لتمحصك ، يا بني القدر سُبُع والسُبُع لا يأكل الميتة والمقصود أن المصيبة كير العبد الذي يُسبك به حاصله فإما أن يخرج ذهباً أحمر وإما أن يخرج خبثاً كله". الطب النبوي. ومن هنا يبرز موقع الرضا بقضاء الله وقدره! ولقد كتب الفاروق إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - يقول له: (أما بعد ، فإن الخير كله في الرضى ، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر). وَعَنْ ثَوْبَانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُمَسِّي رَضِيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ. أخرجه أحمد ومسلم والترمذي. وسئل الحسن البصري: من أين أتى هذا الخلق؟ قال: "من قلّة الرضا عن الله" ، فقيل له: ومن أين أتى قلّة الرضا عن الله؟ قال: "من قلّة المعرفة بالله". وعن عبد الرحمن بن إبراهيم الفهري: عن أبيه قال: أوحى الله عز وجل إلى بعض أنبيائه: إذا أوتيت رزقاً مني فلا تنظر إلى قلته ، ولكن انظر إلى من أهداه إليك ، وإذا نزلت بك بلية فلا تشكني إلى خلقي ، كما لا أشكوك إلى ملائكتي حين صعود مساونك وفضائحك إلي! (المنتخب من كتاب الزهد والرفائق ، للخطيب البغدادي). ونشهد الله أننا رضينا بما حدث ليوسف واحتسابنا عند الله! وكنت قد كتبت هذه القصيدة أثناء العملية الجراحية التي أجريتها ليوسف! فقط انشغلت بالدعاء والصلاة ، والكتابة ليوسف أوصيه بالصبر والاحتساب!

اشكركم لربك - إذ أجازك - ، واسجد

وزد التضرع والتعبّد ، واحمد

واعلمم بأن الله بالغ أمره

فاصبر على أمر القضاء ، وغرد

هذي هي الدنيا ، وذلك سَممتها
والمرءُ بين بلانها وهنائها
واسأل عبيداً جرَّعتهم سُمتها
لم يَظنوا لمرارها وفتونها
وأبوك أعيثه المصائبُ جمّة
عظمَ البلاءُ ، وللدغول وقعها
صُورُ الفنا شتى ، وأعتاها إذا
وفزعتُ إذ قالوا الفتى في مِحنةٍ
فقصدتُ أهلَ الطب ، أستبقُ الخطا
فسألتهم ، والخوفُ يغمُرُ همّتي
والقومُ ما احتفلوا بعبرةٍ والِدِ
أسمى تشاطره الهمومُ حياتهِ
ويظنُّ يعتصرُ النحيبَ مُعانيّاً
وفتّى سَقته العائداتُ كوسّها
ورثتُ - لحالِ الطفل - أفئدة ثوت
أرايتُ أمّك ، والوجومُ يؤزّها
تبكي ، ويفقِدُها الوجيبُ ثباتها
وأنا أخففُ ما تُعاني من أسى
وأكرّرُ: احتسبي البليّة ، واصبري
وأسوقُ من قصصِ النبيين الألى
وأسوقُ من سيرِ الصحابةِ علها
ورأيتني والدمعُ يَخنقُ خاطري

وصنيغها ، فامهدُ لنفسِك ، واهتد
وشقّانها وعذابها المتجدد
فعدوا كمثل البائسين الشرد
وسعيرها الملتهمُ ب المتوقد
حتى استكان - لها - بقلب مُكمد
في نفس عبيدٍ مُخبطٍ متوجّد
ذهبَ الفنا يوماً بصفو المَورد
ولسوف يَخضعُ - للجراحة - في غد
والله يعلمُ وحده ما مقصدي
والقلبُ بين مُكبّـل ومُطرّد
تُضنّيه أنّة مُستضام مُجهّد
فيقيقُ مُشغلاً بطول تهجد
من عالمٍ يحييا بليلاً أسود
فبكّته - من أهليته - خفقة أكبّد
وتأسفتُ كمدّاً لأبئس مشهد
والبؤسُ يُزري بالشباب الأغيّد؟!
ودموعها انحدرت كبحر مُزبد
وأقول: رفقاً يا حليّة ، واصمدي
وأسوقُ أنكاراً ، وأجهـر: رددي!
خاضوا البلاءَ بهمةٍ وتعبد
تهدي لحال مُستساغ أرشد
إذ قال قائلهم بدون تردّد:

عَزَتْ سَلَامَتَهُ عَلَيَّ مَنِ طَبَّبُوا!
وَخِلَافَهُ رَهْطُ أَمْرٍ مِّنَ الرَّدَى
يَا أَهْلَ نِكْرِ الطَّبِّ لَا تَتَمَرَّدُوا
كَمْ غَرَّ بَعْضَكُمْ الْغُرُورُ بِكَيْدِهِ!
وَهَلِ الشِّفَا رَهْنٌ بِمَا تُزْجُونَهُ
الطَّبُّ أَشْرَفُ رَتْبَةٍ وَمَكَانَةٍ!
الطَّبُّ أَرْفَعُ مِمَّنْ تَزِيءُ جَاهِلُ
لِيَقُودَ - نَحْوِ الْيَأْسِ - قَلْبَ مُعَذِّبٍ!
فَطَفِقْتُ أَوْسَعُهُ بِنَصْحِ مُخْبِتٍ
يَا صَاحِبِي ، وَفِرْ تَشَاؤُمَكَ الَّذِي
إِنَّا لِأَهْلِ عَقِيدَةٍ وَشَرِيعةٍ!
فِيمِ التَّلَاعِبِ جَهْرَةٌ بِعَقُولِنَا؟
لَوْ شَاءَ رَبُّكَ أَنْ يَعْيشَ مَرِيضُنَا
وَلِنُنَّ أَرَادَ اللَّهُ مَوْتَ سَقِيمِنَا
وَاللَّهُ مَنَّ - عَلَيَّ الْغَلَامِ - بِجُودِهِ
أَنْجَاهِ مِمَّنْ مَوْتَ زَوَامِ مُحَدِّقِ
سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ سَأَلْتُ الْفَتَى

وَنَجَاثِهِ حَتْمًا سَأَلْتُ مَنِ يَدِي!
مَاذَا نَوْمَلٌ مِّنْ عُنَاةٍ عُنْدِ؟
فَقَدْ افْتَرَيْتُمْ بَعْدَ طَوْلِ تَمَرْدِ
خَابَ الْغُرُورُ بِمَا يُؤَزُّ ، وَيَعْتَدِي
مِنَ طَبِّ مَطْمُوسِ الْبَصِيرَةِ أَنْكَدِ؟
الطَّبُّ مِحْرَابٌ ، وَمَمْضَةٌ فَرَقْدِ!
كَمَالَ الْكَلَامِ بِمَنْطِقِ الْمُتَزِيدِ
ثُوبَ الْكِرَامَةِ وَالشَّجَاعَةِ يَرْتَدِي
أَمَلَاهُ طَوْلٌ تَذَلِّي وَتَهْجِدِي
يُرْدِي كَسَمِهِمْ فِي الْجَوَانِحِ مُقْصِدِ
وَمُصَابِنَا الْأَعْتَى بِفَقْدِ (مُحَمَّدِ)
إِنِ الشِّفَاءُ مِمَّنِ الْمَلِيكَ السَّيِّدِ
فَلَسَوْفَ يَحْيَا ، فَاثْتَمَثَلْ لَا تُرْعَدِ
سَيِّمُوتُ - مَا هُوَ فِي الْحِمَامِ - بِأَوْحَدِ
وَأَقْرَرْ أَعْيُنَنَا بِنَجْحِ مُرْفِدِ
وَحَيَاتِهِ كَمْ أَذْهَلَتْ مِمَّنْ عُودِ!
مِنَ مَيْتَةٍ ذَهَبَتْ بِصَبْرِ الشُّهْدِ!

محاكاة لامية ابن الوردى!

(لم يكن لي ولعٌ أبداً بمعارضة لامية ابن الوردى! وليس ذلك زهداً في قصيدته ، لا وربى! ولكن لأنها دسمة ويصعبُ استيعابُ فكرتها واستقصاءُ مرماها واعتلاءُ متنها بسهولة! هذا فضلاً عن مُساجلتها أو مُحاكاتها أو مُعارضتها! وذات يوم فوجئتُ بإعجاب أحد أبنائي بها ، وقال لي ألا تُحاكيها؟ فقلتُ: ولم؟ قال: ابن الوردى شاعر يُوصي ابنه! فلماذا لا توصيني كما فعل ابن الوردى مع ابنه؟! فقلتُ: أفعل إن شاء الله! ولا شك أنني لا أدعي لنفسى أن مُحاكاتي لابن الوردى في لاميته أفضلُ من لاميته! بالطبع لا! فله السبقُ والفضل ، ولي شرفُ المحاولة! وأنا أحترمُ ابن الوردى - رحمه الله - وأكادُ أجزمُ بأننى استمعتُ وطالعتُ لاميته مئاتِ المرات على مدى عقدين من عمري! وكل شاعر لا يحترمُ الشعراءَ الآخرين من أتباعِ ملته وأنصارِ عقيدته يسقط من نظري بمقدار عدم تقديره لهم! وأعتبره شاعراً وضيعاً وخسيساً من يُحاول أن يصل على أكتاف الشعراء الآخرين! لقد حاول هذه المحاولاتِ الدنيئةُ القدرة شعراء كثيرون ومستشعرون أكثر ومتشاعرون أكثر وأكثر على مدار التاريخ! وباعت محاولاتهم بالفشل الذريع المريع ، وبأوا بالخبية المضحكة المبكية! لأن الشعراء والنقاد والكتاب والأدباء كانوا لهم بالمرصاد! فغربل ما كتبوه بغربال النقد الموضوعي المنصف ، ونخل ما كتبوه بمنخل النقد المحايد المتجرد! ووضع كل ما خلفوه من نتاج شعري منتحل فوق مجهر النقد والتحليل! وعندنا والله الحمد من المحيط إلى الخليج نقادٌ نحاريرون نفايرين ، وأكاد أقطع بأنهم كانوا في الغالب الأعم منصفين متجردين مبينين للحق وناشرين للحقيقة بحيدة وموضوعية! ومعاذ الله أن أنال من القاضي الفقيه النحوي الشاعر عمر بن الوردى ، في محاولةٍ رخيصةٍ مكشوفةٍ ماكرةٍ خبيثةٍ لأظهر وأشتهر! يشهد الله تعالى أنني لا أحب الظهور ولا أهل الظهور ، ولا أحب الشهرة ولا أهل الشهرة! بل سيظل ابن الوردى الشاعرُ الفقيهُ النحويُّ البلاغيُّ المؤرخُ العظيم في مقامه السامي ومنزلته الرفيعة! وستظل قصيدته اللامية من عيون شعر العرب! وسوف أظل أراوُحُ في مكاني ، وقصيدتي ستنزل كشاعرها تراوُح هي الأخرى في مكانها! وتحت عنوان: (شاعر وقصيدة - لامية ابن الوردى لعمر بن مظفر ، ابن الوردى) ، يقول الدكتور بدر عبد الحميد هميسه ما نصه بتصريف: (أما الشاعر: فهو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس. أبو حفص زين الدين بن الوردى المصري الكندي. 691 - 749 هـ / 1292 - 1349 هـ، ولد في معرة النعمان غرب حلب. تولى قضاء حلب ثم قضاء منبج. وهو فقيه وأديبٌ وشاعر. أجاد المنظوم والمنثور. من تصانيفه (تنمة المختصر في أخبار البشر) ، لخص فيه كتاب (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء ثم أضاف إليه أحداث عشرين سنة من (729 - 749 هـ) ، وله (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) ، أكثره في الجغرافية ، وفيه كلام عن المعادن والنبات والحيوان ، ولكن تغلب عليه الصفة الأدبية الخيالية. وكتاب (المنح). وله في الفقه (المسائل المذهبية) ، وله كتب في اللغة والنحو والشعر وعدد من المقامات ، منها مقامة في الطاعون العام ، مقامة الصوفية ، المقامة الدمشقية المسماة (صفوة الرحيق في وصف الحريق) ، أي حريق دمشق. انظر ترجمة ابن الوردى في: الوافي بالوفيات 26/7 ، العبر للذهبي 150/4 ، الأعلام للزركلي 67/5. وأما القصيدة: فهي قصيدة (اللامية) المشتهرة بلامية ابن الوردى ، وتعد من أروع قصائده!). هـ. ولا ينبغي أبداً أن يُهمل الشعراء المعاصرون لامية ابن الوردى ، بل عليهم أن يُحاكوها ، ويهتموا بها ، ويكتبوا على غرارها! فما أحوج الشباب والأولاد والبنات اليوم إلى مثل هذه الوصايا والنصائح التي تفوق الدرر جمالاً وحلاوةً وعذوبةً!

وأتمنى ألا تكون محاولتي الأخيرة من نوعها! بل على كل شاعر تحرير نفيير غيور على القيم والأخلاق والمبادئ ، أن يُشمر عن ساعد الجد ويكتب لنا المحاكاة تلو المحاكاة عن قصيدة ابن الوردي – رحمه الله تعالى رحمة واسعة! وأعتقد – في ضوء اطلاعي على الأدب الإنجليزي وأخيه الفرنسي وأخيها الروسي وأخيهم الأمريكي – أن عمر بن الوردي لو نبغ في إنجلترا أو فرنسا أو روسيا أو أمريكا لكان له شأن أعظم بكثير من شأنه في أمته! ولكن الآخرة خير وأبقى! وتتم الفائدة وتزداد المتعة بهذه القصيدة ، إذا استمعنا للامية ابن الوردي قبلها! وأسأل الله تعالى كما وفقتي لإتجاز هذه القصيدة ، أن يوفق ابني للعمل بما حوته من الحق وتجنب ما حوته من الباطل ، وأسأله تعالى مثل ذلك لمن قرأ وعمل ونشر! هو سبحانه وتعالى ولي ذلك والقادر عليه! والآن لنطالع ما من الله تعالى به علي في محاكاة لامية عمر بن الوردي!

أَيُّ بُنْيَ اسْمَعِ وَصَاتِي ، وَاعْتَدِنِ	والتزم ما جاء فيها من مثل
كَمْ سَهَرْتُ اللَّيْلَ فِي تَأْلِيفِهَا	وإصطفيت النص كي لا أرتجل!
وَانتَقَيْتُ اللَّفْظَ عَذْبًا سَانِعًا	ثُمَّ رَشَّحْتُ تَقَاسِيمَ الْجُمْلِ
وَانتَخَبْتُ الْبَحْرَ يُشْجِي لِحْنَهُ!	إِنْ شَدَا اللَّحْنَ نَأَى عَنكَ الْمَلِ
ذَلِكَ الْبَحْرُ تَرَانِيمًا حَوَى!	هَلْ يُبَارَى - فِي التَرَانِيمِ - (الرمل)؟
لَيْسَ نَظْمًا صُفِدَتْ أَنْغَامُهُ!	مَا اسْتَوَى النِّظْمُ بِتَاتًا بِالرَّتْلِ!
ثُمَّ صَمَّخْتُ وَصَاتِي بِالشُّذَى	شَافِعًا نَصِي بِنَسْرِينَ وَفَل!
بِإِذْلًا أَسْمَى تَجَارِيبي التِّي	عِشْتُهَا ، فَانظُرْ وَقَدِّرْ مَا بُذِل!
نَاصِحًا ، وَالنَّصِيحَ حَتَّى لَازِمًا	كَمْ بِنَصِيحِ زَالٍ عَنِ قَوْمِ خَل!
وَاعْظُمًا وَعَظْمًا يُسَلِّي خَاطِرًا	رَبَّمَا أَنْجَاكَ وَعَظْمِي مِنْ زَل!
تَارِكًا بَعْدِي وَصَاتِي لِلْفَتَى	مِشْعَلًا يَهْدِيكَ إِنْ عَمَّ الضَّل!
أَيُّ بُنْيَ ، اللَّهُ فَاعْبُدْ وَحْدَهُ!	كَافِرَّ عِبُدِّ بِمَوْلَانَا عَد!
وَإِذْكَرَ اللَّهُ ، وَزِدْ فِي حَمْدِهِ	وَزِدِ الشُّكْرَ تُنَعِّمُ وَتُجَل!
وَلِئَلَّ الْأَعْمَالُ أَخْلَصَ ، وَاجْتَهَدَ	وَفَقَّ شَرَعَ اللَّهُ يَا نِعْمَ الْعَمَل!
وَاسْتَعْنُ بِاللَّهِ ، وَانْشُدْ عُونَهُ	وَاسْأَلِ الْمَوْلَى ، فَأَوْفَى مَنْ سُن!
لَا تَسُوبَ الدَّهْرَ ، هَذَا مَطْعَنٌ	يَطْعَنُ التَّوْحِيدَ فِي قَلْبِ الرَّجَل!

والتزم بالأمر ربي سنة
واحترم يا فذل الأنبياء
ثم آمن بالنبى المصطفى!
لا تؤلهن ، ولا تحلف به
وقر الأصحاب ، واقدر شأنهم!
جاهدوا خلف النبى المجتبى
واحترم أسلافنا ، وارفق بهم
واخى بالقرآن لا تنصت إلى
واتل واعمل ، واتبع أخلاقه
إن نويت الفعل أقدم واستخر
وانتقل من بقعة فيها الأذى
لا تقل: كان أبى فى شعره!
فانظم الشعر ، وعش مستعفأ
واحمل الذات على حب التقى!
واردع النفس ، وزد فى كبحها
واطلب العلم ، وكن من أهله!
واقتن الكتب ، وطالع ما حوت
وانهل العلم صواباً خالصاً
إن فعلت صرت حقاً عالماً
وتواضع للورى ، واراف بهم
واحترم شيخاً له أسفاره
واعف عن أخطائه مهما استمت

والتزم بالنهى حتى تعتدل
لا تفرق يافتى بين الرسل
خاتم الرسل ، ومولانا الأجل!
مثلما يفعل أرباب الدجل!
خير جيل لهدى الله امتثل!
ضد أهل الكفر والقوم السفل!
واذخض البهتان عنهم يفتعل
خائض فيه ، فهذا مختبل!
وبتفسير لما يحوى احتفل!
وعلى الله اعتمد ثم اتكل
بغية الدين ، فما أحلى النقل!
بعده كن أنت - فى الشعر - المثل!
واصبرن يا صاحبي صبر الجميل!
وارق بالروح لكى لا ترتذل
إن أردت بالهوى أن تستظل!
كل إشكال له بالعلم حل!
من صحيح العلم للصيد الأول!
لم يخالطه هراء ، أو خبل
واستمى ما حزت من خير النهل
تغد فى نعمى رضاهم وتجل
وله جمع - إلى العلم - ارتحل
ربما الشيخ بما يفتى جهل

هذه الزلاّت يوماً تتدَمَل
تنشر العيب ، فذا خطب جَل!
إن ما حصّلته جهدُ المُقِل!
هل عن الدماء يُغنيك الوشَل؟!
فإذا لم يتبغ خير المَلل
لو أراد الخير يوماً ما هزل!
وادع رب الناس فيها ، وابتهل!
وتعطر ، ثم بگر ، واغتسل
كي تعاف النفس تخذيل النقل
تعس القوت! به المرء استذل!
من ذنوب وخطايا كالجبل
ذكره عالي الصوى لا تسقل!
والندى من طيب الذكرى خصل
إنما الأيام - صدقتي - دُول!
ليس يرقى المرء يوماً بالخمَل
أم حُسام الحق أضناه الفل
لا يحاز المجد - كلا - بالعجل!
أن هذا العيش محتوم الأجل
سنة صحت ، وفاز الممثل!
واذكر المولى ، وسبغ في وجل!
في سنا التأويل بُشرى أو أمل!

لا تؤاخذة على زلاته
لحم أهل العلم مسموم ، فلا
أنت محتاج إلى ما عندهم
علمهم بحر ، فحضر أمواجه
قيمة المرء اتباع للهدى!
فهو مقوت وإن حاز الدنيا!
واحضر (الجمعات) ، واشهد نورها
واشهد (العيدين) ، هذي سنة
وصم الشهر ، وقم في ليله
وتصدق ثغن بعض الفقرا
حج بيت الله ترجع طاهراً
وأدم ذكر الردى يوماً تفز!
إنما الذكرى كقطرات الندى!
لا يدوم الحال ، هذي فريسة
فاغتنم عمرك ، وانشط ، واستقم!
وبسيف الحق جاهذ واعتزم
واسع للمجد إذا ميت بقي
نم وقم وانشط ، وكن مستيقناً
أطفئ المصباح إن نمت ، فذي
وإذا استيقظت كن مسـتغفراً
واحـك للأحباب رؤيا شـفتها!

كذب هذا ، فدع عنك الدجل!
واهجر الحمقى ، ولا تؤوي الهمل!
إنه إن دارت الأيام خـل
هل تساوت أسد غاب بالجعل؟!
قدم حافٍ ، وأمسى الفتعل!
إن أردت الوصف حقاً - أهل غـل
فإذا نياثت تحلوا بالبخل!
لا تُصاحب أي شخص مُختل!
خرقك الأرض مُحالاً ، فاعتدل
واحذر المشي كما يمشي الحجل!
فغلو الصوت يُزري بالرجل
لحمير الأرض ، والقوم السفـل
أكل لحم المرء ميتاً هل يجـل؟!
وإذا النمام وافى فاعتزل!
قولك الحق به العذل اكتمل
لا يسود الحق - كلا - بالوهـل!
مطلب - والله لو تدري - عضـل
هل تساوى الليث يوماً بالحمـل؟!
وإذا ما زرت خفف لا تُطل
سـجيبُ الله عبداً إن سأل
عبرة تُحيي فوئداً قد غـل
وعلى الميت ستارٌ ينسدل

لا تُر العينين ما لم ترياً
واصحب الأفذاذ من أهل الهدى
وأخو التوحيد فاسلك دريئة
لا تقل كل البرايا إخوة
ليس يُعلي النذل مالٌ أو غنى!
وانأ عن أهل انتفاع ، إنهم -
طلبُ الحاجات أقصى جهدهم!
وتجنب كل نذل حاقـدٍ
صاح في مشيك فاقصد ، واتنـذ!
فالهويني سـر ، وأقصر في الخطا!
واغضض الصوت لتلقى مُصغياً
أنكر الأصوات تدريها لمن؟!
واحذر الغيبة ، واهجر أهلها
وابتعد عن هامز أو لامز!
وقل الحق ، وإن ضج الـورى
صاحب الحق قـوي قلبه
وأنا أدري: عزيزٌ مطلبـي!
كل حق يبتغي ليث الشرى!
وزر المرضى ، وكن برأ بهم
وادع للمرضى جميعاً بالشفـا
واحمل الميت للقبـر وحـز
واشهد الهدى دفنٌ بعينى راحـل

إن للموت اعتباراً لا يُمل
أصبح القبرُ - عن البيت - البديل
رحمَ الله الـدفينَ المرتحل!
لكن النجمُ - عن الدنيا - أفل!
وترابُ القبرِ يُؤذي والجِرل!
إنما يونسُ - في القبر - العمل!
مزحة الكذاب يعلوها الخطل
كيف ينأى عن أباطيل السفل
فانبرى يُشجيه تليفُ الزجل
من لذيذ الشرب ، أو أشهى الأكل
أو كغيثٍ - في بيادينا - هطل!
وتكلفَ طيبَ العقبى تنل!
ضيفك الشهمُ بأرض الدار حل
إنما - في الدار - للخسنى نزل
وهدايا الحب تُويها المقل!
مَدك الكف لقوتٍ لا يحل!
لم يخنُ صحباً ، ويوماً ما خذل
إنما - بالطب - تُستجلى العلل
وكُنن الأب ، إذا الأب رحل
لمليك الناس أوجاع الغيـل
ونمت أشواكه مثل الأسـل

صفحة بالموت لاقنت طيها
واسأل التشبـهت للمجنون إن
حاله يُبكي عيوناً ما بكت
كان بين الناس نجماً ساطعاً
أوحشَ القبرُ ، وسادت ظلمة
واعتدى الخوف ، فهل من مونس؟!
أي بُني امزح ، ولكن صادقاً!
إن تكن تُضحك غيراً لا يعي
لكن المزحة أوهت عزمه
واستصف أهل التقى ، وابذل لهم
كن لهم - إما استضيفوا - خادماً!
أكرم الضيف ، فهذي مدحة
وابسط الوجه ، ورحب عندما
لم يكن ينشُد لقيماً أو قري!
أهد من أحببت تأسر قلبه
واجتهد في العيش ، واكدح ، واكتسب!
عش عزيز النفس شهماً طيباً
وتداوى إن تداعتِ علة!
وارحم الأيتام ، واجبر كسرهم
وامسح الدمعة سالت تشـتكي
وامسح الرأس تـلن قلباً قسا

مِن عِيُوبِ أَسْأَلُمْتُهُ لِلشَّلَلِ
يَرْدُعُ الخِصْمَ بِلا أَدْنَى خَجَلِ
كَم أَفاقِ الشَّعْرُ مِنْ غِرِّ ثَمَلِ!
هَل تَساوى الوَرْدُ يَوْماً بالبِصَلِ؟!
ما اسْتوى الشَّعْرُ لَنَا وَالْمَنْتَحَلِ!
رُبَّ رِيثٍ جِاءَ مِنْ بَعْدِ العَجَلِ!
وَنِوالٍ المَجْدِ يَأْتِي بِالمَهَلِ!
فَبِنَصِّ الذِّكْرِ يَغْدُو كالمَطَلِ
وَعلى التَحْرِيمِ نَصٌّ يَشْتَمَلِ
واقْرأِ الأيَّاتِ جِاءَتْ بِالفِصَلِ
أَنَّكَ اللِّيثُ غَيُوراً لَمْ تَزَلِ
إِذْ أَقْرَ الفَحْشَ يُودِي بِالأَهَلِ!
كَأَذْبٍ غَالٍ ، وَبِالْجَنِّ اتَّصَلِ
فَإِذا ما سِرْنَ جَرَدْنَ السَّبَلِ
كَم بَعشِقِ الغَيْدِ هَيْمَانٌ قَتَلِ!
لَمْ يُرْعَهْنَ المَصْمِيرُ المُقْتَبَلِ!
وَاتباعِ الحَقِّ يَشْفِي مِنْ غَلَلِ
مَنْ يَخْضُ بِحِراً تَسْلَى بِالبالِ!
مَنْ أَطاعَ الحَقَّ - فِي الدُّنْيا - نَبَلِ
أَمْ دَهَى العَيْنينِ - فِي البَلْوى - الحَوْلِ؟!
لَيْسَ جِدَّ المِرءِ يُفْضِي لِلْفِشَلِ
كَاغْتِيالِ الذَّنْبِ غَدِراً بِالوَعَلِ!

أَيُّ بُنْيِ الشَّعْرِ صُغِهَ سِالمُ
وَاجْعَلِ الشَّعْرَ حُساماً قاصِلاً
وَيُفِيقُ الخِصْمَ مِنْ أهْوائِهِ!
لَيْسَ شِعْرُ الحَقِّ يَوْماً كالأَهْرا!
واحْذِرِ السَّطْوَ عَلى شِعْرِ الوَرى
لا تَكُنْ فِي نَشْرِهِ مُسْتَعْجِلاً
قَوْلِكَ الأَشْعارَ مَجْدُ ، فَاصْطَبِرْ
واحْذِرِ السَّاحِرَ ، أَبْطَلْ سَحْرَهُ
وَمَدَى الدَّهْرِ اجْتَنِبْ أَكَلِ الرِّبا
وَاجْتَنِبْ خَمْرَةَ تَسْبِي الحِجْبا
وَعلى الأَهْلِ فَعِرْ كَيْ يَعلَمُوا
تَعَسَّ الدِّيوثُ يُخْزِي أهْلَهُ
لا تُصَدِّقْ كاهِناً مَهْماً غِلا!
واحْذِرِ الإِسْبالَ ، هَذَا لِلنِّسا!
واحْذِرِ الغَيْدَ وَرَباتِ الهِوى
كَم حِسانِ لَمْ يُغْلِبَنَّ الحِيا
سافِراتٌ بَغْنَ دِيناً وَتَقى!
فانْأَعْنِهنَّ ، وَجاهِدْ فِتْنَةَ!
هَذِهِ الأَعْراضُ خانتَ هَدْيَها!
ذا جَمالٍ لا يَساوى نَظْرَةَ!
إِنْ غَضِضْتَ الطَّرْفَ تَخْرُجُ سِالمُ
إِنْ هَذَا الحَسَنُ يَغْتالُ الفَتى

أَعْيُنٌ صَادَتْكَ حَسَنَاءٌ نُجُلُ
مَا اسْتَوَى الشَّمْعُ لَدِينَا بِالشَّعْلِ!
مَا اسْتَوَى الحَلْيُ - لَدِينَا - بِالْعَطْلِ!
مَهْرُهُنَ الجِدْفِي خَيْرَ العَمَلِ
أَمْ تَسَاوَى الكُحْلُ - صَرَخَ - بِالكَحْلِ!
تَفْتَكُ الأَسْدَانُ فَتَكَاً بِالْإِبْلِ!
تَحْتَرِقُ بِالنَّارِ حَتْمًا إِنْ تُطِلْ!
لِمَ يُسْتَتِرُهُ خِمَارٌ مُنْسَدِلْ!
عَاصِمٌ مِّنْ كُلِّ عَيْنٍ لَا تَكِلْ
كَيْفَ تَحْظِي مِنْكَ هَذِي بِالغَزْلِ؟!
بِالتي الحُسْنُ لَدِيهَا مُبْتَدِلْ؟!
هَلْ تَسَاوَى الشَّيْخَ يَوْمًا بِالْعَسْلِ؟!
جُرْحُ هَذَا العَشِقِ لَيْسَ المُنْدَمِلْ!
وَفَقْ شَرَعَ اللهُ ، لَا شَرَعَ السَّفْلِ!
وَإِلَى الأَنْغَامِ يَوْمًا لَا تَمِلْ
وَدَهَى المَغْرَمَ بِاللَّحْنِ الهِبْلِ!
كَلِمَا رَجَّعَ أَنْغَامًا سَعْلِ!
وَلِهَ فِي كُلِّ حَفْلٍ مَظْهَرِ!
أَيُّنَ عِبْدٌ جَارٌ مِّنْ عِبْدِ عَدْلِ؟!
وَبِبِذْلِ القَوَاتِ للجُوعِ بِخِلْ؟
لِمَ يَكُنْ يُعْطَى رِيَالًا إِنْ سُئِلْ؟!

وَعِيُونَُ الغَيْدِ تُودِي بِالنَّهْيِ!
فَاذْكَرِ الحَوْرَاءَ فِي المَأْوَى غَدَاً!
إِنْ حُورِ العَيْنِ أَعْلَى رُتْبَةِ
لَا تُقَارُنْ بِاللَوَاتِي فِي الدَنَا
إِنْ حُورِ الطَّيْنِ أَدْنَى فِي الحَلَا
نَظْرَةَ للغَيْدِ قَدْ تُرْدِي كَمَا
غَضَّ مِنْ إِبْصَارِ عَيْنٍ تَشْتَهِي!
خَابَ حُسْنٌ لِمَ يُغْلَفُهُ الحَيَا
زِينَةَ الحَسَنَاءِ سِتْرٌ سَابِغِ
وَتَرْفَعُ عَن جَمَالِ مُزْدَرِيْ!
هَلْ تَسَاوَتْ هَذِهِ فِي سِتْرِهَا
إِنَّمَا الفِرْقُ تَسَامَى وَصَفَهُ
احْذَرِ العَشِقَ زَهَتْ أَرْجَاسُهُ!
اعْشِقِ الغَادَةَ زَكَاهَا الحَيَا
وَالأَغْنَانِي لَا تُعْرِ أَدْنَى لَهَا
ذَهَبَ اللِّحْنُ بِقَلْبِ وَالنَّهْيِ
وَمُؤَدِيهَا نَشَاؤُ صَوْتَهُ
وَلِهَ فِي كُلِّ حَفْلٍ مَظْهَرِ!
وَتَأْمَلُ فِي البَرَايَا ، وَاعْتَبِرْ!
أَيُّنَ عِبْدٌ غَرَدَتْ أَمْلَاكُهُ
أَيُّنَ عِبْدٌ ضَوَّعَتْ أَمْوَالُهُ

مَن إذا رأيَّ تخطأه انفعَلَ!
ففي تقبي بالمعالي مُشْتَغَل
نَحَلَ العِزْمُ كما الجسمُ نَحَلَ!
كل ما قَدَمِ مِنْ سُوءٍ وَجَلَ
غَيِّبَا بِالْفَتْهَى مِنْذُ الأَزَلِ!
وسألنا: كيف؟ والرد: لعل!
تاركاً قِصراً و(كاباً) والخَلَلَ؟
جابت الدنيا وصارت في (زحل)؟
زايلوهما ، واسـتقلوا بالقلل؟
أين أصحاب المعالي والثقل؟
بالذي اختاروه قد كان العمل؟!
زمرُ الناس لـذا الأمرُ اعتدل؟!
وأحلوا قومهم أشقى السبل؟!
لم يثُنبُها من عيوب أو حيل؟!
رغم نَحْتِ لبيوتٍ في الجبل!
رجفة أودت بكبيدٍ مُضْمَل!
ولـة كبرُ الملوكة المُشْمَل؟!
ولـة في كل إقليم (فَل)!
وجيادٌ في مغانيها ذلل؟!
دون خوفٍ أو حياءٍ أو خجل
واللـة للقطيع المُسْتَذَل!
أين قومٌ ذك الطاغى قتل؟!

أين ذو الرأي مضت آراؤه!
فتفكر في مآلات السورى
وشقى سادراً في غيّه!
كل عبدٍ منهما أفضى إلى
أين غابا ، لم يعودا بيننا؟!
وسألنا: أين؟ والرد: قضوا!
أين ذو الصولة ولى مدبراً
أين أصحاب التجارات التي
أين أصحاب العمارات التي
أين أصحاب المعاصي والهوى؟
أين أهل الخَل والعقد الألى
أين أهل الحسبة انصاعت لهم
أين قومٌ عربدوا في ذي الدنا
أين قومٌ أصلحوا أعمالهم
أين (عادٌ) أو (ثمودٌ)؟ أهلكوا!
أين غارت (مدينٌ) لَمَّا عَتَتْ!
أين (كسرى) في مغاني فارس
أين في (روما) (هرقلٌ) حاكمٌ
أخبرونا (قيصرٌ) أين ثوى
أين (فرعونٌ) وما كان ادعى
قال للأنام: إنى ربكم
أين ولى؟ أين ولى ما ادعى؟

مصدرَ الكِبَرِ وناقوس الخبل؟!
 ما العبدِ مثلُ هذا من قَبَل!
 فغدا - في الناس - جباراً يُنزل؟!
 أينَ مَنْ ولاءُ رأساً أو عزل؟!
 مجذُه اليَومَ ببرلينِ طلل!
 وخرُوبٌ خاضها الشهمُ البطل?
 وبإسلامِ له المُلُكُ اكتمل
 نصُّ ما قالَ الحديثُ المتصل
 لستُ أروي النصَّ عنه لم يقل!
 (تُبَّع) ولى ، وصيتٌ قد فضَّل!
 رب أرجعها لِمَاضٍ قد رحل!
 يومَ قالت أسلمتُ والخيرُ حل؟!
 فاستشارتُ قومها لم ترتجل
 ليت شعري ، سبقَ السيفُ العذل!
 اقرأوا القرآنَ والسبعَ الطول!
 أقبلوا في مَشهدٍ فذِ خَفِيل!
 إن يكنْ بالذِكرِ حقاً يَشْتَغَل
 وهبوا المالَ رخيصاً والجِل?
 اسألوا (الشامَ) عن السحرِ بطل!
 سائلوا (بغدادَ) تحكي ما حصل!
 يُصبِحُ المعبودُ (لاتاً) أو (هُبَل)!

أين (قارون) وأموالٌ غُدت
 غيرُ مسبوقٍ لعبدٍ مثله
 أين (هامانُ) وبأسٌ حازه
 خبِروني أين ولى (هتلر)؟
 أين (بسمارك) ومجدٌ قد بنى؟
 أين في (صنعاء) ولى (تُبَّع)
 اليمانيُّ ازدهى في مُلكِه
 لا تسبوا ثُبَّعاً يا قومنا!
 إذ رواه (أحمد) عن (أحمد)
 (سبأ) تروي لنا عن (تُبَّع)!
 يَمُنْ (التبَّع) ولتْ وانقضت!
 أين (بلقيس) بها المُلُكُ شدا
 و(سليمان) دعاهما مُخلصاً
 فاهتدتُ للحقِّ لَمَّا أذعنْتُ
 (سبأ) تحكي لنا أخبارها
 لستُ أنساها وأجناداً لها
 سورة (النمل) تُسلي مَنْ تلا
 أين (ديهيا) والأمازيغ لها
 و(زنوبيا) أين ولى عهدُها؟!
 أين (كوبابا)؟ فهل من عبرة؟!
 تعسَ المُلُكُ يُدسِّي عندما

و(أثينا) ترتدي البُرْدَ السَّمْل
يرقبُ الأفلاك ، يُمسي في شغل؟!
أين بأسُ الملك تُؤويه الثل؟
واضعاً بالسيفِ حَدّاً للميَل!
في سني أربعين السعي ضل!
أوليس القومُ فيهم من عقل؟!
ودماء الأبرياء في الجيد غل
في يدِ سَوط ، وفي الأخرى كَبَل!
أين جبارٌ له أعتى النكل؟!
مارسَتْ دَورَ الرِجال المُكتمل!
واقرا التاريخ ، وادرسْ واسدَل!
واسسْتَهانت بالبلايا والغِيَل؟!
مثمما الغيرُ تسلى بالعِلل
ما تساوى التمر يوماً بالدقل
مالها - عن سُدة الحكم - حِول!
غازل الحِنا ، وأهداها القَبَل
في الرواحات وإن حطتْ أضل!
ذهب الخبُّ ، ويبقى ما هزل
همس الصَّبِّ ، وأحياناً زَجَل
ويح قلب بالتجني قد تُبَل!
وهي عجفا قد أصيبتْ بالطحل!
راجع النفسَ وأبدي من ذعل!

أين (سُولون)؟ مضى إجرامها؟!
أين (بطليموس) في تجيمه
و(كليب) أين في أعرابه؟!
وانبرى (الجساس) للظلم عتى
وإذا (بكر) تلاحى (تغلباً)
والسوفُ أزهِقوا في ناقية
وكذا (الحجاج) بالسواى مضى
أين أجناداً أطاعوا أمره؟
أين بطش؟ أين قهر؟ أخبروا!
أين (حتشبسوث) والمُلك ازدهى؟!
أصلحت داراً وأرضاً وقبرى!
كيف سادت قومها في عزة
لم تقل: أنثى ومالي حياة
إنما فاقت ببأس غيرها
أين (كليوباترا) بالحكم استمت؟
أين من قد صاغ شعراً ساقطاً؟!
وصف الموعِد جَاءت قبله
وصف القَد ، وجلى ميسة
وصف الصوت يُناديها به
وصف القلب دهاه جبهها
جعل الشوهاء ألقى عادة
جَرَد الحُسن من الثوب ، وما

مِنْ بَقَايَا الْجِسْمِ بِالنُّثُوبِ الْمُخِلِّ!
 فَلَمَّ الطَّاعَةَ ، وَالْحُسْنَ ابْتِذُلْ
 بِجَمِيعِ الْقَبِيحِ وَالسُّوْأَى حَقْلْ
 رَوَّجَتْ لِلْفِسْقِ دَهْرًا وَالِدَعْلْ!
 وَاضْعَا فِيهَا خَبِيثَاتِ النَّحْلِ!
 طَافَتْ الدُّنْيَا جَنُوبًا وَالشَّامِلْ!
 وَلَمَّ الْأَعْوَانُ ذَاوُوا وَالشِّمْلْ
 حَوْلَهُ الْحَمَقَى تَدَاعَوْا وَالشُّبْلْ!
 وَالشُّبَابُ مِنْ لَظَى السَّبِّ اِكْتَهَلْ!
 ذَهَبُوا ، وَالْعِلْمُ بِسَاقِ لَمْ يَزَلْ
 كُلَّ مِعْطَاءٍ عَلَى الْأَجْرِ حَصَلْ
 وَسَيُجْزَى كُلَّ عَبْدٍ مَا عَمَلْ
 فَاطْلُبِ الْحُسْنَ لِأَبِّ قَدْ رَحَلْ
 عِنْدَ لِقَايَاهُ إِذَا جَاءَ الْأَجَلْ
 وَرَدَّهُ فَاح ، وَوَرَدِي قَدْ ذُبَلْ
 نَصَّةَ الصَّبِّ ، وَنَصِي الْمُكْتَهَلْ
 فَرَأَيْتُ النَّصَّ بِالْخَيْرِ اِكْتَمَلْ
 هُوَ مِنْ تَوْفِيقِ مَوْلَايَ الْأَجَلْ
 هُوَ مِنْ تَدْلِيسِ شَيْطَانِي الْأَذَلْ
 أَدْرِكِ الْخَيْرَ بِهِ أَعْطَى الْأَمَلْ
 وَدَعَا الْمَوْلَى دَعَاءَ الْمُبْتَهَلْ

فَإِذَا الْهَيْفَاءُ تُبْدِي مَا اخْتَفَى
 أَمَّةٌ كَانَتْ ، وَهَذَا سَيِّدُ
 هُوَ قَدْ وَلَّى ، وَبِيقَى شِعْرُهُ
 أَيَنْ مِنْ خَطِّ الرُّوَايَاتِ التِّي
 أَيَنْ مِنْ أَلْفِ أَفْكَارٍ غَوَتْ
 تُرْجِمَتْ لِلنَّاسِ فِي كُلِّ الدُّنَا
 أَيَنْ مَنْ سَبَّ (النَّبِيَّ الْمُصْطَفَى)؟
 فِي الْهَجَا وَالطَّعْنَ أَضْحَى ضَيْغَمًا
 صَاغَ فِي الشَّتْمِ كَلَامًا فَاحْشَا
 أَيَنْ أَهْلَ الْعِلْمِ بَثُوا عِلْمَهُمْ
 أَيَنْ أَهْلَ الْجُودِ جَادُوا حِسْبَةً؟
 سَيُعِيدُ اللَّهُ يَوْمًا خَلْقَهُ
 أَيُّ بُنْيَ اِعْلَمَ بِأَنِّي رَاحِلٌ
 وَاسْأَلِ الْمَوْلَى لَهُ خَيْرَ الْجَزَا
 ثُمَّ لِابْنِ الْوَرْدِيِّ لَا تَنْسَ الدَّعَا
 وَلِيَّ الْعُذْرُ إِذَا حَاكَيْتُهُ
 وَلِرَبِّي الْحَمْدُ إِذْ وَفَّقَنِي
 إِنْ يَكُنْ فِي النَّصِّ خَيْرٌ يُجْتَنَى
 أَوْ يَكُنْ فِي النَّصِّ شَرٌّ يُتَّقَى
 قَيِّضَ اللَّهُ لِنَصِّي مَنَ إِذَا
 وَأَذَاعَ الْخَيْرَ يَرْجُو أَجْرَهُ

أو رأى سـوءاً لينصـح مُخلصاً وعلـيَّ - في الـورى لم يـستـطل
أدمـيَّ قـد بـدت أخطـاؤه مثـلـمـا آدـم يـا قـومـي أكـل
أدمـي إن تـعدى أو عـصـى صـدقـوني: أدمـي لـم يـزل!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

وصاة: وصية. مُثَل: مبادئ وقيم. اصطفت: أي اخترت. أرتجل الكلام: أقوله على غير استعداد. يُشجى: يُطرب. نأى: ابتعد. ضمخت: صببت عليه العطر. الشذى: رائحة العطر الفواح. نسرين: زهر عطري. تجاريب: تجارب. خلل: عيب. الضلل: الضلال. ترانيم: أنغام. يبارى: يُقارن. صفت: وضعت عليها الأصفاد أي القيود لتظل في قيد الأسر. الرمل: هو البحر العروضي الذي صيغت عليه قصيدتنا (محاكاة لامية ابن الوردى). نظم: نسق يأخذ شكل القالب الشعري ، ولكن ليس فيه خيال ولا صور ولا محسنات. الرتل: النظم المسجوع. عدل بمولانا: أي أشرك مع الله إلهاً آخر ، والفعل مأخوذ من قول الله تعالى: (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون). تُنعم: يصيبك النعيم. تُجَل: يصيبك الجلال والهيبة والوقار. فأوفى من سئل: أي أن الله تعالى يوفي للمتضرع له بالدعاء فيستجيب دعاءه. سنة: شرعه. الفذ: هو الذكي العبقري من الناس. مولانا الأجل: أطلقت في هذه القصيدة في سياقين الأول عنيتُ به الله رب العالمين باعتبار أن (المولى) اسم من أسماء الله تعالى ، والثاني عنيتُ به النبي - صلى الله عليه وسلم - لا توله: لا تعبد. أرباب الدجل: أصحاب الخرافات من ذوي العقائد الفاسدة والنحل البائدة. وقر الأصحاب: اقدر شأنهم واحترمهم. القوم السفل: أي السفلة من الناس ، الذين ليس عندهم قيم ولا مبادئ. خانض: قائل بغير علم. بُغية الدين: من أجل الدين. النقل: جمع نقلة وتعني الانتقال من مكان إلى آخر. مستعفاً: مستغنياً عن الناس. انهل العلم: ارتشف العلم طبعاً على الاستعارة. هُراء: هو القول الذي لا صحة له. واستمى: علا شأنه. النهل: الارتشاف والشرب بنهم. نعمة: نعمة. أسفاره: كتبه. ارتحل: شد الرحال في طلب العلم. زلات: أخطاء وهنات. تندمل: تبرأ. خطبُ جلل: مصيبة عظيمة. الدأماء: هو البحر العظيم. الوشَل: قليل الماء. الهدى: الإسلام. خير الملل: الإسلام. مقوت: مغضوب عليه ومستهجن ومبغوض. صل خمساً: المراد الصلوات الخمس في اليوم والليلة. مشرع النقل: أي السنن الرواتب المشروعة المسنونة قبيل وبعيد

الصلوات الخمس. الجمعات: المراد صلوات الجمع. العيدين: يوم الفطر ويوم الأضحى. بكر: اذهب مبكراً. تعاف: تستهجن وتستقدر. الثقل: لها في القصيدة معنيان ، الأول: أصحاب الثقل أي القوم لهم النفوذ والجاه ، والثاني: تخذيل الثقل أي تشبيط التثاقل والكسل. الردى: الموت. الصوى: المَعْلَم. خضِل: مبتل بالماء. فرية: كذبة. الأيام دول: أي يوم لك ويوم عليك. الخمل: أي الخمول والكسل. اعتزم: اعزم على الأمر. الفلل: مأخوذة من انفلال السيف أي تكسيره. اعجل: العجلة والسرعة في عمل الشيء. احتمل: أي تحمّل. محتوم الأجل: محدد النهاية. الممتل: المتبع. الوجل: الخوف الشديد. شفتها: رأيتها! وبعض طلبه العلم خصوصاً والناس عموماً يتصورون أن الفعل (شاف – يشوف – شوفاً) عامي دارج ، وهذا غير صحيح ، بل هو من الفصحى ومعناه رأى ونظر. التأويل: تعبير الرؤيا. الهَمَل: هم القوم لا يعيشون لغاية وجود ولا يدركون من سبب حياتهم شيئاً! البرايا: الناس. أسد: أسود. الجعل: الصراصير والجعلان. المنتعل: الذي يلبس النعال. خل: صاحب وفي. البخل: هو البخل. مختتل: فيه الخلل والعيب. محال: مستحيل. الهوينى: الإمهال. الحجل: طائر متبختر في مشيته كالطاووس ، وأحياناً يمشي على رجل واحدة. مصغياً: مستمعاً بجديّة. يُزري بالرجل: يعيبه! الوهل: الضعف. عضل: شديد وصعب. الحَمَل: صغير الخراف. المجنوز: الميت. أقل النجم: أي غار وانطفأ. الجَرَل: الحجارة. الخطل: الخلل والعيب. الغر: السفية الأحمق. هطل الغيث: أي نزل منهمراً. العقبى: العاقبة والجزاء. علة: أي مرض. الأب: هي لغة في الأب ، وكثير من الناس يتصورونها عامية! وهذا غير صحيح ، بل (الأب والأخ والدم) هكذا بالتشديد لغة في (الأب والأخ والدم) بالتخفيف! وبيننا القواميس ومعاجم اللغة ، وكونها تجري على السنة العامة ليس دليلاً على دارجيتها وعاميتها! فيرجى التفتن! وكمن ألفاظ وكلمات يطلقها العوام ونظنها عامية فإذا بها عربية أصيلة! حل ضيفاً: نزل ضيفاً على قوم في دارهم. ينشد: يردو ويريد ويطلب. قرى: طعام الضيف. للحسنى: الإحسان. أهد: أعطه الهدية. المقل: جمع مقلة ويراد بها هنا العيون. مدك الكف: كناية عن تسولك من الناس. تُستجلى العِلل: تبرا وتشفى بإذن الله ، وإنما الأدوية والعلاجات والمشافي والعيادات أسباب. الغيل: المحن والمصائب. الأسل: شجر صحراوي شائك. حسام قاصل: سيف ماض قاطع. ثمل: سكران لعبت الخمر بعقله. الشعر المنتحل: المسروق من الشعراء الآخرين. ريث: تعطيل ، والفكرة في البيت مأخوذة من المثل العربي الجاهلي الشهير الجهير: (رب عجلة تهب ريثاً). المهل: التآني في فعل الشيء. يرعهن: أي يُخيفهن. المصير المقتبل: أي الذي يكون من عاجل العقوبة في الدنيا أو الموجل إلى يوم القيامة. غلل: غليل. نبل: ارتقت أخلاقه وصار نبيلاً شهماً. الحول: هو تحول الإبصار. الوعل: التيس الصغير الضعيف. الغيد: النساء الجميلات. أعين نُجَل: واسعة جميلة. الحوراء: عروس الجنة من الحور العين. الماوى: الجنة. الشعل: جمع شعلة. رتبة: أي منزلة ومكانة. العطل: عكس الزينة بالذهب ، فالمرأة العطل هي المرأة لا تتزين بالذهب. الخلا: الجمال والحلاوة والعدوبة. الأسدان: الأسود. مزدري: محقر. الجمال المبتذل: المتاح لكل من رآه. الهبل: الجنون ، وهذه كلمة عربية أصيلة ليست عامية دارجة كما يظن البعض. ذو الصولة: صاحب القوة والجبروت. كاباً: كلمة من الدخيل تعني غطاء الرأس. القلل: شعاف الجبال. أهل الحل والعقد: كانوا قديماً في الأمة كالعافية للجسم وكالهواء للدنيا ، يرتبون أمور العباد من أتفه الأمور إلى أسماها وأعلاها وفق المنهج الرباني. أهل الحسبة: كانوا قديماً يقومون اعوجاج الناس وفق المنهج الرباني. زمر: جماعات وأفواج. فرعون وقارون وهامان: جبابرة قدماء.

عاد و ثمود ومدين: أقوام عتوا عن أمر ربهم وعصوا رسله. كيد مشمعل: شديد الحيلة والدهاء. هرقل: عظيم الروم. قيصر: عظيم الروم. فلل: كلمة من الدخيل مفردا فلة وهي بيت كبير متأنق من طابق واحد وأحيانا من طابقين. تبع: أحد ملوك اليمن أسلم وحسن إسلامه وحكم رعيته بالعدل. الحديث المتصل: أعني اتصال سنده ، وهو حديث: (لا تسبوا نُبْعاً فقد أسلم) والذي رواه الإمام أحمد في مسنده وحسنه الألباني – ورحم الله الجميع وصلى وسلم وبارك على نبيه-. بلقيس: هي بلقيس بنت شراحيل ملكة يمنية حكمت سبأ ، وقصتها مذكورة في سورة النمل ، وأسلمت وحسن إسلامها. ديهيا: ملكة أمازيغية قديمة. زنوبيا: ملكة شامية قديمة. كوابا: ملكة عراقية قديمة. سولون: ملكة يونانية قديمة كانت جبارة. بطليموس: عالم إغريقي معروف اشتهر بالتنجيم والفلك وغيرهما. كليب: ملك عربي قديم ، تعالى على قومه من العرب ، وقتله جساس بن مرة لأن الأول رمى ناقه (البسوس) بروح فقتلت وكانت سببا لنشوب حرب بين قبيلتي بكر وتغلب دامت أربعين سنة وأزهقت فيها أرواح الآلاف وأريقت فيها الدماء! النثل: جمع ثلة وهي الجماعة من الناس. الميل: هو الميل والانحراف. الكبّل: هو القيد يوضع في اليد أو الرجل. النكل: هو النكال والانتقام. أجناد: جند أو جنود. حتشبسوت: ملكة مصرية قديمة أصلحت اقتصاد بلادها ونهضت بها بين الأمم ، وعنيت بشؤون الصناعة والزراعة والتجارة ولو كانت مسلمة لترحمنا عليها! والتاريخ سجل لها ذلك ، فلا تزال المراجع العربية والأجنبية تمدح هذه الملكة جداً! كليوباترا: ملكة قديمة. حِول: تحوّل. الخب: المخادع المراوغ. الدغل: الإفك والمغالطة. الشلّل: الجماعات من الناس تلتفت حول بعضها البعض. بثوا علمهم: نشروه. الدقل: ردئ التمر. كمل: تم. السبع الطول: السور السبه الطويلة في القرآن الكريم: (البقرة – آل عمران – النساء – المائدة – الأنعام – الأعراف – الأنفال). الجياد الذلل: أي المذلة الخاضعة. الشبّل: الأشبال أو صغار الأسود ، والعرب تقول: (هذا الشبل من ذاك الأسد). نحل الجسم: أي ضعف وأصابه الهزال والضعف. نصل: تنصّل. هُبّل: صنم. لات: صنم. الحُلل: فاخر الثياب (البدل). الحِلل: المنازل والدور. فضل: بقي. البُرد السمل: الثوب البالي. الذعل: الإقرار بعد الجحود. أصل: جمع أصيل وهو وقت العشي. زجل: مصوّت. شمّل: شمال. تُبّل القلب: أي أصيب هذا القلب. مشهد حفّل: حافل. مال من قِبَل: أي من طاقة!

سامحوني أيها الأبناء!

(إن أسمى حقوق الأبناء على الآباء المسلمين أن يُحسِن الآباء اختيار الأمهات والأصهار والأحساب والأنساب! فتكون الأمهات طالبات علم ، وعلى خلق ودين بوصفهن مصانع الرجال! وإلا كانت النتائج وخيمة! ويكون الأصهار والأنساب طلاب علم كذلك ، وعلى خلق ودين! فقبل الإنفاق والتربية والتعليم والتوجيه والرعاية والبذل يتعين اختيار الأم الصالحة العفيفة طالبة العلم الواعية الناصحة الأمينة! وتكون من بيئة أو عائلة لها ذات الموصفات! ذلك أن جاهلة لن تُربي ، ولن تعلم ولن توجه! ومعنى جاهلة هنا ليس كونها أمية لا تقرأ ولا تكتب ، أو لم تحصل على الشهادات والدرجات العلمية! لا! وإنما جاهلة بعلوم الشرع ، بالحلال والحرام ، بالتوحيد والعقيدة. ولقد تحصل على الماجستير والدكتوراه في علوم الدنيا ، وهي لا تحسن كيف تتوضأ ، ولا تعرف شرطاً واحداً من شروط لا إله إلا الله! فضلاً عن أن تعرف الفرق بين الربوبية والألوهية ابتداءً! ولا تفقه سنة ولا واجباً ولا مندوباً ولا مكروهاً! وإن عجوزاً تفقه العقيدة والتوحيد لأفضل بكثير من دكتورة في الجامعة لا تعرف شيئاً عن الإسلام ورسالته! وهذا الأب الذي في قصيدتنا هو رجل لم يحسن اختيار أم أولاده ولا أهلها ، فجنى الحنظل وسار على الشوك وتجرع الدم ، وبنى وأولاده منها النتائج الوخيمة! وكانت الحياة معها ضرب من ضروب الشقاء والجاهلية! وإنما الرجل أخذ بمعسول الكلام والتشديق بالسنة ، بل الجوهر لم يكن شيئاً مذكوراً! فلقد أعجبه من أهلها صناعتهم للكلام المنمق المزخرف ، وعندما عرض الأمر على ابنتهم صمتت ، فأعاد الطلب فلم تُحر جواباً! فأفهمها بأن الأهل إن أجبروها فإنه قادر على إنهاء الموضوع في سلام! فإذا بها تصمت للمرة الثالثة! ففهم من ذلك أنها ليست مُغرراً بها ولا هي مُكرهة على ذلك! وكان الزواج غير الميمون ولا المبارك ، وكانت العثرات تلو العثرات ، والنكبات تلو النكبات! وخرج الأبناء فيهم من الجاهلية ما الله به عليم ، من جرّاء هذه الزيجة وتلك الزوجة! فاعتذر لأبنائه اعتذاراً لطيفاً ، وطلب إليهم أن يسامحوه على هذا الخطأ الجسيم الذي حرمهم التربية العقيدة السليمة! وتحت عنوان: (أسس الاختيار الصحيح للزوجة والزوج) يقول الكاتب الأديب الأستاذ: عادل عبد المنعم أبو العباس ما نصه بتصرف: (هناك أسس صحيحة لاختيار الزوجة الصالحة! الأساس الأول – الدين: إن أول أساس وضعه لك الإسلام ، لاختيار شريكة العمر ، أن تكون صاحبة دين ، ذلك أن الدين يعصم المرأة من الوقوع في المخالفات ، ويبعدها عن المحرمات ، فالمرأة المتدينة بعيدة عن كل ما يغضب الرب ، ويدنس ساحة الزوج. أما المرأة الفاسدة المنحرفة البعيدة عن هدى دينها ، وتعاليم إسلامها ، فلا شك أنها تقع في حبال الشيطان بأيسر الطرق ، ولا يؤمن عليها أن تحفظ الفرج ، أو تصون العرض ، بل إن الخطر يشد إذا كان مع الفساد جمال ، ومع الجمال مال. من أجل ذلك بالغ الإسلام في حثك أيها المسلم على اختيار ذات الدين ، وحضك على البحث عنها في كل بيت مسلم أمين. فهذا هو ذا رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، يبين لك أصناف الناس في اختيار المرأة ، ثم يدللك على الصواب فيقول: [تنكح المرأة لأربع: لمالها ، ولجمالها ، ولحسبها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك] (رواه البخاري) ، فإذا صرفت نظرتك عن الدين ، ورحلت تنشد الجمال وحده أو الحسب والنسب ، والجاه والمال ، فاعلم أنك مغبون ، وهمتك قاصرة. وينصح صلى الله عليه وسلم امرأةً ناهياً في قوله: [لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء خرماء ، ذات دين أفضل] (رواه ابن ماجه). فلم يضع الإسلام مقياساً

"ملكة جمال العالم" لأنه لا يوجد بعد من تتمتع بإجماع آراء الرجال وإنما اكتفى بأن يكون جمال منظرها نسبياً بالنسبة لك ، وخالصة القول أنه إذا لم يكن إلا الجمال ، من غير دين... فلا! وإذا لم يكن إلا المال ، من غير دين... فلا! وإذا لم يكن إلا الحسب ، من غير دين... فلا! ذلك أن (جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوسي)! أما إذا كان مع الدين ، جمال ، ومال وحسب فبالأولى ، ولكن مع ذلك يستهدف الدين أولاً! وقد كان أسلافنا الصالحون حِرَاصاً على ابتغاء ذات الدين ، مهما تكن عاطلاً من حلية الحسب والنسب ، والمال والجمال. وآية ذلك ، صنع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إيثاره ابنة بانعة اللبّن زوجاً لابنه عاصم ، وقد كان - رضي الله عنه - يتمنى أن تكون زوجة له لو كانت به حاجة إلى زواج ، على ما روى الثقات من المؤرخين وفي طليعتهم الإمام ابن الجوزي في تأريخه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب حيث يقول: روى ابن زيد عن جد "أسلم" قال: بينما كنت مع عمر بن الخطاب - وهو يعس بالمدينة - إذا هو قد أعيا فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل فإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومي إلى اللبّن فامذقيه (أي اخلطيه) بالماء ، فقالت لها ابنتها: يا أمّاه ، أما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ، ألا يُشاب اللبّن بالماء ، فقالت الأم: قومي إلى اللبّن فامذقيه بالماء ، فإنك في موضع لا يراك فيه عمر ولا منادي عمر ، فقالت البنت لأُمها: والله ما كنت لأطيعه علانية وأعصيه سراً ، وكان أمير المؤمنين - في استناده إلى الجدار - يسمع هذا الحوار فالتفت إليّ يقول: يا أسلم ، ضع على هذا الباب علامة ، ثم مضى أمير المؤمنين في عسه ، فلما أصبح ، ناداني: يا أسلم امض إلى البيت الذي وضعت عليه العلامة ، فانظر من القائلة ، ومن المقول لها؟ انظر هل لهما من رجل؟ يقول أسلم: فضيت ، فأتيت ، الموضوع فإذا ابنة لا زوج لها ، وهي تقيم مع أمها وليس معها رجل ، فرجعت إلى أمير المؤمنين عمر فأخبرته الخبر ، فدعا إليه أولاده ، فجمعهم حوله ثم قال لهم: هل منكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟ لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ، ما سبقه أحد منكم إلى الزواج بهذه المرأة التي أعرف نبأها ، والتي أحب لأحدكم أن يتزوجها. فقال عاصم يا أبتاه تعلم أن ليس لي زوجة فأنا أحق بزواجها ، فبعث أمير المؤمنين من يخطب بنت بانعة اللبّن لابن أمير المؤمنين عاصم ، فزوجه بها ، فولدت له بنتاً تزوجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له خامس الخلفاء الراشدين الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليهم أجمعين! كان من يمن هذا التصرف الكريم أن جاءت ثمرة هذا الزواج ، خليفة لا تعرف الإنسانية له نظيراً في عدالته ، وزهادته ، وسعادة رعاياه به ، - رضي الله عنه - وتسالني الآن عن صفات ذات الدين من النساء؟ وأجيبك بما قاله صفوة البشر صلى الله عليه وسلم فعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرته وإذا غاب عنها حفظته ، وإذا أمرها أطاعته. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل ، خيراً له ، من زوجة صالحة: إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحتة في نفسها وماله]. (رواه ابن ماجه). وإذا كان هذا هو وصف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للمرأة الصالحة المتدينة فإنه ولا شك أنها موجودة في البيئة الصالحة الطيبة ، فإن كان رب البيت من الصالحين الأتقياء فلا بد من أن تكون بنياته من العفيفات المتديّنات. والأساس الثاني: الخلق! أما الأساس الثاني لاختيار شريكة الحياة فهو أن تكون صاحبة خلق ، والحقيقة أن هذا العنصر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأساس الأول الذي هو الدين ، ذلك أن المتدينة لا بد من

أن تكون صاحبة خلق ، لأن دينها سيمنعها من فحش القول ، وبذاءة اللسان ، وسوء المنطق وثرثرة الكلام ، وعلى كل فحسن الخلق أساس قويم ، ومنهج حكيم في البحث عن المرأة ، وصدق لقمان الحكيم عندما قال لولده يا بني اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل المشيب ، يا بني استعذ بالله من شرار النساء ، وأسأله خيارهن فاجهد نفسك في الحصول على الصالحة الطيبة تلق السعادة أبد الحياة. والأساس الثالث - أن تكون بكرًا: ثم إن الإسلام طالبك ورغبك بأن تكون امرأتك التي تريد الزواج بها بكرًا ، وما رغب في ذلك إلا لأن طبعك الإنساني يألف الجديد ، وينفر من امرأة مسها واحد قبلك ، ولهذا قال نبيك الكريم صلى الله عليه وسلم لصاحبه الجليل جابر بن عبد الله عندما علم أنه تزوج ثيبًا: [هلا بكرًا تلاحبك وتلاعبها] ، ففعل صاحب الجليل زواجه بالثيب بأن أباه قد مات وترك له أخوات صغيرات يحتجن إلى الرعاية والعناية ، وأن الثيب في هذه الحالة أقدر على رعاية البيت ، ولولا هذا الذي قدره الله وقضاه لكانت بكرًا ، وفي المرأة البكر فوائد جليئة ، ومحاسن وفيرة ، حيث إنها تجعل كل حبا لهذا الذي اختارها من بين آلاف النساء ، وما الحب إلا للحبيب الأول ، ثم إنها لم تجرب الرجال من قبل فلا شك في أنها ستمنح من يتزوج بها جميع ما تملك من مودة وحنان. والأساس الرابع: أن تكون ولودًا. ومن الأسس التي وضعها لك الإسلام ، أن تختار المرأة الولود. والولود تعرف بشيين: الأول: خلو جسمها من الأمراض التي تمنع الحمل ، ويرجع في هذا إلى المتخصصين من الأطباء الذين هم أهل الذكر في هذا الشأن ، وهو ما رأته بعض الدول من ضرورة العرض على الطبيبات قبل الزواج! الثاني: أن ننظر في حال أمها وعشيرتها ، وأخواتها المتزوجات ، فإن كنَّ من الصنف الولود فهي ولود في الغالب - إذا أراد الله - ذلك أن للوراثة من الأدوار ما لا يخفى ، ومن أجل ذلك أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بالبحث عن المرأة الولود. فعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة ، وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول: [تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة]. رواه أبو داود والنسائي. وعن معقل بن يسار ، قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أصبت امرأة ذات حسن وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: "لا" ، ثم أتاه الثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال: [تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم] (رواه النسائي وأبو داود). والأستاذة نوال العتال تقول تحت عنوان: (معايير اختيار الزوجة) ما نصه بتصريف يسير: (الزواج سنة الله في الكون ، فبالزواج تُعمر الأرض عن طريق التكاثر والتناسل ، كما أن الزواج يكون سكناً لكلا الزوجين ، وفيه الطمأنينة والراحة إذا كان اختيار كل من الزوج والزوجة صحيحاً ، فالمرأة تكون أمينة في مال زوجها وعرضه ، وتربي أبناءه ، وتحفظ سره ، ولهذا حثت الشريعة الإسلامية على حسن اختيار الزوجة. وهناك عدّة معايير لاختيار الزوجة: أن تكون ذات دين: فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تنكح المرأة لأربع: لجمالها ولمالها ولحسبها ولدينها - ثم قال صلى الله عليه وسلم- فاظفر بذات الدين تربت يداك)، فيستحب أن تكون الزوجة ذات دين حتى تُعين زوجها على طاعة الله - عز وجل - وتربي أبناءه تربية صالحة ، فيصلح بذلك المجتمع! الأصل والمنبت الحسن: ويعني أن تكون طيبة الأصل ، ومن عائلة طيبة وحسنة! فهذا يؤثر على تربية الزوجة وتنشئتها. وحسن الخلق: بحيث تكون الزوجة صاحبة خلق حسن ، وهذا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين ، فدين الزوجة يمنعها من القول الفاحش ، وبذاءة اللسان ، وثرثرة الكلام ، وسوء المنطق وقد أوصى لقمان الحكيم ولده وقال له: "يا بني ، اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل المشيب ، يا بني استعذ بالله من شرار النساء ،

واسأله خيارهن ، فاجهد نفسك في الحصول على الصالحة الطيبة تلق السعادة أبد الحياة". أن تكون المرأة ولوداً: ويعني أن تكون المرأة قادرة على الإنجاب بخلوها من الأمراض التي تمنع الإنجاب ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة). تتعدد معايير اختيار الزوجة الصالحة في الإسلام ويبقى أساسها وجوهرها الدين ، كما أن حسن الخلق والأصل والمنبت الحسن مهم أيضاً ، ويستحب أن تكون الزوجة ولوداً).هـ. والأستاذة القديرة سناء الدويكات تقول تحت عنوان: (اختيار الزوجة الصالحة) ما نصه بتصريف: (شرع الله - تعالى - الزواج ؛ ليكون اللبنة الأولى في المجتمع ، والتي تتحقق من خلالها السكينة والمودة وإشباع الرغبات والميول الفطري بين كل من الجنسين الذكر والأنثى ، يقول تعالى:- (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) وأما عن كيفية اختيار الزوجة الصالحة ، فكما أن المرأة مأمورة بأن تتحرى الاختيار الملائم للزوج الصالح ، فإن الرجل كذلك مأمور بأن يتحرى الاختيار الملائم للزوجة الصالحة ، لتبني أسرة متماسكة ، وتساهم في تقدم ورفعة الأمة والمجتمع فالزوجة الصالحة هي خير متاع الدنيا. وأما عن كيفية اختيار الزوجة الصالحة فهو كالاتي: اختيار ذات الدين: إن من الأمور التي دعا إليها النبي - صلى الله عليه وسلم - اختيار الزوجة ذات الدين ، والتي يأمن الرجل معها على عرضه وبيته وماله ، كما أنها تكون معيناً له على مختلف وجوه الخير ، وتربي أبنائها تربية صالحة ، وتكون ذات لطف ولين ولا تكلف زوجها فوق ما يطيق. اختيار ذات الجمال: وإنه يجدر الإشارة إلى أن الجمال نسبي ويختلف من شخص لآخر ، المهم أن يختار الرجل من يجد أنها تشبع رغبته ، وتعفه عن الحرام ، ومن تكون أقرب إلى النوم والمودة وحسن المعاشرة. اختيار ذات المال: إن التكاليف المالية عموماً في الزواج من واجبات الرجل ، إلا أن اختيار امرأة قد تكون ذات مال مما قد يخفف عن الرجل من بعض التكاليف للكُماليات التي تحتاجها المرأة ، كما أنها قد تساعده في سد بعض الحوائج إذا احتاج للمال يوماً ما. اختيار ذات الحسب: إن نسب المرأة مما يؤثر تأثيراً مباشراً على الأبناء ، فهم يأخذون جزءاً من الصفات الوراثية لأخوالهم ، كما أن اختيار العائلات الراقية والمحترمة يؤدي إلى تبادل الاحترام بين كل من الرجل وعائلة زوجته ، وبين عائلة الزوجة وعائلة الزوج).هـ. ولكن ضحية قصيدتنا فرجل لم يحسن اختيار زوجته ولا اختيار عائلتها ، فذاق الويلات عبر مسيرة زوجية فاشلة ، وراح يعتذر لأولاده عن الجريمة التي أجرمها في حقهم جميعاً! فترجمتُ اعتذار الأب لأبنائه شعراً! وأنا أعتذر الاعتذار كله عن طول المقدمة! وما ذاك إلا لأحيط القراء خاصة الرجال بأسس اختيار الزوجة في الإسلام! ولأبطل المقولة الملعونة التي تقول: (إن الذي يتزوج امرأة لا يتزوج أهلها!) بل يتزوجها وينصهر بأهلها ، وكلمة (ينصهر) لا تقل كثيراً عن كلمة (يتزوج) إن لم تكن تزيد!

أبنائي الغرّ خانتني أظانيني	فبؤت من زلتني بالعيشة الدون!
أخذت بالمنطق المدهون فلسفة	وانصعت للهاجس المخرج بالدين
وغرّني قول (زيد) قبل فعلته	وكم يُغرّ فتى بقول ملسون!
وملث مَيْلاً عظيماً لا حدود له	لخادعين ذوي خثل دهاقين

ثم اتبعته الذي صاغوه من دجل
وكنت بيئت حُسن الظن تكرمه
وكنت أخلصت في سر وفي علن
عديت خيرى لغيري ، والجميع رأوا
وعشت ما عشت معواناً ومحتسباً
ولم أغلب غرور النفس يجعلني
حتى ابتليت بأفلاكين ديدتهم
واعتماد أفرهم تلميع سيرته
مازال بالخطب العصماء يُثخنني
مازال يُظهر لطفاً لست ألمسه
مازال يخدعني بما يُمارسه
مازال يتلو نصوصاً لست أحفظها
مازال يصحبني إلى محاضرة
مازال يسمع مني ما أبوخ به
مازال يُدهشني بما يُردده
مازال يدأب في حُسنى مجاملتي
مازال يُقتع من حولي بمنقبتني
حتى وثقت به ، واخترت صحبته
واخترت زوجي من بناته شغفاً
وقلت: علي - على الأيام - أرشدها
فأظهرت - كابيهها - الحب يشفعه
وتم عقد وإشهاراً ومأذبة

لما استعاروا له أحلى المضامين
في عالم سئ الأوصاف مَدجون
وكنت عاملت كل الناس باللين
وما مننت ، وما ساءت أظانيني
أعطي المعوذ ، وأرضي كل مسكين
أصارغ العيش بالتحقير والهون
بين الخلائق تصمى الأسافين
بما تيسر من قول وتزيين
مزيدة بقناعات وتبيين
في غيره شارحاً بعض البراهين
من الأكاذيب تُشجي قلب محزون
مَرَجَعاً صوته بعذب تلحين
لكي يُسرر بها فؤاد مفتون
من القصائد بين الحين والحين
من الثناءات تحوي خير تدشين
مُقدماً عبورها بعض الرياحين
بطيب من لطيف القول موزون
وإن يكن حوله بعض الشياطين
رأيتهما عادة تأوي لتحصين
فالعقل ذو رشد يبدو وتفظين!
بعض الدلالات تزجيهما بتلوين
في محفل - في فناء الدار - ميمون

وخادعت نفسها والأهل قاطبة
وكلفتنا جميعاً فوق طاقتنا
ماذا عليها إذا باحت بما اقتنعت
ماذا عليها إذا صارحت رجلاً
قال: اصْدُقيني ، ولا تُبدي مروغة
أناساً نهي الذي لا تَأْذنين به
ولن تكون بما أدلي مفاجأة!
لكن صمتك قد أضحى موافقة
صمت الفتاة إذا ما روجعت (نعم!)
في دارنا هذه ، أو في قرى عجم
وبعدُ تم زواج ما أريد به
وأوقدت فتنة أنا ضحيته
هل موقد النار يُصليها لتحرقة؟!
ومد كل إلى الحليل مُدّيته
فأين علمك - في البلاء - يُنقذنا؟!
واستحكمت عيشة بالجهل قد دُمغت
وعشت ما عشت في ذل ومسكنة
أما الضحايا فهم أبناء ما اقترفوا
ما أدركوا الأم تهديهم وترشدتهم
أبنائي الصيّد كُفوا عن مواخذي
أخطأت في حقكم خطأ أبوء به

إن وافقت مثلما خصت بتلقين!
ولم يكن عندها أدنى الموازين
بسِر قلب شديد الوقع مكنون؟!
أبدى صراحته بغير توطين!
وإن صدقك - يا أختاه - يكفيني
ولن أقول: أفادتنا بتأذين!
فالرأي رأيي ، وما جدوى الأفانين؟!
وفق الشريعة ، بل وفق القوانين
كأنه نص مرسوم ومضمون!
في الشرق في الغرب أو في الهند والصين
وجه المليك ، فما وافى بتمكين!
وأنت ناجية من كل إسفين!
ثم اتهمت بتشكيك وتخوين
والشائعات غدت مثل السكاكين
وأين نخوة أصهار ميامين؟!
دارت رحاها ، ولم تعد لتسكين
كما يعيش ذليلاً كل مسكين!
إثماً ، ولا اتهموا يوماً بتدجين
حتى ينالوا مقام الفقه في الدين
إنني لمعترف بالخزي والهون
ولا يُعوّضه مُلك الفدادين

اِخْتَرْتُ أَمَّا بِلاَ عِلْمٍ وَلَا رَشَدٍ
تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، وَالْمَوْلَى يُعَلِّمُكُمْ
وَرَاجِعُوا الشَّعْرَ قَدْ سَطَرْتُهُ عِبْقاً
وَسَامِحُونِي عَلَى مَا جِئْتُ مِنْ غَلْطٍ
وَيَغْفِرُ اللَّهُ مَا قَارَفْتُ مِنْ زَلَلٍ

وَالْبَيْتُ أَمْسَى رَهيناً لِلطَّوَّاحِينَ
وَعَامَلُوها بِكُلِّ الرَّفِيقِ وَاللَّيِّنِ!
إِنَّ الْقِصَائِدَ نَشَوَى فِي الدَّوَاوِينِ!
فِي حَقِّكُمْ كَانَ عَن حَدْسٍ وَتَزَكِينِ
أَنَا الضَّعِيفُ الَّذِي طَاشَتْ مَوَازِينِي!

خياران أحلاهما مُر!

(تزوجها على كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ليس يطمح إلى شيء سوى مرضاة ربه ، بينما كانت لها ولأهلها مطامح أخرى ومطامح مختلفة ! ولما تحققت هذه المطامح وتلك المطامح ، وأدركت أن الرجل كان قد طعن في السن ، تمردت عليه ، واتخذت من أهلها حصناً ودرعاً ، وبات الرجل بين خيارين أحلاهما مُرٌ للغاية: إما أن يستمر معها ريثما ينصلح الحال ، وإما أن يتزوج من أخرى مُضحياً بكل ما يملك! وفي هذه الحالة يكون قد ضيَّع على أولاده أموالاً وعقاراتٍ شتى يملكها! وبعد دراسةٍ واستخارةٍ تصبرَ الرجل ، وارتأى أن يترك أولاده أغنياء! فإن ذلك أولى! وضحى بنفسه في سبيل تلك الغاية! وكما عنونا للقصيدة بأن هذا الخيارُ خيارٌ مُر! وأمرٌ منه أن يتزوج من أخرى صالحةٍ يستعيد على يديها ما افتقده من الشباب! وهذه مغامرة ، فإنه لا يضمن الثانية!)

حَارَ فِكْرِي مَا بَيْنَ ضِدِّ وَضِدِّ
والموازينُ أشكلتُ بعدُ عِنْدِي
وإبتأسنتُ إذ ضِيعتُ كَمَّا وَكَيْفَاً
كيف آلتُ حالي لهذا الترددي؟!
كيف هُنتُ حتى طوئني خطوبي؟!
وعلى ماضي العمر كم طال وجدي!
كم بذلتُ الخيورَ عن طيبِ نفس
كم تحمَّلتُ أنفساً لا تُبالي
كم تغاضيتُ عن بلايا عظام
صانعوها كم أمعنوا في التحدي!
كم تكلفتُ كي أبلغ غيري
ما تمنى من كل خير وسعد!
كم تنازلتُ عن حقوقي لغيري
علمي أحظي ذات يوم برداً!
كم نصحتُ من عاقبوني لنصحي
ثم كادوا ، وبالغوا في التعدي!
كم وعظتُ قوماً أبوا كل وعظٍ!
ليتني كنتُ صننتُ بذلي وجهدِي!
مثل كل زوج تزوجتُ فضلي
أظهرتُ لي طوعاً صنوفَ الود
فاخرتُ بي أهلاً وصحباً وقربى
وحبنتُني الألقابَ فوق الحد
ناولتني تشجيعها عن يقين
فانطلقتُ أسعى لنيل المجد!
دون شرطٍ أعطتُ لينزاح همي
واستزادتُ في جودها دون قيد
وقضينا عقدين في خير حال
والوفاقُ للخير والبر يهدي
ودوامُ الأحوال شبيبيءٌ مُحالاً
حيث عشتُ انقلابَ ضِدِّ لِضِدِّ

عَضَلْتُ بِبِي الْحَيَاةَ لَمَّا اسْتَبَدَّتْ
وَهَنَّ الْعِظْمُ ، وَالْمَشِيْبُ اعْتَرَانِي
وَارْتَضْتُ زَوْجِي ذَلْتِي وَاكْسَارِي
قَلْبْتُ لِي ظَهَرَ الْمَجَنُّ اعْتِبَاطاً
تَخِدْتُ رَدْعاً أَهْلَهَا ، فَتَقَوْتُ
لَمْ يَعْذُ لِي إِلا خِيَارَانِ قَطْعاً
إِنَّ فَصَلَ الْخَطَابِ أَدْلَى بِدَلْوِ
هَلْ زَوَاجِي يَحُلُّ اعْتَى الْقَضَايَا؟
هَلْ يَسُرُّ النَّفْسَ ارْتِبَاطِي بِأُخْرَى
تَحْتَفِي بِبِي مِنْ بَعْدِ لَأَيِّ وَضْنِكِ
إِنْ هَذَا - وَاللَّهِ - أَشَقَى اخْتِيَارِ
وَالْمَصِيرُ الْمَعْهُودُ مَكْرٌ وَكَيْدٌ
رَبِّمَا تُؤْذِنِي بِشَتَى الْأَوَادِي
أَوْ أَعِيشُ بِالصَّبْرِ حَتَّى الْأَقْيِ
إِنْ هَذَا الْخِيَارَ أَهْدَى سَبِيلاً
قَدْ يَكُونُ فِي الصَّبْرِ أَرْجَى عِلاجِ
كَمْ بَلَايَا بِالصَّبْرِ وَالرُّشْدِ تُزَوَى
قَدْ يَزِيدُ الزَّوْجَ حَالِي اِكْتِنَاباً
بَيْنَمَا بِالصَّبْرِ الْعَذَابَاتُ تَخْبُو
قِصَّتِي فِيهَا الصَّبْرُ سَمَتْ وَهَدِي
وَلِرَبِّي الرَّحْمَنِ أَكْبَرُ فَضْلِ

زَوْجَةَ غَالَتْ عِشْرَتِي بِالْحَقْدِ
وَالْقَوَى هِيضَتْ عِنْدَمَا التَّاعَ كَبْدِي
وَلِذَا خَانَتْ فِي الْكُهُولَةِ عَهْدِي
وَالدَّمُوعُ سَالَتْ عَلَيَّ كُلَّ خَدِ
وَالْجَمِيْعُ فِي الظَّالِمِ أَشْرَسُ جُنْدِ!
لَمْ يَعْذُ وَقَتُّ بَيْنِ أَخْذِ وَرَدِ
وَإِذَا بِي لَا أَسْتَطِيعُ التَّصَدِي
هَلْ يُعِيدُ الصَّبْرَ زَوَاجِي بِخُودِ؟!
ذَاتِ دِينَ حَقِّ ، وَحُسْنِ ، وَزُهْدِ؟!
إِنْ تَبَدَّتْ تَغْتَالُ ضَيْقِي وَسُهْدِي
قَدْ يَزِيدُ حَنْقِي وَخُزْنِي وَحَرْدِي
هَلْ يَفُوقُ كَيْدَ الْحَلِيلَةِ كَيْدِي؟!
أَوْ حَظِيَّتْ مِنْهَا بَلْعَنَ وَطَرْدِ
خَالِقِي الْمَوْلَى ، ثُمَّ أَسْكُنْ لِحْدِي!
رَغْمَ إِخْلَالِ يَعْتَرِيهِ وَنَقْدِ
سَاقِهِ لِي بَعْدَ الدَّعَا بَعْضُ رُشْدِ
عِنْدَمَا تُمَسِّي زَوْجَةَ شَرِّ نِدِ!
وَإِنْفَعَالَاتِ مَا لَهَا مِنْ خَمْدِ
ثُمَّ فِي يَوْمِ الْحَشْرِ جَنَاتِ خَلْدِ
صُغْتُهَا بِالْأَشْعَارِ بَعْدَ السَّرْدِ
وَلَهُ شُكْرِي بَعْدَ ذِكْرِي وَحَمْدِي!

فاعفوا واصفحوا!

(لا ينبغي على الأجيال الناشئة البرينة أن تسير على خطى الأجيال الراحلة إلا في الخير والمعروف! ولتحرص هذه الأجيال على الود والحب والتواصل والعفو والصفح والعطاء! ولتتنازل عن الحقوق الشخصية دامت من أجل الحقوق العامة! ولتدرك ما للآخرين من الحقوق! ولتنزل الناس منازلهم ، ولتفتح صفحة جديدة من التعامل النزيه المخلص! ولتترك للأجيال الراحلة دربها وأسلوبيتها! إن شريعتنا الغراء قد عظمت شأن العفو والتسامح بين المسلمين جداً! قال - تعالى - : (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ). وقال - تعالى - : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). وقال - تعالى - : (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ). وقال - تعالى - : (إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا). وقال - تعالى - : (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). وقال - تعالى - : (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ). وقال - تعالى - : (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ). وقال - تعالى - : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ). وقال - تعالى - : (وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). قال - تعالى - : (فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا). وقال - تعالى - : (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). وقال - تعالى - : (وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ). وقال - تعالى - : (وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ). وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله). رواه مسلم ، في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، الصفحة أو الرقم: 2588 ، صحيح. وجاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقال: (يا رسول الله ، كم نعوذ عن الخادم؟ فصمت ، ثم أعاد عليه الكلام ، فصمت ، فلما كان في الثالثة قال: اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة). رواه أبو داود ، والحديث صحيح! وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ثلاث والذو الذي نفسي بيده إن كنت لحالفا عليهن: لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا ولا يعفو عبداً عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة ولا يفتح عبداً باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر). [رواه الإمام أحمد ، والحديث صحيح لغيره]. وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي). [رواه ابن ماجه ، والحديث صحيح]. وعن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لها قولي: (اللهم إنيك

عفوٌ تحبُّ العفوَ فاعفُ عني). رواه الترمذي بإسناد صحيح. وإذن فللعفو والصفح مكانتهما العظيمة في الإسلام! وتأتي هذه القصيدة توصية لمن أحب بأن يدركوا ما للصفح والعفو من قيمة ، فليعيشوا بالعفو والصفح!

دَعُوا الخِلافَ ، واخلوا الهجرَ والكَدرا
واستبعِدوا اللومَ والتوبيخَ صُبحَ مَسا
واسْتَهجِنوا فِتْناً تُؤدِي بِقوَّتكم
وأرجِعوا مرةَ أُخرى لِئُخبِرَكم
ذروا القطيعَةَ ، إن الوصلَ هازمُها
خلوا التشاخُنَ ، كم شحناء ضاقَ بها
وزايلوا الخَذَلَ ، نارُ الخَذَلِ حامِيَةٌ!
ولا تسيروا على دروبِ مَنْ رحلوا
خلانقُ طويَتْ بِالموتِ صفحَتُهم
واستمسِكوا بِخِلالِ الخيَرِ ، إنَّ لكم
وأكثِروا الصَفْحَ تشتاقتُ الحياةَ له
إن التِغافلَ عن أخطاءِ رفقَتكم
تغافلوا تملِكوا القلوبَ قانعةً
وإن بدتْ شُبهةً فاحتِ شناعَتُها
وليس يكفِي اعتذارٌ في مناظرةٍ
بل أخرجوا كل ما في الصدرِ مِنْ شُبهِ
وصارحوا بَعْضَكم أَصْفى مُصارحةٍ
وفندوا الشائعاتِ الزيفُ يَدْمَغها
لا صِدقٌ يُسَعفها حتّى تَطيبَ لكم
وواجهوا أهلها بلا مُواربةٍ

إن الخِلافاتِ دوماً تُعقِبُ الضررا
كم يُوغِرُ اللومُ صَدراً كان مُبتَشِرا
وأرجِعوا في الذي أتيتُمُ البَصرا
بأنه آسفاً قد عادَ مُنحسِرا!
كم يَجلبُ الوصلُ صَفوَ العيشِ والسمرا!
قلِبٌ إلى محوها كُلياً افتقِرا
وكم فؤادٍ بها مخذولاً استعِرا!
كي تُدركوا العزَّ والتَمكينَ والظفِرا
ومِن مِصانِرهم لَن يُدركوا وَزرا
عند المليكِ بها الأثمانَ والأجِرا
شوقَ المحبينِ إِمّا شوقهم ظهرا
يُطهِّرُ الحُبُّ ، عَزَّ الحُبُّ إن طهِّرا!
بالودِ يُذهِبُ سوءَ العيشِ والكِدا
فناقشوا نَصَّها ، واستأصلوا الشررا
ومِن سَفِيَةٍ لَجَدوى الشبهِه انتظِرا!؟
بها يصيرُ صفاءُ العيشِ مُعتكِرا
كي تنفضوا باطلاً مُستبشِعاً أَشِرا
ولفظها بالضللالِ الواضحِ انتزِرا
هي افتراءٌ بدا في ظِلِّه انحصِرا
وألقِموا مَنْ بَغى ترويحَها الحِجرا

كم أحدثت شائعات البله جرح أذى!
لا تَضْمِدُوا الجُرحَ ، والصيدُ يَغْمِرُهُ
فليس تُشفى جراح ضُمَّدَتْ خطأ
بعضُ الجراح إذا ما خَمَّشَتْ لَفِظَتْ
ألا انبشوها إلى أن تستحيلَ دَمًا
أما إذا ضُمَّدَتْ بلا مُعالِجَةٍ
ثودي بمن جرحوا بدون مَرَحْمَةٍ!
وأنزلوا الناسَ يا قومي منازلهم
فللكبير بلا مَنْ مَكَائِثُهُ
مَنْ فارقَ الدارَ فَاحْفَظْ كرامَتَهُ
كذا حقوقُ غريب الدارِ قد حُفِظَتْ
ولتشكروا لأولي الأفضال ما بذلوا
لا خيرَ فيمن جميلَ الناس أنكره
حتى متى تُهدِرُونَ الحَقَّ بَيْنَكُمْ؟!
كاد التمزقُ يُضِنِكُمْ ويضعِفكم
كاد التفريقُ أن يُزيحَ هيبَتكم
أما اعتبرتم بموت الفجأة ، انتبهوا
يا(زيد) قم لصلاة الفجر ، إن لها
لكنَّ (زيداً) أبى أن يستجيبَ لمن
الموتُ يأتي الورى بغير موعدةٍ
وليس يستأذنُ الإنسانُ إن قُضِيَ

والقلبُ مِنْ هولها دَمًا قد اعتصرا!
بل أخرجوا ما به قد غاب واستترا
ولا تقولوا: قضاءً أصبحتُ قدرا
ما تحتويه إلى أن فاح وانتشرا
فلا نرى لصيدٍ خلفه أثرا
مَنْ قال: تبرأ كان القولُ محضَ هُرا
وهل سيُبرئها طِبُّ إذا اعتذرا؟!
وانأوا بأنفسكم ، لا تُصبجوا عَجراً
وللصغيرِ حدودٌ حَدُّها سَطِرا
لا تُسْتَبَاحُ ، وإلا لسئتمُ بِشَرا!
وليس يَقْضِي بها مُستهترٌّ وطرا
مِن الجميل ، يَزِيدُ اللهُ مَنْ شَكَرا
ويشكرُ اللهُ مَنْ جَمَّيَلَهُمْ ذَكَرا
وكيف يُفْلِحُ مَنْ للحقِ قد هَدَرا؟!
وما أخذتمُ لِمَا يُردِيكمُ الحذرا
فلنظرحوا ضعفكم واللومَ والدِّبَرا
(زيد) قضى ليله ، لم يُدركِ السحرا!
عند المهيمِن حُسناها لَمَنْ حَضَرا
أتى يُذَكِّرُهُ ، وبالنداء جهرا
فلنستعدَّ له ، ولنعمِلِ الفِكَرا
أيامَ رحلتِه ، بل يحصُدُ العُمَرا

الروح قد صعدت لله خالقها
لا يذكر الموت إلا عاقلاً فطن
يُصيبه الوجد إن صلى جنازته
فلتبدأوا صفحكم والعفو عن رغب
هذا القصيد لكم عيديّة حَفَلت
ولست أدري لعلّي بعدُ مرتحل
فإن رحلت فأوصيكم وأنصحكم
تمتعوا بحياة لا تُخالطها
لا تقطعوا هذه الأرحام ما طلعت
إن المهيمن يوم البعث سائلكم
هذا ابن عمك لا تقطع علاقته
وأخثه منك ، والأنساب تجمعكم
بلغتكم ، والقصيد العذب يشهد لي
برئت من قاطعي الأرحام أجمعهم
يا رب فاشهد بأنّي لن أسامحهم
إلا إذا ذكروا مُبرراً وجهاً
ووفى الله من أصغى لموعظتي
يا رب وانفع بشعري كل من قرأوا

والجسم من بعدها في تربة قبر
يبكي إذا نكس الرحيل والخفرا
وعاد منها كسير القلب مُعتبرا
وغلبوا في الحياة المنطق النضرا
بخير نصح يفوق المال والذرا
فقد بذلت وصايا فذة غررا
وفاز عبدٌ بأمر الخالق انتمرا!
بغضاء تجعلكم في ذي الدنا عبرا
شمس ، وما أبصرت عيونكم قمر
عما نهى عنه يا أحباب ، أو أمرا
عامله بالرفق ، لا تكثر لديه مرا
يا صاح راجع ضميرك أمعن النظرا
وأصدق الشعر ما جرحنا شعرا
على البراءة قد أشهدت مقتدرا
إما حييت ، وإن أمسيت محتضرا
مفنداً بصريح القول مُعتبرا
وأدب النفس بالطاعات ، وازدجرا
فالشعر كم ينفع الأكياس والبُدرا!

الخاتمة

الحمد لله ألهم عباده المؤمنين الزهد في الدنيا والعمل للآخرة! ألا إن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة. دافع الخطرة ، فإن لم تفعل صارت شهوة وهمة ، فإن لم تدافعها صارت فعلاً ، فإن لم تتداركه بصدده صار عادة ، فيصعب عليك الانتقال عنها. بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. الذنوب جراحات ، ورب جرح وقع في مقتل. ومن عظم وقار الله في قلبه خاف أن يعصيه – ومن تجنب الله امتنع في قلوب الخلق أن يذلوه. القلوب آية الله في أرضه ، فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها. ألفت عجز العادة ؛ فلو علت بك همته ربا المعالي لاحت لك أنوار العزائم. إذا عرضت نظرة لا تحل فاعلم أنها مسعر حرب ، فاستتر منها بحجاب (قل للمؤمنين) فقد سلمت من الأثر وكفى الله المؤمنين القتال. الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة ؛ فإنها إما أن توجب ألماً وعقوبة ، وإما أن تقطع لذة أكمل منها ، وإما تضيع وقتاً إضاعته حسرة وندامة ، وإما أن تتلم عرساً توفيره أنفع للعبد من ثلمه ، وإما أن تذهب مالا بقاءه خير له من ذهابه ، وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامه خير من وضعه ، وإما أن تسلب نعمة بقاءها أذى و أطيّب من قضاء الشهوة ، وإما أن تطرق لوضع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك ، وإما أن تجلب همماً ، وغماً ، وحرناً ، وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة ، وإما أن تنسي علماً ذكره أذى من نيل الشهوة ، وإما أن تشمت عدواً ، أو تحزن ولياً ، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة ، وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول ، فإن الأعمال تورث الصفات ، والأخلاق. أبعد القلوب عن الله القلب القاسي. أعظم الكرامة لزوم الاستقامة. إن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب. فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ. خلقت النار ، لإذابة القلوب القاسية. إذا قسا القلب قحطت العين. المتابعة: أن يفعل مثل ما فعل ، على الوجه الذي فعل ، لأجل أنه فعل. ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب ، والبعد عن الله. لا ريب أن الخوارج كان فيهم من الاجتهاد في العبادة والورع ما لم يكن في الصحابة كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن لما كان على غير الوجه المشروع أفضى بهم إلى المروق من الدين! ولهذا قال عبد الله بن مسعود وأبي بن مالك: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة. الدنيا كلها ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة وأس بنياته عليها ، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم ، فإذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية خرب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة. فمن أراد السعادة الأبدية فليزِم عتبة العبودية. وأما الدنيا فأمرها حقير ، وكبيرها صغير ، وغاية أمرها يعود إلي الرياسة والمال ، وغاية هذه الرياسة أن يكون كفرعون الذي أغرقه الله في اليم انتقاماً منه! وغاية ذي المال أن يكون كقارون الذي خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة لما أذى نبي الله موسى. والمرأة الصالحة تكون في صحبة زوجها الرجل الصالح سنين كثيرة ، وهي متاعة الذي قال فيها رسول الله: (الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة المؤمنة ، إن نظرت إليها أعجبتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك!) وهي التي أمر بها النبي في قوله لما سأله المهاجرون أي المال تتخذ فقال: (لساناً ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، أو امرأة صالحة تعين أحدكم على إيمانه) رواه الترمذي ، من حديث سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان. ويكون منها من المودة والرحمة ما امتن الله تعالى بها في كتابه ، فيكون ألم الفراق أشد عليها من الموت أحياناً وأشد من ذهاب المال وأشد من فراق الأوطان ، خصوصاً إن كان بأحدهما علاقة من صاحبه ، أو كان بينهما أطفال يضيعون بالفراق ويفسد حالهم. في الصحيحين عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم ، قال: هذا لكم ، وهذا أهدي إلي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما بال

الرجل نستعمله على العمل مما ولّانا الله ، فيقول: هذا لكم ، وهذا أهدي إلي ، فهلا جلس في بيت أبيه ، أو بيت أمه فينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ منه شيئاً ، إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة ، إن كان بعيراً له رُغاء أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه ، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ ثلاثاً. من العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغيرها ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه! وكم نرى من رجل متورع عن الفحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول! اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فأنت علينا قادر!

يا من رَضيتَ لنا شرعَ الهدى ديننا حمداً إليك ، فذاك الفضلُ يكفينا
يا رازقَ الطير فضلاً أنت سابعه أوليتنا نعماً فاقوت أمانينا
يا فالقَ الصُبْحِ في الأرجاءِ من ظلمٍ يا صاحب الأمرِ أنت المرتجى فينا
يا كاشفَ الضُرِّ يا رحمنَ يا صمداً يا من يُجيرُ ، وإن ندعو يلبينا
ثبنا إليك فطهرنا بمغفرةٍ واهدِ الخلائقَ ، واقبل من تناجينا

اللهم صل على محمد وآله وصحبه في الأولين! وصل على محمد وصحبه وآله في الآخرين! وصل على محمد وآله وصحبه في السماوات والأرضين! وصل على محمد وصحبه وآله إلى يوم الدين! نشهد اللهم أننا نحب نبيك ورسولك محمداً وأصحابه أجمعين وأزواجه أمهات المؤمنين ومن اتبعه واقتفى أثره ودان لله بدينه إلى يوم يُبعثون!

كل القلوب إلى الحبيب تميلُ ومعني بهذا شاهدٌ ودليلُ
أما الدليل فإن ذكرته محمداً صارت دموع المؤمنين تسيل
هذا رسول الله نبراسُ الهدى هذا - لكل العالمين - رسول
يا سيد الكونين يا علم الهدى هذا المتيم في جمالك نزيل
لو صادفتني من لدنك عناية لازور طيبة والنخيل جميل

اللهم لا تجعلني من الشعراء الذين قلت فيهم: (والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) واجعلني من الشعراء المستثنين بقولك: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا)! وبهذا أختم مجموعتي الشعرية: (أبنائي الأعراف هذي تحاياكم!) آملاً أن أكون قد وفقْتُ فيه لما انتويت من تحبير شهادة على هذا العصر الذي أعيش في جملة من القصائد هي بعض عمري أضعتها (رسائل شعرية) بين أيدي القراء! وأجعل لأبنائي الأعراف نصيباً من شعري وقصائدي لتكون نبراساً لهم!

151	وينبهرُ	البسيط	أشواقٌ لها إيقاع!	27
154	العُدُ	الطويل	مزايدة!	28
159	البداية	الخفيف	العاصفة!	29
160	مستيقنة	الكامل	على اختلاف!	30
161	والجوى	المتقارب	صدقت يا أبتاه!	31
162	لمُدان	الكامل	سأعلمها وأربّيها!	32
165	الطنس	الطويل	الخدیعة الكبرى!	33
176	أن تظهرها	الكامل	ذهب النشوز بالحب!	34
179	باعا	الوافر	إدانة وإهانة وإبانة!	35
184	كالنَّد	البسيط	المرأة الغنيدة شوم!	36
187	حاياكم	ذِي تـ	أبني الأعزاء هـ	أبني
189	داء			الإهـ
191	ة	دمـ	ة	الـ
193	ة	حـ	تـ	الافـ
195	البطن	الكامل	ولدي عبد الله (بمناسبة ولادة ابني عبد الله)	37
208	استرشد	الكامل	القصيدة الدالية (مولد النور) (ابني عبد الرحمن)	38
214	يبسُم	الكامل	القصيدة العمرية (حبيب القلوب) (ابني عمر الفاروق)	39
220	الخير	البسيط	حللت أهلاً ، ونزلت سهلاً يا يوسف الخير (ابني يوسف)	40
230	والحمد	البسيط	رسالة من صلاح الدين (بمناسبة ولادة ابني صلاح الدين)	41
247	ولا لعب	البسيط	رسالة إلى سيف الإسلام (ولادة ابني سيف الإسلام)	42
259	الرحمن	الكامل	القصيدة النونية السلمانية الشاعرة (ولادة ابني حسان)	43
278	الخداء	الخفيف	فاطمة الزهراء السلمانية (ولادة ابنتي فاطمة)	44
284	والطرب	السريع	هذا بعض ما أعيش (معارضة أين الضجيج العذب)	45
287	الخلي	الرمل (مجزوء)	يا فتاتي رجعي الشعر الجلي	46
290	تيها	البسيط	في ظلك الجميل (ابني عمر الفاروق)	47
292	حبيب	المتقارب	عندما أحب (ابني عمر الفاروق)	48
295	والدما	الطويل	مداعبة (ابني حسان)	49
296	ينهمرُ	البسيط	دموع التصبر (ابني عمر الفاروق)	50
305	أنظم	الطويل	وصية والد لولده (ابني عبد الله)	51
314	سوام	الكامل	ثمن المروعة (ابني عمر الفاروق)	52
315	ويعتمل	البسيط	تهنئة سلمانية (عرس ابني عبد الله)	53

333	والفرائد هات	الخفيف	أبو رقية (ولادة حفدي تميم عبد الله)	54
335	نور عيني	الخفيف	أطياف الذكريات (ولدي عبد الله وعبد الرحمن)	55
337	العبرات	الكامل	ليتك ترى (ابني عمر)	56
340	واحمد	الكامل	ولكن الله سلم (عملية جراحية ليوسف)	57
343	من مُثُن	الرمل	مُحاكاة لامية ابن الوردى! (ابن حسان)	58
358	الدون	البسيط	سامحوني أيها الأبناء!	59
265	عندي	الخفيف	خياران أحلاهما مُر!	60
367	الضررا	البسيط	فاعفوا واصفحوا!	61
371	ممة	ات	خ	ال
373	رس		ه	الف

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (نصيب أسرتي من شعري!)

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً و جدّاً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله! وأما الدواوين والقصائد والمجموعات والكتب:

أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سُويعات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - الفوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصبر: (ديوان شعر).
- 12 - عتابٌ وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعضوهُ ، ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - عادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منارُ الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبْتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلامُ الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خانك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعرُ رحِمَ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
- 27 - يا شعرُ كُنْ لي شاهداً! (ديوان شعر).
- 28 - اللهمّ تقبّلْ مني شعري! (ديوان شعر).
- 29 - الله الله في شعر أبيكم! (ديوان شعر).
- 30 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرانها: عنتره بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - مشاركاتي على الفيس بك والواتس آب! (لغوية وأدبية وشعرية ونحوية).
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)
- 7 - مائة ألف معلومة ومعلومة! (معلومات قيمة في مختلف فروع العلوم على هيئة سؤال وجواب!)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 – القاتل البطيء (التدخين)
- 3 – بين شوقي وحافظ!
- 4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار!
- 5 – غَمير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
- 6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 – من أجل زوجي!
- 8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 – فرانك كابرियो (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 – يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 – رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
- 14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصبراً
- 15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
- 16 – أتيناكم! أتيناكم!
- 17 – أحمد الجدد مؤرخاً وشاعراً ونحويّاً وناقداً
- 18 – أستاذي قال لي! (عريف الكتاب – رحمه الله -)
- 19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 – أسماء الله الحسنى (مدح الله تعالى)
- 21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 – موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 – أبجديات شعرية
- 26 – الشعر رَحِمَ بين أهله
- 27 – الله يرحم مُزنة
- 28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 – امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 – تراني عندما أرى لِحيتك!
- 31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
- 33 – بُردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
- 34 – بُردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
- 35 – بُردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
- 36 – بُردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
- 37 – بُردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
- 38 – بكائية إسماعيل علي سليم (فقد التربية والتعليم)
- 39 – نعم الميّت ، ونعمت الميّتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

- 40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 – تغيير الحال أم الخال!؟
- 43 – عزائي وتأبيني للشيخ الصابوني – رحمه الله تعالى -
- 44 – تيس يرث نعجة! (جيء به مخللاً فورثها)
- 45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 – جاز المعلم وفيه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
- 47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 – حبيبي أقبلت! (معارضة لجماعة معذبتي لابن الخطيب)
- 49 – حرامية الشعر!
- 50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 – خاتك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 – رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد) (معارضة لشوقي)
- 55 – رسالة إلى دانة! (ابنة السويدي)
- 56 – رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 – رفقا بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
- 58 – ربيعة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها -
- 59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها -
- 61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 – ضحية تعتب على قاتلها! (بعد استشراف ظاهرة قتل البنات)
- 63 – طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 – طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
- 66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما شقيقهما صغيرتين وخذلناه في الكبر)
- 67 – عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 – عجبث للنذل
- 70 – عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 – وربما حار الدليل!
- 73 – الكائنات الفضائية!
- 74 – لصوص القريض
- 75 – لقاؤنا في المحكمة
- 76 – لوعة الرحيل
- 77 – مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
- 78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهم الله -)

- 80 - مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
- 81 - منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
- 82 - ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
- 83 - هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
- 84 - الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
- 85 - كن كما أنت! (انتصارية للشيخ الصابوني رحمه الله)
- 86 - تلميذي البار شكراً!
- 87 - القصيدة الزينية (محاكاة لزينية ابن عبد القدوس) 2
- 88 - شمس العرب تسطع على الغرب!
- 89 - تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
- 90 - الخلق والعلم معاً - الأستاذ محمد الكيلاني!
- 91 - الشعر حنينٌ ورنينٌ وأنين!
- 92 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر & مارية)
- 93 - المقابر تتكلم 1 (إنها تذكرة!)
- 94 - زواج بالإكراه!
- 95 - شعرٌ يوثقُ صاحبه!
- 96 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
- 97 - محاكاة لامية ابن الوردي!
- 98 - امرأة تزوجت رجلين!
- 99 - أصابك عشقٌ أم رُميت بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
- 100 - مروءة ولي زمانها!
- 101 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
- 102 - زلزال تركيا المدمر!
- 103 - المقابر تتكلم 2 - (نصيحة لزانري القبور)
- 104 - المقابر تتكلم 3 - (وصية أصحاب القبور)
- 105 - المقابر تتكلم 4 - (حوار بين ميت وقبره!)
- 106 - دمه وماله وعرضه! (الصهر الكذاب)
- 107 - سعة علم أبي يزيد البسطامي!
- 108 - رمضان أشرق!
- 109 - يا شعرُ كن لي شاهداً!
- 110 - المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)
- 111 - القطة وإمام المسجد - وليد مهساس
- 112 - مكافأة لا قصاص! (عمر بن عبد العزيز)
- 113 - حلت أهلاً ونزلت سهلاً يا عيد الفطر!
- 114 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)
- 115 - المقابر تتكلم 7 (المبالغة في البناء)
- 116 - شبعة من بعد جوعه (رسالة إلى أسرة وضيفة)
- 117 - فإذا أمن بعضكم بعضاً! (رسالة إلى متكسب بالقرآن!)
- 118 - عظم الله أجرك في الكتب! (رسالة إلى سارق الكتب)
- 119 - لا تقولوا: ضحية زوجته!
- 120 - عادة الأزهر! (حبيبة السيد مصطفى خليفة)
- 121 - منتقبة لا منقبة!

- 122 - نقابي حشمتي!
 123 - منتقبة لها دورها!
 124 - النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان
 125 - أحرزت عمن هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
 126 - لا يؤت الإسلام من قبلك يا ذات النقاب!
 127 - النقاب ثلاثة أنواع!
 128 - دموع المآقي في تأبين كريم العراقي!
 129 - ليتني أطعت صحابي!
 130 - غريد القرآن عبد الباسط عبد الصمد!
 131 - منتقبة ذات علم وخلق!
 132 - الأعمال بالخواتيم 2 (العروس الصادقة)
 133 - الأعمال بالخواتيم 3 (يوم عرسها ماتت!)
 134 - المنتقبة الصغيرة!
 135 - تدل على الرجال مواقفهم (محمود هلال)
 136 - وليس الغري كالستر!
 137 - إغصار لبيبا المُدمر (دنيال)
 138 - المنتقبة والعصفور!
 139 - عروسة المولد!
 140 - ما ذنب النقاب يا قوم؟!
 141 - العدل بين الزوجات أولى!
 142 - الأعمال بالخواتيم 3 - عروس تموت وهي ترقص!
 143 - المنتقبة الفارسية!
 144 - ممارسات تزرى بالمنتقبة!
 145 - قصة المنتقبة مع قطتها!
 146 - ذات النقاب والفراس!
 147 - منتقبتان في الحديقة!
 148 - المنتقبتان الضرتان!
 149 - المنتقبة والبحر!
 150 - المنتقبة والقطعة المبتلاة!
 151 - المنتقبة واليتيمتان!
 152 - دعاء مغترب!
 153 - لباقة منتقبة!
 154 - نسيم الشعر على عطية صقر!
 155 - وداعا صديقي محسن مأمون رسلان!
 156 - عندما يتبرج النقاب!
 157 - هدية امرأة منتقبة!
 158 - منتقبات في حلقة التحفيظ!
 159 - منتقبة تنزود للأخرة!
 160 - من فات قديمه تاه!
 161 - أبتاه عُذراً!
 162 - نقاب غطته الدماء! (رزان)
 163 - النقاب للستر ، لا للنشر!

- 164 - أطفال تحت الأنقاض!
- 165 - مراعاة شعور الآخرين مروءة!
- 166 - القارئ المرتل ظافر التائب
- 167 - نجومٌ في ظلمات حياتنا!
- 168 - إحدى الحسنيين!
- 169 - أرسلوا النعوش والأكفان!
- 170 - الحجاب ليس حِكراً على النساء!
- 171 - السمط الثمين في حكمة ابن عُثيمين!
- 172 - مراعاة شعور الآخرين مروءة!
- 173 - الوقت كالسيل لا كالسيف!
- 174 - النفس وظلمات التيه!
- 175 - جرح المتهم البرئ!
- 176 - رسالة إلى الشاعر (الفولي عصران)!
- 177 - البدوية المنتقبة!
- 178 - الجوهرة تُحفظ لا تُعرض!
- 179 - النصر حفيد الصبر!
- 180 - إلى خنساوات أرض الرباط!
- 181 - بريءٌ ذهته المنايا!
- 182 - فيم الصمتُ عن أرض الرباط؟
- 183 - القمرُ المنتقبُ الصغير!
- 184 - المقابرُ تتكلم 8 (بدع الجنائز والمقابر)
- 185 - الأزهري الصغير معاذ!
- 186 - المنتقبات الخمس الصديقات!
- 187 - النقاب تشريع لا تقليد!
- 188 - منتقبة تشتكي إلى الله! (نانا)
- 189 - عهد المنتقبات!
- 190 - رجل جمع القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد)
- 191 - تحية لمصانع الأزياء الإسلامية!
- 192 - لك حُبي واحترامي!
- 193 - لا وقت للذمى ، يا بُني!
- 194 - حكاية الجرسونة (روزا)!
- 195 - سنرحلُ ويبقى الأثر! (المشالي & عطية)
- 196 - لماذا تبكي النساء؟!
- 197 - هرقل والمُلك الزائل!
- 198 - هل في القزع جمال؟!
- 199 - في مكتب مدير المدرسة (1)!
- 200 - في مكتب مدير المدرسة (2)!
- 201 - إلى أين يا عدوة نفسها؟
- 202 - أختٌ من الأب!
- 203 - مالكُ بن دينار وابنته!
- 204 - تذكُر يوسف وموسى!
- 205 - التجميل الباطل في وسائل التواصل!

- 206 - حميد الله الهندي!
 207 - البذاذة من الإيمان!
 208 - مُخَيي الدين عبد الحميد!
 209 - كلابها أصدق من أهلها!
 210 - رسالة منتقبة حكيمة!
 211 - عليه العوض ، ومنه العوض!
 212 - هل مات العريس؟!
 213 - الله الله في شعر أبيكم!
 214 - هل أصبحت وباء؟!
 215 - من المحنة تأتي المنحة!
 216 - الخمسة أولادي!
 217 - رجلٌ جمع القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد!)
 218 - ياسمين والرحيل إلى الله!
 219 - سامحوني أيها الأبناء!
 220 - هل في القرع جمال؟
 221 - كذبتني ، فهل صدقت؟!
 222 - امرأة بألف رجل!
 223 - الواغظة الصغيرة!
 224 - زوجات مبتكرات!
 225 - اللهم تقبل مني شعري!
 226 - الكلاب في شعر أحمد سليمان!
 227 - قالت رحاب ، وقلت! (محاكاة لرحاب المحمود)
 228 - خياران أحلاهما مر!
 229 - كم أعطوك؟!
 230 - الخديعة الكبرى!
 231 - نحن جاهزون للطلاق!
 232 - الوريث الوحيد!
 233 - فاعدل بينهم!
 234 - سأعلمها وأرييها!
 235 - الأعمى البصير!
 236 - ذهب النشوز بالحب!
 237 - الأخت الكبرى الضحية!
 238 - أخبره أنني أخته 239 - أربعة قروش كل يوم!
 239 - أعمارهم ثمن حقهم!
 240 - شتان بين اللجنتين!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 - الغربية سلبيات وإيجابيات
 2 - إلى هؤلاء أتكلم!
 3 - آمال وأحوال
 4 - أمتي الغائبة الحاضرة
 5 - أنات محموم وآهات مكلوم
 6 - أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)

- 7 - تحية شعرية ، والرد عليها
- 8 - رمضان شهر الخير والبركة
- 9 - عندما لا نجد إلا الصمت
- 10 - يا أماه ويا أختاه كُفا الدمع!
- 11 - بيني وبينك!
- 12 - تجاذبات مع الشعر والشعراء
- 13 - دموع الرثاء وبكاء الخُداء (1 & 2)
- 14 - رجالٌ لعب بهم الشيطان
- 15 - رسائل سليمانية شعرية
- 16 - شخصيات في حياتي! (1 & 2)
- 17 - شرخ في جدار الحضارة
- 18 - شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
- 19 - ضِدَان لا يجتمعان: الشهامة والندالة (1 & 2 & 3)
- 20 - عندما يُثمر العتاب
- 21 - فمثله كمثل الكلب!
- 22 - قصائد لها قصصٌ مؤثرة (1 : 10)
- 23 - كل شعر صديق شاعره!
- 24 - مساجلات سليمانية عشماوية!
- 25 - مُراودة ومُعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
- 26 - الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور - رحمها الله -
- 27 - الزاهية تُحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
- 28 - الشهادة خيرٌ من النفوق!
- 29 - الصبر ترياق العُلل والداءات
- 30 - الصعيد مهد المجد والسعد
- 31 - الضاد بين عدو وصديق
- 32 - العيد السعيد جائزة الله تعالى
- 33 - الغربية دُرْبة على الطريق
- 34 - الغيرة غير القاتلة
- 35 - القصيدة ابنتي
- 36 - اللغة العربية وصراع اللغات
- 37 - اللقيط برئٌ لا ذنب له!
- 38 - المال والجمال والمأل
- 39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
- 40 - المعلم صانع الأجيال!
- 41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
- 42 - اليئثم غنمٌ لا غرم
- 43 - أمومة وأمومة
- 44 - أهازيج بين الشعر والشاعر
- 45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم!؟
- 46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا أوباش!؟
- 47 - بين الفتنة والفتنة!
- 48 - بين هندٍ وزيد!

- 49 - جيران وجيران!
50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 - عزة الخير (أم عبد الله)
52 - فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائد القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 - مدائح إلهية شعرية!
55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 - البردات الشعرية السليمانية
57 - عيون الدواوين السليمانية
58 - معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 - من أزهير الكتب
62 - من الأجوبة المُسكّنة المُفحمة
63 - من أناشيد الأفرح
64 - نحويات شعرية
65 - نساء صقلتهن العقيدة
66 - نساء لعب بهن الشيطان
67 - وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان
76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 - بر الوالدين في شعر أحمد سليمان!
85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 - نصيب طلابي من شعري!
87 - حضارة البطنة لا الفطنة!
88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 - لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!

- 91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 - وترجون من الله ما لا يرجون!
95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (3&2&1)
99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 - لماذا؟
101 - (لا) كلمة لها وقتها!
102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (3&2&1)
106 - أين؟!
107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (2&1)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 - أيومة إلى الأبد!
112 - شتان بين البر والعفوق
113 - الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان
118 - الأميرات الثلاث!
119 - عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)
121 - قصائد يوتيوبية سليمانية (1) & (2)
122 - مشاركاتي على الواتس آب والفيس بك!
123 - مجلس التهاني في قناة المجد الفضائية!
124 - رحلتي مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد!
125 - النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان!
126 - الأئين في شعر أحمد علي سليمان!
127 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
128 - الأريج في شعر أحمد علي سليمان!
129 - الأئين في شعر أحمد علي سليمان!
130 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!
131 - القلم في شعر أحمد علي سليمان!
132 - حسابي مع الأوباش!

خامساً: الكتب القصصية

شرايح قصصية سليمان في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب المحققة والمخرجة

(الحب بين المشروعية والضلال) كتبه الأستاذ حمدي محمد سعد ماضي (المحامي) وحققه وخرجه أحمد سليمان

سابعاً: الكتب الإنجليزية

- 1 . Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 6 - Conversation Skills
- 7 - Correction Exercise (1-100)
- 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 9 - Grammar Tasks (1-77)
- 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond's Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet – Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature, Mansoura University – Egypt, May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum 6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic.

	<p>12. Aldous Huskily as a critic.</p> <p>13. Styles of translation.</p>
	<p>14. How to teach Grammar.</p> <p>15. Writing Operation Skills.</p> <p>16. The Listening Lesson.</p> <p>17. Glorious Classroom Management.</p> <p>18 – How to prepare your exam paper.</p>
<p>Courses taught (last 3 years)</p>	<p>1. Straight Planning (European System)</p> <p>2. Strategic Planning (American System)</p> <p>3. Poor Students Evaluation.</p> <p>4. Education Theories.</p> <p>5. Scientific Research Results.</p> <p>6. The Successful Education.</p> <p>7. Advantages of Culture and disadvantages of it.</p> <p>8. Roles of Computers in Educational Operation.</p> <p>9. English away from Classroom.</p> <p>10. How to test your students.</p>
<p>Employment</p>	<p>* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage)</p> <p>* English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage)</p> <p>* English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage)</p> <p>* English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage)</p> <p>* English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7, 8, 9 American.</p>

Honors and Awards

1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation.
2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986.
3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993
4. Appreciation Certificate in 1998.
5. Appreciation Certificate in 2008.
6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009.
7. Appreciation Certificate from National School in 2010.
8. Arabic Protection Community 2004.

Volumes of Poetry

- 1 – The End of the Road
- 2 – The Confident Man
- 3 – The Hours of the Sunset
- 4 – The Bloody Snail
- 5 – A Tone on the Love's Wall
- 6 – The Perfume Aspiration
- 7 – The Tendency of Memories (Part One)
- 8 – The Upper-Egyptians had arrived!
- 9 – The Surrendering of the Beauty
- 10 – The Shoes Woman-Cleaner
- 11 – Patience Tears
- 12 – Blaming and Complaint
- 13 – Say frankly without Simulation
- 14 – Poetry is my Rosary

	<p>15 - Yemeni Young Girl</p> <p>16 – Azzah, the Lady of Goodness</p> <p>17 – The Beacon of Goodness</p> <p>18 – Estrangement, Bayonet and Sadness</p> <p>19 – The Two Women –doctors</p> <p>20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty</p> <p>21 - The Gentlemen of the Sacred Land</p> <p>22 – Like the One who catches Fire!</p> <p>23 - The Tendency of Memories (Part Two)</p> <p>24 – The Rain betrays you!</p> <p>25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets!</p> <p>26 – Bye Bye, My Poetry!</p> <p>27– Oh, My Poetry, Be my Witness!</p> <p>28 – Oh, Allah, Reward my Poetry!</p> <p>29 – Allah, Allah, in your father’s Poetry!</p> <p>30 – The Life-Style of Ahmad Ali Solaiman</p>
<p>Other Literary Books</p>	<p>1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him - .</p> <p>2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi.</p> <p>3 – The Story life and the Self-Road</p> <p>4 – Ahmad Solaiman's Life</p>